



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير

الاصطفاة المسماة

٢

تأليف

العلامة الفقيه الخليلي
آية الله العظمى السيد الخليلي

مطبعة المعارف والادب
بيروت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الصراط المستقيم

كاتب:

آيت الله سيد حسين طباطبائي بروجردى

نشرت فى الطباعة:

انصاريان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	تفسير الصراط المستقيم المجلد ٢
٧	اشارة
٧	اشارة
٧	الباب الخامس
١٨	الباب السادس
١٨	اشارة
١٨	الفصل الأول
٢٦	الفصل الثانى
٢٩	الفصل الثالث
٢٩	اشارة
٣٢	تذييل
٣٨	الفصل الرابع
٣٨	اشارة
٤٧	تبصرة فى أقسام النسخ
٥١	الفصل الخامس
٧٤	الباب السابع
٧٤	اشارة
٧٤	الفصل الأول
٧٦	الفصل الثانى
٨١	الفصل الثالث
٨٤	الفصل الرابع
٩٠	الفصل الخامس

٩٥	الباب الثامن
١١٢	الباب التاسع
١٣٢	الباب العاشر
١٣٢	اشارة
١٤٧	الفرق بين القرآن و الحديث القدسى
١٤٨	الباب الحادى عشر
١٤٨	اشارة
١٤٨	الفصل الأول
١٥٥	الفصل الثانى
١٧٢	الفصل الثالث
١٧٩	الباب الثانى عشر
١٧٩	اشارة
١٧٩	الفصل الأول
١٧٩	اشارة
١٩٣	حرمة الغناء:
٢٠٦	بقى فى المقام أمور:
٢٠٨	الفصل الثانى
٢٠٨	الترتيل
٢٢٧	فى مراعاة المدّ
٢٣١	فى مراعاة التشديد
٢٣٩	الفصل الثالث
٢٤١	الباب الثالث عشر
٢٧٨	الباب الرابع عشر
٢٩٣	تعريف مركز

تفسير الصراط المستقيم المجلد ٢

إشارة

سرشناسه : بروجردى، حسين بن رضا، ق ١٢٧٦ - ١٢٣٨
 عنوان و نام پديد آور : تفسير الصراط المستقيم / تاليف حسين البروجردى؛ صححه و علق عليه غلامرضا بن على اكبر البروجردى
 مشخصات نشر : قم: موسسه انصاريان، ١٤١٦ق. = - ١٣٧٤.
 وضعيت فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى
 يادداشت : عنوان ديگر: صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.
 يادداشت : كتابنامه
 عنوان ديگر : صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.
 عنوان ديگر : صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم
 موضوع : تفاسير (سوره فاتحه)
 موضوع : تفاسير (سوره بقره)
 موضوع : تفسير
 موضوع : تفاسير شيعه -- قرن ق ١٣
 شناسه افزوده : مولانا بروجردى، غلامرضا، مصحح
 رده بندي كنگره : BP١٠٢/ب٣٤٧
 رده بندي ديويى : ٢٩٧/١٨
 شماره كتابشناسى ملي : م٧٥-٢٦٣٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين.
 و بعد، هذا هو الجزء الثانى من مقدمه الكتاب القيم «الصراط المستقيم» تأليف العلامة التحرير، و الرجالى الخير، و المفسر البصير، آية
 الله السيد حسين بن السيد رضا البروجردى قدس الله سره العزيز.
 و هذا الجزء كسابقه يحتوى على مطالب رشيقة، و حقائق دقيقة ينبغى لكل سالك يسلك سبيل فهم القرآن الكريم أن يعلمها.
 المفتقر إلى رحمة ربه الغفور غلام رضا بن على أكبر الملقب ب «مولانا» البروجردى
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧

الباب الخامس

فى أن فى القرآن تبيان كل شىء و جامعته للعلوم و الحقائق و كيفية انشعابها منه
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩

اعلم أن العلم التفصيلي بهذا الباب لا- يحصل إلا- لمن آتاه الله علم الكتاب، و فصل الخطاب، و ميز القشر من اللباب، و كان واقفا مقيما في الكون الكبير على باب الأبواب، لإطاعه على حقائق الملك و الملكوت، و إفاضته على سرادق سلطان الجبروت، و دوام فقره و عبوديته و انقطاعه الى الحى الذى لا يموت، كى يطّلع بعد ذلك بما هنالك من أسرار التشريع و التكوين، و ينطبق عنده إشارات التدوين، و أما نحن و من هو فى درجتنا فإنما آمنّا بذلك من جهة الإيمان بالغيب الذى هو من مراتب الإيمان و درجات التقوى و ذلك لما تقرر عندنا من مساوغة التدوين للتكوين بعد ما استفاضت به الأخبار من

أن نبينا صلى الله عليه و آله قد أشهده الله خلق خلقه، و ولّاه ما شاء من أمره و أنّه صلى الله عليه و آله يعلمون جميع ما فى السماوات و الأرض و ما فيهن و ما بينهن و ما فوقهن و ما تحتهن، كل ذلك علم إحاطة، كما ورد فى بعض الأخبار . و يشهد له الإعتبار، أو علم اخبار كما هو القدر المعلوم من الشريعة.

هذا مضافا الى الآيات و الأخبار الدالة على اشتماله على كل شىء من التكوينات و التشريعات، كقوله: ما فرطنا فى الكتاب من شىءٍ «١»، و قوله:

وَ كُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٢»، بناء على إرادة الكتاب منه، و قوله:

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠

وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ «١»، و قوله: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «٢»، الى غير ذلك من الآيات الظاهرة بنفسها لعمومها فى ذلك، سيما بعد ورود البيان و التفسير لها فى الأخبار.

فروى العياشى فى تفسيره عن مولانا الصادق عليه السلام قال: (نحن و الله نعلم ما فى السماوات، و ما فى الأرض، و ما فى الجنة، و ما فى النار، و ما بين ذلك) ثم قال: إن ذلك فى كتاب الله، ثم تلا هذه الآية: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ «٣».

و

فى الكافى عنه عليه السلام: (إن الله أنزل فى القرآن تبيان كل شىء حتى و الله ما ترك شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو كان هذا أنزل فى القرآن إلّا و قد أنزله الله فيه) «٤».

و

فيه عنه عليه السلام: (إنى لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض، و أعلم ما فى الجنة و أعلم ما فى النار، و أعلم ما كان و ما يكون، ثم سكت هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه) فقال عليه السلام: (علمت ذلك من كتاب الله عزّ و جلّ، إن الله يقول: «فيه تبيان كل شىء» «٥»).

و

فيه عنه عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل فى كتاب الله، و لكن

(١) النمل: ٧٥.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) تفسير العياشى ... طبع طهران ج ٢ ص ٢٦٦، البرهان ج ٢ ص ٣٨٠.

(٤) الأصول من الكافي ج ١ ص ٥٩.

(٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٦١، ط. الآخوندي مع تعليقه الغفاري، و لا يخفى أن جملة (فيه تبيان كل شيء) نقل بالمعنى لأنها تكون هكذا تبيانا لكل شيء. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١
لا تبلغه عقول الرجال «١».

و

عن أبي جعفر عليه السلام: إن الله لم يدع شيئا يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه و بينه لرسوله، و جعل عليه دليلا يدل عليه، و جعل على من تعدى ذلك الحد حدا «٢».

و

فيه عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاستلوني أين هو من كتاب الله عز و جل؟ ثم قال في بعض حديثه: إن رسول الله صلى الله عليه و آله نهى عن القيل و القال، و فساد المال و كثرة السؤال، فقيل له: يا بن رسول الله أين هذا من كتاب الله تعالى؟ قال عليه السلام: إن الله يقول: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ «٣»، و قال: لا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا «٤»، و قال: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ «٥» «٦».

و

فيه عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (و الله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأته في كفي، فيه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر ما كان، و خبر ما هو كائن، قال الله عز و جل: «فيه تبيان كل شيء» «٧».

(١) الأصول من الكافي ج ١ ص ٦٠.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٥٩.

(٣) النساء: ١١٤.

(٤) النساء: ٥.

(٥) المائدة: ١٠١.

(٦) الأصول من الكافي ج ١ ص ٦٠.

(٧) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٢٩، قد مر أن جملة «فيه تبيان كل شيء» نقل بالمعنى فإنها في القرآن هكذا: تبيانا لكل شيء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢

و

في «تأويل الآيات» نقلا عن «مصباح الأنوار» لشيخ الطائفة بالإسناد عن المفضل قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم، فقال لي يا مفضل هل عرفت محمدا و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهما السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي و ما كنه معرفتهم؟ قال عليه السلام: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السنم الأعلى «١»، قال: قلت: يا سيدي عرفني ذلك، قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز و جل و ذراه و برآه، و أنهم كلمة التقوى، و خزان السماوات و الأرضين، و الجبال، و الرمال، و البحار، و علموا كم في السماء من نجم، و ملك، و وزن الجبال، و كيل ماء البحار، و أنهارها، و عيونها، و ما تسقط من ورقة إلا علموها، و لا حجة في ظلمات الأرض، و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين «٢» و هو في علمهم و قد علموا ذلك، فقلت يا سيدي و قد علمت ذلك و أقررت به و آمنت قال عليه السلام: نعم يا مفضل يا مكرم، نعم يا محبور، نعم طيب طبت و طابت لك الجنة و لكل مؤمن بها «٣».

و

فى «البصائر»، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبى الحسن الأول عليه السّلام: قال: قلت له: جعلت فداك، النبىّ صلّى الله عليه وآله ورث علم الأنبياء كلّهم؟

قال عليه السّلام: نعم، قلت: من لدن آدم إلى انتهى الى نفسه؟ قال: نعم قلت: ورثهم النبوة و ما كان فى آباءهم من النبوة والعلم؟ قال عليه السّلام: ما بعث الله نبيا إلّا و قد كان محمّد صلّى الله عليه وآله أعلم منه، إلى أن قال عليه السّلام و سليمان بن داود قال للهدد حين فقده

(١) السنام الأعلى: أى أعلى مدارج الإيمان، و سنام كلّ شىء أعلاه.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٣ ط القديم عن مصباح الأنوار. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣

و شكّ فى أمره: ما لى لا أرى الهدىهد أم كان من الغائبين «١» و كان المردة «٢» و الريح، و النمل، و الإنس، و الجنّ، و الشياطين له طائعين، و غضب عليه، فقال:

لُعَدَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ «٣» و إنّما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان. الى أن قال عليه السّلام: إنّ الله يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى «٤» فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما تسير به الجبال، و تقطع به البلدان، و يحيى به الموتى بإذن الله، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن كان فى كتاب الله آيات ما يراد بها أمر من الأمور التى أعطاه الله الماضين النبين و المرسلين إلّا و قد جعله الله تعالى ذلك كله لنا فى أم الكتاب، إنّ الله تبارك و تعالى يقول: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ «٥»، ثم قال عزّ و جلّ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٦»، فنحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذى فيه تبيان كل شىء. «٧»

و

فى «تفسير القمى» و غيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فى خبر طويل و فيه: فجاءهم النبىّ صلّى الله عليه وآله بنسخة ما فى الصحف الأولى، و تصديق الذى بين يديه،

(١) النمل: ٢٠.

(٢) المردة: بفتح الميم و الراء و الدال جمع المارد و هو العاصى و المراد بها الجن.

(٣) النمل: ٢١.

(٤) الرعد: ٣١.

(٥) النمل: ٧٥.

(٦) فاطر: ٣٢.

(٧) البحار ج ١٤ ص ١١٢ ح ٤ عن الكافى ج ١ ص ٢٢٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤

و تفصيل الحلال من ريب الحرام، و هو ذلك القرآن، فاستنطقوه و لن ينطق لكم أخباره، فيه علم ما مضى، و علم ما يأتى إلى يوم القيامة، و حكم ما بينكم، و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لأخبركم عنه لأننى أعلمكم الخبر «١».

و

فى «البصائر» عن الصادق عليه السّلام إنّ فى القرآن ما مضى و ما يحدث و ما هو كائن.

و

في «الكافي» عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أنه قال: ما من شيء تطلبونه إلّا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه «٢».

و

عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مذكورة في نهج البلاغة: ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا- تطفأ مصابيح، و سراجا لا يخبو توقده، و بحرا لا يدرك قعره و منهاجا لا يضلّ نهجه، و شعاعا لا يظلم ضوئه، و فرقانا لا يخمد برهانه، و بيانا لا تهدم أركانه، و شفاء لا تخشى أسقامه، و عزّا لا تهزم أنصاره، و حقّا لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان و بجوحته «٣» و ينابيع العلم و بحوره، و رياض العدل و غدرانه «٤» و أثافي «٥» الإسلام و بيانه، و أودية الحقّ و غيطانه «٦»، و بحر لا ينزفه

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٢ ط القديم.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٦ ط القديم.

(٣) بجوحه المكان- بضم البائين -: وسطه.

(٤) الرياض: جمع روضة و هي مستنقع الماء في رمل أو عشب، و الغدران بضم الغين: جمع غدير: القطعة من الماء يغادرها السيل، و المراد أن القرآن يجمع العدل تلتقى فيه متفرقاتها.

(٥) الأثافي: جمع أثفية و هو الحجر يوضع عليه القدر، أى: عليه قام الإسلام.

(٦) غيطان: جمع غاط أو غوط، و هو المطمئن من الأرض،

يقول عليه السلام: القرآن منابت الحق يزكو الحق بها و ينمو. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥

المنتزقون «١» و عيون لا ينضبها الماتحون «٢» و مناهل لا يغيضها الواردون «٣» و منازل لا يضلّ نهجه المسافرون، و أعلام لا يعمى عنها السائرون و آكام لا يجوز عنها القاصدون «٤» جعله الله ريبا لعطش العلماء «٥»، و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاج لطرُق الصلحاء «٦» و دواء ليس بعده داء، و نورا ليس معه ظلمة، و جبلا وثيقا عروته، و معقلا منيعا ذروته، و عزّا لمن تولّاه، و سلما لمن دخله، و هدى لمن أتمّ به، و عذرا لمن انتحلّه، و برهانا لمن تكلمّ به، و شاهدا لمن خاصم به، و فلجا لمن حاجّ به «٧» و حاملا لمن حمّله، و مطية لمن أعمله، و آية لمن توسّع، و جنة لمن استلأم «٨»، و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى «٩».

و

في «المناقب» عن بكير بن أعين قال: قبض أبو عبد الله عليه السلام ذراع نفسه و قال: يا بكير هذا و الله جلد رسول الله صلّى الله عليه و آله و هذه و الله عروق رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أعلم ما في الأرض، و أعلم ما في الدنيا، و أعلم ما في الآخرة، فرأى تغير جماعة، فقال: يا بكير إنّي لأعلم ذلك من كتاب الله إذ يقول:

(١) لا ينزفه: أى لا يفنى مائه و لا يستفرغه المغترفون.

(٢) و لا ينضبها- كيكرها-: أى لا ينقصها، و الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.

(٣) المناهل: جمع المنهل: مواضع الشرب من النهر، و لا يغيضها من باب الإفعال: أى لا ينقصها.

(٤) آكام: جمع أكمة: و هو الموضوع المرتفع و هو دون الجبل في غلظ لا يبلغ الحجرية.

(٥) الرى- بكسر الراء و فتحها-: مصدر روى يروى من باب علم: روى من الماء: أى شرب و شبع.

(٦) المحاج جمع محجة: و هي الجادة من الطريق.

(٧) الفلج بفتح الفاء، الظفر و الفوز.

(٨) الجنة بضم الجيم: ما به يتقى الضرر، و استلام: لبس اللامة و هي الدرع أو جميع أدوات الحرب.

(٩) نهج البلاغة تأليف السيد الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ فى ذيل خطبة ١٩٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦
نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «١» «٢».

و

فى تفسير فرات عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: سلونى قبل أن تفقدونى فو الذى فلق الحبّة و برىء النسمه إني لأعلم بالتوراة من أهل التوراة، و إني لأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل، و إني لأعلم بالقرآن من أهل القرآن، و الذى فلق الحبّة و برىء النسمه ما من فئه تبلغ مائه إلى يوم القيامة إلّا و أنا عارف بقائدها و سائقها، سلونى عن القرآن، فإنّ فى القرآن بيان كلّ شىء، فيه علم الأولين و الآخرين، و إنّ القرآن لم يدع لقاتل مقالا: و ما يعلّم تأويله إلّا الله و الرّاسخون فى العلم «٣».

و

عن كتاب سليم بن قيس فى خبر طويل أن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: يا طلحة إن كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمّد صلّى الله عليه و آله عندى يأملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و خطى بيده، و تأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلّى الله عليه و آله و كلّ حلال، أو حرام، أو حدّ، أو حكم، أو شىء تحتاج إليه الأمة الى يوم القيامة عندى مكتوب يأملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله و خطى بيدي، حتى أرش الخدش الخير «٤».

(١) النحل: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٠٢ و ج ١٩ ص ٢٣ ط. القديم.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ باب جهات علومهم ص ٢٩٠ ط. القديم عن فرات بن إبراهيم.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ باب جهات علومهم ص ٢٩١ ط القديم كتاب سليم بن قيس. و لا يخفى أن سليم بن قيس كان من كبراء أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام و مصنفيهم و كان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقتله فلجأ الى أبان بن أبى عياش فأواه فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إن لك علىّ حقا و قد حضرتنى الوفاة يا بن أخى أنه كان من أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله كيت و كيت، و أعطاه كتابا و هو كتاب سليم بن قيس المشهور، رواه عنه ابن أبى عياش لم يروه عنه غيره، و كتابه هذا أقدم كتاب صنّف فى الإسلام فى عصر التابعين بعد كتاب السنن لابن أبى رافع و كان ذلك الكتاب فى جميع الأعصار أصلا ترجع الشيعة اليه و تعول عليه حتى روى فى حقه عن الصادق عليه السّلام أنه قال: و من لم يكن عنده من شيعتنا و محبينا كتاب تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧

و

عن الحسن بن سليمان «١» فى كتاب «المختصر» ممّا رواه من كتاب نوادر- الحكمة عن أبى الحسن الأول عليه السّلام فى قوله: و لو أنّ قرآنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى «٢» فقد أورثنا الله تعالى هذا القرآن، ففیه ما يسيّر به الجبال و تقطّع به الأرض و يكلم به الموتى، إنّ الله تعالى يقول فى كتابه العزيز: و ما من غائبة فى السّماء و الأرض إلّا فى كتاب مبين «٣»، و قال تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٤» فنحن الذين اصطفانا الله عزّ و جلّ فورثنا هذا الكتاب الذى فيه كلّ شىء «٥».

و

فى «البصائر» عن عبد الأعلى قال أبو عبد الله عليه السّلام ابتداء منه: و الله إني لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض، و ما فى الجنة و ما فى النار، و ما كان و ما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمه من كتاب الله أنظر اليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال عليه السّلام إنّ الله يقول: و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ «٦» «٧».

و

فيه بأسانيد عديدة عنه عليه السّلام: إِنِّي لأَعْلَمُ ما في السموات و أعلم ما في الأرضين و أعلم ما في الجنّة، و أعلم ما في النَّار، و أعلم ما كان و ما يكون، ثم

سليم بن قيس فليس عنده من أمرنا شيء.

مقدمه بحار الأنوار للشيخ عبد الرحيم الشيرازي.

(١) الحسن بن سليمان بن خالد البجلي فاضل، فقيه، تلميذ الشهيد، و يروى عنه، له مصنفات منها مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري، و منها المختصر في الرد على الذين أنكروا حضور النبي و الأئمة عليهم السّلام عند المحتضر.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) النمل: ٧٥.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٩١ باب جهات علومهم و ما عندهم من الكتب ط القديم.

(٦) النحل: ٨٩.

(٧) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٢ باب أنهم عليهم السّلام لا يحجب عنهم علم السماء و الأرض. ط القديم. تفسير الصراط المستقيم،

ج ٢، ص: ١٨

مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه، فقال عليه السّلام: علمت ذلك من كتاب الله تعالى إن الله يقول: «فيه تبيان كل شيء»
«١» «٢».

و

في «الخرائج» عن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال الباقر عليه السّلام: يا عبد الله ما تقول في عليّ و موسى و عيسى؟ قلت: ما عسى أن أقول، قال عليه السّلام: هو و الله أعلم منهما ثم قال: أستم تقولون: إن لعلي ما لرسول الله صلى الله عليه و آله من العلم؟ قلنا: نعم، و الناس ينكرون، قال عليه السّلام فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ «٣»، فعلمنا أنه لم يكتب له الشيء كله، و قال لعيسى:

وَ لِأَتَّبِعَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ «٤» فعلمنا أنه لم يبين له الأمر كله، و قال لمحمد صلى الله عليه و آله: وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ «٥» «٦».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي ربما مرّ و يمرّ عليك ذكر بعضها في طي المقدمات، و في تضاعيف تفاسير بعض الآيات، و هي كما ترى ما بين ظاهرة و صريحة في ذلك، و العموم في بعضها كالمشتملة على ما تحتاج إليه الأمة، و حد كل شيء حتى أورش الخدش، و غيرها و إن من كان جهة الأحكام الشرعية، و الأمور التعبدية، إلا أنه لا منافاة فيها لما يدل عليه غيرها ظهوراً أو صراحة من

(١) قد مر سابقاً ان هذه الجملة «فيه تبيان كل شيء» ليست من القرآن، بل هي منقولة بالمعنى من آية:

وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٠٢ باب أنهم عليهم السّلام لا يحجب عنهم علم السماء و الأرض. ط القديم.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) الزخرف: ٦٣.

(٥) النحل: ١٩.

(٦) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٢٢ باب أنهم عليهم السلام أعلم من الأنبياء. ط. القديم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩

الشمول للحوادث، و الكينونات الدنيوية، و الأخروية، و لذا صرّحوا عليهم السلام بأنّ فيه علم ما فى السماوات و ما فى الأرض، و ما فى الجنة، و ما فى النار إلى غير ذلك مما يؤيد به الآيات المتقدمة، و إلّا فالإنصاف أنّها أيضا مستقلة فى الدلالة على ذلك بعمومها الذى ينبغى صرفه إلى الحقيقة.

و توهم أنه مشتمل على آيات و ألفاظ معدودة متناهية دالة بوجوه الدلالات العرفية المنحصرة فى الثلاث «١» فكيف يكون المدلول بها تلك المعانى الكثيرة المشتملة على جميع ما مضى و ما يأتى إلى يوم القيامة، بل و بعد القيامة من الأحوال، و الأطوار، و الأفعال الكثيرة المتجددة الغير المتناهية الدائمة بدوامه سبحانه.

مدفوع بأنّ قلّة الألفاظ و تناهيها لا تمنع من كثرة المعانى و لا تناهيها إذا كانت هناك سعة من جهة الدلالة، ألا ترى أنّ الحروف المقطعة منحصرة فى ثمانية و عشرين حرفا و بها يعبر من حيث وجوه التركيب و فنون الترتيب عن جميع المعانى و المقاصد التى يقع التعبير عنها بين أهل العالم فى محاوراتهم، و مكاتباتهم، و تصانيفهم، فالمعانى لا ريب فى لا تناهيها مع أنه يعبر عنها بالألفاظ و إن لم يحط التعبير إلّا بالمحدود منها.

فإن قلت: إنّ وجوه الدلالة محصورة معروفة عند أهل المعرفة باللسان

(١) الدلالة اللفظية الوضعية تنقسم على ثلاثة أقسام: المطابقة و التضامن و الالتزام كما قال الفتازانى فى التهذيب: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة و على جزئه تضامن و على الخارج التزام. و كما قال المتأله السبزوارى فى منطقته: دلالة اللفظ بدت مطابقة حيث على تمام معنى وافقه

و ما على الجزء تضامنا و سم و الخارج المعنى التزام إن لزم تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠

فلو دلّ القرآن على جميع المعانى و المفاهيم و الحقائق و الوقائع و الحوادث اليومية الجزئية حتى خصوص الحركات الصادرة عن خصوص أفراد الإنسان فى جميع الأزمان بل سائر الشؤون و الأحوال و الأطوار و الحركات، و الخطرات، و الإرادات، و الاقتضاءات الواقعة فى جميع العوالم من الغيب، و الشهادة فى الفلكيات و العنصریات، و المركبات المعدنية، و النباتية، و الحيوانية لفهمها أهل اللسان الذين قد أنزل الله تعالى بلسانهم الرسول و القرآن كما قال: «و ما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومهم» «١»، و قال: نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين «٢» و قال: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر «٣» و قال: إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون «٤».

إلى غير ذلك من الآيات و الأخبار الدالة على ذلك على أنّ المفسرين من الخاصية العامة قد تصدّوا لتفسيره و تنقيره، و تشمروا للفحص عن تنزيله و تأويله فلم يزيدوا على ما دونوه من تفاسيرهم مع أنّهم ذكروا كلّ ما قيل من حقّ أو باطل، و أين هذا من كلّ الأحكام التى ذكروا أنّ القرآن لا يستفاد منه إلّا أقل قليل من مجملاتها، و لذا فزعوا إلى العمل بأخبار الآحاد، بل إلى سائر الطرق الظنية فى استنباط الأحكام الشرعية، بل أين هذا من جميع الحقائق التكوينية و الحوادث الكونية المتعلقة بجميع ذرات العالم مما كان أو يكون إلى يوم القيامة.

قلت: هذا كلّه اجتهاد فى مقابل النصوص، و جرأة فى الردّ على أهل الخصوص، و قد قال سبحانه:

(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٣) القمر: ١٧.

(٤) الزخرف: ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا تَهُم تَأْوِيلُهُ «١» و ذلك أنك قد سمعت منا أولاً أن التصديق التفصيلي في هذا الباب غير ممكن لنا، كيف و هو موقوف على تمام العلم و الإحاطة بظاهر القرآن و باطنه، و باطن باطنه، و هكذا إلى سبعة بطون أو سبعين بطنا أو أزيد من ذلك، بل قد ورد أن الكلمة من آل محمد عليهم السلام لتنصرف على سبعين وجهاً فما ظنك بالقرآن الذي لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم.

ولذا

قال مولانا الباقر عليه السلام لقتاده «٢» على ما رواه في «الكافي» في الصحيح و يحكك يا قتاده إن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلكت و أهلكت، و يحكك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٣»

و

قال مولانا الصادق عليه السلام لابن الصباح: إن الله علم نبيه التنزيل و التأويل، فعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله أنه خطب خطبة ذكر فيها:

أن علياً هو أخي، و وزيرى، و هو خليفتى و هو المبلغ عنى، إن استرشدتموه أرشدكم، و إن خالفتموه ظلمتم، إن الله أنزل على القرآن و هو الذى من خالفه ضلّ، و من يتبغى علمه عند غير على هلك «٤».

و

قال مولانا الرضا عليه السلام لابن الجهم «٥» اتق الله، تأول كتاب الله برأيك، فإن الله

(١) يونس: ٣٩.

(٢) قتاده بن دعامة من أكابر محدثي العامة و مفسريهم، و قيل إنه أحفظ أهل البصرة و كان رأساً في العربية و مفردات اللغة و أيام العرب و النسب، و يظهر منه أنه كان محباً لعلى أمير المؤمنين عليه السلام حيث سمع خالد بن عبد الله قوله السىء فى على عليه السلام قام فانصرف قائلاً فى حق خالد: زنديق و رب الكعبة. ولد قتاده فى سنة ٦١ هـ و مات بواسط فى الطاعون سنة ١١٨ هـ.

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ ط القديم باب تأويل قوله تعالى: سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً الْخ.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٨٢ ط القديم عن الأمالى للصدوق.

(٥) ابن الجهم هو على بن محمد بن الجهم هو من المنحرفين عن أهل البيت، و لذا قال الصدوق فى العيون بعد ما نقل كلماته مع على بن موسى الرضا عليهما السلام فى مجلس المأمون: هذا الحديث غريب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه، و بغضه، و عداوته لأهل البيت عليهم السلام. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢

يقول: و ما يعلّم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم «١». «٢»

و

قال عليه السلام فيما كتبه للمأمون: إن الأئمة عليهم السلام هم المعبرون عن القرآن و الناطقون عن الرسول بالبيان «٣».

و

قال مولانا الصادق عليه السلام بعد ذكر كلام طويل فى تفسير القرآن إلى أقسام و فنون و وجوه تزيد على مائة و عشر إلى أن قال: و

هذا دليل واضح على أن كلام البارى سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا تشبه أفعاله أفعالهم و لهذه العلة و أشباهها لا يبلغ أحد كنه حقيقة تفسير كتاب الله تعالى إلا نبيّه و أوصيائه «٤».

ثم اعلم أن ما ذكر في السؤال من حصر وجوه الدلالة فيما هو المعروف عند أهل العرف ممنوع جدا فإنّ التفاهم بالدلالات الثلاث إنما هو للعامة و للخواصّ و الخصاصين طرق أخرى لا- يجرى بها القلم، و لا يحتوى عليها الرقم، و ناهيك في ذلك أن جواب كل سؤال مطوّى فيه مستفاد منه بالقواعد التفسيرية التي ليست من الدلالات اللفظية، بل يشهد به أيضا ملاحظة العلوم المستنبطة من الحروف المقطعة في فواتح السور. و

قول أبي جعفر عليه السلام لأبي ليبيد: إن لي فيها لعلمًا جمًّا «٥» ، و استخراج قيام الأئمة و الخلفاء منها.

و ما ذكره عليه السلام في جواب وفد «٦» فلسطين حيث سألوا عن الصمد من العلوم الغريبة التي يشتمل على جملة منها الخبر إلى أن قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ و جلّ

(١) آل عمران: ٧.

(٢) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨ باب تفسير القرآن بالرأى ط. القديم.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٢٢ ط. دار الكتب الإسلامية بطهران.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨ عن المحكم و المتشابه للسيد المرتضى ص ٥.

(٥) الصافي للفيض في تفسير سورة البقرة ذيل تفسير (الم) ص ٥٧ ع العياشي

(٦) الوفد بفتح الواو و سكون الفاء: قوم يجتمعون فيردون البلاد. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣

حملة لنشرت التوحيد، و الإسلام، و الإيمان و الدين، و الشرائع من الصمد، و كيف لي بذلك و لم يجد جدى أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه، حتى كان يتنفس الصعداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى، فإنّ بين الجوانح منى لعلمًا جمًّا هاه هاه ألا لا أجد من يحمله الخبر «١».

و ما يأتي نقله عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من طرق الخاصة و العامة من تفسير بسم الله لابن عباس ليلة تأمّيه، و أنّه قال: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير بسم الله.

إلى غير ذلك ممّا لا يخفى على من جاس «٢» خلال ديارهم، و له أنس بأخبارهم، و استنار قلبه بتجلّى أشعة أنوارهم.

و أما كون القرآن عربيًّا أنزله الله تعالى تفهيمًا و تبيانًا للناس فلا ينافى ما ذكرناه، لأننا لا نمنع دلالة ظاهرة كسائر الألفاظ و العبارات، لجريانه على طريقة العرف و اللغة، إنما الكلام في أنّ فيه وجوها من الإشارة و الدلالة، يستنبط منها الأمور التكوينية، و الأحكام الشرعية بأسرها، و إنّما يعلمها النبى صلّى الله عليه و آله و آله الطيبون الذين يستنبطونه منه. و لذا

قال مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه في الغوالي «٣»: القرآن على أربعة أشياء: على العبارة، و الإشارة، و اللطائف،

(١) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٧١٣، بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٢٥ ط. الآخوندى بطهران.

(٢) جاس يجوس جوسا الشيء: طلبه بالحرص و الاستقصاء.

(٣) غوالى اللثالى لابن أبى جمهور الأحساوى فى الحديث لم يعتمد العلماء عليه. قال المجلسى قدس سرّه فى الفصل الثانى من مقدمة البحار: كتاب غوالى اللثالى و إن كان مشهورا و مؤلفه فى الفضل معروفًا لكنه لم يميز القشر من اللباب، و أدخل أخبار المتعصيين بين روايات الأصحاب فلذا اقتصرنا منه على نقل بعضها. و قال صاحب الحدائق بعد نقل مرفوعة زرارة فى الأخبار العلاجية: أن الرواية

المذكورة لم نقف عليها في غير كتاب الغوالي مع ما هي عليها من الإرسال، و ما عليه الكتاب المذكور من نسبة صاحبه الى التساهل في نقل الأخبار، و لإهمال و خلط غثها بسمينها، و صحيحها بسقيمها كما لا يخفى على من لاحظ الكتاب المذكور. مقدمة البحار ط. الآخوندى بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤

و الحقائق، فالعبارة للعوامّ و الإشارة للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء «١».

و من جميع ما مرّ يظهر الجواب عن اقتصار المفسّرين على الظاهر، بل و عن الاستبعاد الذى فى السؤال حسبما قد ينسب الى بعض الأذهان و إن لم ينطق به اللسان بعد تظافر الأخبار، و تكاثر الآثار، بل قد ظهر مما مرّ و من التأمل فى وجوه التأويلات، و البطون الماثورة فى الأخبار أنّ وجوه الدلالة فيها غير منحصرة فى جهة واحدة، بل منها من جهة الحمل على الحقيقة الأولى، و الحقيقة بعد الحقيقة و اعتبارها فى ساير المجالى التى ينبغى التعبير عنها بالمصاديق و الأفراد حسبما تأتى اليه الإشارة فى تحقيق البطون، و منها من جملة الاستنباطات العديدة، و القواعد التفسيرية، و الاعتبارات الوافية، و غير ذلك مما يطول شرحها، و منها من جهات أخرى لا يحيط بأكثرها الأفهام، و لا يجرى عليها الأقلام بل لعله لا يدرك نوع سنخيته بوجه من الوجوه فضلا عن إدراك حقيقته، و الاطلاع على كلياته قاعدته.

و أمّا ما حكاه فى «الصافى» ملخصا عن بعض أهل المعرفة من أنّ العلم بالشىء إما يستفاد من الحسّ برؤيته، أو تجربته، أو سماع خبر، أو شهادة، أو اجتهاد، أو نحو ذلك، و مثل هذا العلم لا يكون إلّا متغيرا فاسدا محصورا متناها غير محيط، لأنه إنما يتعلّق بالشىء فى زمان وجوده علم، و قبل وجوده علم آخر، و بعد وجوده علم ثالث، و هكذا كعلوم أكثر الناس.

و إما يستفاد من مبادئه، و أسبابه، و غاياته علما واحدا كليا بسيطا محيطا على وجه عقلى غير متغير، فإنّه ما من شىء إلّا و له سبب، و لسببه سبب، و هكذا

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٧ ط. القديم عن الدرّة الباهرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥

الى أن ينتهى الى مسبب الأسباب، و كلّ ما عرف سببه من حيث يقتضيه و يوجهه فلا بد أن يعرف ذلك الشىء علما ضروريا دائما، فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكمالية، و عرف ملائكته المدبّرين المسخّرين للأغراض الكليّة العقلية، بالعبادات الدائمة، و النسك المستمرة من غير فتور و لغوب الموجبة لأن يترشّح عنها صور الكائنات كلّ ذلك على الترتيب السببى و المسببى، فيحيط علمه بكلّ الأمور و أحوالها و لواحقها علما بريئا من التغيّر و الشكّ و الغلط، فيعلم من الأوائل الثوانى، و من الكليات الجزئيات المترتبة عليها، و من البسائط المركبات، و يعلم حقيقة الإنسان و أحواله، و ما يكملها و يزكّيها و يصعدّها الى عالم القدس و ما يدنسها و يردّيها و يشقيها و يهويها الى أسفل السافلين، علما تابعا غير قابل للتغير، و لا محتملا لتطرق الريب، فيعلم الأمور الجزئية من حيث هى دائمة كلية، و من حيث لا- كثرة فيه و لا- تغيّر، و إن كانت كثيرة متغيرة فى أنفسها، و بقياس بعضها الى بعض، و هذا كعلم الله سبحانه بالأشياء، و علم الملائكة المقربين، و علوم الأنبياء و الأوصياء بأحوال الموجودات الماضية المستقبلية، و علم ما كان و علم ما سيكون الى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنّه علم كلى ثابت غير متجدّد بتجدّد المعلومات و لا متكتّر بتكتّرها، و من عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ «١» و يصدّق بأنّ جميع العلوم و المعانى فى القرآن الكريم عرفانا حقيقيا، و تصديقا يقينيا على بصيرة لا على وجه التقليد و السماع و نحوهما، إذ ما من أمر من الأمور إلّا و هو المذكور فى القرآن إمّا بنفسه أو بمقوماته و أسبابه و مبادئه و غاياته، و لا يتمكّن من فهم آيات القرآن، و عجائب أسرارها و ما يلزمها من الأحكام و العلوم التى لا تتناهى إلّا من

(١) النحل: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦

كان علمه بالأشياء من هذا القبيل «١».

فيه أن سوق هذا الكلام إنما هو في تحقيق علم الباري تعالى حسبما ذهب إليه بعض المحققين وإن كان لا يخلو من نظر، نظرا إلى عدم ترتب الحوادث الكونية حتى الأفعال الاختيارية بقاعدة السببية التي هي أشبه بالأمر الطبيعي، وكأنه مبني على القول بفاعلية سبحانه بالعلية والإيجاب، بل قد يظهر منه الاضطرار في أفعال العباد، وإلا فالمختار قد يختار المرجوح أو الراجح باختياره الذي هو السبب التام، وإن كان مرجحات آخر لغيره.

وجعل الإرادة أيضا من جملة الأسباب المسببة عن كينونة الطبيعة تكويننا جعليا ابتدائيا منه سبحانه أو تبعيا للأعيان الثابتة حسبما توهموه.

فاسد من وجوه: كالجبر و انثلام قاعدة السببية المقصودة و بطلان القول بالأعيان، و عدم استحقاق الثواب، و قبح العقاب إلى غير ذلك مما تأبى عنه قواعد العدالة المستفادة عن الشريعة الحقة النبوية. و من هنا يظهر فساد ما فرّع عليه من اشتغال القرآن على العلوم بالوجه المرسوم، مع أنه لا اختصاص له حينئذ به كل اسم من أسمائه مما يتكلم به كل أحد لدلالته على مسبب الأسباب يدل على تفاصيل المصنوعات المترتبة إلى ما لا نهاية لها و هو كما ترى.

هذا مضافا إلى ما يظهر منه من التسوية بين علمه سبحانه و علوم ملائكته و أنبيائه، لفقد الجامع فضلا عن الاتحاد بين ما هو ذات الواجب بلا مغايرة حقيقة و اعتبارية و بين صفة الممكن، و إرادة العلم الفعلي مع أنه ليس من مذهب الحاكى و لا المحكى عنه كما يظهر من ساير كتبهما توجب التسوية بين ذات الممكن و وصفه.

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني - المقدمة السابعة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧

الباب السادس

إشارة

في بيان معنى التفسير، و التنزيل و التأويل، و الظاهر و الباطن، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و الكلام في حجية القرآن، و صحة الاستدلال بطواهره في الأصول و الفروع، و المنع عن التفسير بالرأى و ضابط التأويل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩

و فيه فصول:

الفصل الأول

قد اختلفوا في اتحاد معنى التفسير و التنزيل و التأويل و اختلافه، فعن ظاهر الأكثر الثاني، و لذا يقابل كل من الأولين بالثالث، بل صرح بعضهم، و لعله يؤمى إليه أصل الاشتقاق أيضا. قال في الصحاح «١»: الفسر البيان، و قد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسرا و التفسير مثله، و قال: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، و قد أولته تأويلا و تأولته تأولا بمعنى، و منه قول الأعشى «٢»: على أنها

(١) الصحاح في اللغة لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي أخذ عن خاله إبراهيم الفارابي، و عن السيرافي و دخل بلاد ربيعة و مضر، فأقام فيها مدة في طلب علم اللغة ثم عاد الى خراسان، و أقام بنيسابور مدة فبرز في اللغة و تعلم الكتاب و حسن الخط، و مات متردياً من سطح داره، و قيل: إنه تغير عقله و عمل له دفتين و شدّهما كالجنّاحين و قال أريد أن أطير و وقع من علو فهلك في سنة ٣٩٣، كتاب الصحاح كتاب حسن الترتيب سهل المطلب، و هو مفرد نعت كصحيح و صحاح و شحيح و شحاح و برىء و براء قيل في مدح الصحاح: ليس صحاح الجوهري إلا صحاح الجوهري

بل هو بحر ذهب أمواجه من درر

كشف الظنون ج ٨ ص ٤٠٠

(٢) الأعشى ميمون بن قيس جندل من بني قيس المعروف بأعشى قيس، و الأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، و أحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب و الفرس، عاش عمراً طويلاً و أدرك الإسلام و لم يسلم، و لقب بالأعشى لضعف بصره، و عمى في آخر عمره، توفي سنة ٧ هـ في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض. الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠

كانت تأول جبهها* تأول ربي السقاب فأصحابا، يعني أن جبهها كان صغيراً في قلبه فلم يزل ينبت حتى أصبح فصار قديماً كهذا السقب «١» الصغير لم يزل حتى صار كبيراً مثل أمه فصار له ابن يصحبه. و في القاموس: الفسر الإبانة و كشف المغطى كالتفسير، و الفعل كضرب و نصر، و نظر الطبيب الى الماء، كالتفسر، أو هي البول يستدلّ به على المرض، أو هي مولدة.

قال ثعلب «٢»: التفسير و التأويل واحد، أو هو كشف المراد عن المشكل و التأويل ردّ أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر «٣».

و قال: أول الكلام تأويلاً و تأوله دبره و قدره و فسره، و التأويل عبارة الرؤيا «٤».

و في النهاية الأثرية «٥»: في حديث ابن عباس اللهم فقهه في الدين، و علمه التأويل، هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع و صار إليه، و المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ من وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر

(١) السقب بفتح السين و سكون القاف ج أسقب و سقاب: ولد الناقة ساعة يولد.

(٢) ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس أمام الكوفيين في النحو و اللغة و الحديث كان مشهوراً بالحفظ و صدق اللهجة، ولد في بغداد سنة ٢٠٠ و أصيب في أواخر أيامه بصمم فصدته فرس فسقط في هوة فتوفى على الأثر سنة ٢٩١ له مصنفات في الأدب و الشعر و اللغة و التفسير منها: إعراب القرآن، معاني القرآن - تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤ -.

(٣) تاج العروس في شرح القاموس الزبيدي ج ٣ ص ٤٧٠.

(٤) تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي ج ٧ ص ٢١٦.

(٥) نهاية الأثرية هي النهاية في غريب الحديث و هي مجلدات للشيخ أبي السعادات مبارك بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ أخذ هذا الكتاب من الغريبين للهروي و غريب الحديث لأبي موسى الأصبهاني، و رتبته على حروف المعجم بالتزام الأول و الثاني من كل كلمة و اتباعهما بالثالث. - كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٨٩ -.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١

اللفظ، و منه

حديث عائشة: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده:

سبحانك اللهم و بحمدك، بتأول القرآن، يعني أنه مأخوذ من قول الله تعالى:

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ «١».

و فى «مجمع البيان»: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، و التأويل ردّ أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر، و المعنى البيان. و قال أبو العباس المبرّد «٢»: التفسير و التأويل و المعنى واحد، و قيل: التفسير كشف المغطى، و التأويل انتهاء الشىء و مصيره و ما يؤول إليه أمره «٣»، و قال فى موضع آخر: التأويل: التفسير، و أصله المرجع «٤»، و تبعه فيه الرازى الى أن قال: هذا معنى التأويل فى اللغة، ثم يسمى التفسير تأويلا قال تعالى: سَأُتَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا «٥»، و قال تعالى: وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٦» و ذلك لأنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى «٧».

(١) سورة النصر: ٣.

(٢) المبرد محمد بن يزيد الثمالى أبو العباس، أديب، لغوى، نحوى، إمامى، مقبول القول عند الخاصّة و العامّة، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ و توفى ببغداد سنة ٢٨٦ قيل بموته و موت الثعلبى مات الأدب. قال ابن أبى الأزر فى حقهما: أيا طالب العلم لا تجهلن و عذ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الأجر

علوم الخلايق مقرونة بهذين فى الشرق و المغرب

(٣) مجمع البيان للطبرسى ج ١ ص ٢٣ مقدمه الكتاب، الفن الثالث.

(٤) مجمع البيان للطبرسى ج ٢ ص ٤٠٨ ط. الصيّداء.

(٥) الكهف: ٧٨.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) التفسير الكبير للفخر الدين الرازى ج ٧ ص ١٧٦، سورة آل عمران آية: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢

و فى «مجمع البحرين»: التأويل إرجاع الكلام و صرفه عن معناه الظاهر الى معنى أخفى منه مأخوذ من آل يؤول إذا رجع و صار إليه، و تأوّل فلان الآية أى نظر الى ما يؤول معناها الى أن قال: و

فى حديث علىّ عليه السّلام ما من آية إلّا و علمنى تأويلها

أى معناها الخفى الذى هو غير المعنى الظاهر، لما تقرّر أنّ لكل آية ظهرا و بطنا، و المراد أنّه صلّى الله عليه و آله أطلعه على تلك الخفّيات المصنونة و الأسرار المكنونة «١».

و على كلّ حال فالتفسير كالمفسر لغة بمعنى الإبانة و الإيضاح و التفعيل للمبالغة، و غلط من أخذه من التفسر بمعنى الطبيب أو استدلاله - أو - القارورة، أو غيرها لا لأنه يونانى و لم يعهد أخذ لغة من أخرى إذ هو أيضا ضعيف بل لدلالة المادّة على هذا المعنى السارى فى جميع مشتقاتها التى منها، نعم قد يقال أنه مقلوب التسفير من سفر الصبح و أسفر بمعنى أضاء و أشرق و سمرت المرأة كشفت عن وجهها.

و فيه أنّ القلب و إن كان يقع فى الأسماء كآرام، و آدر، و عميق، من ارام و ادعر و عميق، و فى الأفعال كجيد من جذب، إلّا أنه مع مخالفته للأصل و الغلبة سيّما مع فقد الداعى الى التزامه مردود بأمثله اشتقاقه، بل هذه المادّة المأخوذة عن س ف ر بصورها الستة لفقد الترتيب و اعتبارها أنحاء التركيب يظهر منها الظهور و الكشف كالسفر الكاشف عن حال المسافر و السفير المبلغ للخبر، و السفر بالكسر الذى هو الكتاب و نحوه، و السرف الذى هو البذل با إظهار و انتشار و إكتار، و الفراسة التى بها كشف الأحوال و الاطلاع على الأخبار، و الفروسة التى هى إظهار الشجاعة و الجلادة و لا يخلو ذلك عن تكلف فى الرسم

(١) مجمع البحرين ص ٤٢٤ باب ما أوله الألف، حرف اللام ط. طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣

الذي هو الركض برجلك و الرسف الذي هو المشى كمشى المقيد، لكن الخطب في مثله سهل كسهولته في وجوه الفرق التي سمعت شطرا منها بينه و بين التأويل، حيث لا- شاهد على جملة منها عدا الإطلاق المشترك بينهما كما لا شاهد على ما يقال أيضا من أن التفسير إخبار عمن أنزل فيه القرآن و عن سبب نزوله فهو علم من شاهد النزول و أسبابه، و لذا يجب فيه الاقتصار على النقل و الرواية، و ذلك بخلاف التأويل الذي يختلف باختلاف الأفهام و يصرف إليه من ظاهره الكلام، فعلم التفسير مختص بأقوام و باب التأويل مفتوح الى يوم القيامة، و عليه أكثر المتأخرين من العامة.

و من هنا قال في عوارف المعارف «١»: إن التفسير علم نزول الآية و شأنها و قصتها و الأسباب التي نزلت فيها و هو محظور على الناس كافة القول فيه إلا بالسماع و الأثر، و أما التأويل فصرف الآية الى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب و السنة، فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم و رتبة المعرفة و نصيب القرب من الله. و لهم أقوال أخرى في المقام كقولهم: إن التفسير في الألفاظ و التأويل في المعاني، و إن التفسير يتعلّق بالمحكمات، و التأويل يختص بالمتشابهات و إن التفسير بالرواية، و التأويل بالدراية، و إن التفسير بيان الظاهر، و التأويل كشف

(١) عوارف المعارف في التصوف مشتمل على ثلاثة و ستين بابا كلها في سير القوم و أحوال سلوكهم و أعمالهم للشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢هـ، كان من كبار الصوفية، شافعي مفسر، فقيه، واعظ، مولده في سهرود (مدينة في إيران في الجبال سكنها الأكراد في القرن العاشر ثم خربت بالمغول) ٥٣٩هـ، كان شيخ الشيوخ ببغداد، و أقعد في آخر عمره، فكان يحمل الى الجامع في محفة، له مصنفات منها، عوارف المعارف، و نخبة البيان في تفسير القرآن و غيرها.

- طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٣-

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤

السرائر، الى غير ذلك مما لا شاهد على كثير منها مع إمكان إرجاع بعضها الى بعض.

نعم الذي يستفاد من تصانيف كلمات الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين هو أن التفسير كشف المراد من ظواهر الآيات و بواطنها السبعة أو السبعين أو الأزيد من ذلك مما لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم، بحيث إنه يشمل كل شيء من دون ذلك دون اشتراط انضمامه الى غيره، و من هنا يطلق على العلم بالظواهر مع ضميمته بعض البواطن أو بدونها على وجه التسامح في الإطلاق، و إلا فالعلم به حقيقة إنما يحصل بالعلم بتمام ما سمعت، و لذا يستفاد من كثير من الأخبار اختصاص التفسير بأهل الذكر الذين هم مهبط الوحي، و خزنة العلم.

ففي «المحاسن» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام يا جابر إن للقرآن بطناً و له ظهر، و للظهر ظهر، و ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شيء و آخرها في شيء و هو كلام متصل منصرف على وجوه «١».

و

في «الكافي» عنه عليه السلام إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه «٢».

و

عن «تفسير النعماني» عن الصادق عليه السلام بعد كلام طويل مضى جملة منه و لهذه العلة و أشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله إلا نبيه و أوصيائه «٣».

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٤ ط. القديم.

(٢)

بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٩ ط. القديم عن «البصائر» مسندا عن عمر بن مصعب أنه قال: سمعت الصادق عليه السلام أنه قال: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و حكاية علم تغيير الزمان و حدثاته.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨ أبواب صفات القاضي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥

و

في خبر طويل عن مولانا الصادق عليه السلام: إنما يكفهم القرآن لو وجدوا له مفسرا، قيل و ما فسره رسول الله صلى الله عليه و آله؟ قال عليه السلام: بلى قد فسره لرجل واحد، و فسّر للأمة شأن ذلك و هو على بن أبي طالب «١». إلخ.

و قد مرّ

قول أبي جعفر عليه السلام لقتاده، إن كنت فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و يحكك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٢»

بل قد مرّ أيضا

في النبوى فى احتجاجه يوم الغدير: على تفسير كتاب الله، و الداعى إليه الى أن قال عليه السلام: معاشر الناس تدبروا القرآن و افهموا آياته، و انظروا فى أحكامه، و لا تتبعوا متشابهه، فو الله لن يبين لكم زواجه، و لا يوضح لكم عن تفسيره إلّا الذى أنا آخذ بيده «٣».

و

فى «البصائر» بالإسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان و منه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة عليهم السلام «٤».

و

فيه، عن يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع، فقال عليه السلام: علينا نزل قبل الناس، و لنا فسّر قبل أن يفسر فى الناس، فنحن نعلم حلاله و حرامه، و ناسخه و منسوخه، و سفريته و حضريته، و فى أى ليلة نزلت كم من آية، و فيمن نزلت، فنحن حكماء الله فى أرضه. الخبر «٥».

(١) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣١ أبواب صفات القاضي.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ ط. القديم باب تأويل قوله تعالى: سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي إلخ.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٩ ط. الآخوندى بطهران عن الإحتجاج للطبرسى ص ٣٣-٤١.

(٤) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٦ ط. القديم باب أن للقرآن ظهرا و بطنا عن البصائر.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ٤٠ ط. القديم باب أنهم عليهم السلام أهل علم القرآن- عن البصائر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦

و

روى العياشى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الحكومة فقال عليه السلام: من حكم برأيه بين إثنين فقد كفر، و من فسّر آية من كتاب الله فقد كفر «١».

أى إذا كان التفسير برأيه كما يظهر من أخبار آخر الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالّة على أن المراد بالتفسير هو العلم بجميع المقاصد و المرادات و الحقائق القرآنية من الظاهر، و ظاهر الظاهر، و هكذا و الباطن، و باطن الباطن الى ما شاء الله فهو يشمل التنزيل و التأويل بالمعنى المستفاد لهما من الأخبار الكثيرة التى منها

النبوى المروى فى الأمالى: يا على أنا صاحب التنزيل و أنت صاحب التأويل «٢».

يعنى أنه صلى الله عليه و آله يحكم بالظاهر الذى نزل عليه الكتاب و يقاتل عليه خاصّة، و لذا لم يؤمر بقتال المنافقين بل كان يقربهم و يؤلفهم و أمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فكان يقاتل على التأويل، و لذا قاتل مع أهل القبلة.

ولذا

ورد أيضا عنه عليه السلام: أنا أقاتل على التنزيل، و على يقاتل على التأويل «٣».

و

فى «الكافى» عن الصادق عليه السلام إن الله تعالى علّم نبيه التنزيل و التأويل فعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله عليا. إلخ «٤».

و

فى «البصائر» عن النبى صلى الله عليه و آله: يا على أنت تعلم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال عليه السلام: على ما أبلغ رسالتك من بعدك يا رسول الله؟

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ١٨، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩ ط القديم.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٩.

(٣)

تفسير العياشى ج ١ ص ١٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٥٠ عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيهه، و هو على بن أبى طالب.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧

قال صلى الله عليه و آله: تخبر الناس بما يشكل عليهم من تأويل القرآن «١».

و

فيه، عن الصادق عليه السلام إن للقرآن تأويلا- فمنه ما جاء، و منه ما لم يجىء، فإذا وقع التأويل فى زمان إمام من الأئمة عرفه ذلك الإمام «٢».

و

فى حديث عمرو ابن عبيد عن أبى جعفر عليه السلام إنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا الى تفسيره فلاهتداء بنا و إلينا «٣».

و المراد أن التنزيل يفهمه الناس بطواهر العربية حيث إن القرآن قد نزل بلسانهم، و أمّا تفسير الشامل له و لوجوه التأويل و البواطن فإنما يطلب منهم.

و

فى «الكافى» عن أحدهما عليه السلام فى قوله تعالى: و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم «٤» قال عليه السلام: فرسول الله صلى الله عليه و آله أفضل الراسخين فى العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئا لا يعلمه تأويله، و أوصيائه من بعده يعلمونه «٥»

الى غير ذلك من الأخبار الظاهرة فيما سمعت، و لو بقرينة المقابلة و ملاحظة الاشتقاق الذى لعله كاف فى إثبات المرام، و كأن ما سمعت هو الذى يظهر من القمى أيضا فى أول تفسيره، حيث ذكر فى عداد وجوه القرآن: أن منه ما تأويله فى تنزيله، و منه ما تأويله مع تنزيله، و منه ما تأويله قبل تنزيله، و منه ما تأويله بعد تنزيله الى أن قال: أما ما تأويله فى تنزيله فكل آية نزلت فى حلال أو حرام مما لا يحتاج الناس فيها الى تأويل مثل قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ «٦» الآية، و قوله تعالى:

(١) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

(٣) تفسير فرات بن إبراهيم ص ٩١، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٩.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) الكافى ج ١ ص ١٩١ و وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٢.

(٦) النساء: ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخَيْزِرِ «١» و مثله كثير مما تأويله فى تنزيله، و هو من المحكم الذى ذكرنا، و أمّا ما تأويله مع تنزيله فمثل قوله تعالى:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٢» فلم تستغن الناس بتنزيل الآية حتى فسّر الرسول من أولى الأمر، و قوله تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «٣» فلم تستغن الناس الذين سمعوا هذا من النبى صلى الله عليه و آله بتنزيل الآية حتى عرفهم النبى صلى الله عليه و آله من الصادقين، و قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٤» فلم تستغن الناس بهذا حتى أخبرهم النبى صلى الله عليه و آله كم يصلون و كم يزكون.

و أمّا ما تأويله قبل تنزيله فالأمور التى حدثت فى عصر النبى صلى الله عليه و آله مما لم يكن عند النبى صلى الله عليه و آله فيها حكم مثل الظهار حيث إنّ أوس بن الصامت «٥» ظاهر من امرأته فجاءت الى النبى صلى الله عليه و آله و أخبرته بذلك، فانتظر النبى صلى الله عليه و آله الحكم من الله تعالى، فأنزل الله سبحانه: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ «٦» الآية و مثله ما نزل فى اللعان و غيره مما لم يكن عند النبى صلى الله عليه و آله فيه حكم حتى نزل عليه القرآن به من الله عزّ و جلّ، فكان التأويل قد تقدّم التنزيل. و أمّا ما تأويله بعد تنزيله فالأمور التى حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه و آله من

(١) المائدة: ٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) التوبة: ١١٩.

(٤) البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠ و النور: ٥٦.

(٥) أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت الأنصارى، صحابى شاعر قيل سكن بيت المقدس، و توفى بالرملة سنة ٣٢.

(٦) المجادلة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩

غضب حقوق آله المعصومين و ما وعدهم الله به من النصر على أعدائهم و من أخبار القائم عليه السلام و خروجه، و أخبار الرجعة و الساعة فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ «١» و قوله تعالى:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٢﴾ إِنْ... وقوله تعالى: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴿٣﴾ إِنْ... ومثله كثير مما تأويله بعد تنزيهه.

أقول: وهو وإن كان يؤيد ما ذكرناه في الجملة إلا أنه يستفاد مما ذكره في القسمين الآخرين إطلاق آخر لهما، ولعلك ترى في الأخبار ما يؤيد كلا من الوجهين. نعم للأصوليين في المقام نمط آخر من الكلام، وهو أنهم قسموا اللفظ باعتبار كيفية دلالة وضعها على معناه إلى النص، والظاهر، والمجمل، والمؤول، فإن لم يحتمل غيره بحسب ما يفهم منه في لغة التخاطب فهو نص يتعين حمله عليه لعدم احتمال غيره، منقسم عند بعضهم إلى ما هو نص بلفظه و منطوقه كقوله تعالى: لَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ ﴿٤﴾، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٥﴾، أو بفحواه ومفهومه كقوله تعالى: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ﴿٦﴾، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧﴾، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٨﴾،

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) القصص: ٥.

(٤) الإسراء: ٣٢.

(٥) النساء: ٢٩.

(٦) الإسراء: ٢٣.

(٧) النساء: ٤٩.

(٨) الزلزلة: ٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴿١﴾، إذ المعلوم أن فهم ما فوق التأنيف من الضرب والشتم وما وراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير وما وراء القنطار من القليل والدينار من الكثير أسبق إلى الفهم من نفس التأنيف، والفتيل، والذرة، والقنطار والدينار.

ولذا قالوا إنه من باب التنبية بالأدنى على الأعلى وبالعكس، وتوهم كونه قياساً ولو بالأولوية غلط جداً، إذ المقصود التنبية لحكم المسكوت عنه الذي هو المدلول عرفاً وأين هذا من الإلحاق. وإن احتمل بحسب الفهم العرفي فلا يخلو إما أن يكون الاحتمالات متساويين، أو أحدهما راجحاً والآخر مرجوحاً، فإن تساوى إِمَّا للاشتراك أو لتصادم الأمارات أو غير ذلك فهو مجمل ومبهم ذاتي أو عرضي، بحسب الموارد أو المصادق مع تعيين المراد وعدمه، وإلَّا فالراجح ظاهر، بلا- فرق بين كون الرجحان ناشئاً عن الحقيقة بأقسامها أو عن القرائن، والمرجوح مأول صحيح إن تعذر إرادة الظاهر، وفساد مع جوازه، وقد يخص بالأول، ويرده صحة التقسيم، وقولهم تأويل فاسد، وورد النهي عنه، ولذا عرّف أيضاً بالمحمول على المرجوح وربما يضاف إليه لمقتضى والأولى تركه.

وقد ظهر ممّا مرّ صحّة قولهم بعدم تمسّي التأويل في النصّ والمجمل لاختصاصه بالظاهر، وهذا مبني على اصطلاحهم الذي لا مشاحة فيه، وإلَّا فالمستفاد من نصوص أهل الخصوص ثبوت التأويل الذي يعبر عنه بالباطن والتخوم لكل آية من الآيات، بل للكلمات والحروف بلا فرق بين المجملات، والظواهر، والنصوص، ولذا

ورد فيما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام: إِنَّ لِلْقُرْآنِ

(١) آل عمران: ٧٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١

بطنا، وللطن بطن، وظهر، وللظهر ظهر ﴿١﴾.

بل

ورد إن القرآن غَضَّ طرئاً لا يبلى أبداً، وإنه وإن نزل في قوم إلا أنه جار في أقوام آخرين إلى يوم القيامة «٢»
و هذا الجريان هو أحد إطلاقات التأويل المقابل للتزويل، ويقال له الباطن أيضاً.
ففي «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: ظهر القرآن الذين نزل فيهم، و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم «٣».

و

بإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية:
ما في القرآن إلا و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلا و له حد، و لكل حد مطلع «٤»، ما يعني بقوله لها ظهر و بطن؟ قال عليه السلام:
ظهره تنزيله، و بطنه تأويله، منه ما مضى، و منه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس و القمر كلما جاء منه شيء و وقع قال الله
تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٥» و نحن نعلمه «٦»

(١)

المحاسن ص ٣٠٠ و الرسائل ج ١٨ ص ١٤٢: يا جابر إن للقرآن بطناً و له ظهر، و للظهر ظهر إلخ.

(٢)

بحار الأنوار ج ١٩ ص ٥ ط. القديم: سئل أبو عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على النشر و الدرس إلا غضاضة؟ فقال عليه
السلام: لأن الله لم يجعله لزمان دون زمان فهو في كل زمان جديد و عند كل قوم غَضَّ إلى يوم القيامة.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٢ ط. القديم باب أن للقرآن ظهراً أو بطناً- مع تفاوت يسير.

(٤) قال الفيض في الصافي في المقدمة الرابعة بعد ذكر الحديث: أقول: المَطَّلَعُ: (بتشديد الطاء المهملة و فتح اللام) مكان الاطلاع من
موضع عال، و يجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم و معناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، و محصل معناه قريب من معنى
التأويل و البطن، كما أن الحدّ قريب من معنى التزويل و الظهر- تفسير الصافي ج ١ / ١٨ طبع الاسلاميه بطهران.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص ١١ ط. الاسلاميه بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣

الفصل الثاني

في حدود حروف القرآن و مطالعها و تخومها قد تضافرت الروايات على أن لكل آية بل لكل حرف من حروف القرآن حدّاً و مطالعاً،
و أن له تخوماً و لتخومه تخوماً، و قد مرّ خبر العياشي و غيره في اشتماله على الحدّ، و المطلع، و الظهر و البطن.

و

في «الكافي» و «تفسير العياشي»: إن القرآن له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم ظاهره أنيق، و باطنه عميق، له تخوم، و على
تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائب «١».

و

في «المحاسن» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن للقرآن ظاهراً و باطناً و معاني، و ناسخاً، و منسوخاً، و محكماً، و متشابهاً، و سنناً، و
أمثالا، و فصلاً، و وصلاً، و أحرفاً، و تصريفاً، فمن زعم أن الكتاب مبهم فقد هلك و أهلك «٢».

قيل: المراد أنه ليس بمبهم على كل حدّ، بل يعلمه الإمام و من علمه إياه من قبل.

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) المحاسن ص ٢٧٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١ أبواب صفات القاضي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤

و

من طريق العامة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَهَرَ وَبَطَنًا وَحَدًّا وَمَطْلَعًا «١».

و

عنه عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَ لِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ «٢».

و

في رواية: وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ «٣»

و

عنه عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ ظَهَرَ وَبَطَنًا وَ لِبَطْنِهِ بَطْنٌ إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ «٤».

و

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من آية إلّا و لها أربعة معان ظاهر، و باطن، و حد و مطلع، فالظاهر التلاوة، و الباطن الفهم، و الحد هو أحكام الحلال و الحرام، و المَطَّلَع هو مراد الله من العبد بها «٥».

أقول: في النهاية الأثيرية: إِنَّ فِي الْخَبْرِ فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَ لِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ، أَي لِكُلِّ حَرْفٍ مَصْعَدٌ يَصْعَدُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ عِلْمِهِ، وَ الْمَطْلَعُ مَكَانُ الْإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ يُقَالُ مَطْلَعُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ مَكَانٍ كَذَا أَي مَاتَاهُ وَ مَصْعَدُهُ. وَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مَنَهْتِكَا يَنْتَهِكُهُ مَرْتَكِبُهُ، أَي إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْرَمْ حَرْمَةً إِلَّا عِلْمٌ أَنْ سَيَطَّلِعُهَا مُسْتَطَلَعٌ. وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَطْلَعٌ عَلَى وَزْنِ مَصْعَدٍ وَ مَعْنَاهُ. وَ مِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِي مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَأَفْتَدِيْتُ بِهِ هَوْلَ الْمَطْلَعِ يَرِيدُ بِهِ الْمَوْقِفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ مَا يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ عَقِيبَ الْمَوْتِ فَشَبَّهَ بِالْمَطْلَعِ الَّذِي يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ.

و في القاموس: الْمَطْلَعُ لِلْمَفْعُولِ: الْمَأْتَى وَ مَوْضِعُ الْإِطْلَاعِ مِنْ إِشْرَافٍ إِلَى انْحِدَارٍ، وَ قَوْلُ عُمَرَ: لَأَفْتَدِيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ، تَشْبِيهُهُ لِمَا يَشْرَفُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ بِذَلِكَ، وَ

فِي الْحَدِيثِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ

(١) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٢) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٣) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٤) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران.

(٥) تفسير الصافي ج ١ ص ١٨ ط. الإسلامية بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥

حد و لكل حد مطلع

أى مصعد يصعد اليه من معرفة علمه، و بكسر اللام القوى العالى القاهر «١» قلت: الوجه الأول المذكور فى «النهاية» كأنه بالفتح و التشديد كالأول من القاموس أيضا، و الوجه الثانى المستفاد من الأول التخفيف، و الثالث المستفاد من الثانى الكسر و التشديد، و معناه على فرض احتمالها فى المقام أن لكل حد من الحدود الشرعية ولنا قويا قاهرا يقوم بإقامته على مستحقه.

ثم إنه قد فسّر الحد في العلوى المتقدم بأحكام الحلال و الحرام، و المطلع بمراد الله تعالى من العبد بها أى بتلك الأحكام أو بتلك الآيّة، و لعل الثانى أظهر، و المراد بقوله لكل آية حدّ اشتماله على حكم من الأحكام الشرعية الفرعية من الحلال و الحرام و إن كانت الآيّة بحسب الظاهر من القصص و المواعظ و غيرها مما لا يستفاد لنا منها شىء من الأحكام، أو أنّ لها حكما من حيث التحقق و التخلّق و الاتّصاف، أو القبول و التصديق أو غير ذلك، و الأول أنسب، و معه فالمراد بالمطلع المفسر فى الخبر إنما هو التحقق و التخلّق و تحصيل الملكات الفاضلة المطلوبة التى هى مراد الله من العبد بتلك الخطابات و الأحكام، و يحتمل أيضا أن يكون الظاهر و الباطن للآية من حيث نفسها بأن يراد بهما النوع و إن انتهى أحدهما أو كلاهما الى السبعين أو أكثر، و الحدّ و المطلع لها بالنسبة الى تكاليف المكلفين، و أحكامهم و حدود استعدادهم و قابليّاتهم المقتضية لاختلاف أحكامهم و لو باختلاف فى شرائط التكليف من العلم و القدرة و غيرهما مما يرجع الى اختلاف الموضوع، فلكل آية لكل واحد من آحاد المكلفين حدّ هو حكمه، و إن اشتركت ألوف منهم فى حكم واحد لكونهم من مصاديق موضوع واحد، و لها

(١) تاج العروس فى شرح القاموس تأليف الزبيدى ج ٥ ص ٤٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦

مطلع و هو التحقق بذلك الحكم من حيث الامتثال و القبول، و لاختلاف أحكام المكلفين حينئذ حسبما سمعت ورد أن لكل حدّ مطلعا كما فى بعض الأخبار المتقدمة.

و أن يراد بالظهر تنزيل الآيّة و بالبطن تأويلها الذى جرت الآيّة فيه بعد وقوعه حسبما مرّت إليهما الإشارة، و بالحد حدود الاستقامة التى يفتح منها أبواب البواطن، بحيث يحصل من الانحراف فيها اعوجاج النظر و سوء الفهم و عدم الوصول الى المطلوب، و بالمطلع الإشراف و الاطلاع على تلك البواطن و الحقائق المقصودة و الإحاطة بها علما أو التحقّق بها عملا.

و أمّا ما فى «الصافى» من أنّ محض معنى المطلع قريب من معنى التأويل و البطن كما أنّ معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر، فعمله بعيد جدّا سيما بعد المقابلة فى النبوى و العلوى المتقدمين، بل و اختلاف التفسير فى الثانى.

و أغرب منه ما حكاه فى الحاشية من بعض أهل المعرفة بعد النبوى المتقدم المشتمل على نزول القرآن على سبعة أحرف إلخ .. من أنّ الوجه فى انحصار الأحرف فى السبعة أنّ لكل من الظهر و البطن طرفين فذاك حدود أربعة، و ليس لحد الظهر الذى من تحته مطلع، لأنّ المطلع لا يكون إلّا من فوق فالحد أربعة و المطلع ثلاثة و المجموع سبعة «١».

قلت: و هو كما ترى.

و أمّا ما يقال: من أن الحدّ الحكم، و المطلع ما يتوسّل به اليه أى دليله، أو

(١) تفسير الصافى المقدمة الرابعة ج ١ ص ١٨ ط. الإسلاميه طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧

أنّ الحدّ الثواب و العقاب، و المطلع الاطلاع عليهما فى الآخرة فلا يخفى ضعفه.

نعم قد يقال: أنّ المراد بالظهر ما ظهر من المعنى الجلى المنكشف، و بالبطن ما بطن و لم يظهر على غير من نور الله قلبه بنور المعرفة، و بالحدّ طرفا الظهر و البطن و بالمطلع يصعد به اليه، فمطلع الظاهر العلوم العربية و أسباب النزول الخاص و العام و الناسخ و المنسوخ و أمثال ذلك، و مطلع الباطن تطهير النفس عن أدناس دار الغرور، و ترقيها بملازمة الطاعات و الرياضات الى عالم النور.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩

الفصل الثالث

إشارة

فى المحكم و المتشابه اعلم أن الكتاب الكرىم و إن اتصف كله بل كل آية منه بكونه محكما أى محفوظا من الغلط، و فساد المعنى، و ركاكة اللفظ كما فى قوله تعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «١» أو المعنى ضمنى الحكمة المطلقة التى هى مطابقة التدوين للتكوين.

و بكونه متشابهاً لأنه يشبه بعضه بعضاً فى جزالة اللفظ، و فصاحته، و صحه المعنى، و تصديق بعضه بعضاً كما فى قوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً «٢» أى متماثلاً- فيما مرّ و غيره بلا- اختلاف و لا تناقض، و لو كان من عنده غير الله لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً «٣». إلما أنه من حيث وضوح الدلالة و خفائها بحسب أفهام أغلب الأنام ينقسم الى محكم و متشابه كما أشير اليه فى قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ «٤»، و فى أخبار مستفيضة بل متواترة تأتى الى بعضها الإشارة. و هما

(١) هود: ١.

(٢) الزمر: ٢٣.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠

مأخوذان من الإحكام الذى هو الإتقان، و التشابه الذى هو تماثل المراد بغيره، فيحصل الاشتباه فيه، و إن اختلفوا فى المراد بهما: فقيل: إن المحكم ما اتضح معناه و ظهرت دلالاته لكل عارف باللغة، و المتشابه ما لا يعلم المراد به إلّا بقريته تدل عليه، فاللغات الغامضة لا توجب التشابه، و المجازات كلها منه على وجه و إن كان يمكن أن يفرق بين القرائن، حيث أن القرائن المتصلة سيما اللفظية منها لا تشابه معها أصلاً.

و قيل: إن المحكم هو الناسخ أو ما لم ينسخ أو ما لم يخضع ص و لم يقيد أيضاً، و المتشابه هو المنسوخ أو ما يشمل المخضع ص و المقيد.

و قيل: إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، و المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً.

و قيل: إن المحكم ما لم يتكرر ألفاظه، و المتشابه هو المتكرر كقصة موسى و غيره.

و قيل: إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله، و المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة.

الى غير ذلك من الأقوال التى لا شاهد لها و لو من جهة ظهور اللفظ، و انسباق المعنى منه، و لذا وقع الاختلاف فى تعيين معناه حتى من أهل اللغة و إن كان اختلافهم ليس على محض اللغة بل باعتبار استيفاء الأقوال بعد وقوع الخلاف، و لذا اكتفى فى «الصحيح» و «المصباح» على تفسير المتشابهات بالمتماثلات، و قال فى «القاموس»: سورة محكمة غير منسوخة و الآيات المحكمات: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ «١» الى آخر السورة، أو التى

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٩٩

أحكمت فلا يحتاج سامعها الى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء «١».

أقول: ولعل قوله: الى آخر السورة توهم منه، بل الأولى الآيات الثلاثة كما حكاه الرازي عن ابن عباس «٢» ولعله أراد الإشارة اليه مع اشتغال ما بعدها من الآيات على ما هو من المتشابه قطعاً كقوله: «أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ» «٣» وغيره.

وفي «النهاية» الأثيرية في حديث صفة القرآن هو الذكر الحكيم: أي الحاكم لكم و عليكم، وهو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى المفعول فهو محكم، ومنه حديث ابن عباس: قرأت المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابهاً لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر الى غيره «٤».

وقال في شبه: في صفة القرآن آمنوا بمتشابهه، و عملوا بمحكمه المتشابه ما لا يتعلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدها إذا ردّ الى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل الى معرفته حقيقته، فالمتبع له متبع للفتنة، لأنه لا يكاد ينتهي الى شيء تسكن نفسه اليه. أقول: وهذه الأقوال وإن اختلفت بحسب الظاهر حتى عدّها بعضهم اختلافاً في المعنى المقصود، وآخرون من تكثّر المعاني بل قد يظهر ذلك أيضاً من الطريحي في مجمعه حيث فسّر المحكم في اللغة بالمضبوط المتفق. قال:

(١) تاج العروس في شرح القاموس تأليف محمد مرتضى الزبيدي ج ٨ ص ٢٥٣.

(٢) قال فخر الدين الرازي في تفسيره ج ٧ ص ١٧٠: المسألة الثالثة في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه فالأول ما نقل عن ابن عباس أنه قال: المحكمات هي الثلاث آيات التي في سورة الأنعام (قل تعالوا) الى آخر الآيات الثلاث.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) مجمع البحرين كتاب الميم باب أوله الحاء - مادة حكم - ص ٤٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢

وفي الاصطلاح على ما ذكره بعض المحققين يطلق على ما اتضح معناه و ظهر لكل عارف باللغة، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص، أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، ويقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابه انتهى «١».

إلّا أنّها لعلّها ناشئة عن الاختلاف في التعبير عن بعض المصاديق بأن يكون المحكم ما اتضح و ظهر دلالته على المعنى المقصود من المخاطبين، والمتشابه ما لم يتضح دلالته، للإبهام، أو الاشتراك، أو كون المفاد منه متعذر الإرادة، لمخالفته لما ثبت بالعقل أو النقل القاطع به كالأيات الدالّة على ثبوت الجوارح والجهات لله سبحانه، و ثبوت الإضلال والجبر منه تعالى، وغيرها مما ثبت خلافه بالضرورة من الدين إذا لم تقم هناك قرينة على تعيين شيء مما يخالف الظاهر، أو اتضحت دلالته لكن المعنى ليس مقصوداً من المخاطبين لطرف النسخ أو التخصيص والتقييد على وجهه وإن كان الأظهر خلافه، كما أنّ اختلاف المكلفين من حيث الشروط والموانع الراجعة الى الموضوع أو الحكم لا مدخلة له في صيرورة الدلالة متشابهة.

ولعلّك بما سمعت أمكن لك الجمع بين تلك الأقوال المختلفة إلّا ما شذ منها بالحمل على ذكر بعض المصاديق بل بين الأخبار التي ربما يتراءى منها الاختلاف.

ففي تفسير العياشي بالإسناد عن مسعدة بن صدقة «٢»: قال سئل أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال عليه السلام: الناسخ الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قد يعمل به ثم جاء ما نسخه، والمتشابه ما اشتبه على جاهة «٣» قال وفي رواية: الناسخ الثابت، والمنسوخ ما مضى، والمحكم ما يعمل

(١) مجمع البحرين كتاب الميم باب من أوله الحاء - مادة حكم - ص ٤٦٨.

(٢) مسعدة بن صدقة عامي، و لكن رواياته في غاية المتانة و السداد، روى عن الصادق و الكاظم عليهما السلام.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ١١، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣

به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضا «١»

ففي قوله: ما يعمل به، دلالة على ما سمعت حيث إن العمل إنما يكون بعد ظهور الدلالة و بقاء الحكم، و بانتفاء كل منهما يكون من المتشابه، و لا يقدح فيه اقتصاره في الخبر على الأول كما لا يقدح في الاقتصار في غيره على الثاني.

و لذا عبر عنه بمن المفيدة للتبويض

فيما رواه في «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أناسا تكلموا في القرآن بغير علم، و ذلك أن الله تعالى يقول: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ «٢» الآية، الى أن قال:

فالمسوخات من المتشابهات، و الناسخات من المحكمات «٣».

و الى ذلك ينظر ما

في الخبر الآخر: و المحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز و جل، و من حكم بحكم فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت «٤»

و

في توحيد الصدوق و تفسير العياشي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: المحكم ما يعمل به، و المتشابه ما اشبهه على جاهه «٥».

الى غير ذلك من الأخبار المنطبقة على ما سمعت، نعم هل الأحكام و التشابه من الصفات الذاتية أو الدلالة للآية أو اللفظ أو الدلالة، أو الإضافية بالنسبة الى أفهام المخاطبين فيختلف الوصف باختلاف أفهامهم و ادراكاتهم و درجاتهم، فيكون المحكم لشخص أو في زمان متشابهه لغيره أو زمان آخر

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٠، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٠.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٤.

(٤) الكافي ج ١ ص ٢٤٢، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣١.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١١، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤

و بالعكس، و جهان يحتمل الأول، لظاهر قوله تعالى: مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ «١» الظاهر في انقسام آياته الى القسمين بالنظر إليها قطع النظر عن الاعتبارات الخارجة و لظواهر الأخبار المتقدمة حسب التقريب المتقدم مع أن في كثير منها بل في ظاهر الآية توصيفها بالوصفين المتغيرين المتمانعين في الصدق سيما صفتي النسخة و المنسوخة. و يحتمل الثاني لإناطة الفرق على الفهم المختلف باختلاف الأشخاص و الأحوال و الأزمنة، و لو بمعونه العلم بالقرائن المتصلة الحالية أو المقالية أو المنفصلة المشتملة على بيان المجمل و تخصيص العام و تقييد المطلق و غيره مع أن التأويل كله من المتشابه و ما من آية إلّا ولها تأويل.

بل

ورد في الخبر أنه ما من آية إلّا ولها ظاهر و باطن و حدّ و مطلع «٢»

، و قد مرّ أن البطون كلها من التأويل فلكل آية معنى متشابه و إن كانت من المحكمات بناء على أن مغايرة الوصفين إنما هي

بالاعتبار، فلا- تمنع في الصدق بل يمكن تنزيل التقسيم من الآية و غيرها على ذلك و إن كان لا يخلو عن ضعف، إذ لا منافاة بين انتفاء الظهور بالنسبة الى الدلالة اللفظية المبتية على القواعد المؤسسه عن بعض الآيات و بين ثبوت التأويل للكلم مع ثبوت الظهور للبعض، بل يضعف حكاية الإناطة أيضا بأن المنوط به هو فهم أهل اللسان المبني على القواعد الممهدة، فإذا الأول أظهر، و منه يظهر أنه لا ملازمة بين المتشابه و الجهل بالمراد لجواز العلم بالتأويل و لو مع عدم سبق الجهل.

(١) آل عمران: ٧.

(٢)

في البصائر ص ١٩٥ عن الصادق عليه السلام ما من القرآن آية إلا ولها ظهر و بطن إلخ .. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٥

تذييل

في الجواب عن إشكال الملاحدة على وجود المتشابهات في القرآن حكى الرازي في تفسيره عن بعض الملاحدة أنهم طعنوا في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات و قالوا: إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام القيامة، ثم أنا نريه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه. فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا «١»، و القدرى يقول: بل هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك منهم في معرض ذمهم في قوله:

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ «٢» و في موضع آخر:

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ «٣» و أيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «٤» و النافي لها يتمسك بقوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ «٥»، و مثبت الجهة يتمسك بقوله تعالى: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «٦» و بقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى «٧»،

(١) الأنعام: ٢٥، و الإسراء: ٤٦.

(٢) فصلت: ٥.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) القيامة: ٢٢.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) النحل: ٥٠.

(٧) طه: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٦

و النافي لها يتمسك بقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «١».

ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة و الآيات المخالفة لمذهبه متشابهة، و ربما آل الأمر في ترجيح بعضها على البعض الى ترجيحات خفية، و وجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه في كل الدين إلى يوم القيامة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهرا جليا نقيًا عن هذه المتشابهات كان أقرب الى حصول الغرض «٢».

ثم حكى عن العلماء وجوها في فوائد المتشابهات كأنه جعلها جوابا عن السؤال المتقدم فذكر أولًا: أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب و أشق، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال الله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ «٣».

و ثانيا: لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، و كان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، و ذلك مما ينفّر أرباب المذاهب عن قبوله و عن النظر فيه فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتتلا على المحكم و المتشابهة فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوى مذهبه و يؤثر مقالته، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، و يجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله و يصل الى الحق.

(١) الشورى: ١١.

(٢) تفسير فخر الدين الرازي ج ٧ ص ١٧١.

(٣) آل عمران: ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٧

و ثالثا: أنه إذا كان مشتتلا على المحكم و المتشابهة افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بدليل العقل، و حينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد، و يصل إلى ضياء الاستدلال و البينة، أما لو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى في الجهل و التقليد.

و رابعا: أنه لاشتماله على الأمرين افتقر الناظر فيه الى تعلم طرق التأويلات و ترجيح بعضها على بعض، و افتقر في تحصيل ذلك الى تعلم علوم كثيرة من علم اللغة و النحو و علم أصول الفقه، و لو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة.

و خامسا: و هو السبب الأقوى (عنده) في هذا الباب أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص و العوام بالكلية، و طبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم، و لا بمتحيز، و لا مشار إليه، ظن أن هذا عدم و نفى، فوقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه و يتخيلونه، و يكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول و هو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من باب المتشابهات، و القسم الثاني و هو الذي يكشف لهم في آخر الأمر و هو المحكمات، فهذا ما حضرنا في هذا الباب و الله اعلم بمراده «١». هذه الوجوه و إن سبقه غيره من المفسرين في جملها أو كلها بل يوجد في كلام بعض المفسرين منّا إلا أنها غير حاسمة لمادة الأشكال، بل منها ما يؤيد أصل السؤال، لضعف الأول بأن الوصول الى الحق حينئذ متعسر بل

(١) التفسير الكبير تأليف الفخر الرازي ج ٧ ص ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٨

متعذر للأكثر لعدم معرفة عامة الناس بل و خاصيتهم أيضا بالتأويل الذي لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم فإناطة التبليغ و معرفة الحقائق به نقض للغرض، سيما مع ما في النفوس من الانحرافات و الاعوجاجات و الميل الى الأهواء الباطلة و المذاهب الفاسدة التي لا تقوم بالمتشابهات عليهم الحجّة و لا تنقطع بها عنهم المعذرة.

و الثاني بأنه مما يقرّر أصل السؤال و يزيد في الإشكال، فإن المقصد من إرسال الرسل و إنزال الكتب إنما هو اجتماع الكلمة على الحق و استيصال الباطل و ردع أهل الضلال، فكيف يليق بصاحب الشريعة الإجمالية في المرام و التشابه في الكلام كى يتشبه به كل فريق من المبطلين، و يأوله على مذهبه كل مبطل من المنتحلين، سيما بأن يكون فتنه و مضلة لأهل ملته و المتدينين بدينه، و المتقادين لأمره.

فالمراد بأرباب المذاهب المذكور في كلامه إن كان أصحاب المذاهب المتخربة في هذا الدين ففتح باب التأويل والإلحاد والاعتذار بالانحرافات الباطلة لهم شقّ لعصا كلمة الأمة عن الحق الذي به يؤمنون، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنتي يؤفكون. وإن كان المراد الفرق الكافرة التي لم يسلموا أصلاً كعبدة الأصنام وأهل الكتاب فالأمر أشنع وأفطع، قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ «١».

و الثالث و الرابع بأن مجرّد الاستعانة بدليل العقل و تحصيل مثل اللغة و النحو و الأصول كيف صارت غاية مقصوده حتى أوجب قصد التوصل

(١) يونس: ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٩

إليها إخفاء الحق في جملة المذاهب المختلفة، و هل العلوم المذكورة إلّا من المبادئ و المقدمات العامّة التي يتوقف على العلم بها فهم عاميّة المخاطبات العربيّة و إن لم تكن شرعية فالناس يطلبونها لمعرفة الخطابات الواردة في الكتاب و السنّة لكونها عربيّة لا متشابهة، على أن أسباب التشابه من الاشتراك اللفظي و المعنوي و خفاء القرائن و غيرها شائعة في ألسنة العرب، و أين هذا من خصوص ما أوجب افتراق المذاهب و الاختلاف في الدين.

و من جميع ما مرّ ظهر ضعف الخامس أيضا فإن التدرّج في الإرشاد إنّما هو بالإجمال و التفصيل لا بما يوهم الجبر و التجسّم و التعطيل.

و التحقيق في دفع الأشكال أن يقال إنّ الله تعالى قد بعث رسوله صلّى الله عليه و آله بالرّسالة و ختم به النبوة، و جعله حجّة على جميع العالمين، و جعل شريعته باقية في عقبه الى يوم الدين، و أنزل عليه كتابا جامعا لعلوم الأولين و الآخرين، بل حاويا لجميع الحقائق و المعارف و الأحكام و الحوادث مما كان أو يكون أبد الآبدين حسبما مرّت اليه الإشارة، و حيث إنّ صلّى الله عليه و آله لم يتفرّغ في البرهنة التي كان فيها بين الأنام لتبليغ جميع الأحكام، بل سائر المعارف التي لم تستعدّ أصحابه لقبولها و إدراكها لقرب عهدهم بالجاهليّة الجهلاء، مع أنّهم أعراب عرباء أولو أحقاد و قسوة و جفاء، فلذا أودع علمها عند خليفته و وصيه بل أودع عنده جميع معاني القرآن و بطونه و حقائقه، و أمر بحفظهما و اتباعهما و التمسك بهما معا و أنّهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، و حيث إنّ علم أنّ من أمته من يرتدّ عن دينه، و يترك وصيته في خليفته، و ينازعه في أمر هو أحق من غيره، فلذا جعل الله سبحانه، ظاهر كتابه مشتتلا على المحكم الذي لا يختلف فيه اثنان لظهوره و وضوحه، و على المتشابه الذي أخبر في كتابه أنّه لا يعلمه إلّا الله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٠

و الراسخون في العلم الذين هم حججه على عباده، و أمنائه في بلاده على ما أخبر به النبي صلّى الله عليه و آله فيما ورد من طرق الخاصّة و العامّة، بل أخبر في كتابه: أنهم لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١».

فالمتشابهات هي التي يضطرّ الناس و يلجئهم إلى الإقرار و الإذعان بولاية أولياء الأمر الذين هم الباب و الحجاب، و حملة الكتاب و فصل الخطاب لكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون «٢»، يعرفون نعمت الله ثمّ ينكرونها و أكثرهم الكافرون «٣». و لو كان القرآن كلّ محكما لتوهموا أنّه مقصور على ظاهره الذي هو غير مشتمل إلّا على أقلّ قليل من الأحكام، و لم يمكن الإحتجاج عليهم بأنهم محتاجون في معرفة حقائق الكتاب، و شرايع الحلال و الحرام الى الإمام عليه السلام. و توهم أنّه مع ذلك لم ينفع به من هداه الله بنور الإيمان ثم إنّ ما ذكرناه من الحكمة هو الاستفادة من كلام أهل البيت (عليهم الصلاة و السلام):

ففي المحكي عن تفسير النعماني بالإسناد عن الصادق عليه السلام قال: إن الله بعث محمدا صلّى الله عليه و آله فختم به الأنبياء فلا نبى بعده، و أنزل عليه كتابا فختم به الكتب فلا كتاب بعده الى أن قال: فجعله النبي صلّى الله عليه و آله علما باقيا في أوصيائه فتركهم

الناس و هم الشهداء على أهل كل زمان حتى عاندوا من أظهر ولاية و لاء الأمر و طلب علومهم، و ذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض و احتجوا بالمنسوخ و هم يظنون أنه الناسخ، و احتجوا بالخاص و هم يقدرون أنه العام و احتجوا بأول الآية و تركوا السنة في تأويلها، و لم ينظروا الى ما يفتح الكلام و الى ما يختمه، و لم يعرفوا

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الأنعام: ٣٣.

(٣) النحل: ٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦١

موارده و مصادره إذ لم يأخذوه من أهله، فضلموا و أضلوا، ثم ذكر عليه السلام كلاما طويلا- في تقسيم القرآن الى أقسام، و فنون، و جوه تزيد على مائة و عشرة الى أن قال عليه السلام و هذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم.

و لهذه العلة و أشباهها لا- يبلغ أحد معنى حقيقة تفسير كتاب الله إلا نبيه و أوصيائه الى أن قال عليه السلام ثم سئلوه عن تفسير المحكم من كتاب الله عز و جل فقال: أما المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عز و جل: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ «١» الآية، و إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه و لم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له التأويلات من عند أنفسهم بآرائهم، و استغنوا بذلك عن مسئلة الأوصياء، و نبذوا قول رسول الله صلى الله عليه و آله وراء ظهورهم الخبر «٢».

و

في الإحتجاج عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في إحتجاجه على زنديق سأله عن آيات متشابهة من القرآن فأجابته الى أن قال عليه السلام: و قد جعل الله للعلم أهلا و فرض على العباد طاعتهم بقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ «٣» و بقوله: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «٤»، و بقوله: اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «٥»، و بقوله:

(١) آل عمران: ٧.

(٢) المحكم و المتشابه عن تفسير النعماني ص ٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٨.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) التوبة: ١١٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٢

وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «١»، و بقوله: وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا «٢»، و البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، و أبوابها أوصيائهم، فكل عمل من أعمال الخير يجرى على غير أيدي الأوصياء، و عهودهم، و حدودهم، و شرائعهم، و سننهم، و معالم دينهم مردود غير مقبول، و أهله بمحل كفر، و إن شملهم صفة الإيمان الى أن قال عليه السلام بعد تأويل كثير من المتشابهات، و بيان غفير من المجملات: و إنما جعل الله في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره و غير أنبيائه و حججه في أرضه لعلمه بما يحدثه المبدلون، و تلييسهم على الأمة فأثبت فيه رموزا و جعل أهل الكتاب المقيمين به العالمين بظاهره، و باطنه من شجرة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، أى يظهر مثل هذا العالم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، الى أن قال عليه السلام: ثم إن الله تعالى لسعة رحمته و رأفته بخلقه قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلا من صفى ذهنه، و لطف حسه، و صح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلا الله و أمناؤه الراسخون في

العلم، وإنما فعل الله ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم و ليقودهم الاضطرار الى الائتمار لمن وآاه أمرهم الخبر «٣».

بل فيه بطوله شواهد آخر على ما قدمناه.

و

روى البرقى فى «المحاسن» عن الصادق عليه السّلام فى رسالته قال عليه السّلام: فأما ما سألت عن القرآن فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لأنّ القرآن ليس على ما ذكرت، وكلّ ما سمعت فمعناه على غير ما ذهبت اليه،

(١) آل عمران: ٧.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ الطبع القديم باب ١٢٩ ص ١٢٢، الإحتجاج ص ١٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٣

و إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون، دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، و أمّا غيره فما أشدّ إشكاله عليهم و أبعد من مذاهب قلوبهم و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّهُ ليس شىء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، و فى ذلك يتخيّر الخلاق أجمعون إلّا من شاء الله، و إنّما أراد الله بتعميته فى ذلك أن ينتهوا الى بابه و صراطه و أن يعبدوه و ينتهوا فى قوله الى طاعة القوام بكتابه، و الناطقين عن أمره، و أن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم.

ثمّ قال عليه السّلام: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا و لا يوجد و قد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الأمر، لأنهم لا يجدون من يأتمرون عليه، و من يبلغونه أمر الله و نبيه فجعل الله الولاية خواصّ ليقضى بهم فافهم ذلك إنشاء الله، و إياك و إياك و تلاوة القرآن برأيك، فإنّ الناس غير مشتركين فى علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور، و لا قادرين على تأويله إلّا من حدّه و بابه الذى جعله الله له الخبر «٢».

و

فى «الكافى» و «العلل» و «رجال الكشى» «٣» بالإسناد عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: إنّ الله أجلّ و أكرم أن يعرف بخلقه- إلى أن قال:- و قلت للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان الحجّة من الله على

(١) النساء: ٨٣.

(٢) المحاسن ص ٢٦٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١.

(٣) الكشى محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو عمرو، فقيه، رجالى، إمامى اشتهر بكتابه (معرفة أخبار الرجال) مات نحو ٣٤٠، اختصر

رجال الكشى شيخ الطائفة الطوسى و سماه إختيار الرجال و هو المعروف بين الناس اليوم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٤
خلقه قالوا بلى، قلت: فحين مضى رسول الله صلّى الله عليه و آله من كان الحجّة على خلقه؟ قالوا القرآن، فنظرت فى القرآن فإذا هو يخاصم به المرجى، و القدرى، و الزنديق الذى لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيم فما قال فيه من شىء كان حقا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟

فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر يعلم، و حذيفة يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدا يقال: إنّهُ يعلم القرآن كلّهُ إلّا عليا، و إذا كان الشىء بين القوم و يقول هذا لا أدرى و هذا لا أدرى فأشهد أنّ عليا كان قيم القرآن، و كانت طاعته مفترضة، و كان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أنّ ما قال فى القرآن فهو حقّ فقال عليه السّلام: رحمك الله «١».

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: إن رجلا سأل أباه عن مسائل فكان ممّا أجابه به أن قال عليه السلام: قل لهم: هل كان فيما أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الله اختلاف؟ فإن قالوا لا، فقل لهم: فمن حكم بحكم فيه اختلاف، فهل خالف رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولون: نعم؟ فإن قالوا لا- فقد نقضوا أول كلامهم فقل لهم: ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، فإن قالوا: من الراسخون في العلم؟ فقل: من لا يختلف في علمه، فإن قالوا: من ذاك؟ فقل: كان رسول الله صاحب ذاك، الى أن قال: وإن كان رسول الله لم يستخلف أحدا فقد ضيّع من في أصلاب الرجال ممّن يكونوا بعده قال وما يكفيهم القرآن؟ بلى لو وجدوا له مفسّرا قال: وما فسّره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال بلى فسّره لرجل واحد، وفسّر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن قال: والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ، ومن حكم

(١) الكافي ج ١ ص ١٦٨، علل الشرائع ج ١ ص ١٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٥
بحكم فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت «١».

و
في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّ علم القرآن ليس يعلم إلّا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه، وسمع به صممه، وأدرك به ما قد فات، وحى به بعد إذ مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله وخاصّته فإنهم خاصة نور يستضاء به، وأئمة يقتدى بهم، هم عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي منها خبر دخول الصوفيّة على مولانا الصادق عليه السلام واحتجّاه عليهم لما احتجّوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار والزهد المذكور في «الكافي» «٣» وغيره من الأخبار فلاحظ، بل يدلّ عليه أيضا الأخبار المتواترة الدالّة على غموض علم القرآن، والنهي عن الخوض والتكلم

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) يوجد ذيل الحديث في خطبتين من نهج البلاغة: الأولى خطبة ١٤٧ والثانية خطبة ٢٣٧.

(٣)

الكافي ج ٥ ص ٦٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٣٥ عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث احتجّاه على الصوفيّة لما احتجّوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار والزهد، قال عليه السلام: ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابه الذي في مثله ضل من ضل، وهلك من هلك من هذه الأمة؟ قالوا: بعضه فأما كلّ فلا، فقال عليه السلام لهم: فمن ها هنا أتيتم، وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن قال عليه السلام: فبئس ما ذهبتم اليه، وحملتكم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردكم إياها لجهالتكم وترككم النظر في غريب القرآن من التفسير، والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي- الى أن قال عليه السلام: دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردوا العلم الى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله، وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحلّ الله فيه مما حرّم، فإنّه أقرب من الله، وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها، فإنّ أهل الجهل كثير، وقد قال الله تعالى: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٦

فيه بغير علم، وإيجاب ردّ علمه الى أهله، وإنه إنما يفهمه من خوطب به، وخبر الثقلين وإنهما لا يفترقان الى غير ذلك مما يوجب

الاضطرار الى الحجة.

هذا مضاف الى أن التشابه في البعض مما يوجب الاستعلام والاضطرار للرجوع إلى أبواب العلم و خزنة الوحي، و التلقى منهم، و به يفتح لأهله باب معرفة القانون و المعيار الكلي في الاستنباط حسبما نشير إليه إن شاء الله تعالى، بل ربما تكون الحقائق لغموضها و دقة مسالكها و مبانيها و خفاء معانيها لا يمكن التعبير عنها إلا بالعبارات المتشابهة التي لا تعرف العامية منها إلا المعاني المأنوسة في أذهانهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٧

الفصل الرابع

إشارة

في النسخ و المنسوخ النسخ لغة الإزالة كقولهم: نسخت الشمس الظل أي أزالته، و منه نسخت الريح آثار القدم، و النقل و التحويل كقولهم: نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه الى كتاب آخر، و منه قوله تعالى: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «١» أي ننقله الى الصحف، بل منه أيضا ما قيل من تناسخ الأرواح لنقلها من بدن الى بدن آخر متنعمة فيه أن كانت محسنة، و معذبة فيه أن كانت مسيئة، و تناسخ القرون انقراضها قرنا بعد قرن، و تناسخ الموارث نقلها و تحويلها من وارث الى غيره قبل القسمة. و قد طال التشاجر بين الأصوليين و غيرهم في كون النسخ حقيقة في الأول كما عن المشهور، أو الثاني كما عن القفال «٢»، أو أنه مشترك بينهما كما عن الشيخ

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) القفال عبد الله بن أحمد المروزي، فقيه، شافعي، كان وحيد زمانه فقها و حفظا و زهدا، كثير الآثار في مذهب الشافعي، و كانت صناعته عمل الأقفال، ولد سنة ٣٢٧ و توفي بسجستان سنة ٤١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٨

أبي جعفر الطوسي قدس سره «١» و الباقلاني «٢»، و الغزالي «٣»، و الآمدي «٤»، إلا أن الأخير قيده بأن لا يوجد في حقيقة النقل خصوص تبدل صفة وجودية فهو رابع المذاهب، و خامسها التوقف كما عن جماعة، و لم يصير حوا بإرادة الاشتراك لفظا أو معنى، و ظاهر كلامهم بل الاستدلال بالاستعمال الظاهر في الحقيقة الأول، و لذا أجابوا عنه بأنه أعم، و أن الأظهر الأخير فهو السادس، بل لعله يظهر من

(١) شيخ الطائفة المحقة، و رافع إعلام الطريقة الحققة محمد بن الحسن بن علي الطوسي، فقيه، محدث، مفسر، أصولي، ولد سنة ٣٨٥ هو انتقل من خراسان الى بغداد سنة ٤٠٨ هو أقام أربعين سنة و رحل الى الغري، أحرقت كتبه عدة مرات بمحضر من الناس، له تصانيف قيمة في العلوم الإسلامية كالتيبان في التفسير، و النهاية في الفقه، و التمهيد في الأصول، و العدة فيه أيضا، المبسوط في الفقه و الإستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار و التهذيب و غيرها، كان فضلاء تلامذته الذين كانوا مجتهدين يزيدون على ثلاثمائة من الخاصة و العامة، توفي بالنجف سنة ٤٦٠ هـ قال صاحب الصراط المستقيم في نخبه المقال: في ترجمة الشيخ: محمد بن الحسن الطوسي أبو جعفر الشيخ الجليل أنجب

جل الكمالات إليه ينتسب تنجز القبض و عمره عجب

٧٥ ٤٦٠

(٢) القاضي الباقلاني محمد بن الطيب من كبار علماء الكلام، و ناصر طريقة الأشاعرة و انتهت رئاستهم اليه و هو الذي ناظر الشيخ المفيد قدس سزه و غلب عليه الشيخ فقال: الباقلاني: أ لك في كل قدر مغرفة فأجاب الشيخ نعم ما تمثلت بأدوات أ بيك. ولد الباقلاني في البصرة ٣٣٨ و توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ.

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فقيه، شافعي تلمذ بنيشابور على إمام الحرمين حتى صار مشارا بالبنان، و صنف كتبا كثيرة كالبيسط، و الوسيط، و الوجيزة في الفقه، و الجام العوام في علم الكلام، التبر المسكوك في نصيحة الملوك، و المقصد الأسنى في شرح الأسماء، و أحياء العلوم في تهذيب الأخلاق على طريقة الصوفية، و غيرها توفي بالطايران (قرية بطوس) سنة ٥٠٥ و دفن هناك.

(٤) الأمدى بكسر الميم (منسوب الى الأمد هو بلد من بلاد الجزيرة) يمكن أن يكون مراده بالأمدى على بن محمد بن عبد الرحمن أبا الحسن البغدادي: فقيه حنبلي، بغدادى الأصل و المولد، نزل (آمد) بديار بكر سنة ٤٥٠ هـ و توفي به سنة ٤٦٧ له عمدة الحاضر و كفاية المسافر في الفقه نحو أربع مجلدات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٦٩

كلمات أهل اللغة و لذا قال الفيومي في مصباحه: نسخت الكتاب نسخا من باب نفع نقلته، و استنسخته كذلك.

ثم حكى عن ابن فارس «١»: أن كل شىء خلف شيئا فقد انتسخه فيقال انتسخت الشمس الظل، و الشيب الشباب أى أزاله، و كتاب منسوخ و منتسخ أى منقول، و النسخة الكتاب المنقول منه انتهى، حيث نبه على أصل الباب و جعل منه انتساخ الشمس بل نسخ الكتاب أيضا، و إن كان تفسيره به بل بالنقل الذى اشتهر التمثيل به فى المقام لا يخلو عن تسامح فإنه ليس نقلا حقيقة، بل حكاية لألفاظه و خطه و لو بخط يخالفها.

و لذا قيل: إن الاستعمال لعلاقة المشابهة، بل لعلّ الظاهر أيضا ممّا ذكره شيخنا الطبرسى رحمه الله قال: النسخ فى اللغة أبطال شىء و إقامة آخر مقامه، يقال نسخت الشمس الظل أى أذهبته و حلت محله، و قال ابن دريد «٢»: كل شىء

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى من أئمة اللغة و الأدب، قرء عليه البديع الهمداني و صاحب بن عبّاد، له تصانيف نفيسة: منها مقاييس اللغة و جامع التأويل فى تفسير القرآن و فقه اللغة، ولد سنة ٣٢٩ و توفي سنة ٣٩٥ و من شعره: قد قال فيما مضى حكيم ما المرء إلّا بأصغريه

فقلت قول امرء لبيب ما المرء إلّا بدرهميه

من لم يكن معه درهما لم يلتفت عرسه اليه

و كان من ذلّه حقيرا يبول سنوره عليه

(٢) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة و الأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء و أعلم الشعراء، ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ و انتقل الى عمّان فأقام اثنى عشر عاما و عاد الى البصرة ثم رحل الى نواحي فارس و كان شيعيا و له فى أهل البيت عليه السلام أشعار منها: أهوى النبى محمدا و وصيه و ابنه و ابنته البتول الطاهرة

أهل العباء فإننى بولائهم أرجو السلامة و النجا فى الآخرة تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٠

خلف شيئا فقد انتسخه، و انتسخ الشيب الشباب، و تناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة و أصل الباب الإبدال من الشىء غيره، و أمّا ما ربما يظهر من «القاموس» من التعدّد و التغاير حيث قال: نسخته كمنعه أزاله و غيره و أبطله، و أقام شيئا مقامه إلخ. فلعلّه من حيث المورد و المتعلق.

و على كل حال فالخطب فيه سهل كسهولته في أنه حقيقة هل هو الإبطال و الإزالة كما يلوح عن بعض، أو إقامة الغير مقام المزال كما يظهر من آخرين، أو الأمران معا كما عن الراغب «١» الأصفهاني في «المفردات» حيث قال: إنه لغة إزالة الصورة عن الشيء و إثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس، ثم يقال في إزالة الصورة من غير إثباتها في غيره نحو قوله تعالى: فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ «٢»، و يقال أيضا في إثبات مثل هذه الصورة في الغير من غير إزالتها عن الأول كنسخ الكتاب و هو إثبات ما فيه في محل آخر «٣».

_____ و أرى محبة من يقول بفضلهم سببا يجير من السبيل الجائرة

أرجو بذاك رضى المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهوره الساهرة
توفى ابن دريد سنة ٣٢١ هـ.

(١) الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، أديب من أهل أصفهان سكن بغداد و اشتهر حتى كان يقرب بالغزالي له تصانيف قيمة كمحاضرات الأدباء و الذريعة الى مكارم الشريعة و جامع التفاسير كبير أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و حلّ متشابهات القرآن و المفردات في غريب القرآن و هو من أجل كتبه و أجر لها فائدة و هو في الواقع تفسير جامع لما ورد في القرآن الكريم من الكلمات الصعبة توفى الراغب سنة ٥٠٢ هـ.

(٢) الحج: ٥٢.

(٣) المفردات ص ٤٩٠ قال: النسخ إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل الشمس، و الشيب الشباب فيفهم منه الإزالة و تارة منه الإثبات و تارة منه الأمران و نسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها) قيل معناه ما نزيل العمل بها أو نحذفها عن قلوب العباد، و قيل: معناه ما نوجده و ننزله من قولهم نسخت الكتاب و ما نساها أى تؤخره فلم ننزله (فينسخ)

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧١

بل و كسهولته أيضا في معناه الشرعى المتشرعى الذى اختلفوا فيه على أقوال عديدة لا يسلم جلتها أو كلها عن وصمة الخلل التى لا تقدر فى مثل هذه التعاريف التى ليس المقصود بها إلاّ تحصيل نوع المعرفة أو المعرفة بالنوع، و لعلّ أسلمها من بعض الوجوه ما يحكى عن الفاضل العلامة أعلى الله مقامه. من إنه رفع الحكم الشرعى بدليل متأخر على وجه لولاه لكان ثابتا، إلا أن هذا هو نسخ الحكم الذى يبحث عنه الأصوليون، و إنما يبحث عن خصوص نسخ الآية حكما، أو تلاوة، أو معا بأن يخرج عن كونها كتابا و قرآنا محتوما، و إن قيل بإمكان إدراجه فى نسخ الحكم الى رفعه فهو حقيقة فى نسخ الحكم، لكنّه كما ترى لا يخلو من تكلف، و لذا احتمل أيضا الاشتراك اللفظى و التجوّز لوجود العلاقة المصححة.

نعم قد يفرق بين النسخ و الإنساء باختصاص الأول برفع الحكم، و أما الثانى فهو رفعه و رفع التلاوة معا، و قيل: إن النسخ إذهب الى بدل، و الإنساء إذهب لا الى بدل، و ردّ بقوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها «١». لظهوره فى الإتيان بالبدل، و ستسمع تمام الكلام عند تفسير الآية إن شاء الله تعالى.

نعم ينبغى أن يعلم أنه مغاير للتخصيص «٢» و التقييد و البيان للمجمل ضرورة

_____ الله ما يلقي الشيطان) و نسخ الكتاب نقل صورته المجردة الى كتاب آخر، و ذلك لا يقتضى إزالة الصورة الأولى بل يقتضى إثبات مثلها فى مادة أخرى كاتخاذ نقش الخاتم فى شموع كثيرة إلخ فما نقله المصنف فى المفردات منقول بالمعنى.

(١) البقرة: ١٠٦.

(٢) و قد أطلق النسخ كثيرا على التخصيص فى التفسير المنسوب الى ابن عباس. قال زعيم الحوزة العلمية آية الله أبو القاسم الخوئي

فى تفسيره القيم (البيان): النسخ فى اللغه هو الاستكتاب،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٢

فى الأخيرين، و أما الأول و إن قيل باشتراكه معه بأن كل واحد منهما قد يوجب تخصيص الحكم ببعض ما يتناوله اللفظ لغه، إلا أنه قد فزق بينهما بأن التخصيص يبين أن الخارج به عن العموم لم يرد المتكلم بلفظه الدلالة عليه، و النسخ يبين أن الخارج به لم يرد التكليف به، و إن كان قد أراد بلفظه الدلالة عليه، و بأن التخصيص لا يرد على الأمر بمأمور واحد و النسخ قد يرد، و أن النسخ لا يكون فى نفس الأمر إلا بخطاب من الشارع بخلاف التخصيص، فإنه يجوز بكل دليل عقلى أو سمعى، ظنى أو قطعى، و أن النسخ لا بد أن يكون متراخيا عن المنسوخ بخلاف المخصّص فإنه يجوز أن يتقدم العام و يقارنه و يتأخر عنه، و أن التخصيص لا يخرج العام عن الإحتجاج به مطلقا فى مستقبل الزمان، لأنه يبقى معمولا به فيما عدى صورة التخصيص بخلاف النسخ، فإنه قد يخرج الدليل المنسوخ حكمه عن العمل به فى مستقبل الزمان بالكلية عند ما إذا ورد النسخ بمأمور به واحد، و أن النسخ يرفع الحكم بعد ثبوته بخلاف التخصيص، و لذا قيل إن النسخ رفع و التخصيص دفع، لكنّه بناء على الظاهر، إذ فى الحقيقة كلاهما دفع على ما قرّر فى محلّه، و أنه يجوز نسخ شريعته بشريعته، و لا يجوز تخصيص شريعته بشريعته أخرى، و أن العام يجوز نسخه حتى لا يبقى منه شىء بخلاف التخصيص، و أن النسخ تخصيص الحكم ببعض الأزمان، و التخصيص قد يكون بإخراج بعض الأزمان و قد يكون بإخراج بعض الأعيان و بعض الأحوال فيكون أعّم من النسخ، و أن التخصيص يقع بالعقل و النسخ لا يقع به، و أنه يقع نسخ فعل

كالاستنساخ، و بمعنى النقل و التحويل، و منه تناسخ الموارث و الدهور، و بمعنى الإزالة، و منه نسخت الشمس الظلّ، و قد كثر استعماله فى هذا المعنى فى ألسنة الصحابة و التابعين فكانوا يطلقون على المخصّص و المقيد لفظ النسخ. (البيان فى تفسير القرآن ص ٢٩٥).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٣

بفعل دون التخصيص، و أن التخصيص يقع بالمخصّصات المتصلة و الخبر الواحد و غيره من الأدلة فيجوز تخصيص القطعى بالظنى دون النسخ، و أن النسخ لا بد أن يقع فيما علم بالإجماع أو الضرورة دون التخصيص، و أن النسخ لا بد أن يكون فى زمن وجود النبى صلى الله عليه و آله دون التخصيص، فيقع بعده، إلى غير ذلك من الوجوه التى لا يخفى عليك ضعف بعضها، و رجوع جملة منها إلى غيرها، و إن كان بعض منها فى محلّه.

فما ربما يقال من نفى المغايرة رأسا و رجوع النسخ الى التخصيص، بل كونه من أفراد مطلقا إن كان هناك عموم أزمانى و عن أفراد التقييد إن كان هناك إطلاق.

ضعيف جدّا مردود باستقرار الاصطلاح من الشارع أو المشرعة الذى لا- مشاخيّة فيه على خلافه، و بظهور المغايرة جدّا من عدم الاكتفاء بأحدهما عن الآخر فى أخبار كثيرة

كالمروى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته المحكى فى «النهج»: خُلف فيكم كتاب الله مبيّنا حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله، و ناسخه و منسوخه، و رخصه و عزائمّه، و خاصّه و عامّه الخطبة «١»

و

فى خطبة أخرى بعد ما سئل عن أحاديث البدع الى أن قال: و آخر رابع لم يكذب على الله و لا على رسوله الى أن قال: بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه و لم ينقص منه، و حفظ الناسخ فعمل به، و حفظ المنسوخ فجنب عنه، و عرف الخاصّ و العامّ فوضع كلّ شىء موضعه «٢».

(١) الخطبة الأولى

من نهج البلاغة قال عليه السلام: وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم، كتاب ربكم مبيّنا حلاله وحرّاهم إله.

(٢)

الخطبة (٢٠١) من نهج البلاغة أولها إنّ في أيدي الناس حقًا وباطلاً، وصدقا وكذبا. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٤ فتبّه عليه السلام على التغيرات مضافا الى التقابل بأنّ حقّ النسخ العمل والمنسوخ الاجتناب، و أمّا الخاصّ والعامّ فيوضع كلّ منهما موضعه.

و

في «العيون» عن مولانا الرضا عليه السلام في كتابه الى المأمون في حديث محض الإسلام الى أن قال بعد ذكر الكتاب: نؤمن بمحكمه، ومتشابهه، وخاصّه و عامّه، و وعده، و وعيده، و ناسخه، و منسوخه «١».

و

في «الكافي» عن سليم بن قيس: إنّ في أيدي الناس حقًا وباطلاً، و صدقا وكذبا، و ناسخا و منسوخا، و عامًا و خاصًا، و محكما و متشابهًا الى أن قال فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن منه ناسخ و منسوخ، و خاصّ و عامّ، و محكم و متشابه، الى أن قال: فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرّانها و أملاها على فكتبتها بخطي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و ناسخها، و منسوخها، و محكمها، و متشابهها، و خاصّها، و عامّها «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة في ذلك، بل الأمر واضح من أن يحتاج الى الأطناب فيه بذكر الشواهد عليه. و أمّا إنّ النسخ هل هو رفع للحكم الشرعي الثابت بالخطاب، أو الدليل السابق المقتضى لشموله في الزمن اللاحق أيضا بظهوره لظاهر الأدلة، أو أنه بيان لانتهاء مدة الحكم لما استدّلوا به من الوجوه الضعيفة التي لا يليق بالتعرض، أو أنّ النزاع في ذلك لفظي لابتناء الأول على الظاهر و الثاني على الواقع، أو لغير ذلك، أو أنه مبني على تحقيق التكليف فإن كان مرجعه الى الإرادة الحقيقية أعني

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ١٣١، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٦٢، نهج البلاغة فيض الإسلام (٢٠١) ص ٦٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٥

محبوبية الفعل و الرضا به واقعا تعين أن يكون النسخ كاشفا عن ارتفاع الحكم بالنسبة إلى زمن النسخ، و مفيدا لانقضاء أمده، و لا يمكن كونه رفعا للحكم الثابت في زمن النسخ لاستلزامه البداء بالمعنى الممتنع في حقّه سبحانه، و أن كان المراد به بعض الأمور الاعتبارية كالإلزام و جعل الثواب و العقاب، أو الأعمّ من الأول أمكن كونه رفعا للحكم الثابت في زمن الرفع لولاه، و غير ذلك من مباحث النسخ فالكافل لتحقيق الكلام فيها هو أصول الفقه، و إنّما نقتصر في المقام على البحث في أمرين:

الأول في جواز النسخ عقلا، الثاني في وقوعه شرعا.

و هو أي وقوعه شرعا و إن كان مقطوعا به مدلولاً عليه بعد الأصل بالضرورة القطعية من المذهب بل الدين، إلّا أنّها لا تنهض حجة على اليهود حيث خالفت في الأول، و إن نهضت على أبي مسلم الأصفهاني «١» من العامية حيث خالف في الثاني، نعم قد يحكى عن بعض اليهود أيضا المخالفة فيه خاصة.

و بالجملة فيدلّ على الأول أنّه لا مانع منه عقلا فيجوز وقوعه، بل قد يدعى العلم الضروري عليه أيضا و هو كذلك، على أن أفعاله تعالى إما أن تكون معللة بالأغراض و المصالح و الحكم كما عن الإمامية، و تبعهم فيه المعتزلة فالمصالح تتغير بتغير الأزمنة كما يتغير

بتغيير الأشخاص، فكما يجوز أن يأمر زيدا

(١) أبو مسلم الأصفهاني، أبو مسلم: وال من أهل أصفهان. معتزلي من كبار الكتاب. كان عالما بالتفسير:

و بغيره من صنوف العلم، وله شعر، ولى أصفهان و بلاد فارس، للمقتدر العباسي، و استمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ، فعزل. من كتبه «جامع التأويل» في التفسير أربعة عشر مجلدا، و مجموع رسائله، ولد أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني سنة ٢٥١ و توفي سنة ٣٢٢هـ (إرشاد الأريب ج ٦ ص ٤٢٠، الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٧٣).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٦

بشيء و ينهى عمروا عنه بعينه في زمان آخر، لاختلاف المصالح بالوجوه و الاعتبارات التي من أعظمها مقتضيات الأزمنة الناشئة منها أو حدوث الطوارئ فيها.

أو لا تكون معللة بها كما عن الأشاعرة فالأمر أوضح فإنه حينئذ يفعل ما يشاء كيف يشاء، و يغير و يبذل حسب إرادته و مشيئته، فلا مانع من أن يأمر بشيء قد نهى عنه سابقا أو بالعكس لتساوى نسبة الأمرين إلى فعله سبحانه.

هذا مضافا إلى أن الامتناع أما أن يكون ناشئا من ذاته أو ممّا يترتب عليه و كلاهما فاسد.

أما الأوّل فلأن النسخ إمّا رفع ظاهر، أو بيان أمد الحكم و انتهائه، و قد قضت الضرورة الفعلية بأنه ليس شيء منهما من الممتنعات الذاتية.

و أمّا الثاني فإن كانت من جهة تأخير البيان عن وقت الخطاب فقد قرّر في الأصول جوازه، أو من جهة اختلاف المصالح باختلاف الأزمنة فقد سمعت الكلام فيه على الوجهين، أو من جهة أخرى فلا يدرك العقل شيئا يقتضى الامتناع، بل الإنصاف إنه يدرك عدمه. و أمّا ما يقال سندا للمنع، أو حكاية عن المانع من أن الفعل إن كان حسنا قبح النهي عنه، و إن كان قبيحا قبح الأمر به، ففيه أن الحسن و القبح على القول بهما حسبما ما هو المقرّر عند الإمامية كما يكونان بالذات كذلك يكونان بالوجوه و الاعتبارات، و قد سمعت أنه قد يتغير المصالح بتغير الأزمنة، ألا ترى أن الطبيب قد يأمر المريض بشيء من الأغذية أو الأدوية ثمّ ينهيه عنه، أو بالعكس، فحفظه الشرع الذين هم أطباء النفوس ربّما يأمرون الناس بشيء في زمان، و ينهونهم عنه في زمان لعلمهم بما هو أقرب إلى السداد و أبعد عن الفساد،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٧

و أخرى بمصالح العباد، هذا كلّ مضافا إلى جميع ما يأتي ممّا يدلّ على الوقوع فإنه أدلّ دليل على الجواز.

و أمّا وقوع النسخ شرعا أعمّ من هذه الشريعة و غيرها من الشرائع و إن كان قد يعبر عن صنف بالنسخ في الشريعة، و عن آخر بنسخ الشريعة، و الأخير لا يتطرق إلى الأوّل لضرورة الخاتمية. فتدلّ عليه الضرورة القطعية من هذا الدين بل من سائر الأديان على تجدد الشرائع و اختلاف الأحكام بحسب اختلاف المصالح في الأزمنة و مقتضياتها التي من أجلها اختلفت الشرائع و التكاليف بحسب الأزمنة و غيرها.

و توهم اتحاد الشرائع و أن الأنبياء إنما بعثوا لتجديد الشرائع السالفة، و تذكير الناس بها بعد اندراسها بينهم مدفوع بأنّه و إن كان بعض الأنبياء مبعوثين لذلك كأنبياء بنى إسرائيل المجدّدين لمذهب موسى عليه السلام، و كأوصياء عيسى عليه السلام المجدّدين لمذهبه، بل و كذا أوصياء كل نبي من الأنبياء إلّا أن القول به على سبيل الكليّة مخالف للضرورة القطعية. إذ من المعلوم بديهة أن ما جاء به نبينا خاتم النبيين صلّى الله عليه و آله بل و كذا ما جاء به سائر الأنبياء و المرسلين عليهم السلام لم يكن بيانا و تجديدا لشريعة أينا آدم عليه السلام، ضرورة أن كتابه هو حروف التهجي و شريعته بعض الأمور المتعلقة بالفلاحة و نحوها، و إن كانت مشتملة على بعض العبادات أيضا.

و دعوى أن بناء كل شريعة من الشرائع على زيادة شىء من الأحكام على الشريعة السابقة لا نسخ شىء منها و إبطالها، مدفوعه بأنه التزام للإبطال أيضا و لو لمثل حكم الإباحة و نحوها.

على أن التأمل فى أحكام الشرائع و تجددها يوجب القطع بما سمعت بحيث لا يبقى معه مجال لهذه الخيالات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٨

و أميا ما يقال من أن لا- نسلم أن نبوة نبينا صلى الله عليه و آله بل و غيره من الأنبياء عليهم السلام لا يصح إلا مع القول بالنسخ، لاحتمال أن يكون شرع من سبقه محدودا إلى بعثته، إذ من الجائز أن موسى و عيسى عليهم السلام أمر الناس بشرعهم إلى ظهور محمد صلى الله عليه و آله، ثم بعد ذلك أمرا الناس بإتباع شرعه فبعد ظهوره زال التكليف بشرعهما و حصل التكليف بشرع محمد صلى الله عليه و آله بمقتضى أمرهما، و مثله لا يكون نسخا، بل جاريا مجرى قوله: **ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** «١» بل قيل: إن المسلمين الذين أنكروا وقوع النسخ أصلا بنوا مذهبهم على هذا الكلام، نظرا إلى أنه قد ثبت فى القرآن أن موسى و عيسى بشرا فى التوراة و الإنجيل بمبعث محمد صلى الله عليه و آله، و أن بالفتح عند ظهوره يجب الرجوع إلى شرعه، و معه يمتنع الجزم بالنسخ.

فيه أنا لا نعنى بالنسخ إلا زوال الحكم الثابت سابقا، و إبطاله بعد ثبوته و التعبد به، بلا فرق بين كون الحكمين فى شريعة واحدة، أو فى شريعتين، و لا بين الإخبار بزواله و عدمه، فكل من الكليم و المسيح عليهم السلام و إن بشرا قومهما برسول يأتى من بعدهما اسمه أحمد، و أمرا الناس بإتباع الرسول النبى الأسمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف، و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث، و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم، إلا أن هذا إخبار منهما ببطلان حكم شريعتهما بعد قدومه، لا أن التدين بشريعته صلى الله عليه و آله من أحكام شريعتهما، بل كونه إخبارا عن انتهاء حكم شريعتهما بشريعته لا يخرج عن النسخ كما توهم، بل كأنه إختيار لأحد

(١) البقرة: ١٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٧٩

القولين أو الأقوال فى معناه حسب ما سمعت.

هذا مضافا إلى أنه قد يلزم اليهود بأنه جاء فى التوراة: أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك: **إِنِّي جَعَلْتُ كُل دَابَّةَ مَا كَلَا لَكَ و لذريرتك و أطلقت ذلك لكم ما خلا الدم فلا تأكلوه**، ثم إنه حرم على موسى و على بنى إسرائيل كثيرا من الحيوان. و بأنه ورد فى التوراة أن الله تعالى أمر آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه، و قد حرم ذلك فى شريعة من بعده، و هذا مما حذره فى التوراة و إنما ذكرناه على سبيل الإلزام عليهم و إلا فالمستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام أنه لم يزوج بناته من بنيه على ما يأتى فى تفسير سورة النساء إن شاء الله تعالى.

و بأنه أباح السبب ثم حرمه، و جوز الختان ثم أوجبه، و يرد الإلزام عليهم بكل حكم وضعى أو شرعى اقتضائى أو تخييرى تجدد فى شىء من الشرائع.

هذا كله مضافا إلى ما سمعت من جوازه عقلا، و عدم المانع من وقوعه، إذ غاية ما يستدل به للمنع أن موسى عليه السلام لما بين شرعه، فإن كان قد دل على دوامه مع التنبيه بأنه سينسخه فهو باطل بالضرورة للمنافاة بين الأمرين، و لأنه لو كان كذلك لنقل متواترا لتوفر الدواعى، و لأنه من الكيفية التى تتبع الأصل فى النقل و معه يستحيل منازعة الجمع الكثير فيه.

و مع عدم التنبيه يستحيل أن ينسخ، و إلا كانت تلبيسا ممتعا على أصحاب الشرائع مع تطرقه إلى شرعنا أيضا إذ بالكسر غاية الأمر أن الشارع نص على تأييده و قد فرضنا مثله فى شريعة موسى عليه السلام مع تحقق نسخه مضافا إلى أنه يرفع

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٠

الوثوق بوعدده و وعيده.

و إن لم يدل على دوامه و انقطاعه فإن اقتضى الإطلاق الأول و لو للاستصحاب أو اقتضاء الأمر التكرار و الدوام فالبحث والبحث، و إن اقتضى الثاني و لو لاقتضاء الأمر المرة فهو باطل للإجماع على الدوام في الجملة، و لأنه حينئذ لا يقبل النسخ.

و أنه قد تواتر النقل عن موسى عليه السلام أنه قال: تمسكوا بالسبب أبدا و قال:

تمسكوا بالسبب ما دامت السماوات و الأرض و قوله حجة و طريقه التواتر الذي لا شك فيه.

و إن نسخ ما أمر به إما لحكمته ظهرت لم تكن ظاهرة حال الأمر فهو البداء المستحيل في حقه تعالى أو لا لحكمته فعبث قبيح عليه سبحانه.

و أنه لو جاز نسخ الأحكام الشرعية لاختلاف الحكم و المصالح لجاز نسخ ما وجب من الإعتقادات في باب التوحيد، و العدل، و المعاد و غيرها، و هو باطل بالإجماع.

و أن المنسوخ إما مؤقت فلا يقبل النسخ، أو مؤبد فيستلزم الجهل، أو مطلق منزل على أحدهما. و الكل كما ترى لظهور ضعف الأول بأن موسى عليه السلام قد تبه على نسخ شريعته، و وصى قومه بأن يؤمنوا بمن يأتي من بعده من الأنبياء خصوصا خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله كما وقع التلويح بل التصريح به في مواضع من التوراة و الإنجيل و الزبور و كتب دانيال، و زكريا، و شعيا، و حيقوق، و غيرهم من الأنبياء حسبما تصدى نقله عنها كثير من الأعلام. و عدم تواتر النقل لعله لإجماله المقتضى لعدم توفر الدواعي، أو لانقطاع تواترهم باستتصال بخت نصر إياهم،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨١

و إنما فالحق أن البشارة كان شائعا ذائعا عندهم يعرفه أحبارهم بل عامتهم، و لذا هاجر كثير منهم قبل مبعثه عن أوطانهم الى المدينة انتظارا لمبعثه، و إن لم يؤمنوا به بعده و في ذلك نزل: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** «١».

و يؤيده أن كثيرا ممن أسلم من أهل الكتاب بل ممن لم يسلم منهم قد أقر بذلك، و نحن قد باحثنا مع كثير منهم فأقر جمع منهم بأن موسى قد وصانا بل تؤمن بالنبي المبعوث في آخر الزمان إلا أنه لم يجيء بعد و هو الذي تسمونه بصاحب العصر عجل الله فرجه.

ثم مع تسليم على عدم تنبيه موسى عليه السلام على نسخ شريعته فلا نسلم استحالة النسخ، و التلبيس ممنوع بعد عدم التكليف به قبل وقوعه، و احتمال تطرقه إلى شرعنا مدفوع بالضرورة القطعية.

و الدليل الثاني أيضا ضعيف للمنع مع أنه قد قال ذلك، و قد سمعت انقطاع تواترهم، بل قد ينسب وضع هذا القول الى ابن الراوندى «٢» ليعارض به دعوى

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) ابن الراوندى أحمد بن يحيى بن إسحاق: فيلسوف مجاهر بالإلحاد من سكان بغداد نسبتة الى راوند من قرى أصبهان، له مجالس و مناظرات مع جماعة من علماء الكلام، طلبه السلطان فهرب، و لجأ الى لاوى اليهودى بالأهواز و صنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه «الدامغ للقرآن» و وضع كتابا في قدم العالم و نفى الصانع و غيرها التي عدوها الى اثني عشر كتابا كلها في الطعن على الشريعة، و لكن قال السيد المرتضى في الشافعي: إن ابن الراوندى قصد في الكتب المذكورة الطعن على المعتزلة و لا يعتقد هو إلا مذهب الحق، (الأعلام ج ص ٢٥٢، الكنى و الألقاب ج ٢ ص ١١١).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٢

الرسالة لما ظهر منه الاستخفاف بالدين، و لهذا لما أسلم كثير من أحبارهم مثل كعب الأخبار «١» و ابن سلام «٢» و وهب بن مته «٣»

وغيرهم من العارفين بالملّة اليهود لم يذكروا ذلك بل أنكروه.

مع أن الدوام في عبارته بعد تسليمه محمول على الزمان الطويل، بل قيل قد جاء في مواضع من التوريه بهذا المعنى، فقد قال في العبد يستخدم ستّ سنين ثم يعتق في السابعة، فإن أبي العتق يستخدم أبداً، و قال في البقره التي أمروا بذبحها: يكون ذلك سنّه أبداً، ثم انقطع التعبد به الى غير ذلك من المواضع التي استعمل فيها التأبيد للزمان الطويل.

و الثالث أيضاً مردود بأنّ الحكمة ظاهرة له سبحانه عالم بها في الأزل إلّا أنه لا يظهره إلّا بظهوره المقتضى المتجدّد بتجدّد الزمان. و الرابع أيضاً مردود بمنع الملازمه إذ من المصالح ما لا يتبدّل باختلاف الأزمنه أبداً كالتوحيد و سائر المعارف التي يحكم بها العقل، و لذا قيل: إنّه لا نسخ

(١) كعب الأخبار بن ماتع بن ذى هجن الحميرى أبو إسحاق: تابعى. كان فى الجاهليّه من كبار علماء اليهود فى اليمن، و أسلم فى زمن أبى بكر، و قدم المدينه فى دوله عمر، فأخذ عنه الصحابه و غيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابره، و أخذ هو من الكتاب و السنّه عن الصحابه. و خرج الى الشام و سكن حمص، و توفى فيها عن مائه و أربع سنين سنه ٣٢ هـ (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٩، الأعلام الزركلى ج ٦ ص ٨٥).

(٢) عبد الله بن سلام بن حارث الإسرائيلي، أبو يوسف صحابى قيل أنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبى صلى الله عليه و آله المدينه، و كان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله صلى الله عليه و آله عبد الله، و شهد مع عمر فتح بيت المقدس و الجايه، و له ٢٥ حديثا، و توفى بالمدينه سنه ٤٣ هـ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٤٩، الأعلام ج ٥ ص ٢٢٣.

(٣) قد مرّت ترجمه و هب بن متبه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٣

فى العقليات، و ذلك أنّ حكم العقل القطعى لا يتغيّر أصلا.

و الخامس أيضاً ضعيف بأنّ المنسوخ مطلق، أو مؤبّد فى الظاهر، و اللّازم ممنوع حسب ما سمعت سابقا.

بقى الكلام فيما يحكى عن أبى مسلم بن بحر الاصفهانى من إنكار النسخ فى القرآن نظرا الى بعض ما مرّ ممّا قد ظهر الجواب عنه، و الى قوله تعالى: لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه «١»، فلو جاز النسخ لبطل بعض الآيات إذ النسخ إبطال.

و ضعف هذا لدليل واضح فإنّ الآيات قد فسّرت بأنه لا يأتية الباطل من قبل التوراه و لا من قبل الإنجيل و الزبور و لا يأتية من بعده كتاب يبطله، و نسخ الآيه و لو من حيث التلاوة ليس إبطالا للكتاب الموضوع للمجموع، مع أنّ الظاهر من الباطل ما يشهد ببطلانه لا ما يرفع الحكم و التلاوة.

على أنه

قد ورد فى تفسيرها عنهم عليهم السّلام: ليس فى اخباره عمّا مضى باطل، و لا فى اخباره عمّا يكون فى المستقبل باطل، بل أخباره كلّها موافقه كلّها لمخبراتها.

هذا مضافا الى الإجماع بل الضرورة على وقوع النسخ و دلالة جمله من الآيات عليه - كآيه الاعتداد بالحوال «٢» المنسوخه بآيه الاعتداد بأربعة أشهر و عشر «٣»، و توهم أنه لم يزل بالكلية لأنها لو كانت حاملا و امتدّ حملها حولا

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) أى آيه (٢٤٠) من سورة البقره و هى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ..

(٣) أى آيه (٢٣٤) من سورة البقره و هى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ..

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٤

أعتدت به لا ينبغي الإصغاء إليه.

و من الآيات الدالة على النسخ آية تحويل القبلة الى المسجد الحرام «١» و آية الدالة على ثبات الواحد في مقابل الإثنين النسخة «٢» للآية الأخرى الدالة على الثبات في مقابل العشرة «٣»، و الآية الأمرة بتقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول «٤» المنسوخة برفعها «٥»، و آية ما ننسخ من آية «٦» على ما سيأتي على أن الخطب في ردّ أبي مسلم الأصفهاني سهل بعد مخالفته لإجماع المسلمين بل الضرورة من الدين.

(١) البقرة: ١٤٤ و هي آية: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا إِنْ خ...

(٢) الأنفال: ٦٦ و هي آية: الْآنَ خَصَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ إِنْ خ...

(٣) الأنفال: ٦٥ و هي إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ إِنْ خ...

(٤) المجادلة ١٢ و هي إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ إِنْ خ...

(٥) المجادلة: ١٣ و هي آية: أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ إِنْ خ...

(٦) البقرة: ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٥

تبصرة في أقسام النسخ

النسخ على ثلاثة أقسام الأول نسخ الحكم دون التلاوة، و هو الشائع المعروف من النسخ في القرآن، فيكون الآية المنسوخة و النسخة ثابتين في التلاوة و إن ارتفع حكم الأول، كآية عدّة المتوفى عنها زوجها «١»، و مصابرة الواحد للعشرة، و الصدقة قبل النجوى، و تحويل القبلة، و التخير بين المّن و الفداء «٢» و الأمر بقتال الكفار «٣»، و الحبس المؤبد «٤» المنسوخ بالجلد «٥» و الإرث بعقد الولاء «٦» على الخلاف في بعضها، و مثلها كثير في القرآن، بل قيل: إن آية السيف قد نسخت مائة و أربعين آية من أربعة و خمسين سورة مع بقاء تلاوتها.

و إن كان لا- يخلو من نظر فإن كثيرا من الآيات المعدودة من ذلك لا تنافي بينهما كي يلتزم بالنسخ المنفى بالأصل فيها إلا أن تقوم عليه حجة.

و الثاني العكس أى نسخ التلاوة دون الحكم كآية الرجم المذكورة في كثير من الأخبار و إن اختلفت في خصوص العبارة.

(١) البقرة: ٢٣٤ و ٢٤٠.

(٢) محمد صلى الله عليه و آله: ٤.

(٣) التوبة ٢٩ و هي آية: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ

(٤) النساء: ١٥ و هي آية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَسَتَكْفُرُونَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا.

(٥) النور: ٢ و هي آية: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ.

(٦) النساء: ٣٣ و هي آية: وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٦

ففى تفسير القمى كانت آية الرجم نزلت الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة نكالا من الله و الله عليم حكيم، و فى الكافى عن الصادق عليه السلام مثله الى قوله من الله «١» و قد روته العامة أيضا «٢» ، و من طريقهم أن من الآيات قوله تعالى: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ

(١)

فى الفقيه ج ٤ ص ١٧: روى هشام بن سالم عن سليمان بن خالد قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: فى القرآن رجم؟ قال عليه السلام نعم قلت: كيف؟ قال: الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة ، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٣٥٠، و فى الكافى ج ٧ ص ١٧٧ عن يونس، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الرجم فى القرآن قول الله عزّ و جلّ: إذا زنا الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة، و فى تهذيب الأحكام ج ١٠ ص ٣ روى الحديث كما فى الكافى.

أقول: و لا يخفى على المتأمل فى كلمات المحققين أن هذه الروايات و أمثالها لا تنهض حجة على المطلوب لأنها دالة على وجود النقص فى الكتاب الكريم و هو خلاف الحق. و لعل الروايات على فرض صدورهما صدرت تقيّة لأن العامة رووا عن عمر بن الخطاب أنه ادعى أن آية الرجم من القرآن، و لكنه لمّا كان وحده لم يقبل منه زيد بن ثابت و لم يكتبها فى القرآن كما قال السيوطى فى الإتيان ج ص ١٠١: خرج ابن أشته فى المصاحف عن الليث بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبو بكر، و كتبه زيد ... و إن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده و سيأتى أن حديث آية الرجم مروى فى الصحيح و المسند من كتب العامة عن عمر بن الخطاب و أبى بن كعب.

(٢) صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٦: عن ابن عباس أن عمر قال فيما قال، و هو على المنبر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق، و أنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم فقرأناها و عقلناها، و وعيناها، فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه و آله و رجمنا بعده فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل: و الله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله، و الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال، ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

و فى مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٣٢ عن زرّ بن حبيش، عن أبى بن كعب لقد رأيت سورة الأحزاب و إنها التعادل سورة البقرة و لقد قرأنا فيها الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عليم حكيم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٧

جوف ابن آدم إلّا التراب و يتوب الله على من تاب «١».

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١١٧ بإسناده عن ابن عباس: جاء رجل الى عمر فقال: أكلتنا الضبع - يعنى - فقال عمر: لو أن لامرئ واديا أو واديين لا- ابتغى إليهما ثالثا فقال ابن عباس: و لا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ثم يتوب الله على من تاب. فقال عمر لابن عباس: ممّن سمعت هذا؟ قال: من أبى قال فإذا كان بالغداه فاغد على فرجع الى أمّ الفضل فذكر ذلك لها فقالت مالك و للكلام عند عمر و خشى ابن عباس أن يكون أبى نسي فقالت أمه عسى أن يكون أبى نسي فغدا الى عمر و معه الدرّة فانطلقا الى أبى فخرج أبى عليهما و سأله عمر عما قال ابن عباس فصدّقه.

في مسنده أيضا ج ٥ ص ١٣١ مسندا عن أبي كعب قال ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال: فقرا لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب. قال فقرا فيها و لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب إلخ ...

و في صحيح مسلم بهامش صحيح البخارى ج ٤ ص ٤٣٧ فى باب كراهة الحرص على الدنيا عن أبى الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة و قراؤهم فاتلوه و لا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبهم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إننا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول و الشدة ببراءة فأنسيتها غير أنى قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى واديا ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب إلخ ...

أقول: مع ورود هذه الروايات و غيرها فى مسانيد القوم و صحاحهم الداللة على إسقاط كلمات و آيات من القرآن الكريم لماذا يشنعون على الإمامية و يطعنون عليهم بأنهم قائلون بتحريف الكتاب و نقصه مع أن القول بالنقص لا يقول به المحققون بل أجمعوا على عدم النقص و إليك ما قاله رؤساء علماء الشيعة و محققوهم فى هذا الشأن:

قال الشيخ الطوسى فى التبيان: أما الكلام فى زيادة القرآن و نقصه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، و أما النقصان فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا و هو الذى نصره المرتضى و هو الظاهر فى الروايات، غير أنه رويت روايات من جهة الشيعة و العامة بنقصان آى من آى القرآن طريقها الأحاد التى لا توجب علما و لا عملا و الأولى الأعراض عنه إلخ ...

قال السيد المرتضى على ما حكى عنه صاحب مجمع البيان: إن القرآن كان على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن لأنه يدرس و يحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عيّن على جماعة من الصحابة فى حفظهم له و أنه كان يعرض على النبى صَلَّى الله عليه وآله و يتلى عليه و أن جماعة من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٨

و الثالث نسخهما معا كما روى مما يتلى فى كتاب الله عشر

الصحابة مثل عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبى صَلَّى الله عليه وآله عدة ختمات كل ذلك يدل على أنه كان مجموعا مرتبا. و ذكر أن من خالف فى ذلك من الإمامية و حشوية العامة لا يعتد بخلافهم فإنه مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم إلخ ...

قال الشيخ الصدوق فى الإعتقادات: اعتقادنا فى القرآن أنه ما بين الدفتين و هو ما فى أيدي الناس و ليس بأكثر من ذلك و من نسب إلينا أننا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب إلخ ...

قال السيد محسن الأعرجى المحقق البغدادي فى شرح الوافية: الإجماع على عدم الزيادة و المعروف بين علمائنا حتى حكى عليه الإجماع على عدم النقيصة إلخ ...

قال المحدث الخبير و المفسر الشهير المولى محسن القاسانى فى كتابه الوافى ج ٢ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ بعد ما حكى قول الصدوق فى الإعتقادات: أشار فى أول كلامه: «أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد صَلَّى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين و ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك» الى إنكار ما قيل أن القرآن الذى بين أظهرنا بتمامه كما أنزل على محمد صَلَّى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله و منه ما هو محزف مغتير، و قد حذف منه شيء كثير: منها اسم أمير المؤمنين عليه السلام فى كثير من المواضع، و منها غير ذلك، و أنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله و عند رسوله صَلَّى الله عليه وآله و قد روى ذلك كله على بن إبراهيم فى تفسيره و

روى بإسناده عن الباقر عليه السلام أنه قال: ما من أحد من هذه الأمة جمع القرآن إلّا وصى محمد صلى الله عليه وآله

و

بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف و الحرير و القراطيس فخذوه و اجمعوه و لا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته و قال: لا- أرتدى حتى أجمعه، قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه قال: و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان

ثم قال الفيض: أقول: و في

قوله صلى الله عليه وآله: قرءوا القرآن كما أنزل

الإشارة إلى صحته ما أولنا به تلك الأخبار ... إلى أن قال: إن مرادهم عليهم السلام بالتحريف و التغيير و الحذف إنما هو من جهة المعنى دون اللفظ أى حرّفوه و غيروه في تفسيره و تأويله يعنى حملوه على خلاف مراد الله تعالى فمعنى قولهم عليهم السلام: كذا نزلت أن المراد به ذلك لما يفهمه الناس من ظاهره و ليس مرادهم عليهم السلام أنها نزلت كذلك في اللفظ فحذف ذلك. كلّه يخطر ببالي في تلك الأخبار إن صحّت فإن أصبت فمن الله تعالى و له الحمد و إن أخطأت فمن نفسي و الله غفور رحيم، و استوفينا الكلام في هذا المعنى و فيما يتعلّق بالقرآن في كتابنا الموسوم بعلم اليقين فمن أراد فليراجع إليه. علم اليقين ص ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٨٩

رضعات يحرم من «١» و يقال: إن سورة الأحزاب كان بقدر السبع الطول و أزيد ثم وقع النقصان «٢» و على كل حال فلا مانع منه كما لا مانع من

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧: روى عمره عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرم من» ثم نسخن به: خمس معلومات، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله و هن فيما يقرأ من القرآن.

(٢) الإتقان ج ٢ ص ٤٠: روى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وآله ما تى آية فلما كتب عثمان المصحف لم نقدر منها إلّا ما هو الآن.

و في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد حنبل ج ٢ ص ٤٣: روى زرّ قال: قال أبي بن كعب: يا زرّ، كأى تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: ثلث و سبعين آية، قال: إن كانت لتضاهى سورة البقرة، أو هى أطول من سورة البقرة، أقول: لا يخفى أن نسخ التلاوة أعّم من أن يكون مع نسخ الحكم أو بدونه كما فى سابقه هو بعينه التحريف و الإسقاط كما تبه عليه زعيم الأ- كبر آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئى فى بيانه حيث قال: إن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أمر يحتاج الى الإثبات، و قد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، و قد صرح بذلك جماعة فى كتاب الأصول و غيرها مثل كتاب الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى ج ٣ ص ١٠٦، بل قطع الشافعى و أكثر أصحابه و أكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة و إليه ذهب أحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين عنه، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منه وقوعه كما فى الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى ج ٣ ص ٢١٧ و على ذلك فكيف تصحّ نسبة النسخ الى النبي صلى الله عليه وآله و آله بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أن نسبة النسخ الى النبي صلى الله عليه وآله و آله تنافى جملة من الروايات التى تضمّنّت أن الإسقاط قد وقع بعده. و إن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبي صلى الله عليه وآله و آله فهو عين القول بالتحريف. و على ذلك فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة. سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ، بل تردد الأصوليون منهم فى جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، و فى جواز أن يمسه المحدث و اختار بعضهم عدم الجواز. نعم ذهب طائفة

من المعتزلة الى عدم جواز التلاوة كما في الأحكام في أصول الأحكام للآمدى ج ٣ ص ٢٠١-٢٠٣.

ومن العجب أن جماعة من علماء أهل السنة أنكروا نسبة القول بالتحريف الى أحد من علمائهم حتى أن الآلوسى كذب الطبرسي في نسبة القول بالتحريف الى الحشوية وقال: إن أحدا من علماء أهل السنة لم يذهب الى ذلك، وأعجب من ذلك أنه ذكر أن قول الطبرسي بعدم التحريف نشأ من فساد قول

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٠

سابقه «١» لما سمعت من دليل الجواز بل الوقوع، مع أن التلاوة بمعنى استحبابها واستحقاق الثواب عليها فضلا عن غيرها كحرمة المس للحدث حكم شرعي يجوز أن ينسخ كغيره من الأحكام بل وكذا إرجاعه الى نوع من الوضع ككونه قرآنا يترتب عليه أحكامه حتى في النذور والأيمان، لكونه من جعليات الشارع القابلة للرفع مضافا الى أنه لا يخرج عن الحكم القابل له.

فما ربما يحكى عن شاذ من المعتزلة من المنع عن الأوليين أعنى نسخ الحكم دون التلاوة والعكس نظرا الى عدم الانفكاك بينهما نظير التفكيك بين المنطوق والمفهوم، وبين العلم والعالمية، وأن بقاء التلاوة خاصة يوهم بقاء الحكم فيؤدي الى إعتقاد الجهل وهو قبيح من الحكيم، مع استلزامه خلو القرآن عند الفائدة، وأن العكس يشعر بزوال الحكم حيث أن الآية ذريعة الى معرفته، فالتفكيك تعريض للمكلف لا اعتقاد الجهل مع أنه عبث لا يلزم منه إثبات حكم ولا رفعه.

ضعيف جدا لا ينبغي الإصغاء اليه، ولا الى دليله بعد ظهور أن بناء النسخ بل الشريعة ولو فيما يتعلق بخصوص التلاوة الحكم على اعتبار المصالح المختلفة بالوجوه والاعتبارات التي ربما يدعو بعضها الى إثبات الحكم أو- التلاوة في بعض الأزمنة أو رفع أحدهما خاصة.

و أما ما ذكر من الوجوه فضعفها واضح.

أصحابه بالتحريف، فالتجأ هو الى إنكاره (روح المعاني ص ٢٤ ج ١) مع أن القول بعدم التحريف هو المشهور بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققهم، حتى أن الطبرسي قد نقل كلام السيد المرتضى بطوله، واستدل له على بطلان القول بالتحريف بآتم بيان و أقوى حجة كما في مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب ص ١٥.

(١) قد عرفت سابقا أن نسخ التلاوة سواء كان مع نسخ الحكم أم لا هو بعينه التحريف الممنوع جدا عند المحققين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩١

الفصل الخامس

في حجية القرآن والاستدلال بظواهره في الأصول والفروع اعلم أن جمهور أهل العلم من الفرق كلها على حجيته، والرجوع اليه و التمسك بمحكماته في جميع العلوم وكافة الفنون من الأصول والأحكام والحكم والمواظ، والقصاص، والوعد، والوعيد، وغيرها، وكان الأمر مستمرا على ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام بلا نكير منهم في الرجوع الى محكماته، وكانت الأمة تفرع اليه في إثبات مذاهبها المختلفة التي قد يعد الإعتقاد بها من الأصول فضلا عن رجوعهم اليه في الفروع، ولم يزل الأمر على ذلك الى أن حدث بعض المحدثين فأحدثوا القول بعدم جواز الرجوع اليه في شيء من الأحكام، بل منهم من منع فهم شيء منه مطلقا حتى المحكمات مثل قوله تعالى: فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ونحوهما إلا بتفسير من أصحاب العصمة عليهم السلام، وفصل بعضهم بين النص والظاهر.

ومذهب جمهور متأخريهم أن كلاً متشابه بالنسبة إلينا ولا يجوز أخذ شيء من الأحكام منه بل لا يجوز تفسير شيء من آياته إلا بعد ورود بيانه وتفسيره عن أهل البيت عليهم السلام دون النبي صلى الله عليه وآله فإن الأخبار النبوية أيضا عند كثير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٢

منهم كالكتاب لا يجوز الرجوع إليه إلا بعد ورود بيانه في اخبار الأئمة عليهم السلام حسبما تسمع اليه الإشارة. و ذكر بعضهم و هو المحدث الحرّ العالمى قدّس الله نفسه «١» إن لنا أن نستدل بالقرآن و لا يلزم التناقض لوجهين: أحدهما أنه دليل إلزامى للخصم لأنه يعتقد حجية تلك الظواهر مطلقا. و ثانيهما وجود النصوص المتواترة المخالفة للتقية الموافقة لتلك الظواهر

(١) شيخ المحدثين العالم الفقيه المتبحر الورع الشيخ الحر العالمى محمد بن الحسن بن على صاحب الرسائل الذى من على جميع أهل العلم بتأليف هذا الكتاب الشريف و الجامع المنيف الذى هو كالبحر ولد فى ٨ رجب سنة ١٠٣٣ قرء على أبيه و عمه و جده لأمه و خال أبيه و غيرهم فى مشقر «من جبل عامل بسورية» و جبع و أنتقل بعد أربعين سنة إلى العراق و انتهى إلى طوس بخراسان و اتفق مجاورته بها حتى توفى سنة ١١٠٤ هـ له غير الوسائل تصانيف قيمة آخر منها «أمل الآمال فى ذكر علماء جبل عامل» و «الجواهر السنية فى الأحاديث القدسية» و «رسالة فى ردّ الصوفية» و «رسالة فى تواتر القرآن» و «إثبات الهداء بالنصوص و المعجزات» و «أرجوزة فى الإرث» و «أرجوزة فى الإرث» و «أرجوزة فى الهندسة» و له ديوان فيه نحو عشرين ألف بيت منها فى نظم الحديث القدسى الذى رواه المسعودى فى كتاب أخبار الزمان إن الله تعالى أوحى الى إبراهيم عليه السلام: إنك لما سلّمت مالك للضعيفان و ولدك للقربان و نفسك للنيران و قلبك للرحمن اتخذناك خليلا :

فضل الفتى بالجوّد و الإحسان و الجود خير الوصف للإنسان

أو ليس إبراهيم لما أصبحت أمواله وقفا على الضيفان

حتى إذا أفنى اللهى أخذ أبنه فسخى به للذبح و القربان

ثم ابتغى النمروذ إحراقا له فسخى بمهجته على النيران

بالمال جاد و بابنه و بنفسه و بقلبه للواحد الديان

أضحى خليل الله جل جلاله ناهيك فضلا خلّة الرحمان

صح الحديث به فيا لك رتبة تعلق بأخصصها على التيجان

توفى الحر العالمى فى يوم (٢١) رمضان سنة ١١٠٤ فى المشهد المقدس بخراسان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٣

فاستدلنا فى الحقيقة بالكتاب و السنّة معا، و لا خلاف فى وجوب العمل بهما.

و على كلّ حال فالحق الذى لا محيص عنه هو حجية ما كان منه محكما متضح الدلالة، و لو من جهة الظهور العرفى الذى يفهمه أهل اللسان و يدلّ عليه بوجوه:

منها الإجماع القطعى على ذلك المنعقد من أصحاب النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام المستمر فى جميع الأعصار و الأمصار قبل ظهور الخلاف من بعض الأخباريين، بل الظاهر اتفاق قاطبة المسلمين من أهل الفرق و المذاهب كلها على التمسك بظواهره، و الأخذ بمحكّماته، و الاستدلال بها فى المقاصد الدينية، و الأحكام الشرعية، و المواعظ و القصص حتى فى أصول عقائدهم من العدل و الكلام، و القدرة و الاختيار، و المعاد، و الجنة و النار و الحساب و الثواب و العقاب و نحوها، بل فى إثبات صحة مذاهبهم كعصمة الإمام و تعيينه و لم يعهد من أحد منهم المناقشة فيه بعدم حجية الكتاب، و أنه لا عبرة بظواهره.

و الالتزام بورود نصّ مفسّر له فى كلّ ما استدلّوا به تكلف جدّا، بل لعلّه مقطوع العدم، كظهور عدم اعتبارهم على ذلك النصّ على

فرض وروده قبل تعيين المذهب.

ثم منهم من لا يعمل بأخبار الآحاد، وكثير منهم من لا يقول بحجيتها في أصول العقائد فمن أين كان سكونهم الى ذلك الخبر، ولم لم يقتصرُوا في الاستدلال على خصوص الآيات المفسرة في الأخبار.

و يؤيده استقرار الأمر من الخاصّة و العامّة خلفا عن سلف على تفسير الآيات قراءة و كتابه من دون الاقتصار على خصوص ما ورد من النبي و الأئمة عليهم السلام في كل آية من الآيات إلّا في خصوص الكلمات و الآيات المعدودة عندهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٤

في المتشابهات، بل تراهم يعدّون المروي عنهم فيها أحد الوجوه، و يتصدّون لذكر غيرها أيضا نظرا الى قوة دلالة اللفظ أو تطرّق الاحتمال، أو ظهور كون ما ورد عنهم من البطون لا- الظواهر، بل يمكن دعوى الضرورة القطعية على إرادة ظواهر كثير من الآيات حسبما يفهمه أهل اللسان الذين هم المطلعون بأساليب الكلام، و قوانين العربية، كما أنه يمكن دعواها أيضا على تشابه بعض الآيات و الكلمات الموجب للرجوع فيها الى العلماء من آل محمد.

ولذا قال الشيخ في «التبيان»: إن معاني القرآن على أربعة أوجه:

أحدها ما اختص الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه.

و ثانيهما ما يكون ظاهره مطابقا لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** (١). و ثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفضيلا مثل قوله تعالى: **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**، ثم ذكر كثيرا من الآيات التي هي من هذا القبيل، و قال: إنّه لا يمكن استخراجها إلّا ببيان من النبي صلى الله عليه و آله.

و رابعها ما كان اللفظ فيه مشتركا بين معنيين فما زاد عليهما، و يمكن أن يكون كلّ واحد منهما مرادا، فإنّه لا ينبغي أن يقدم أحد فيقول: إن مراد الله بعض ما يحتمله إلّا بقول نبي أو إمام معصوم الى آخر ما ذكره قدس سره، و لعل المراد بالاختصاص في القسم الأوّل بالنسبة الى غير النبي و الأئمة عليهم السلام و إلّا فقد علمهم الله سبحانه جميع علم القرآن، كما أن المراد بالرابع ما لم يكن هناك ظهور أو قرينة على التعيين، و ما ذكره من التفصيل لعله مستفاد عن العلوي المروي في

(١) الإسراء: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٥

«الإحتجاج» في جواب الزنديق و قد مرّ (١).

و منها الأخبار الكثيرة الدالة على استدلال الأئمة عليهم السلام بجملة من آياته و احتجاج أصحابهم بعضهم على بعض، و على خصمائهم في المذهب في مقامات كثيرة جدا من الأحكام، و غيرها الدالة على حجية ظواهرها و اعتمادهم عليها في إثبات مقاصدهم، و ردّهم على خصمائهم في إنجاح مطالبهم، و تقرير الأئمة عليهم الصلاة و السلام لهم بذلك لاستدلالهم لأصحابهم بها مرشدين لهم اليه، و استمرار هذه الطريقة بين أصحابهم و التابعين لهم من دون نكير منهم عليه خلفا عن سلف، كما لا يخفى على من تتبع الأخبار الكثيرة الواردة في أبواب الأصول و الفروع.

و منها أن ألفاظ الكتاب لو لم تكن دليلا- على إرادة معانيها بدون التفسير لتوقف كونها معجزة على ورود التفسير و بيان المعاني المرادة ضرورة أن من أظهر وجوه اعجازه على ما يأتي اشتماله على الفصاحة و البلاغة التي لا يسعها طاقة البشر حتى اعترف به فصحاء العرب، حيث عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، و من البين أن ذلك لا يتم إلّا بمعرفة المعاني المتصورة من الإلفاظ، لأنّ البلاغة إنما تعرض اللفظ باعتبار ما أريد به من المعنى، و لم ينقل أنه صلى الله عليه و آله كان يتحدّى العرب بالقرآن بعد تفسيره و بيانه لهم، كيف و لو كان الأمر كذلك لشاع و ذاع، بل قد يقال: إن ذلك يوجب خروج القرآن عن كونه معجزا بالبلاغة لتوقفه

حينئذ على التفسير، وصحته مبنية على ثبوت النبوة فإذا توقف ثبوتها على كونه معجزا لزم الدور.

(١) الإحتجاج ص ١٣٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٦

و توهم أن إعجازه إنما هو من حيث الصرفة، أو خصوص الأسلوب أو- غيرهما مما لا- توقف معه على فهم المعاني ضعيف جدا حسبما تأتي إليه الإشارة في البحث عن وجوه إعجازه.

ومنها أن الآيات المحكمة الناصة أو الظاهرة الواردة في بيان الأحكام والقصاص وغيرها.

قد ورد في تفسيرها عن أصحاب العصمة ما يوافق ظاهرها كالأخبار الكثيرة المتواترة الواردة في أبواب الإرث موافقة لظاهر الآيات، و الواردة في أحكام النكاح والطلاق ومدة العدة، والظهار، والإيلاء، والكفارات والمطاعم ومصارف الخمس، والصدقات، و مناسك الحج، وكيفية الوضوء، والتميم، وغيرها، بل الواردة في بيان قصص الأنبياء والمواعظ والمواعيد وأحوال المعاد ونحوها، وبالجملة من تصفح جملة يسيرة مما ذكرناه حصل له القطع بأن ظواهر هذه الآيات هي المقصودة منها، بل من ملاحظة المطابقة بينها وبين الأخبار المروية في تفسيرها المطابقة لظواهرها على حسب ظاهر الأفهام يحصل القطع بأن ظاهر كل ما له ظاهر من الآيات هو الحجته، وهو المقصود من سوق الخطاب، وإن كان غيره مقصودا أيضا من باب التأويل واستنباط شيء من البطون السبعة أو السبعين التي لا يمنع حجيتها بعضها بعد استفادته من حجيتها غيره كما ستسمعه في موضعه.

ومنها جملة من الآيات الكريمة التي لا دور في الاستدلال بها بعد القطع بإرادته مفادها الذي هو كون القرآن عربيا واضح الدلالة منزلا عليهم بلسانهم لتذكرهم، وتفكرهم، وخشيتهم.

كقوله تعالى: **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ**

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٧

يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «١».

وقوله تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** «٢».

وقوله: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** «٣».

وقوله: **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** «٤»، الى قوله تعالى: **وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ** «٥».

وقوله تعالى: **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا** «٦».

وقوله: **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** «٧».

وقوله تعالى: **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** «٨».

(١) الزمر: ٢٧-٢٨.

(٢) محمد: ٢٤.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٥) الشعراء: ١٩٨-١٩٩.

(٦) طه: ١١٣.

(٧) الشورى: ٧.

(٨) الحشر: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٨

وقوله تعالى: وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ «١».

وقوله: انظُرْ كَيْفَ بُيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ «٢».

وقوله: انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ «٣».

وقوله تعالى: قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «٤». وفي آية: لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ «٥». وفي أخرى: لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ «٦».

وقوله: وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «٧» وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ «٨».

وقوله: إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشِرُونَ «٩» وقوله تعالى:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتَقَصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ «١٠».

(١) ص: ١٩.

(٢) المائدة: ٩٣.

(٣) المائدة: ٧٥.

(٤) الأنعام: ٤٦.

(٥) الأنعام: ٩٧.

(٦) الأنعام: ٩٧.

(٧) الأعراف: ٥٢.

(٨) الإسراء: ١٠٦.

(٩) التوبة: ١٢٤.

(١٠) النمل: ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٩٩

وقوله تعالى: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا «١».

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ «٢».

وقوله تعالى: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا «٣».

وقوله تعالى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ «٤».

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي لا- يخفى وجوه دلالتها على المطلوب فلا- داعى الى الإطناب بالتقريب، بل ربما يحصل القطع

بذلك أيضا من ملاحظة بعض الخطابات الواردة فيه النازلة منزلة الخطابات الشفاهية التي لا واسطة فيها أصلا.

كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، يَا بَنِي آدَمَ، يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، يوصيكم في أولادكم، الى غير

ذلك من الآيات الكثيرة المشتملة على الخطاب لعامة المكلفين، أو المصدرة بذكر المخاطب المستفاد منها كونها خطابا منه سبحانه

لهم، أو لصنف منهم المستلزم لفهمهم تلك الخطابات من دون واسطة.

ولذا ورد الأمر بسؤال الجنة وغيرها من الخيرات، والاستعاذة عن النار

(١) الحج: ٧٢.

(٢) يونس: ٥٧.

(٣) الإسراء: ٤١.

(٤) القمر: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ١٤٩٢

وغيرها من الشرور عند قراءة الآيات المتضمنة لها، وورد في كثير من الآيات الأمر بالتفكير والتدبر عند التلاوة، قال شيخنا الطوسي في تفسير قوله تعالى:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «١».

إن فيه دلالة على بطلان قول من قال: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلّا بخبر وسمع وفيه تنبيه أيضا على فساد قول من يقول: إن الحديث ينبغي أن يروى على ما جاء وإن كان مخالفا لأصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكير، وذلك مناف للتعامل والتجاهل «٢».

وقال في تفسير أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ الْآيَةُ «٣»: أنها تدل على فساد قول من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلّا بتفسير الرسول من الحشوية «٤» وغيرهم لأنه تعالى حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه «٥».

ومن هذا الباب ما يدل على كونه خطابا للمشركين واحتجاجا عليهم وعلى اليهود والنصارى مع أن ذلك يتوقف على فهمهم و لولا لاه لما صح ذلك ومنه

(١) محمد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤٠ ط. صيدا أفست مصطفى.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) قال العلامة النسابة الفقيه البحاثة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله في تعليقاته القيمة على «إحقاق الحق» ما هذا لفظه: الحشوية قيل بإسكان الشين لأن منهم المجسمة والمجسمة مشو والمشهور أنه بفتحها نسبة إلى الحشا لأنهم كانوا يجلسون أمام الحسن البصري في حلقة فوجد في كلامهم «رويا» فقال؛ روي هؤلاء الأحشاء الحلقة أي جانبها والجانب يسمى حشاء ومنه الأحشاء لجوانب البطن - أقول: كلمه روي مفعول وجد والمراد أن الحسن رأى قوما في حلقة يستندون في كل شيء من العقلية والسمعية برواية رويت.

(٥) مجمع البيان ج ٣ ص ٨٠ ط. صيدا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠١

قصه إرسال البراءة إلى مكة، إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون «١».

ومنها قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ الْآيَةُ «٢» حيث دلت على تقسيم الكتاب إلى محكم ومتشابه، ثم على الذم والإنكار على من أتبع المتشابه طلبا لإيثار الفتنة و طلبا لتأويله مع أنه لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، والظاهر من تخصيص الذم على اتباع المتشابه أنه لا ذم على إتباع المحكم، كما يستفاد منها بل من مجرد التقسيم إليهما مع ملاحظة التسمية حجية الأول دون الثاني ضرورة أن الظاهر المنساق من المحكم بل المفسر به عندهم ما كان محكم الدلالة، بحيث تكون دلالة على ما أريد منه متضحة كما أن المتشابه ما لم تتضح دلالة لتشابه محتملاته بحيث لا مرجح ولا معين لشيء منها، بل يستفاد ذلك أيضا

من أخبار كثيرة أمره بالأخذ بالمحكم و ردّ المتشابه إليه، و أن من ردّ متشابه القرآن الى محكمه فقد هدى الى صراط مستقيم، و أن المتشابه ما يشبهه على جاهه، و ما يشبهه بعضه بعضا الى غير ذلك مما يورث القطع بحجية المحكم، و أنه ما كان واضح الدلالة حسب ما مرّت إليه الإشارة و تأتي.

و من هنا يظهر سقوط ما قيل في الاعتراض على الاستدلال به من أن هذه الآية محكمة في ذمّ اتباع المتشابه، و أما وجوب اتباع المحكم فلا- يستفاد منها إلّا ظنّاً، إذ كون بعض الكتاب محكما و كون المحكم أم الكتاب لا يدل على وجوب اتباعه، و ذمّ اتباع المتشابه بل على عدم ذمّ اتباع المحكم بمفهوم اللقب

(١) النمل: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٢

و هو كما في كمال الضعف، سلّمنا و لكن نقول: إن وجوب الرجوع اليه ممّا لا- نزاع فيه لأحد، إنّما النزاع في كون الظاهر محكما بالنسبة إلينا و ما ثبت حقيقة شرعية و لا غيرها في المحكم بحيث يدخل الظاهر فيه قطعاً، و المستدلّ إنّما استدللّ بها بناء على كون الظاهر محكما.

أقول: لا ينبغي التأمّل من حجّية المحكم بعد ملاحظة الآية و الأخبار بل الضرورة، و لذا نفى عنه الخلاف في صريح كلامه، و أما كون الظاهر محكما بالنسبة إلينا فقد سمعت استفادته من جملة من الأخبار بل من الآية أيضا مضافا الى ما عن تفسير النعماني بإسناده المعروف عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رواه القمي في تفسيره مرسلا قال صلّى الله عليه و آله: و المحكم ممّا ذكرته في الأقسام ما تأويله في تنزيهه من تحليل ما أحلّ الله سبحانه في كتابه، و تحريم ما حرّم الله فيه من المأكّل و المشارب و المناكح.

و منه ما فرض الله عزّ و جلّ من الصلوة و الزكاة، و الصيام، و الحجّ و الجهاد و ما دلهم به ممّا لا غنى بهم عنه في جميع تصرفاته مثل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الْآيَةَ «١». و هذا من المحكم الذي تأويله في تنزيهه، و لا يحتاج في تأويله الى أكثر من التنزيل، و منه قوله عزّ و جلّ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ الْآيَةَ «٢» فتأويله في تنزيهه، فهذا كله محكم لم ينسخه شيء قد استغنى بتنزيهه عن تأويله «٣».

و

قال (عليه السلام) في موضع آخر: و أما ما في القرآن تأويله في تنزيهه فهو

(١) المائدة: ٦.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩٧ باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٣

كل آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور المتعارفة التي كانت في أيام العرب تأويلها في تنزيهها، فليس يحتاج فيها الى تفسير أكثر من تأويلها و ذلك مثل قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ امُّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ الْآيَةَ «١»، و قوله: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ الْآيَةَ «٢»، و قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا «٣» و قوله: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا «٤» و قوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً «٥».

و مثل ذلك في القرآن كثير مما حرم الله سبحانه لا يحتاج المستمع له الى مسألة عنه: و قوله عزّ و جلّ في معنى التحليل: أَجِلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَ طَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ «٦»، و قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا «٧» و قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ «٨»، و قوله تعالى: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ «٩»،

(١) النساء: ٢٣.

(٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) البقرة: ٢٧٨.

(٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) البقرة: ١٥١.

(٦) المائدة: ٩٦.

(٧) المائدة: ٢.

(٨) المائدة: ٤.

(٩) المائدة: ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٤

و قوله تعالى: أَجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقَّتِ إِلَى نِسَائِكُمْ «١»، و قوله تعالى:

لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ «٢» و مثل هذا كثير في كتاب الله الخبر «٣».

و هو صريح في أن نوع تلك الآيات التي لها ظواهر عرفية كـلّه من المحكمات التي تأويلها بحيث يفهم معانيها كل من كان من أهل اللسان و المقصود من ذكر الآيات التمثيل لا الحصر و لذا تبيّه في آخر الخبر على كثرة مثله في الكتاب.

و منها الأخبار الكثيرة الدالة على عرض الأخبار عند التعارض أو الشك في صحتها أو مطلقا على كتاب الله المستفاد منها كونه واضح الدلالة مع الإغماض عن الأخبار المفسرة له، إذ لو لم يفهم منه شيء إلا بتفسيرهم لانتفت فائدة العرض.

ففي عدّه من الصحاح وغيرها: إنّ على كل حقّ حقيقته، و على كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه «٤».

و

في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السّلام: انظروا أمرنا، و ما جائكم منا، فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به، و إن لم تجدوه موافقا فردّوه «٥».

و

في خبر آخر طويل: فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) المائدة: ٨٧.

(٣) بحار الأنوار ج ١٩ ص ١١١ باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام في أصناف آيات القرآن. ط. القديم.

(٤) المحاسن ص ١٢٦، الأمالي للصدوق ص ٢٢١.

(٥) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٦. بيروت المعلق بتعليقات الرازي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٥

على كتاب الله فما كان في كتاب الله موجودا حلالا أو حراما فأتبعوا ما وافق الكتاب الخبر «١».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا ينبغي الاعتراض عليها بأن غاية ما يستفاد من العرض عليه كونه أماره لصحة الأخبار و عدمها، و اين هذا من حجتيه بنفسه، فقد ورد في عدة من الأخبار لزوم الأخذ بما خالف العامة و بما وافق الشهرة، و لا يستفاد منه حجية الخلاف و الوفاق بل و لا حجية الشهرة، غاية الأمر كونها باعتبار موافقة الخبر لها و مخالفتها جابرة و كاسرة، و أما حجيتها فمن أين؟ و بأن المراد من الآيات التي يجب العرض عليها هي المفسرة عن الأئمة عليهم السلام، و أما ما لم يعلم تفسيرها منهم فليس مما يجب العرض عليه.

لضعف الأول بأنه لا يمكن العرض عليه إلا بعد فهم معناه المقصود و لا خلاف لأحد في أنه إذا فهم المعنى المقصود من الكتاب فهو الحجة قطعا، و ضعف الثاني أيضا بأن الظاهر منها لزوم العرض عليه من حيث نفسه و أما إذا كان مبينا بيان الأئمة عليهم السلام فمع أنه لا مجال حينئذ للشك في صحة الخبر، أو ترجيحه على غيره لا ريب أن الاعتماد حينئذ على بيان الأئمة - عليهم السلام لا الكتاب، فإن ظاهر قوله فما كان في كتاب الله موجودا حلالا أو حراما، و قوله فإن وجدتموه للقرآن موافقا، أن العبرة بموافقتها و مخالفتها له في نفسه، و هو يدل على أن له ظاهرا هو المقصود منه يمكن للعارض فهمه، و منها ما صح عن النبي صلى الله عليه و آله عند العامة فضلا عن الخاصة، بل ادعى بعضهم تواتره، بل هو كذلك على ما مرّت اليه الإشارة من قوله عليه السلام: إني تارك فيكم الثقيلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله

(١) عيون الأخبار ط. قم ج ٢ ص ٢٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨١ عن العيون. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٦

و عترتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض «١»

، فإن ظاهر الأمر بالتمسك سيما مع ملاحظة عطف أهل البيت عليهم السلام عليه الدال على المغايرة استقلال كل منهما بالإفادة، و عدم افتراقهما كما في الخبر لا يدل على توقف فهم جميع القرآن على بيان أهل البيت عليهم السلام بل يكفي أن يكون فائدة ذلك تفهيم المتشابهات و استنباط جميع العلوم من الكتاب، فإنه

قد ورد أنه ما من شيء مما كان أو يكون الى يوم القيامة إلا و علمه في الكتاب، و إن فيه علم الأرض و علم السماء «٢».

و أيضا المراد من الخبر إريا أن يكون لزوم التمسك بكل منهما لاستقلال كل في الحجية، أو بهما معا أو بالعترة مستقلا و بالكتاب بشرط بيان العترة له، و أما الثالث فيلزمه التفكيك المخالف للظاهر جدا، بل المقصود من الخبر خلافه، و أما الثاني فيلزمه عدم حجية كلام العترة إذا لم يفصح عنه الكتاب و هو كما ترى.

و أو هن منه توهم أن حجية أقوالهم إنما هي لدليل آخر فيتعين الأول:

و يمكن أن يقال: إننا نختار الثاني، و يؤيده الحكم بعدم الافتراق، و حينئذ نقول في الجواب عن قوله: (عدم حجية كلام العترة) أنه بعد القول بعصمتهم و أن علومهم مستفادة من الكتاب إذ فيه تفصيل كل شيء علمنا إذا أخبر الإمام عليه السلام بحكم من الأحكام أنه في كتاب الله و العترة مجتمعان على ذلك.

و يمكن الجواب عنه بأن الكتاب أيضا حاله كذلك، إذ الحكم المستنبط منه نعلم أنه لو سئل عن الأئمة عليهم السلام لأفتوا به فاتفقا عليه، إلا أن فيه أن استفادة الحكم من الكتاب أول الكلام، إذ للخصم أن يقول أن ما نفهمه ليس هو بعينه مراد الله

(١) هذا الحديث كما مر سابقا مما اتفق على نقله و الف كتب قيمة فيه مثل كتاب الثقيلين من العبيقات للمير حامد حسين قدس سره في جلدتين و غيره.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٩٥، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٧

تعالى، بل نحتاج في استفادة مراده الى بيان الأئمة و إثبات حجيتهم ظواهرها بأدلة أخرى إغراض عن الاستدلال به، و كيف كان فالاستدلال بالخبر لا يخلو عن نظر.

و منها جملة من الأخبار التي مَرَّت الإشارة الى شطر منها كبعض أخبار العرض، و ما ورد في تفسير المحكم و المتشابه، و في فضل القرآن و شرفه، و أنه المخرج من الفتنة، و هو الفصل ليس بالهزل، و لا يشيع منه العلماء، و لم تلبث الجن إذا سمعته «ان قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشده، و أنه إذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، و ما حل مصدق، و من جعله أمامه قاده الى الجنة، و من جعله خلفه ساقه الى النار، و هو الدليل يدل على خير سبيل، هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و أن من استضاء به نور الله، و من عقد به أموره عصمه الله، و من تمسك به أنقذه الله، و من لم يفارق أحكامه رفعه الله، و من استشفى به شفاؤه الله، و من آثره على ما سواه هداه الله، و من طلب الهدى في غيره أضله الله، و من جعله شعاره و دثاره أسعده الله (١)».

بل

في الخبر عن السجاد عليه السلام أن القرآن بلغه العرب فيخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، أما نقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد و قتلوا فيه أغرتهم على بلد و فعلتم كذا الخبر.

و

في موثقة عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل شرب الخمر في عهد أبي بكر و عمر، و اعتذر بجهله بالتحريم، فسألا أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٩ ط. القديم. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٨

فأمر عليه السلام بأن يدار به على مجالس المهاجرين و الأنصار و قال: من كان قرء عليه آية التحريم فليشهد عليه، ففعلوا ذلك، فلم يشهد عليه أحد فخلّى عنه (١)».

و نحوه

رواية أبي بصير عنه عليه السلام و فيها: فإن لم يكن تلى عليه آية التحريم فلا شيء عليه (٢)».

و

عن «الخصال» عن النبي صلى الله عليه و آله: إنما أتخوف على أمتي من بعدى ثلث خلال أن يتأولوا القرآن على غير تأويله، أو يبتغوا زلّة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا، و سأنبئكم المخرج من ذلك، و أمّا القرآن فاعملوا بمحكمه، و آمنوا بمتشابهه (٣)».

و

في «جامع الأخبار» (٤) و «غوالي اللثالي» عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إن

(١) الفروع من الكافي ج ٧ ص ٢١٦.

(٢) الفروع من الكافي ج ٧ ص ٢٤٩.

(٣) الخصال ص ٧٦ ط. الشفيعي بطهران.

(٤) كتاب جامع الأخبار اختلف في مؤلفه، المشهور أنه للصدوق و لكنه خلاف التحقيق. قال المحدث الخبير العلامة المجلسي قدس

سره في مقدمة البحار: أخطأ من نسب كتاب جامع الأخبار الى الصدوق، بل يروى عن الصدوق بخمس وسائط، وقد يظن كونه تأليف مؤلف مكارم الأخلاق، و يحتمل كونه لعلى بن سعد الخياط، لأنه قال الشيخ منتجب الدين في فهرسه: الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن أبي سعد الخياط عالم، ورع واعظ، له كتاب الجامع في الأخبار، و يظهر من بعض الكتاب أن اسم مؤلفه محمّد بن الشعيري، و من بعضها أنه يروى عن الشيخ جعفر بن محمد الدرويستي بواسطة و يظهر من تعليقه البحار ج ١ ط الآخوندي بطهران أن مؤلف جامع الأخبار كان من علماء عصر الخامس و السادس من الهجرة حيث نقل عن جامع الأخبار ص ١٠: حدثنا الحاكم الرئيس الإمام مجد الحكام أبو منصور علي بن عبد الله الزيادي أدام الله جماله أملاء في داره يوم الأحد الثاني من شهر الله الأعظم رمضان سنة ثمان و خمسمائة. قال حدثني الشيخ الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الدرويستي إملاء أورد القصة مجتازا في أواخر ذى الحجة سنة أربع و سبعين و أربعمائه. قال حدثني أبو محمد بن أحمد. قال حدثني الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه إلخ .. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٠٩

كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، و الإشارة، و اللطائف، و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء «١».

دلالة هذه الروايات على المطلوب بيّنه، و المراد بالخواص غير الأئمة المعبر عنهم بالأولياء و إلا لا تحدّث معها و صارت الأربعة ثلثة، مضافا الى مقابلتها للعوام فلكل من الطوائف الأربع حظّ و نصيب من فهم القرآن و علمه.

و

في «الاحتجاج» عنه عليه السلام في حديث الزنديق الذي جاء بأى من القرآن زاعما تناقضها حيث قال عليه السلام بعد كلام طويل: ثم إن الله جلّ ذكره بسعة رأفته و رحمته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدلون قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه و لطف فهمه و حسّه و صحّ تمييزه ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلّا الله و أمناؤه الراسخون في العلم الخبر «٢».

و

في العلوي المذكور في «النهج» و غيره بعد قوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ آيَةٌ «٣»: فالردّ الى الله الأخذ بمحكم كتابه، و الردّ الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفترقة، ففي «النهج» في معنى الخوارج و لما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا لم تكن الفريق المتولّى عن كتاب الله تعالى قال الله سبحانه: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ «٤» فردّوه الى الله نحكم بكتابه «٥».

(١) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٧ ط. القديم عن الدرّة الباهرة.

(٢) الاحتجاج: ص ١٣٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤٣.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) نهج البلاغة لفيض الإسلام ص ٣٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٠

و من هنا يظهر أن الآية المفسّرة بالخبر حجة لنا، و أنّ الجهل بالمراد من الردّ الى الله ضعيفة بعد ظهوره من المقابلة في الآية و تفسيره في الخبر، كضعف احتمال إرادة الرّد إليها معا، فإنّ الردّ الى كلّ ردّ الى الكلّ، لعدم الفرقة عند الفرقة.

و أمّا ما يقال: إنّ المحكم لا- نعلم المراد به سلّمنا كون الآية منه لكنّا تنازعنا في جواز العمل بالظواهر، فإن دلّت على الجواز فأين

موضع الإفادة، أو على الرجوع الى محكم غيرها فأين ذلك المحكم.

ففيه أن الظاهر من المحكم عرفا ما كان له دلالة ظاهرة يفهمها أهل اللسان و هو الظاهر من الأخبار الواردة في تفسيره أيضا، بل و من مقابلته بالمشابه المفسر في كلامهم عليهم السلام بما اشبهه على جاهة، و أما ما هو المرجع في المتنازع فيه فالآيات الكثيرة التي مَرَّت إليها الإشارة.

و من أطرف ما أورد على الاستدلال بها في المقام معارضتها بقوله تعالى:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿١﴾ وقوله تعالى: مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٣﴾ وقوله تعالى: لِيُتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤﴾ وقوله تعالى: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴿٥﴾، الآيات، و هو كما ترى.

و

عن تفسير العياشي عن هشام رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قيل له روى

(١) النساء: ٦٥.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) النحل: ٤٤.

(٥) النساء: ٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١١

عنكم أن الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال، فقال عليه السلام: ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون «١».

و

عن كنز الفوائد للكراچكي «٢» قال جاء في الحديث أن قوما أتوا رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا: أ لست رسول الله تعالى؟ قال لهم: بلى، قالوا له: و هذا القرآن الذي أتيت به كلام الله تعالى؟ قال عليه السلام: نعم، قالوا: فأخبرنا عن قول الله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ «٣»، إذا كان معبودهم معهم في النار فقد عبدوا المسيح، أ فنقول: إنه في النار؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله سبحانه أنزل القرآن على بكلام العرب، و المتعارف في لغتها أن ما لما لا يعقل، و من لمن يعقل، و الذي يصلح لهما جميعا، فإن كنتم من العرب فأنتم تعلمون هذا قال الله تعالى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ يريد الأصنام التي عبدوها و هي لا تعقل، و المسيح لا يدخل في جملتها فإنه يعقل، و لو قال: إنكم و من تعبدون لدخل المسيح في الجملة، فقال القوم: صدقت يا رسول الله.

و

في «الكافي» و «المحاسن» عن محمد بن منصور قال سألت عبدا

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٤١، وسائل الشيعة ج ٢ أبواب ما يكتسب به باب ١٠٠.

(٢) قال مؤلف البحار في مقدمته: و أما الكراچكي فهو من أجلة العلماء و الفقهاء و المتكلمين و أسند إليه جميع أرباب الإجازات. و كتابه كنز الفوائد من الكتب المشهورة التي أخذ عنه جل من أتى بعده.

و سائر كتبه في غاية المتانة. و قال الشيخ منتجب الدين في فهرسه: الشيخ العالم الثقة أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي فقيه الأصحاب قرء على السيد المرتضى علم الهدى و الشيخ الموفق أبي جعفر و له تصانيف منها: كتاب التعجب، و كتاب النوادر. كان

الكرجكي فقيها، أصوليا، محدثا، عالما بالنجوم والهيئة، نحويا لغويا، طيبا متكلمًا. من كبار العلماء وأعظم الإمامية. تلمذ على الشيخ المفيد، والسيد المرتضى و سافر في طلب العلم الى بلاد كثيرة و أكثر أقامته في الديار المصرية. توفي سنة ٤٤٩.

(٣) الأنبياء: ٩٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٢

صالحا (١) عن قول الله عزّ وجلّ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر و ما بطن، قال عليه السّلام إنّ القرآن له ظاهر و باطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن فهو حرام على ظاهره كما هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الجور، و جميع ما أحلّ الله في الكتاب فهو حلال و هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الهدى (٢).

و

في العلل عن الباقر عليه السّلام في حديث الطينة في قوله تعالى: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ (٣) قال عليه السّلام: هو في الظاهر ما تفهمونه و في الباطن كذا إلخ .. (٤)

و

في «الخصال» عن النبي صلّى الله عليه و آله: أمّا القرآن فاعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه (٥).

و

عن الصادق عليه السّلام قال: القرّاء ثلاثة (ثم ذكرهم و ذمّ إثنين منهم و مدح واحدا و هو) من يعمل بمحكمه، و يؤمن بمتشابهه، و يقيم بفرائضه، و يحلّ حلاله، و يحرم حرامه (٦).

و

في «العيون»، من ردّ متشابه القرآن الى محكمه فقد هدى الى صراط مستقيم (٧).

(١) المراد بالعبد الصالح موسى بن جعفر عليهما السّلام.

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٧٤ بتفاوت يسير من الألفاظ.

(٣) يوسف: ٧٩.

(٤) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٩ في تفسير سورة يوسف عن علل الشرائع للصدوق.

(٥) الخصال للصدوق ج ١ ص ٧٦ ط. الشفيعي بطهران.

(٦) الخصال للصدوق ج ١ ص ٢٩٠ ط. الآخوندي بطهران.

(٧) عيون أخبار الرضا للصدوق ج ١ ص ٢٩٠ ط. الآخوندي بطهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٣

و

في «الكافي» و «الفتاوى» عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام:

قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ (١)، قال عليه السّلام: ما أبينها من شهد فليصمه، و من سافر فلا يصمه (٢).

و

في «الكافي» و «التهذيب» عن الصادق عليه السّلام في حديث قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٣)، فلو سكت لم يبق أحد إلّا تعجّل لكنّه قال: وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٤). (٥)

و

في «العلل» في الصحيح و تفسير العياشي عن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السّلام ألا تخبرني من أين علمت و قلت إنّ المسح

ببعض الرأس و بعض الرجلين؟

فضحك (عليه السلام) و قال: يا زرارَةَ قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ نَزَلَ بِهِ الْكِتَابُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فَاعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ فَوَصَلَ اللَّهُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ بِالْوَجْهِ، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِهَمَا أَنْ يَغْسَلَا إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثُمَّ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ فَقَالَ:

وَ أَمْسَلِيحُوا بِرُؤُوسِكُمْ فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ بِرُؤُوسِكُمْ أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ، ثُمَّ وَصَلَ الرَّجْلَيْنِ بِالرَّأْسِ كَمَا وَصَلَ الْيَدَيْنِ بِالْوَجْهِ، فَعَرَفْنَا حِينَ وَصَلَهُمَا بِالرَّأْسِ أَنَّ الْمَسْحَ عَلَى بَعْضِهَا الْخَيْرُ «٦» ، وَ قَرِيبٌ مِنْهُ خَيْرَانِ آخِرَانِ.

و

فِي «الْكَافِي» وَ «التَّهْذِيبِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ قَالَ: قُلْتُ

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) الفروع من الكافي ج ١ ص ١٩٧، من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٩.

(٣) البقرة: ٢٠٣.

(٤) البقرة: ٢٠٣.

(٥) الفروع من الكافي ج ١ ص ٣٠٧، التهذيب ج ١ ص ٥٢٤.

(٦) علل الشرائع ص ١٠٣، من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٠، الفروع من الكافي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٤ لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة «١» فكيف أصنع بالوضوء؟ فقال عليه السلام: يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله، قال الله تعالى:

وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «٢» امسح عليه «٣».

و

عنه عليه السلام في ذبائح أهل الكتاب فقال عليه السلام: قد سمعتم ما قال الله تعالى في كتابه، قالوا نحب أن نخبرنا فقال عليه السلام: لا تأكلوها «٤» إلخ.

و

في الصحيح عنه عليه السلام: لو أن رجلا دخل في الإسلام فأقر به ثم شرب الخمر، و زنى، و أكل الزبا، و لم يتبين له شيء من الحلال و الحرام، لم أقم عليه الحد إذا كان جاهلا إلا أن تقوم عليه البيئة أنه قرأ السورة التي فيها الزنا، و الخمر، و أكل الزبا «٥». و في أخبار كثيرة عنهم الاستشهاد بكثير من الآيات بل في أكثرها: ألم تسمع الله تعالى يقول: ألا ترى أن الله تعالى قال؟ أما تتلو كتاب الله؟ أما تقرأ من القرآن كذا؟ أما تقرأ كتاب الله؟ أما سمعت قول الله؟ بل كثير منها البحث عن الدلالة و كفيئتها كما سمعت الخبر في كفيئته المسح، و في تفسير إنكم و ما تعبدون، و غيره.

و

في الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم قالوا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ فقال عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

(١) المرارة هي الجبيرة.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الفروع من الكافي ج ١ ص ١٠٣.

(٤) التهذيب ج ٢ ص ٣٥٤.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٥.

وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ «١» فصار التقصير في السفر واجبا، كوجوب التمام في الحضر، قالوا: قلنا: إنما قال الله عزَّ و جلَّ: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ «٢»، و لم يقل افعلوا فكيف أوجب ذلك؟ كما أوجب التمام في الحضر فقال عليه السَّلام: أو ليس قد قال الله: إِنَّ الصَّفاَ وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٣» ألا- ترون أنَّ الطواف بهما واجب مفروض، لأنَّ الله تعالى ذكره في كتابه، و صنعه نبيه (صلى الله عليه و آله) و كذلك التقصير بهما واجب مفروض، لأنَّ الله ذكره في كتابه، و صنعه نبيه صلى الله عليه و آله و ذكره الله تعالى في كتابه الخبر «٤».

و الدلالة بينة، و قرينة التجوز على فرضه قوله و فعله عليه السَّلام و التعكيس موهون جدا، الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا داعي الى التعرُّض لها بعد التأمل في الوجوه المتقدمة التي يمكن تحصيل القطع من ملاحظة كل منها بانفراده، فإنَّ من لاحظ جميع الأخبار الواردة في تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، بل غيرها من القصص و المواعظ، و المواعيد، و الأصول، و غيرها مع ملاحظة مطابقة مداليل تلك الأخبار للآيات، و كذا استشهاد الأئمة عليهم السَّلام بها، و كذا الصحابة، و التابعين.

و عدم سؤالهم عن تفسيرها إلا ما كان متشابها منها يقطع بأن مداليلها الظاهرة مقصودة منها، و إن كان غيرها مقصودة أيضا سيما مع كون الكتاب على نظم عجيب، و نمط غريب، و اشتماله على وجوه الفصاحة و البلاغة

(١) النساء: ١٠١.

(٢) النساء: ١٠١.

(٣) البقرة: ١٥٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤١، تفسير العياشي ج ١ ص ٢٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٦.

و الاستعارات الرائقة، و الكنايات المبتكرة الفائقة، و محاسن العبارات، و لطائف الإشارات و غيرها من الأمور المتوقفة على فهم المعنى، كيف و لو لم يكن ما نفهمه من الظواهر مقصودا لم نقدر على استنباط تلك الأمور و فهمها، و لا على العلم بكونه معجزة باقية على مرَّ الدهور و الأيام، بل علما لهداية كافة الأنام.

و أيضا لم يعهد الطعن على أحد في الإحتجاج في إثبات المسائل الأصولية و الفقهية و الكلامية، و من ثم ترى كل ذي فن و علم يجتهد في انتهاء علمه الى الكتاب، و الاستدلال به لمقصوده.

و أيضا لم يمنع أحد عن تفسير الكتاب و تدريسه و تصنيفه بل نجد كثيرا من أصحابهم ممن صنَّف فيه، و في خصوص الآيات المتعلقة بالأحكام المضبوطة عندهم بما يقرب من خمسمائة، بل نجد التفاسير المأثورة عنهم عليهم السَّلام كتفسير مولانا أبي محمَّد العسكري عليه السَّلام و غيره مطابقة للظواهر المستفادة إلا ما كان فيها من المواطن و التأويلات.

و أيضا المعهود من طريقة جميع أصحاب المذاهب و الملل و الأديان و النحل إتباع الكتاب المنزل عليهم من ربهم أو الموروث من رئيسهم، و صاحب مذهبهم.

و من ثم لم يعهد من الله سبحانه ذم اليهود و النصرارى بالعمل بما وجدوه في التوراة و الإنجيل بل ورد الأمر بإقامتهما و اتباع ما أنزل الله فيهما.

بل لعلَّ الضرورة قائمة على لزوم العمل بالظواهر المستفادة من الكتب الإلهية سيما القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل و كانت الأئمة مجمعة على ذلك حتى الأخباريين منهم، حتى أن جملة منهم قد صدّروا كتبهم، والاستدلال على مطالبهم بالآيات القرآنية، كصاحب «روضه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٧

الواعظين»، و «دعائم الإسلام» و «جامع الأخبار».

وقال ثقة الإسلام في «الكافي»: و أنزل عليه الكتاب فيه البيان و التبيان قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون، الى أن استدل بجملة من الآيات على وجوب التفقه في الدين «١».

و الصدوق قد استدلل في مواضع من «الفاقيه» و «الإعتقادات» و «إكمال الدين» و غيرها من كتبه بجملة من الآيات، و لم تنزل الشيعة الإمامية بل الأمة كافة مجتمعة على ذلك في جميع الأعصار و الأمصار الى أن نشأ جملة من المحدثين كالأمين الاسترآبادي «٢» و الشيخ الحرّ العاملي «٣» و بعض ممن تبعهما فيه فرفضوا حجية الكتاب، و منعوا عن الاستدلال به، لا لما كان سلمان «٤» يقول

(١) خطبة كتاب الكافي ص ٣ الى ص ٧.

(٢) قال الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل: مولانا محمد أمين الاسترآبادي فاضل محقق ماهر، متكلم فقيه، محدث ثقة، جليل، له كتب منها كتاب الفوائد المدنية و مصنفات أخرى يروى عن شيخنا زين الدين بن محمد بن الحسن العاملي، و قد ذكره صاحب السلافة و أثنى عليه و ذكر أنه جاور بمكة و توفي بها سنة (١٠٣٦) كان رحمه الله في مبادئ أمره داخلا في دائرة الاجتهاد، ثم رجع و ألف الفوائد و حمل في كتبه على المجتهدين.

(٣) قد مرّت ترجمته من قبل.

(٤) سلمان الفارسي: صحابي: من مقدميهم. كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من أصبهان عاش عمرا طويلا، و اختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده، و قالوا: نشأ في قرية جيان، و رحل الى الشام، فالموصل، فنصيبين، و قرأ كتب الفرس و الروم و اليهود و قصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كليب فاستخدموه، ثم استعبدوه و باعوه، فاشتراه رجل من قرية فجاء به الى المدينة، و علم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبي صلى الله عليه و آله بقباء و سمع كلامه، و لازمه أياما، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه فأظهر إسلامه، و كان قوى الجسم، صحيح الرأي عالما بالشرائع و غيرها، و هو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق في الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون و الأنصار و كلاهما يقول:

سلمان منّا،

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله سلمان منّا أهل البيت

، و

سئل عنه على عليه السلام: امرؤ منّا و إينا أهل تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٨

للناس على ما

رواه شيخنا الكشي بإسناده عن محمد بن حكيم قال: ذكر عند أبي جعفر سلمان فقال ذاك سلمان المحمدي، أن سلمان منّا أهل البيت، إنّه كان يقول للناس هربتم من القرآن الى الأحاديث و جدتم كتابا رفيعا حوسبتم على التفسير و القطمير و الفتيل، و حبة خردل فضاقت ذلك عليكم و هربتم الى الأحاديث التي اتسعت عليكم، إلخ «١».

بل لشبهة عرضت لهم قد نشأت من ملاحظة الأخبار الكثيرة الدالة على أن علم الكتاب ممّا منح الله تعالى به الأئمة عليهم السلام، و أنّه لا يعلم المحكم و المتشابه، و الناسخ، و المنسوخ، و العام، و الخاصّ منه غيرهم، و أنّه يجب الرجوع إليهم في ذلك، و أنّه لا يعلم

تفسيره ولا تأويله و باطنه غيرهم، و أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به، و أنه لا يعلمه كما أنزله الله تعالى غيرهم. و قد عقد في «الوسائل» بابا لعدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفته تفسيرها من الأئمة عليهم السلام، و أورد فيه أخبارا يقضى

البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول، و العلم الآخر، و كان بحرا لا ينزف، و جعل أميرا على المدائن، فأقام فيها الى أن توفي سنة ٣٦ هـ.

الأحاديث في فضائل سلمان كثيرة منها ما

عن منصور بن بزرج قال: قلت للصادق عليه السلام ما أكثر ما أسمع منك سيدى ذكر سلمان الفارسى، قال عليه السلام: لا تقل سلمان الفارسى و لكن قل سلمان المحمدى أ تدرى ما كثرة ذكرى له؟ قال: لا قال عليه السلام: لثلاث خصال: إحداهما إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه، و الثانية حبه للفقراء و اختياره إياهم على أهل الثروة و العدد، و الثالثة حبه للعلم و العلماء، إن سلمان كان عبدا حنيفا مسلما و ما كان من المشركين.

و منها

عن الصادق عليه السلام، كان رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام يحدثان سلمان بما لا- يحتمله غيره من مخزون علم الله و مكنونه.

طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٣، الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٦٩، سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٦، حلية الأولياء ج ١ ص ٤١٩.
(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١١٩

جلها لو لم نقل كلها على ضد مقصده، كما ترى أن كثيرا من الأخبار التى سمعت الاستدلال بها على الحجية مأخوذة منه «١».

و أما ما ربما يوهم الدلالة على ما توهموه مما ذكروه فالصحيح

عن منصور ابن حازم قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام إن الله أجل و أكرم من أن يعرف بخلقه الى أن قال: و قلت للناس: أليس تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه و آله من كان الحجة على خلقه؟

قالوا: القرآن، فنظرت فى القرآن، فإذا هو يخاصم به المرجى و القدرى و الزنديق الذى لا- يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، فما قال فيه من شىء كان حقا إلى أن قال: فاشهدوا أن عليا عليه السلام كان قيم القرآن، و كانت طاعته مفترضة، و كان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و أن ما قال فى القرآن فهو حق «٢».

و فيه أن مخاصمة الفرق فيه إنما هو بالأخذ بالتأويل الذى لا يعلمه إلا الله و الراسخون فى العلم و القرآن و إن كان مشتملا على جميع الحقائق و الأحكام إلا أن علمه على هذا الوجه مودع عند النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة عليهم السلام، و أين هذا من حجة الظواهر التى لا يستفاد منها إلا أقل قليل من الأحكام، فإن الإختصاص إنما هو فى المجموع لا فى كل ما يستفاد منه.

و من هنا يسقط الاستدلال لهم بالعلوى: ما من شىء تطلبونه إلا و هو فى القرآن، فمن أراد ذلك فليسألنى، بل و

النبوى: يا على أنت تعلم الناس تأويل

(١) وسائل الشيعة كتاب القضاء الباب الثالث عشر باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بمعرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام و فى هذا الباب: ٨٢ حديثا.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٦٨، علل الشرائع ج ١ ص ١٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٠

القرآن «١»

، بل دلالته على ما ذكرناه واضحة جدا.

و

بالجعفرى فى جواب رجل حيث سأله و ما يَكْفِيهِمُ الْقُرْآنَ؟ قال: بلى لو وجدوه له مفسِّرا، قال: و ما فسِّره رسول الله صَلَّى الله عليه و آله؟ قال: بلى فسره لرجل واحد، و فسّر للأمة شأن ذلك الرجل و هو على بن أبى طالب «٢».

فإن المراد الكفاية فى جميع الأحكام كى يستغنى الناس عن الإمام، و منه يظهر الجواب عن خبر دخول الصوفية على الصادق عليه السلام و احتجاجاتهم عليه «٣».

بل و

من قول الباقر عليه السلام لقتاده إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و إن كنت قد فسّرت من الرجال فقد هلكت و أهلكت و يحك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به «٤».

و

من قوله عليه السلام ما يستطيع أحد أن يدعى أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره و باطنه غير الأوصياء «٥».

و

فى «المحاسن» البرقى عن الصادق عليه السلام فى رسالته: فأما ما سئلت القرآن فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة لأن القرآن ليس على ما ذكرت، و كل ما سمعت فمعناه على غير ما ذهبت إليه، و إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، و أما غيرهم فما أشدّ إشكاله عليهم، و أبعد عن مذاهب قلوبهم، و لذلك قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:

(١) بصائر الدرجات ص ١٩٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٤٢.

(٣) روضة الكافي ص ٢٦٩.

(٤) روضة الكافي ص ٣١١.

(٥) بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٣ ط. القديم عن بصائر الدرجات. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢١

إنه ليس شىء أبعد عن قلوب الرجال من تفسير القرآن، فى ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلّا من شاء الله، و إنّما أراد الله بتعميمه فى ذلك أن ينتهوا الى بابه، و صراطه، و أن يعبدوه و ينتهوا فى قوله الى طاعة القوم بكتابه، و الناطقين فى أمره و أن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا- عن أنفسهم ثم قال: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا، و لا يوجد.

و قد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الأمر لأنهم لا يجدون من يأتمرون عليه، و من يبلغونه بأمر الله و نهيهِ فجعل الله الولاية خواص ليقضى بهم فافهم ذلك إن شاء الله، و إياك و تلاوة القرآن برأيك فإن الناس غير مشتركين فى علمه كما اشتراكهم فيما سواه من الأمور، و لا قادرين على تأويله إلّا من حدّه و بابه الذى جعله الله له فافهم إن شاء الله و اطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله «٢».

قلت: و فيه إشارات الى أن المقصود علم جميع القرآن حتى المتشابه. بل جميع القرآن حتى التأويل و البطون، و هذا هو الذى يوجب

الرجوع الى من جعله الله أبوابه و صراطه كما لا- يخفى على من تأمل في هذا الخبر و غيره من الأخبار المتقدمة مضافا الى أن ما سمعت من الشواهد و الأخبار حاكمة على هذه لو فرضنا فيها ظهورا أو إطلاقا و معه يوهن الاستدلال بها جدا. و أوهن منه ما استدلل به الشيخ الحرّ في فوائده الطوسية مضافا الى الأخبار التي قد سمعت الجواب عنها و أنّها بالدلالة على عكس مطلوبه أشبه من أن

(١) النساء: ٨٣.

(٢) المحاسن ص ٢٦٨، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ١٤١ عن المحاسن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٢

النص المتواتر و إجماع الإمامية دلا على أن الذي نزل من القرآن قراءة واحدة، و أن الباقي رخص في التلاوة به في زمن الغيبة، و لا دليل على جواز العمل بكل واحدة من القراءات مع كثرتها جدا و كونها مغايرة للمعنى غالبا. و أن ظواهر القرآن أكثرها متعارضة بل كلها عند التحقيق، و ليس لنا قاعدة يدل عليها الدليل في الترجيح هناك، و إنما وردت المرجحات المنصوصة في الأحاديث المختلفة مع قلة اختلافها بالنسبة الى اختلاف ظواهر الآيات فلو كنا مكلفين بالعمل بتلك الظواهر القرآنية من غير رجوع في معرفة أحوالها الى الإمام عليه السلام لو ردت مرجحات و قواعد كلية يعمل بها كما وردت هناك، و إنما وجدنا جميع أهل المذاهب الباطلة و الاعتقادات الفاسدة يستدلون بظواهر القرآن استدلالا أقوى من الاستدلال على الأحكام التي استنبطها المتأخرون من آيات الأحكام بآرائهم، فلو كان العمل بتلك الظواهر جائزا من غير رجوع الى الأئمة عليهم السلام في تفسيرها و معرفة أحوالها من نسخ و تأويل و تخصيص و غيرها لزم صحة جميع تلك المذاهب الباطلة من الجبر و التفويض و التشبيه، بل الشرك، و الإلحاد، و نفى الإمامية و العصمة بل مذهب المباحية، بل مذهب النصيرية، و كذا جميع المذاهب الباطلة. و الى هذا أشار

الصادق عليه السلام بقوله: احذروا فكم من بدعة زخرت بآية من كتاب الله ينظر الناظر إليها فيراها حقا و هي باطل. و أن ذلك لو جاز الاستغناء عن الإمام عليه السلام: لأنه ما من مطلب من مطالب الأصول و الفروع إلا و يمكن أن يستنبط من ظاهر آية أو آيات فأى حاجة الى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٣

الإمام؟ و قد صرح بنحو ذلك القاضي عبد الجبار «١» و غيره من علماء العامة، و ذلك مبين لطريقة الإمامية معارضة لأدلة الإمامة، و اللازم باطل فكذا الملزوم.

و أن ظاهر حديث الثقلين و جوب التمسك بهما معا فمن تمسك بالكتاب و لم يرجع في تفسيره و معانيه الى العترة لم يكن قد تمسك بهما و إلا لزم كون المخالفين المستدلين بتلك الظواهر قد تمسكوا بهما لأنهم يعترفون بفضل العترة، و هو واضح البطلان، و لو علم معاني الكتاب و قدر على الاستنباط منه غير العترة لافترقا و هو خلاف النص، لكن من تمسك بالعترة كان قد تمسك بهما لأنهم لا يخالفون الحق من تلك الظواهر المتعارضة، و أكثر تلك الظواهر مخالفة للعترة فظهر الفرق، و الى هذا المعنى أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: هذا كتاب الله الصامت، و أنا كتاب الله الناطق.

و أن كل آية يحتمل النسخ و التأويل و غيرهما إذا قطعنا النظر عما سواه فلا وثوق بجواز العمل بها إلا أن يقترب بها حديث عن الأئمة عليهم السلام.

و أن تعريف المتشابه صادق على كل آية من آيات الأحكام النظرية لاحتمال كل واحدة منها بل كل لفظه لوجهين فصاعدا إذا قطعنا النظر عن الأحاديث مضافا الى احتمال النسخ و غيره.

و الوهن في الوجوه المذكورة بين لمن يكون له أدنى تأمل، لضعف الأول بأن الاختلاف في القراءة سيما في الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية ليس بحيث يوجب الاختلاف في الأحكام كما لا يخفى على من أمعن النظر في الاختلافات

(١) قاضى القضاء عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد الأسدآبادى، قاض، أصولى، كان شيخ المعتزلة في عصره، و لى القضاء بالرى و مات سنة ٤١٥. له تصانيف كثيرة منها: تنزيه القرآن عن المطاعن.

لسان الميزان ج ٣ ص ٣٨٦، تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٤

المتعلقة بها، و على فرضه كما فى قوله تعالى: فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ «١»، فقد قيل بتواتر القراءات السبع أو العشر حسبما تأتى إليه الإشارة، و مع تسليم العدم فقد ينزل غير المتواتر منها منزلة الأخبار الآحاد، سلمنا التعارض لكن باب الترجيح مفتوح، على أن الرجوع فى مثله الى غيرها من الأدلة لا يقدر فى غيره مما لا اختلاف فيه و لا معارض له.

و الثانى بمنع التعارض حقيقته فى الجل فضلا عن الكل سيما فى الأحكام، و على فرضه فالمرجع القواعد التى يفرع إليها فى جملة المخاطبات من المحكم بالنسخ، أو التخصيص، أو التقييد، أو البيان، أو غيرها مما هو المقر عند أهل اللسان.

و الثالث بأن ما ذكره من استدلال جميع أرباب المذاهب بالظواهر القرآنية حق لا شبهة فيه، لكنه يقضى بإجماعهم على حجيتها و وجوب الأخذ به، نعم ما يستدلون به على باطلهم ليس من الظواهر التى هى من المحكمات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم «٢»، على أن التعارض و التشابه واقع فى نوع الأخبار التى هى حجة عندهم قطعاً، مضافاً الى أن فى قوله يستدلون بظواهر القرآن استدلالاً أقوى نظراً من وجهين، فإن استدلالهم ليست بالظواهر فضلاً من أن تكون أقوى، و نسبة الاستنباط الى المتأخرين غريب جداً، فإن الطريقة كانت جارية مستمرة من لدن نزول القرآن الى هذا الزمان على استنباط الأحكام من ظواهرها، بل الأصول الاعتقادية أيضاً حسبما صرح به فى كلامه.

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٥

ولذا

قال مولانا أبو الحسن على بن محمد العسكري عليه السلام فى رسالته الى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر و التفويض: إنه اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم فى ذلك أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم فى حالة الاجتماع عليه مصيبون، و على تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبى صلى الله عليه و آله: لا تجتمع أمتى على ضلالة، فأخبر عليه السلام أن ما اجتمعت عليه الأمة و لم يخالف بعضها بعضاً هو الحق فهذا معنى الحديث، لا ما تأوله الجاهلون، و لا ما قاله المعاندون من أبطال حكم الكتاب و اتباع حكم الأحاديث المزورة و الروايات المزخرفة، و اتباع الأهواء المردية المهلكة التى تخالف نص الكتاب، و تحقيق الآيات الواضحات النيرات، الى أن قال فى أبطال الجبر و قوله: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ «١»، و قوله: «و ما الله بظلام للعبيد» «٢»، و قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ «٣» مع آى كثيرة فى ذكر هذا الخبر «٤»

بطوله المذكور فى «الإحتجاج» و بوجه أبسط فى «تحف العقول» و فيه الاستدلال بآيات كثيرة كلها ظواهر فى الرد على أهل الجبر و غيره من الشواهد الكثيرة المتقدمة أن القرآن هو الصادق و المصدق للأخبار، و الناطق عليها بالحق، و أنه الميزان و المعيار فى تصديق الأخبار، و ترجيح مختلفاتها كما أن عليها المدار فى إيضاح مشكلات القرآن و تعيين متشابهاتها.

و الرابع بما يغنى عن بيانه وضوحه كيف و إنما الكلام في حجتيه الظواهر التي لا- تشمل إلّا على قليل من الأحكام، و أين هذا من استنباط جميع الحقائق

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ - فصلت: ٤٦.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) الاحتجاج ص ٢٤٩-٢٥٢ إلّا أنه ليس في الحديث ذكر الآيتين الأخيرتين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٦

و الأحكام المدلول عليها في مراتب بطونه و تأويلاته كى لا- نحتاج معه الى الأمام الذى أودعه الله تعالى علم كتابه المشتمل على جميع كان و ما يكون.

و الخامس بما سمعت آنفا من الاستدلال بالخبر على المختار و الظاهر أن المراد به الأخذ بما أتضح من كل منهما، فإذا علم شىء من محكمات الكتاب و ظواهره علم أنه قول العترة الطاهرة، و إذا صح شىء منهم علم أنه مأخوذ من الكتاب، و إذا اختلف النقل منهم عرض على الكتاب الذى هو الحاكم على الأخبار المختلفة، أو المجمعولة كما أن الكتاب إذا تشابهت دلالاته أو اختلف في ظاهر النظر آياته و جب الرجوع فيها الى العترة الطاهرة، و أما المحكم منه فهو الحجة الحاكمة على ما وصل إلينا من أخبارهم. و لذا

قال مولانا أبو الحسن العسكرى عليه السلام فى الخبر المتقدم.

بعد ما سمعت حكايته: فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب و تصديقه و التماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال عليه السلام: إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصا فى كتاب الله مثل قوله تعالى: إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ «١»

ثم اتفقت روايات العلماء فى ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بخاتمه و هو راعى (الى أن قال) فالخبر الأول الذى استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح، و هو أيضا موافق للكتاب، فإذا شهد الكتاب بتصديق الخبر لزم الإقرار به الخبر «٢».

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الاحتجاج ص ٢٤٩-٢٥٢ و لا يخفى أن المؤلف نقل بالمعنى السطر الآخر لأنه على ما نقله المجلسى فى البحار ج ٥ ص ٢١ ط.

«فعلنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار و تحقيق هذه الشواهد فيلزم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٧

و السادس بأن مجرد الاحتمال لا يدفع الاستدلال بعد حجتيه الظواهر مع أنه متطرق الى الأخبار أيضا مضافا الى احتمالات أخرى من حيث السند.

و السابع بالمنع الواضح فإن مجرد احتمال المعانى المختلفة فضلا عن احتمال النسخ و التخصيص و التقييد و غيرها لا يوجب صيرورة المحكم الظاهر الدلالة متشابها.

نعم يجب الفحص فى الأدلة اللفظية بلا فرق بين الرواية و الآية عن المخصّص و سائر المعارضات للعلم الإجمالى بالاختلاف و طرق الطوارئ من التخصيص و غيره فى الجملة، و هذا لا اختصاص له بالآيات بل لعله فى الأخبار أكثر منه فيها، و أين هذا من القول بعدم

حجّية الظواهر السالمة عن جميع المعارضات أو الراجحة عليها بعد الفحص التام كما هو محل البحث في المقام، فعدم وصول المعارض إلينا كاف في بقاء الظواهر على حجّيتها، مع أنّ مجرد الاحتمال متطرّق إليهما معا، و قد ورد عنهم عليهم السلام أنّ في أخبارنا محكما محكم القرآن، و متشابها كمتابئة القرآن «١». ثم إنّه قد ظهر من جميع ما مرّ ضعف ما ربّما يحكى عن الأمين الإسترابادى الذى هو أول من سدّ باب التمسك بالآيات حيث استدلّ لذلك بعدم ظهور دلالة قطعية على الحجّية، و يترتب المفسد على فتح هذا الباب، ألا ترى أنّ علماء العامية قالوا فى قوله تعالى: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** «٢»: أنّ المراد بأولى الأمر، السلاطين، و بأنّ القرآن نزل على وجه التعمية بالنسبة الى أذهان الرعية، و بأنّه إنما نزل على قدر عقول أهل الذكر، و بأنّ

الأمة الإقرار بها كانت هذه الأخبار موافقة للقرآن، و وافق القرآن هذه الأخبار». (١) عيون الأخبار ط. قم ج ١ ص ٢٩٠، وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٢ ط. بيروت. (٢) النساء: ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٨

العلم بناسخه و منسوخه، و الباقي على ظاهره، و غير الباقي على ظاهره ليس إلّا عند أهل البيت عليهم السلام، و إنّ الظن ببقائها على ظاهرها إنما يحصل للعامّة دون الخاصّة الى غير ذلك ممّا يتضح الجواب عنه بالتأمل فيما ذكرناه آنفا. كما أنه يظهر منه أيضا ضعف ما ذكره السيد صدر الدين «١» فى «شرح الوافية» حيث استدلّ من قبل القائلين بحجّية الظواهر القرآنية بأنّ المتشابه كما يدلّ عليه بعض الأخبار ما اشتبه على جاهه، فنقول لا شىء من الظاهر بمشبهه، و كلّ متشابه مشتهبه، فلا شىء من الظاهر بمشابهه و إذا لم يكن متشابها فيكون محكما و كل محكم يجب العمل به و فاقا، أما الكبرى فلأخبار، و أما الصغرى فلأنّ معنى قوله ما اشتبه على جاهه هو أنّ غير الإمام المعبر عنه بالجاهل بعد علمه بالوضع لا يتصور منه الجهل بالمراد من اللفظ بحيث يصير مترددا فيه، و لا شكّ أنّ الظاهر يكون المراد منه مظلونا فلا يكون مشتهبا بهذا المعنى. و أجاب عنه، أولا بما حاصله أنّ المظنون أيضا مشتهبه لصدق الجهل المقابل للعلم الذى هو الاعتقاد الجازم على الظن، فالظان أيضا جاهل.

و ثانيا أنه لا- دليل على حصر الآيات فى المحكم و المتشابه، و الآية غير دالّة عليه بل يجوز أن يكون الحكم و جوب إتباع المحكم وردّ المتشابه الى العالم و الوقوف عند الظواهر.

قلت: و هو غريب جدا بعد قيام الإجماع القطعى على حجّية الظواهر و أنّ

(١) السيد صدر الدين بن محمد باقر الرضوى القمى، فقيه، تلمذ على المدقق الشيروانى و الآغا جمال الخونسارى و الشيخ جعفر القاضى ثم رحل الى قم و قام بالتدريس حتى كثرت الفتن فانتقل الى النجف الخونسارى و الشيخ جعفر القاضى ثم رحل الى قم و قام بالتدريس حتى كثرت الفتن فانتقل الى النجف و عظم موقعه فى النفوس و اشتغل بالتدريس و تلمذ عليه جمع من الأعاظم مثل الأستاذ الأكبر المحقق البهبهانى و غيره، صنّف كتابا قيّمة مثل رسالته فى حديث الثقلين، و شرح الوافية فى الأصول، و كتاب الطهارة استقصى فيه المسائل و نصر مذهب ابن عقيل فى عدم تنجس الماء القليل، توفى سنة ١١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٢٩

الظن فى باب اللغات حجّية و إن اختلفوا فى حجّيته فى الأحكام، مضافا الى أن المعروف من مذهب الأخباريين تفسير العلم بالاعتقاد الراجح الشامل له و لذا ادّعوا قطعية الأخبار حسبما فصل فى الأصول، و أغرب منه نفى الحصر و الالتزام بالتثليث فإنّ الظاهر من الآية

بل كاد أن يكون صريحها الحصر مضافا الى دلالة الأخبار الكثيرة عليه.

ثم أنه رحمه الله فرّق في آخر كلامه بين ظواهر الكتاب و ظواهر الأخبار التي لا شك في حجيتها، مع أن قضية إلحاق المظنون بالمتشابه في الموضوعين: بأننا لو خَلينا و أنفسنا لعلنا بظواهر الكتاب و السنّة عند عدم نصب القرينة العقلية و الفعلية، و القولية المتصلة على خلافها، و لكن منعنا عن ذلك في العمل بالقرآن إذ معنا الله عن إتباع المتشابه، و لم يبين حقيقته لنا، و منعنا رسول الله صلى الله عليه و آله عن تفسير القرآن، و لا ريب أن غير النصّ محتاج الى التفسير لتحقيق الاحتمال فيه، و أوصيائه عليهم السلام أيضا منعونا. و أيضا ورد الذمّ في إتباع الظنّ من غير استثناء ظواهر القرآن لا قولاً لا تقريرا، و ليس هناك دليل قطعي بل و لا ظني و لا إجماع على الاستثناء.

و أما الأخبار فقد علمنا بجواز العمل بظواهرها من غير فحص من جهة الإجماع.

أقول: أمّا حجّية الظواهر فموضع وفاق حسبما برهن عليه في الأصول إذ عليه بناء المخاطبات و المحاورات، و المكاتبات في جميع اللغات، مع عدم التأمل من أحد في العمل بها مع قيام احتمالات عديدة من المجاز، و النسخ و التخصيص، و التقييد، و غيرها، و بالجملة فالأصل المؤسّس في المقام هو حجّية الظواهر كما وقع التصريح به في مواضع من كلامه الذي لا داعي الى الأطناب بحكايته، و حينئذ فالاستدلال بالظواهر الناهية عن إتباع الظن مع كونه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٠

دوريا بل من وجهين إذا كانت من ظواهر الكتاب ضعيف جدا، نعم قد ادّعى المانع عن العمل بها و هو المنع عن إتباع المتشابه مع عدم بيان حقيقته.

و فيه أنّه مع فرض عدم البيان فالمرجع في فهم معناه العرف و اللغة الحاكمين على عدم شموله للظواهر التي لا يتأمل أحد من أهل العرف و اللغة في كونها من المحكم المفسر بما اتضح معناه و ظهر لكل عارف باللغة، لا المتشابه الذي لا يعلم المراد به إلّا بقرينة تدلّ عليه أو غيره ممّا مرّت إليه الإشارة، على أن دعوى عدم بيان حقيقته ممنوعة جدّا كيف و قد سمعت دلالة الأخبار عليه، و قضيتها كون المنسوخ منه لا ما احتمال نسخه سيّما بعد تأسيس الأصل المتقدم، كما أنه لا يرفع اليد عن العام و المطلق و غيرها من الظواهر التي هي الحقائق بمجرّد احتمال التخصيص و التقييد و الإضمار و غيرها ممّا يعدّ في المجاز، هذا مضافا الى أنهما مفسران في الأخبار بما يؤول الى المعنى العرفي حسبما سمعت في ما مرّ.

و من هنا يظهر النظر فيما أطنب من الكلام من نصره الأخباريين سيّما فيما مهّده من المقدمة الثانية لذلك فلاحظ بل و فيما ذكره المحدث البحراني (رحمه الله تعالى) «١» في مقدمات «الحداثق»، و في «الدرر النجفية». و ان اختار في آخر

(١) المحدث الكبير، و الفقيه العظيم الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، كان محدثا، فقيها، غزير العلم. ولد في قرية ماحوز سنة ١١٠٧ و قام والده العلامة الكبير بتدريبه و تربيته و تصدّى لتدريسه و تعليمه حتى أكمل في العلوم الأدبية و مهر فيها، مضى من عمره أربع و عشرون سنة و قد صار جامعا للعلوم العقلية و النقلية و لكن في هذه السنة أي ١١٣١ مات والده تغمده الله برحمته، بقي المترجم بعد أبيه بالقطيف سنتين حتى احتلت الأفاغنة بلاد إيران و قتلوا الشاه سلطان حسين آخر ملوك الصفوية و تفاقمت الاضطرابات في البحرين و استمرّت الثورات الداخلية حتى ألجأت المترجم له الى الجلاء عن وطنه فارتحل الى إيران برهة في كرمان ثم ارتحل الى شيراز و لبث بها غير يسير مدرّسا و إماما و تفرّغ للمطالعة و التأليف، و البحث و التدريس فألف جملة من الكتب و عدّه من الرسائل و لكن ما أمهله الدهر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣١

كلامه التفصيل المستفاد من تبيان الشيخ رحمه الله المؤيّد بالعلوى المروي في الإحتجاج حسب ما مرّ حكايتها.

حتى عصفت بتلك البلاد عواصف الأيام و ألجأت المترجم له إلى الالتجاء بقريه (فسا) و ابتدأ هناك بتصنيف الحدائق حتى ثار طاغية شيراز (نعيم داغ خان) في سنة ١١٦٣ و قتل حاكم فسا و هجم على دار المترجم له و هو مريض و نهبت أمواله و أكثر كتبه ففر منها مريضا بعائلته صفر اليد بناحية اصطهبانات و لبث بها مدة يقاسى مرارات الآفات و لكن تلك الظروف القاسية، و المواقف الحرجة لم تمنعه عن المطالعة و التأليف فتراه في خلالها كلها مكبا على مطالعته، جادا في تأليفاته، سائرا في نهجه، فقد أنتج من بين الظروف و هاتيك الأذوار كتبا قيمة ناهزت الأربعين سيما الحدائق الناضرة و لنعم ما قال في حقه العلامة المولى شفيح الجابلقى البروجردى في إجازته الكبيرة المسماة ب الروضة البهية في الإجازات الشفيعية:

أما الشيخ المحدث المحقق الشيخ يوسف قدس سره صاحب الحدائق فهو من أجلاء هذه الطائفة، كثير العلم، حسن التصانيف، نقى الكلام، بصير بالأخبار المروية عن الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) يظهر كمال تتبعه و تحره في الآثار المروية بالنظر إلى كتبه سيما الحدائق الناضرة، فإنها حقيق أن تكتب بالنور على صفحات و جنات الحور، و كل من تأخر عنه استفاد من حدائقه، و كان ثقة، ورعا، عابدا، زاهدا .. فلينظر إلى ما وقع على هذا الشيخ من البلايا و المحن، و مع ذلك كيف اشغل نفسه و صنف تصنيفات فائقة؟ .. أرباب التراجم و أصحاب المعاجم بعده كلهم أثنوا عليه، قد حل المترجم له بالحائر المقدس على عهد زعيمها الأكبر المحقق البهبهاني قبل سنة ١١٦٩ و دارت بينه و بين البهبهاني مناظرات كثيرة في الأبحاث العلمية، توفي قدس سره رابع ربيع الأول سنة ١١٨٦ و دفن بالحائر.

الأعلام ج ٩ ص ٢٨٦، روضة البهية، مقدمة الحدائق للسيد عبد العزيز الطباطبائي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٣

الباب السابع

إشارة

في معنى الإنزال و التنزيل و السورة و أقسامها الأربعة و الآية و الكلمة و الحروف و غيرها و فيه ضبط السور و الآيات و الحروف
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٥
و فيه فصول:

الفصل الأول

في الانزال و التنزيل و الفرق بينهما قد سبق جملة من الكلام في تحقيق معنى التنزيل و الوحي و الإلهام، و الذى ينبغى ذكره في المقام أن القرآن تارة قد وصف بالإنزال و أخرى بالتنزيل، و هما و إن اشتركا في الحلول من عال الى أسفل، بل قال في القاموس نزل تنزيلا و أنزله إنزالا- و منزلا- كمجمل، و استنزله بمعنى: إلا أنه قد يفرق بين الأمرين باختصاص الأول بأحداث الفعل من غير تكرار بأن كان النزول دفعة واحدة، و الثانى بإحداثه على وجه التكرير و التدريج، و لعله لما فى معنى التفعيل من الإشعار على تكثير الفعل أو الفاعل أو المفعول، و المقام من الأول حيث إنه قد أنزل الى السماء الدنيا، و إلى البيت المعمور فى ليلة القدر، ثم أنزل منجما مفرقا الى النبى صلى الله عليه و آله فى ثلاث و عشرين سنة، أو فى عشرين سنة، بل يستفاد ذلك أيضا من قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ** «١» و قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** «٢» بل من قوله تعالى: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** «٣»،

(١) الدخان: ٣.

(٢) القدر: ١.

(٣) البقرة: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٦

سيما بعد ملاحظة الأخبار الواردة في تفسيرها حسبما تسمع إنشاء الله تفصيل الكلام فيها و في قوله تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا «١» وغيره مما يدل على الأمرين، ولذا جاء بالفعل في الثلاثة على صيغة الأفعال، والرابعة على صيغة التفعيل، بل نبه سبحانه بجعله فرقانا بعد كونه قرآنا مجتمعاً في النزول، أو في صفة وجوده، وبالجملة هذا الفرق بين الفعلين وإن لم يتبه عليه جمهور أهل اللغة إلا أنه لا بأس بعد مساعدة الأخبار ودالتها على قسمي النزول، ومناسبة الإطلاق لهما في خصوص الموارد.

ففي «الكافي» عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٢»، وإنما أنزل القرآن في عشرين سنة بين أوله و آخره فقال عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين «٣».

و

فيه و في «الفاقيه» بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان، و نزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، و نزل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان، و نزل

(١) الأبراء: ١٠٦.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الأصول من الكافي كتاب فصل القرآن باب النوادر الحديث السادس ج ٢ ص ٤٦٠ ط. الإسلامية. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٧

القرآن في ليلة القدر «١».

و

عن بعض نسخ «الفاقيه» الفرقان بدل القرآن

، و لا بأس به فإن الأوّل باعتبار النزول الأوّل الجمعي، و الأخير باعتبار ما يؤول اليه من النزول المنجم التفريقي.

و

فيهما عن حرمان بن أعين سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ «٢» قال هي ليلة القدر، و هي في كل سنة في شهر رمضان من العشر الأواخر، و لم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله تبارك و تعالى: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «٣»، قال عليه السلام يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة الى مثلها من قابل من خير أو شر أو طاعة أو معصية، أو مولود، أو أجل، أو رزق الحديث «٤».

و

روى القمي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ «٥» قال عليه السلام أي أنزلنا القرآن، و الليلة المباركة ليلة

القدر، أنزل الله القرآن فيها الى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة الخبر «٦».

أقول: و صريح هذا الخبر كبعض ما مرّ
أن القرآن و قد نزل جملة واحدة الى البيت المعمور
& الأخبار و إن اختلفت في تعيين موضعه حيث إنه
قد ورد في

(١) الفروع من الكافي ج ٣ ص ١٥٧، الفقيه ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) الدخان: ٣.

(٣) الدخان: ٤.

(٤) الفروع من الكافي ج ٤ ص ١٥٧، الفقيه ج ٢ ص ٣٠١.

(٥) الدخان: ٣.

(٦) الصافي ج ٢ ص ٥٤٠ ط. الإسلامية بطهران عن مجمع البيان و القمى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٨
العلوى المذكور في «الدر المنثور» أنه الضراح «١» بيت فوق سبع سموات تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة «٢».

و

في علل ابن سنان المروى عن مولانا الرضا عليه السلام: إنه بيت في السماء الدنيا بحذاء العرش «٣».
بل قد ورد مثله في أخبار آخر، و عن بعضهم أنه هو الكعبة البيت الحرام لكونه معمورا بالحج و العمرة، إلما أن الاستفادة من أكثر الروايات، و أشهرها و أظهرها أنه بيت في السماء الرابعة و هو الضراح حيث إن الملائكة لما رَدَّوا على الله سبحانه في جعله في الأرض خليفته، فقالوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ «٤» فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة الى أن تاب عليهم، و جعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة بحذاء العرش مثابة، و أمنا لهم، و مطافا لهم، و قبولا لتوبتهم، و أمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله و قدره «٥»، بل قد يقال: أن هذه الأخبار الأخيرة و إن كانت أشهر و أكثر إلا أن مقتضى الجمع بينهما مع صحه جميعها القول بتحقيق البيت في جميع تلك المواضع، و الخطب فيه سهل.

(١) الضراح بضم الصاد بيت في السماء حيال الكعبة يدخل كل يوم سبعون ألف ملك.

(٢) بحار الأنوار ج ١٤ ص ١٠٥ ط. القديم عن الدر المنثور.

(٣) في البحار ج ١٤ ص ١٠٤ عن العلل: فوضع في السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) كما في البحار ج ١٤ ص ١١٤ عن العلل عن الصادق عليه السلام و عن الدر المنثور عن علي بن الحسين عليهما السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٣٩

في معنى السورة المشهورة في السور أنها بالواو، و الهمز إما لغةً فيها على ما في القاموس، أو أنه للاختلاف في اشتقاقها كما في المجمع وغيره، فإنها على الأول مأخوذة من سور المدينة لحائظها المحيط بها، أو من السورة التي جمعها السور بالضم فالسكون للمنزلة الرفيعة، و منه قول النابغة «١»:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
و على الثاني من السور الذي هو البقية غلب استعمالها على جملة من

(١) النابغة الذبياني زياد بن معاوية، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليها أشعارها و كان الأعشى و حسان و الخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، و كان أبو عمرو بن العلاء يفضلها على سائر الشعراء و هو أحد الأشراف في الجاهلية، و كان حظيا عند نعمان بن المنذر حتى شتب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة نعمان) فغضب نعمان، ففرّ النابغة و وفد على العنساتيين بالشام، و غاب زمنا. ثم رضى عنه نعمان، فعاد إليه و اعتذر بقصائد تعرف بالاعتذاريات و كان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره و لا حشو. و عاش عمرا طويلا و ديوانه مشهور طبع بمصر و باريس. مات نحو ثمانية و عشر قبل الهجرة و ما أدرك عهد الرسول صلى الله عليه و آله.

الأعلام ج ٣ ص ٩٢، الأغاني ج ١١ ص ٣، نهاية الأرب ج ٣ ص ٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٠

الآيات تزيد على الثلث، ذات ترجمة.

و عرفت بتعريفات لا- داعى في التعرض لها في المقام، و ستسمع بعض الكلام في ترجمه الفاتحة، إنما المهم تحديد سور القرآن لإناطة جملة من الأحكام عليها في الشرع كوجوب قراءة سورة كاملة في كل سورة من أولي الفرائض، و حرمة القران بين سورتين في ركعة فضلا عما قد يلزم قراءتها أو تعليمها لنذر و شبهه، أو استئجار، أو إمهار، فالمشهور عند العامة مائة و أربعة عشر سورة، و عن أبي بن كعب «١» ستة عشر بزيادة القنوتين «٢»، و عن بعضهم ثلاثة

(١) أبي بن كعب بن قيس من بنى النجار من الخزرج، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبرا من أبحار اليهود، مطلعا على الكتب القديمة يكتب و يقرأ على قلة العارفين بالكتابة في عصره و لما أسلم كان من كتّاب الوحي، و شهد بدرًا و أحدا و خندقًا و المشاهد كلها و كان من الاثنى عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته و أرادوا تنزيله عن منبر رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال أبو الصلاح في التقريب: أبي بن كعب من المعروفين بولايتهم عليهم السلام. و كان من فضله و جلالته أنه في حديث حكى عنه الصادق عليه السلام قولاً في حسن الظن كما

في سفينة البحار في كلمة ظنن ج ٢ ص ١١٠ عن الصادق عليه السلام: حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء و سلامة صدره الى أن قال: و قال أبي كعب إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستكروها منه فتأولوا لها سبعين تأويلا فإن اطمانت قلوبكم على أحدهم و إلا فلو ما أنفسكم حيث لم تعذروه في خصلة سترها عليه سبعون تأويلا و أنتم اولى بالإنكار على أنفسكم منه.

و كان أبي بن كعب من كتّاب الوحي و لذلك أمره عثمان بجمع القرآن و في الحديث أقرأ أمتي أبي بن كعب- قال في الأعلام: له في الصحيحين و غيرها ١٦٤ حديثا، و كان نحيفا قصيرا أبيض الرأس و اللحية مات بالمدينة سنة ٢١ هـ. الأعلام ج ١ ص ٧٨، و سفينة البحار ج ١ ص ٨ و ج ٢ ص ١١٠، و حلية الأولياء ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) سورتا القنوتين سورتان مجعولتان مرويتان عن طريق العامة. قال السيوطي في الإتقان و الدر المنثور: أخرج الطبراني و البيهقي، و ابن الضريس: أن من القرآن سورتين و قد سماهما الراغب في المحاضرات سورتى القنوت و نسبوهما الى تعليم على و قنوت عمر و

مصحف ابن عباس و زيد بن ثابت و قراءة ابن موسى إحداهما: بسم الله الرحمن الرحيم إنا نستعينك و نستغفرك و نثنى عليك و لا نكفرك و نخلع و نترك من يفجرك- و الثانية بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد و لك نصلى و نسجد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤١

عشر بعد الأنفال و التوبة واحدة، و عن ابن مسعود «١» اثنتى عشرة سورة بنقصان المعوذتين، لكن الذى استقر عليه مذهب الإمامية أنها مائة و اثنتى عشرة سورة بعد المعوذتين سورتين، و الضحى و الإنشراح سورة واحدة، و كذا الفيل و الإيلاف أما المعوذتين بكسر الواو فقد أجمع علمائنا و أكثر العاقية على أنهما من القرآن، و أنه يجوز القراءة بهما فى المكتوبة، و لم يحك الخلاف فى ذلك إلا عن عبد الله بن مسعود حيث زعم أنهما ليستا من القرآن و إنما أنزلتا لتعويذ الحسن و الحسين (عليهما السلام) و قد انقرض القول به.

بل فى «الذكري» أنه قد استقر الإجماع من العامة و الخاصة على خلافه مضافا الى استفاضة الأخبار بذلك.

ففى كثير عن منها أن مولانا الصادق عليه السلام قرأ بهما فى الفريضة،

ثم قال عليه السلام:

و إليك نسعى و نحفد، نرجو رحمتك و نخشى عذابك الجدد إن عذابك بالكافرين ملحق.

نقض الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة تأليف السيد محسن الأمين ص ٢٠٤.

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل: صحابى، من أكابرهم فضلا و عقلا و قربا من رسول الله (ص) و هو من أهل مكة، و من السابقين الى الإسلام، و أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، و كان خادم رسول الله صلى الله عليه و آله و صاحب سره، و رفيقه فى حله و ترحاله و غزواته، نظر اليه عمر يوما و قال: وعاء ملئ علماء و ولى بعد النبى صلى الله عليه و آله بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان و كان من الذين شهدوا جنازة أبى ذر و باسروا تجهيزه و هو أيضا من الإثنى عشر الذين أنكروا على الأول خلافته، و كان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. و كان يحب الإكثار من التطيب فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر من طيب رائحته، له ٨٤٨ حديثا و أورد الجاحظ فى البيان و التبيين خطبة له و مختارا من كلامه، كان عالما بالقرآن، أخذ سبعين سورة من القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه و آله و بقيته من على بن أبى طالب عليه السلام،

روى الكشى فى رجاله عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: من أحب ان يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد

يعنى ابن مسعود فى المستدرک نقلا عن تلخيص الشافعى أنه قال: لا خلاف بين الأمة فى طهارة ابن مسعود و فضله و إيمانه و مدحه رسول الله صلى الله عليه و آله و ثنائه عليه، توفى بالمدينة سنة ٣٢ هـ و دفن بالبقيع.

الأعلام ج ٤ ص ٢٨٠، و غاية النهاية ج ١ ص ٤٥٨ و سفينة البحار ج ٢ ص ١٣٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٢

أنهما من القرآن «١».

و

روى الحسين بن بسطام فى «طب الأئمة» عنه عليه السلام أنه سئل عن المعوذتين أهما من القرآن؟ فقال عليه السلام: إنهما من القرآن، فقال الرجل: إنهما ليستا من القرآن فى قراءة ابن مسعود و لا فى مصحفه، فقال عليه السلام: أخطأ ابن مسعود، أو قال عليه السلام كذب ابن مسعود، هما فى القرآن، قال الرجل: فأقرأهما فى المكتوبة؟ قال نعم «٢».

و

روى القمى بالإسناد عن أبى بكر الحضرمى قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام:

إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف، فقال: كان أبى يقول إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه، و هما من القرآن «٣».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المعتضدة بالإجماع نقلا و تحصيلا.

فما

يحكى عن عبارة الفقه الرضوى حيث قال عليه السلام: وإن المعوذتين من الرقية ليستا من القرآن، أدخلوها في القرآن، وقال: إن جبرائيل علمهما رسول الله صلى الله عليه وآله (الى أن قال) وأما المعوذتان فلا تقرأهما في الفرائض، ولا بأس بالنوافل انتهى «٤». فمع الغض عمّا في سنده لعدم ثبوت اعتباره يجب حمله على التقيّة «٥».

(١) التهذيب ج ١ ص ١٦١، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٦.

(٢) طب الأئمة ص ١١٩، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٦.

(٣) تفسير القمى ص ٧٧٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٨٧.

(٤) فقه الرضوى ص ٩، الحدائق ج ٨ ص ٢٣٢ ط الآخوندى بالنجف.

(٥) فقه الرضوى أو فقه الرضا كتاب منسوب الى الرضا عليه السلام ولكنه ليس بمعتمد عند المحققين ولا يعتمدون على متفرّداته و من أراد تحقيقه فليراجع المستدرک للنورى، و الذريعة لآغا بزرك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٣

و أما اتحاد الضحى و الإنشراح كالفيل و الإيلاف فهو و إن تردّد فيه المحقّق فى «المعتبر»، بل قطع بعض من تأخر عنه بالتعدّد كثانى المحققين، و الشهيدين، و سيّد المدارك، و غيرهم من المتأخرين نظرا الى عدم دلالة واضحة من الأخبار على الاتحاد، مع الفصل بالبسملة و الترجمة فى جميع المصاحف، و تسميتها سورتين

فى خبر المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تجمع بين السورتين فى ركعة واحدة إلّا الضحى و ألم نشرح، و سورة الفيل و الإيلاف،

لكون الاستثناء حقيقة فى المتصل، و لا أقل من الظهور.

إلّا أن الذى ينبغى القطع به هو الاتحاد كما هو المشهور فتوى و عملا و عن غير واحد منهم نسبه الى علمائنا.

و فى «الانتصار» أنه مذهب الإمامية.

و عن «أمالى» الصدوق أنه من دين الإمامية الذى يجب الإقرار به.

و عن «الإستبصار» أنّ الأولين سورة واحدة عند آل محمد عليهم السلام، بل لم يعهد ممن سبق على المحقق التأمل فيه، الى غير ذلك مما يقطع معه بتحقيق الإجماع سيما مع كونه من متفرّدات الإمامية، مضافا الى الأخبار الكثيرة

كالمروى عن «هداية» الصدوق عن الصادق عليه السلام قال: و موسّع عليك أى سورة فى فرائضك الأربع، و هى الضحى و ألم نشرح فى ركعة لأنهما جميعا سورة واحدة و الإيلاف، و ألم تر فى ركعة لأنهما جميعا سورة واحدة «١»، و نسبه فى التبيان.

و

«مجمع البيان»، و «الشرائع»، و غيرها من كتب الجماعة الى رواية

(١) البحار ج ١٨ ص ٣٤٢ ط القديم، الحدائق ج ٨ ص ٢٠٤ ط الآخوندى بنجف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٤

أصحابنا و صحيح الشحام: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ الضحى و ألم نشرح فى ركعة «١».

و

عن كتاب القراءة لأحمد بن محمد بن سيّار عن الصادق عليه السلام الضحى و ألم نشرح سورة واحدة «٢».

و

روى العياشي عن أبي العباس عن أحدهما أ لم تر كيف فعل ربك و الإيلاف سورة واحدة «٣».

قال: و روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه «٤»، الى غير ذلك من الأخبار الدالة على الاتحاد، فضلا عما يدل على عدم الاجتزاء بواحدة منهما في الفريضة، و أنه يجب قراءتهما معا مع حرمة الجمع بين السورتين فيها حسب ما قرّر في موضعه، و من هنا يظهر ضعف ما ذكره من عدم الدليل على الاتحاد.

و أما حكاية الفصل و الترجمة التي قيل: إنها من أعظم الشبه في ذهاب المتأخرين الى خلاف ما عليه المتقدّمون، سيما مع ما اشتهر بينهم من دعوى تواتر السبع المتفقه على إثبات البسملة، ففيها مع الغضّ عما سمعت من عدم إثباتها في مصحف أبي، أنه لا عبرة بمجرد الفصل و الترجمة بعد صراحة الأخبار بل استقرار المذهب على ما مرّ، على أن جماعة من القائلين بالاتحاد ذهبوا الى لزوم البسملة بينهما، بل عن الحلّي في «السرائر» أنه لا خلاف في عدد آياتهما فإذا لم يبسمل بينهما نقصتا من عددهما. و لم يكن قد قرأهما جميعا، و إن كان الأظهر عدم الفصل، لظواهر بعض الأخبار.

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٥٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٢.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١ ص ٢٧٥.

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٤.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٤، وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٥

و أما خبر المفضّل فكأنه خرج مخرج التجوز و المسامحة في التعبير حسبما يسمّيها الناس سورتين للفصل، و لذا وقع مثله في خبر «الهداية» و غيره مع التصريح بالاتحاد.

و أما الأنفال و التوبة فبعض العامة و إن نسب الى أئمتنا عليهم السلام القول بالاتحاد، إلّا أنّ الظاهر من عدم تعرّض أحد من الأصحاب لذلك في باب قراءة السورة التامة في الفريضة العدم.

بل

في العلوي المروي في «المجمع» تعليّل عدم نزول البسملة على رأس سورة براءة بأنّ بسم الله للأمان و الرحمة، و نزلت براءة لرفع الأمان بالسيف «١».

و يؤيّده الأخبار الكثيرة من طرق الفريقين المشتملة على بيان سبب نزول السورة، حيث علّق الحكم فيها بنزول السورة لا الآيه و الآيات، بل الأخبار الدالة على فضلها، و فضل الأنفال، مؤيدا بتقرير الثابت في المصاحف، و ضبط آيات كلّ منها و غير ذلك ممّا يشير الى استقرار المذهب على التعدد، سيما مع سكوتهم عن الحكم بالاتحاد عند البحث عن وجوب التبويض مع تعرّضهم للحكم في السورتين المتقدمتين، و أما ما رواه العياشي و الطبرسي في تفسيرهما عن مولانا الصادق عليه السلام من اتحادهما «٢».

ففيه، مع الغضّ عن ضعف السند، و عدم ثبوت مثل هذا الحكم بمثله، أنه لا يصلح لمقاومة ما مرّ، مضافا الى عدم صراحة المتن في المطلوب، و إن كان ظاهرا فيه، نعم قد يؤمى إليه عددهما سابعة السبع الطول، و إن قيل: إن ذلك

(١) مجمع البيان تأليف الفضل بن الحسن الطبرسي المطبوع بطهران من منشورات المعارف الإسلامية (ج ٥ ص ٢).

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٧٣، و البحار ج ١٩ ص ٦٩، و الصافي ج ١ ص ٦٨٠، مجمع البيان ج ٥ ص ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٦

لنزولهما جميعا في المغازى، و تسميتهما بالقرينين، بل من القريب حمل خبر الاتحاد على شىء من هذه الوجوه، إلا أن الاحتياط فى مثل القراءة و غيرها لا يخفى سبيله، و لا ينبغي تركه. و إن كان الأظهر حرمة كل من التبعض، و الجمع بين مطلق السورتين، كما أن الأظهر فى المقام التعدد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٧

الفصل الثالث

فى تقسيم السور قسموا السور الى أقسام أربعة: أحدهما الطول كصرد جمع الطولى بالضم مؤنثه الأطول كالكبر و الفضل فى جمع الكبرى و الفضلى.

و فى «النهاية» إن هذا البناء يلزمه الألف أو الإضافة، قال: و السبع الطول هى البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و التوبة، و هو مبنى على إسقاط الأنفال رأسا، و عدّ التوبة سورة مستقلة، لكن فى القاموس أنها من البقرة الى الأعراف، و السابعة سورة يونس، أو الأنفال و براءة جميعا، لأنهما سورة واحدة عنده انتهى.

و لا يخفى أن هذين القولين يخالفان ما فى «النهاية» بل لعل ظاهره أن من عدّهما سورتين جعل السابعة سورة يونس، و ليس كذلك، بل يظهر من بعضهم أنهما معا السابعة، و لو عند من قال بالتعدد نظرا الى وحدة البسملة فيهما، أو نزولهما جميعا فى المغازى، أو لقبهما فى الآى للسنّة السابقة، أو لأن الأولى فى ذكر العهود، و الثانية فى رفع العهود.

و فى «المجمع» عن ابن عباس أنه قال لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٨

عمدتم الى براءة و هى من المثين و الى الأنفال و هى من المثانى، فجعلتموها فى السبع الطول، و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: كان النبى صلى الله عليه و آله تنزيل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول صلى الله عليه و آله له: ضع هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا،

و كانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة، و كانت براءة من آخر ما نزلت من القرآن، و كانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننا أنها منها، و قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و لم يبين أنها منها، فوضعناهما فى السبع الطول، و لم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم «١».

ثم أنه يظهر من «النهاية» الأثرية إطلاق الطولين على الأنعام و الأعراف قال: و منه حديث أم سلمة كان يقرأ فى المغرب بطولى الطولين، تنبئة الطولى و مذكرها الأطول، أى أنه كان يقرأ فيها بأطول السورتين الطويلتين يعنى الأنعام و الأعراف.

ثانيهما: المثون جمع المائة و النون، قال فى «الصحيح»: أصله يعنى المائة مائة مثل معى و الهاء عوض عن الياء و إذا جمعت بالواو و النون قلت مئون بكسر الميم، و بعضهم يقول مئون بالضم.

أقول: و المراد منها ما آياتها فى حدود المائة بشىء من زيادة أو نقصان، قالوا: و هى من يونس الى الفرقان، و قيل: من بنى إسرائيل الى سبع سور، لأن كلها منها على نحو مائة آية، و التسمية للسور باعتبار الآيات فإنها يوصف بها كما يقال مررت برجل مائة أبه كما فى «القاموس» و إن قال: و الوجه الرفع.

ثالثها المثانى جمع المثنى كالمعنى و المعانى، و عن الفراء أن واحدها

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٤٩

مثناة، و المثنائي و إن كانت تطلق على الفاتحة لما مرّ، و على جميع القرآن بمعنى المجموع، أو كل آية منه لاقتران آية الرحمة بآية العذاب، أو لغيره ممّا مرّ، و لكن المراد بها في المقام ما كان أقلّ من المئين و أزيد من المفصل، قيل: كأنّ المئين جعلت مبادئ، و التي تليها مثنائي.

و في «مجمع البيان» أنّها مثنائي السبع الطول قال: و أولها سورة يونس، و آخرها النمل، و قيل: و المشهور بين العامة أنّه من الطواسين الى الحجرات، و قيل: إنّ بقیة السور غير الطول السبع، و المئين السبع، و المفصل المفسّر بسورة محمد صلى الله عليه و آله الى آخر القرآن، و هي تقصر عن المئين و تزيد على المفصل، كأنّ الطول جعلت مبادئ أخرى، و التي تليها مثنائي لها فهي مثنائي لكل منهما، و قيل: أقوال آخر أشار الى جملة منها في «القاموس» قال: و المثنائي القرآن، أو ما ثنى منه مرّة بعد مرّة، أو الحمد، أو البقرة، الى براءة، أو كل سورة دون الطول، و دون المئين، و فوق المفصل، أو سورة الحجّ و القصص، و النمل، و العنكبوت، و النور، و الأنفال، و مريم، و الزّوم و ياسين، و الفرقان، و الحجر و الرعد، و سبأ، و الملائكة، و إبراهيم، و ص، و محمد، و لقمان، و النون، و الزخرف، و المؤمن، و السجدة، و الأحقاف، و الجاثية، و الدخان، و الأحزاب.

رابعها المفصل بفتح الصاد المشددة، قال في «القاموس»، إنّ من الحجرات الى آخر القرآن في الأصحّ، أو الجاثية، أو القتال أو ق عن النووى (١)

(١) النووى يحيى بن شرف الشافعى، أبو زكريّا يحيى الدين: علّامة بالفقه و الحديث ولد في نوا (من قرى حوران بسورية) و إليها نسبته سنة ٦٣١ تلم في دمشق و أقام بها زمنا طويلا له مصنّفات كثيرة: منها تهذيب اللغات و الأسماء، المنهاج في شرح صحيح مسلم خمس مجلدات، التبيان في آداب حملة القرآن .. توفي سنة ٦٧٦ في النوا، الأعلام ج ٩ ص ١٨٤ طبقات، الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ١٩٩

و الصّافات، أو الصّف، أو التبارك، عن أبي الصيف «١»، أو إنّنا فتحنا، عن الدزماري «٢»، أو سبّح اسم ربك الأعلى، عن الفركاح «٣» أو و الضحى، عن الخطّابى «٤». «٥» أقول: و الذى استقرّ عليه مذهب أصحابنا الإمامية عطر الله مرادهم أنّه من سورة محمد صلى الله عليه و آله الى آخر القرآن، بل عن «التبيان» نسبته الى أكثر أهل العلم، و اقتصر عليه في «مجمع البيان» من غير إشارة الى غيره، و قد يؤيد ذلك بما فى المروى مرسلا فى «مجمع البحرين» «٦» و لعلّه خبر سعد الآتى، أو غيره، فيعضده أنّ المفصل ثمان و ستون سورة نظرا إلى انطباق هذا العدد عليه بداية و نهاية كما لا يخفى و إنما سمّيت به لكثرة الفصول بين سورة بالبسملة، من قوله

(١) محمد بن إسماعيل بن على بن أبى الصيف، فقيه، شافعى يمنى أصله من زييد أقام و توفي بمكة سنة ٦٠٩ هـ له مصنّفات: منها (الأربعون حديثا جمعها عن أربعين شيخا من أربعين مدينة. طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٩.

(٢) هو: أحمد بن كشاسب بن على الدزماري كمال الدين الفقيه الصوفى الشافعى، توفى سنة (٦٤٣) هـ و نسبته الى دزمار (بكسر الدال) قلعة حصينة من نواحي آذربايجان قرب تبريز، طبقات السبكي ج ٨ ص ٣٠.

(٣) الفركاح عبد الرحمن بن إبراهيم الفزازى تاج الدين، مورخ من علماء الشافعية بلغ رتبة الاجتهاد، مصرى الأصل، دمشق الإقامة و الشهرة له مصنّفات: منها شرح الورقات لإمام الحرمين فى الأصول، و كشف القناع فى حلّ السماع - طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٦٠ - الأعلام ج ٤ ص ٦٤.

(٤) الخطّابى حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب بن سليمان: فقيه محدث من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطّاب

(أخى عمر بن الخطاب) له مصنفات منه: معالم السنن فى شرح سنن أبى داود، إصلاح غلط المحدثين، شرح البخارى، بيان إعجاز القرآن. ولد فى سنة ٣١٩ و توفى ببست سنة ٣٨٨ هـ، - يتيمة الدهر للثعالبي ج ٤ ص ٢٣١- الأعلام للزركلى ج ٢ ص ٣٠٤.
(٥) تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدي ص ٦٠ ج ٨ فصل ألفا من باب اللام.
(٦) مجمع البحرين حرف اللام ما أوله الفاء ص ٤٤٨ فى كلمة فصل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥١

عقد مفصل أى جعل بين كل لؤلؤتين منه جوهره، أو لقله المنسوخ فيه من قولهم حكم فاصل و فيصل ماض أو لكثرة فواصله فى سورة، أو آياته فإن الفاصله الخرزة بين الخرزتين، و أواخر آيات التنزيل بمتزلة قوافى الشعر.
ثم إن التسمية فى هذه الأسماء الأربعة مشهورة بين العامة، بل و بين الخاصة أيضا، و إن توهم بعض المتأخرين أنه لا أصل لها فى أخبارنا، بل ذكر السيد «١» فى مداركه بعد نقل الشهرة على استحباب قراءة المفصل فى الصلوة أنه ليس فى إخبارنا تصريح بعد هذا الاسم و لا تحديده، و إنما رواه الجمهور عن عمر «٢» و تبعه البحرانى، فى حدائقه قال بعد نقل كلامه: و من هنا يعلم أن الظاهر أن أصحابنا (رضى الله عنهم) قد تبعوا فى ذلك العامة، ثم قال بعد أن حكى عن مجمع البحرين: إن فى الحديث فضلت بالمفصل.
و

فى الخبر أنه ثمان و ستون إلخ

إنه ربما أشعر كلامه بأن الأخبار المذكورة فى كلامه مروية عن طرفنا، و لم أقف على من نقلها كذلك سواه، و الظاهر أنها من

(١) محمد بن على بن الحسين العاملى صاحب المدارك، كان فاضلا، متبحرا، ماهرا، محققا، مدققا، زاهدا، عابدا، ورعا، فقيها، محدثا، جامعا للعلوم و الفنون جليل القدر، عظيم المنزلة قرأ على أبيه و على المولى أحمد الأردبيلي و تلامذه جد لأمه الشهيد الثانى، و كان شريك خاله الشيخ حسن فى الدرس، و كان كل منهما يقتدى بالآخر فى الصلاة، و يحضر درسه له كتاب مدارك الأحكام فى شرح شرايع الإسلام خرج منه العبادات فى ثلاث مجلدات فرغ منه سنة ٩٩٨ و هو من أحسن كتب الاستدلال، و حاشية الإستبصار، و حاشية التهذيب، و حاشية على ألفية الشهيد، و شرح المختصر النافع و غير ذلك. توفى سنة ١٠٠٩ فى قرية جبع. - سفينة البحار ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) فى بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٠٥ كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الأشعري: أن اقرأ فى الفجر و الظهر بطول المفصل و فى العصر و العشاء بأوساط المفصل و فى المغرب بقصار المفصل.

- تعليقه الحدائق ج ٨ ص ١٧٧ ط. الآخوندى بالنجف -

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٢

طرق العامة و إن تناقلها أصحابنا فى كتب الفروع.

نعم وقفت على ذلك فى كتاب دعائم الإسلام «١» إلما أنه من كلامه و لم يسنده الى رواية حيث قال: و لا بأس أن يقرأ فى الفجر بطوال المفصل و فى الظهر و العشاء الآخرة بأوساطه، و فى العصر بأوساطه، و فى المغرب بقصاره انتهى «٢».

و نسج على منوالهم كثير ممن تأخر عنهم، لكن القدر ليس فى موضعه إذ

فى «الكافى» بالإسناد عن سعد الإسكاف أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله أعطيت

(١) دعائم الإسلام للقاضى النعمان بن محمد بن منصور أبى حنيفة ابن حيون التميمى، قال المجلسى فى مقدمة البحار: و كتاب دعائم الإسلام قد كان أكثر أهل عصرنا يتوهمون أنه تأليف أبى حنيفة النعمان بن منصور قاضى مصر فى أيام الدولة الإسماعيلية، و كان

مالكيا أولا ثم اهتدى و صار إماميا، و أخبار هذا الكتاب أكثرها موافقة لما في كتبنا المشهورة لكن لم يرو عن الأئمة بعد الصادق خوفا من الخلفاء الإسماعيلية، و تحت سرّ التقيّة أظهر الحق لمن نظر فيه متعمقا، و أخباره تصلح للتأييد و التأكيد. قال ابن خلكان: هو أحد الفضلاء المشار إليهم ذكره الأمير المخترار المسيحي في تاريخه فقال: كان من العلم و الفقه و الدين و النبيل على ما لا مزيد عليه. و قال ابن زولاق في ترجمه ولده على بن النعمان:

كان أبوه النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه، و عالما بوجوه الفقه و علم اختلافات الفقهاء و اللغة و الشعر و المعرفة بأيام الناس مع عقل و إنصاف و ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أمّح سجع، و عمل في المناقب و المثالب كتابا حسنا، و له ردود على المخالفين: له ردّ على أبي حنيفة و على مالك، و الشافعي و على شريح، و كتاب اختلاف ينتصر فيه لأهل البيت عليهم السلام قال الزركلي في الأعلام: ابن حيون النعمان بن محمد بن منصور كان واسع العلم بالفقه و القرآن و الأدب و التاريخ، من أهل القيروان، مولدا و منشئا تفقه بمذهب المالكية، و تحول الى مذهب الباطنية. عاصر المهدي و القائم و المنصور و المعزّ و خدمهم، و قدم مع المعزّ إلى مصر و توفي بها سنة ٣٦٣ هو صفة الذهبى بالعلامة المارق و قال: كتبه كبار مطوّله، و كان وافر الحشمة عظيم الحرمة، في أولاده قضاء و كبراء. الأعلام ج ٩ ص ٨، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦، بحار الأنوار ج ١.

(٢) الحدائق الناظرة ج ٨ ص ١٧٨ ط. الآخوندي بالنجف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٣
السور الطول مكان التوراة، و أعطيت المئين مكان الإنجيل، و المثاني مكان الزبور، و فضّلت بالمفصل ثمان و ستين سورة، و هو مهيمن على سائر الكتب فالتوراة لموسى، و الإنجيل لعيسى، و الزبور لداود صلّى الله عليه و آله «١».

و
في «مجمع البيان» أنّه قد شاع في الخبر عن النبي صلّى الله عليه و آله أنه قال: أعطيت لمكان التوراة السبع الطول، و مكان الإنجيل المثاني، و مكان الزبور المئين، و فضّلت بالمفصل، قال و في روايه واثله بن الأسقع «٢»: و أعطيت مكان الإنجيل المئين، و مكان الزبور المثاني، و أعطيت فاتحة و خواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها أحد قبلي، و أعطاني ربي المفصل نافله «٣».

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٣٩ ط الإسلامية بطهران.

(٢) واثله بن الأسقع بن عبد العزى: صحابى، من أهل الصفة. كان قبل إسلامه ينزل ناحية المدينة.

و دخل المسجد بالمدينة و النبي صلّى الله عليه و آله يصلى الصبح، فصلى معه و كان من عادة النبي صلّى الله عليه و آله إذا انصرف من صلاة الصبح تصفح وجوه أصحابه، ينظر إليهم فلما دنا من واثله أنكره، فقال من أنت؟ فأخبره، فقال صلّى الله عليه و آله ما جاء بك؟ قال: أبايع فقال صلّى الله عليه و آله: على ما أحببت و كرهت؟ قال: نعم و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يتجهز الى تبوك، فشهدا معه. قيل خدم النبي (صلّى الله عليه و آله ثلاث سنين، ثم نزل البصرة و كانت له بها دار و شهد فتح دمشق و سكن قرية البلاط على ثلاثة فراسخ منها و حضر المغازى في البلاد الشامية، و تحول الى بيت المقدس، فأقام و يقال: كان مسكنه بيت جبرين و كفّ بصره و عاش ١٠٥ سنين و قيل: ٩٨ سنة و هو آخر الصحابة موتا في دمشق، له ٧٦ حديثا و وفاته بالقدس أو بدمشق سنة ٥٨٣. أسد الغابة ج ٥ ص ٧٧، الأعلام ج ٩ ص ١٢٠.

(٣) مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب الفن الرابع في ذكر أسامي القرآن و معانيها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٥

في معنى الآية والكلمة والحروف أما الآية فهي في الأصل بمعنى العلامة، أو العلامة التي فيها العبرة، أو التي فيها الحجّة، أو العلامة الظاهرة، و بمعنى العجب من قولهم فلان آية في العلم، و العبرة، و الشخص، و لعل الأظهر كونها حقيقة في الأول، و إن أطلقت على الجميع باعتبار الموارد، و عليه حمل قوله تعالى: عِيداً لَأَوْلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ «١» أي علامة لإجابتك دعانا، و آيات الكتاب علامات و دلالات على معانيها.

و عن أبي عبيدة «٢» أن معنى الآية أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها

(١) المائدة: ١١٤.

(٢) معمر بن المثنى بالولاء البصرى، أبو عبيدة النحوى: من أئمة العلم بالأدب و اللغة مولده في سنة ١١٠ و وفاته في البصرة ٢٠٩ هـ استقدمه هارون الرشيد الى بغداد سنة ١٨٨ هـ، و قرأ عليه أشياء من كتبه.

قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. و كان أباضياً، شعوبياً، من حفاظ الحديث، قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب و صنف في مثالبهم كتباً و لمّا مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه، و كان مع سعة علمه، ربّما أنشد البيت فلم يقم وزنه و يخطئ إذا قرأ القرآن نظراً له نحو ٢٠٠ مؤلف منها «مجاز القرآن» و «معاني القرآن» و «اعراب القرآن» و «طبقات الشعراء» و غيرها.

وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٥- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢- الأعلام ج ٨ ص ١٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٦

و انقطاعه عمّا بعدها، و يقال: إن الآية هي القصّة و الرسالة، قال كعب بن زهير «١»:

ألا أبلغا هذا المعرّض آية أيقظان هذا القول أم قال ذا الحلم، أي رسالته فمعنى الآيات القصص، أي قصّة تتلو قصّة.

و عن ابن السكيت: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا ورائهم شيئاً، فمعنى الآية جماعة من الحروف دالّة على معنى مخصوص، و وزنها فعله بسكون العين، أو بفتحها، أو فاعله، قال في الصحاح: الآية: العلامة؛ و الأصل أويّة بالتحريك، قال سيبويه «٢». موضع العين من الآية واو لأنّ ما كان موضع العين منه واوا ياء أكثر مما موضع العين و اللام منه ياء، مثل شويت أكثر من حييت، و يكون النسبة إليها آوى.

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازنى: شاعر على الطبقة، من أهل نجد له ديوان شعر مطبوع كان ممّن اشتهر في الجاهلية، و لمّا ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه و آله و أقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبي صلى الله عليه و آله دمه فجاءه كعب مستأمناً و قد أسلم، و أنشده لا ميثه المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد و قلبى اليوم مبتول» فعفا عنه النبي صلى الله عليه و آله و خلع عليه بردته و هو من أعرق الناس في الشعر، قوله في أمير المؤمنين عليه السلام مشهور: صهر النبي و خير الناس كلهم فكل من رامه بالفخر مفخور صلى الصلوة مع الأمى أولهم قبل العباد و ربّ الناس مفخور

خزانة الأدب ج ٤ ص ١١- الأعلام ج ٦ ص ٨١- سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٣.

(٢) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشير: إمام النحاة و أول من بسط علم النحو- ولد في إحدى قرى شيراز، و قدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، و صنّف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو لم يصنع قبله و لا بعده مثله، و رحل الى بغداد، فناظر الكسائي و أجازته الرشيد بعشرة آلاف درهم و عاد الى الأهواز فتوفى بها، قيل: وفاته و قبره بشيراز. ولد سنة ١٤٨ هـ و توفى سنة ١٨٠ هـ و سيبويه بالفارسية رائحة التفاح.

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٥- تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٩٥- الأعلام ج ٥ ص ٢٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٧

ثم حكى عن الفراء «١» أنها من الفعل فأعلت و إنما ذهبت منه اللام، و لو جاءت تامه ل جاءت أيبه، و لكنها خفت ثم ذكر أن جمعها أى، و آياى، و آيات.

و حكى عن إنشاد أبى زيد «٢» رابعا، قال: لم يبق هذا الدهر من آياته غير أثاره و ارمدائه.

و قال القاضى «٣»، اشتقاقها من أى لأنها تبين أيا من أى، أو من أوى اليه و أصلها أيه أو أويه كتمره فأبدلت عينها ألفا على غير قياس، أو أويه، أو أيبه

(١) الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمى: إمام الكوفيين و أعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الأدب، و من كلام ثعلب: لو لا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة سنة ١٤٤ ه و انتقل الى بغداد و عهد اليه المأمون بتربيته ابنه فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف الى الكوفة فأقام أربعين يوما فى أهله يؤزغ عليه ما جمعه و يبزهم، و توفى فى طريق مكة سنة ٢٠٧، و كان مع تقدمه فى اللغة و النحو فقيها متكلما، عالما بأخبار العرب و أيامها، عارفا بالنجوم و الطب، يميل الى الاعتزال له مصنفات منها «المقصود و الممدود» و «معانى القرآن» أملاها فى مجالس عامه كان فى جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و «المذكر و المؤنث» و «الجمع و التشبيه فى القرآن» ألفه بأمر المأمون، و اشتهر بالفراء مع أنه لم يعمل فى صناعة الفراء، فقل: لأنه كان يفرد الكلام، و عرف أبوه «زياد» بالأفطح لأن يده قطعت فى معركة فح سنة ١٦٩ ه و قد شهدها مع الحسين بن على بن الحسن، فى خلافة موسى الهادى.

- وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٨- الأعلام للزركلى ج ٩ ص ١٧٨.

(٢) أبو زيد الأنصارى أحد أئمة الأدب و اللغة، من أهل البصرة، ولد سنة ١١٩ ه و توفى بالبصرة سنة ٢١٥ ه و هو من ثقاة اللغويين قال ابن الأنبارى كان سيويه إذا قال سمعت الثقة عنى أبا زيد، له مصنفات منها، «كتاب النوادر» فى اللغة «و اللباء و اللبن» و «المياه» و «خلق الإنسان» و «لغات القرآن» و «الوحوش» و «بيوتات العرب».

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٧- تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٧- الأعلام ج ٣ ص ١٤٤.

(٣) القاضى هو البيضاوى عبد الله بن عمر بن محمد، قاض مفسر ولد فى بيضاء قرب شيراز و ولى قضاء شيراز مدة، فانصرف عن القضاء و رحل الى تبريز و توفى فيها سنة ٦٨٦ ه له آثار منها: «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاوى.

- البدايه و النهايه ج ١٣ ص ٣٠٩- الأعلام ج ٤ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٨

كرمله فأعلت، أو آيه كقابلة فحذفت الهمزة تخفيفا.

ثم أنها قد غلبت فى دين الإسلام غلبه عرفيه عامه، أو خاصه متشرعه، أو شرعيه و إن كان الأظهر الأخير فى جماعه حروف أقصرها اثنان، مثل حم و يسن، و أطولها آيه المدائنه فى أواخر البقرة «١» و هى مائة و ثلاثه و ثلاثون كلمه على ما قيل، و هو مبنى على عدم عد الحرف الواحد آيه كما استقرت عليه كلمتهم.

قال شيخنا «٢» الطبرسى فى المجمع لم يعدق آيه، و لا نظرائه من ن و ص،

(١) البقرة: ٢٨٢- صدرها: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ..) إلخ.

(٢) أمين الدين أو أمين الإسلام أبو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى الطوسى: مفسر فقيه، جليل، كامل، نبيل، محقق، لغوى من أجلاء الإماميه و لقد أذعن لفظه كل من عاصره أو تأخر عنه: قال الأفندى فى رياض العلماء: رأيت نسخه من مجمع البيان بخط القطب الكيدرى قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسى و على ظهرها أيضا بخطه هكذا: تأليف الشيخ الإمام الفاضل السعيد الشهيد انتهى- قال فى الروضات: الشيخ الشهيد السعيد و الحبر الفقيه الفريد، الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة، الكامل

النيل، قال الشيخ أسد الله التستري في المقاييس عند ذكر ألقاب العلماء و منها أمين الإسلام الشيخ الأجل الأوحى الأكمل الأسعد قدوة المفسرين و عمدة الفضلاء المتبحرين أمين الدين أبى على إلخ .. يروى المترجم له عن جماعة منهم: أبو على بن الشيخ الطوسى، و الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن على و الشيخ الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمى، و السيد أبو طالب الجرجانى و غيرهم مصنفات كثيرة رائعة منها «مجمع البيان» و هو من أحسن التفاسير و أجمعها لفنون العلم فرع منه منتصف ذى القعدة سنة ٥٣٦ هـ «و جوامع الجامع مختصر مجمع البيان و الكشف» و «تاج الموالي» و «أعلام الورى بأعلام الهدى» فى فضائل الأئمة و غيرها. توفى سنة ٥٤٨ هـ عن الأفندى فى رياض العلماء أنه قال: مما اشتهر بين الخاص و العام أن الطبرسى رحمه الله أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فغسلوه و كفنوه و دفنوه و انصرفوا فأفاق و وجد نفسه مدفوناً فنذر إن خلصه الله تعالى من هذه البلية أن يؤلف كتاباً فى تفسير القرآن و اتفق أن بعض النباشين كان قد قصد قبره فى تلك الحال و أخذ فى نبشه فلما نبشه و جعل ينزع عنه الأكفان قبض بيده عليه فخاف النباش خوفاً عظيماً ثم كلمه فازداد خوف النباش فقال له: لا تخف و أخبره بقصته فحمله النباش على ظهره و أوصله الى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٥٩

لأنه مفرد و كل مفرد فإنه لا يعدّ لبعده عن شبه الجملة، فأما المركب فما أشبه الجملة و وافق رؤوس الآى فإنه يعدّ مثل طه، و حم، و ألم.

أقول: و من هنا يظهر انهم اعتبروا فى معناها معنى الجمعية التى أحد معانيها من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بأجمعهم، و إن كانت مع ذلك عبرة و علامة واضحة، و حجة بينة على صدق النبى صلى الله عليه و آله و لذا كان كل آية منه معجزة أبد الدهر، و على الحقائق الكلية و العلوم الربانية، و المعارف الإلهية التى هى دليل عليها حسبما سمعت فكأنه قد لوحظت فى المنقول إليه جميع المعانى كما هو الأوفق بالجمعية المعبرة فى مسماها فإن الأظهر حصول النقل الشرعى فيها.

و لذا قال الجاحظ «١»: سُمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سُمى العرب كلامهم

بيته فأعطاه الأكفان و وهب له مالا جزيلا و تاب النباش على يده ثم وفّى بنذره و أَلّف كتاب مجمع البيان انتهى قال المحدث النورى فى مستدركات الوسائل بعد نقل هذه الحكاية و مع هذا الاشتهار لم أجدها فى مؤلف أحد قبله و ربما نسبت الى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشانى صاحب تفسير منهج الصادقين و خلاصته و شرح هذه الحكاية مع بعدها فى نفسها من حيث بقاء حياة المدفون بعد الإفاقة أنها لو صحّت لذكرها فى مقدمته مجمع البيان لغرابتها و لاشتمالها على بيان السبب فى تصنيفه مع أنه لم يتعرض لها و الله أعلم، توفى بسبزوار و نقل الى المشهد الرضوى و دفن فى جوار الرضا عليه السلام.

و الطبرسى بالطاء المهملة و الباء المفتوحتين و الراء الساكنة بعدها سين مهملة نسبة الى طبرستان و هى بلاد مازندران، قال فى معجم البلدان الطبر بالتحريك هو الذى يشقق به الأحطاب و ما شاكله بلغة الفرس و استان الموضع أو الناحية فطبرستان أى ناحية الطبر لأن أكثر أهل تلك الجبال مسلحون بالطبر. مقدمته مجمع البيان، الأعلام ج ٥ ص ٣٥٢، روضات الجنان ص ٥١٢.

(١) الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر البصرى اللغوى النحوى كان من غلمان النظام و كان من كبار أئمة الأدب و رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة و مائلا الى النصب و العثمانية ولد فى البصرة سنة ١٦٣ هـ و توفى فيها سنة ٢٥٥ هـ فلج فى آخر عمره و كان مشوه الخلق و قيل فى قبحة، لو يمسح الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلّا دون قبح الجاحظ، مات و الكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها «الحيوان» مجلدات و «البيان و التبيين» و «المحاسن و الأضداد» و

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٠

على الجمل و التفصيل، سُمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، و بعضه سورة كقصيدة و بعضها آية كالبيت، و آخرها فاصلة كقافية.

ثم لا يخفى أن ما ذكرناه فى تعريف الآية تعريف لفظى لم نقصد به إلّا المعرفة الإجمالية التى يتميز بها النوع عن غيره فى الجملة إذ

لا يهتأ الاستقصاء في تعريفه بما يسلم طردا و عكسا من المناقشات، و إن كان ملحوظا فيما ذكرناه حيثية الجعل الشرعى الذى معها يسلم عن كثير من الاعتراض بخلاف ما ذكره القوم فى المقام، مثل ما قيل من أنها كل كلام يتصل الى انقطاعه، أو أنها ما يحسن السكوت عليه، أو أنها جماعة حروف، الى غير ذلك مما لا يسلم منها لو لا اعتبار حيثية المتقدمه.

و أما الكلمه فعن الفراء و غيره أن فيها ثلث لغات: فتح الأول و كسر الثانى، و هو الأشهر، و يجوز سكون الثانى مع فتح الأول و كسره، بل قد يقال باطراد الثلاثة فى كل ما كان على فعل بفتح الفاء و كسر العين نحو كبد و ورق و تطلق على كل لفظ وضع لمعنى مفرد، و تجمع على كلمات و كلم على الأظهر من الأقوال فيها، كما صرح به فى «الصحاح» و غيره.

و قد يقال: إنها مشتقة من الكلم بالفتح فالسكون بمعنى الجراحة نظرا الى أن السمع و القلب يتأثران بها كما أن البدن قد يتأثر بالجراحة، بل قد يكون الأول

«العثمانية» التى نقض عليها أبو جعفر الإسكافى و الشيخ المفيد، و السيد أحمد بن طاووس و من أشعار الجاحظ ما أنشده فى أواخر عمره عند المبرد: أترجو أن تكون و أنت شيخ كما قد كنت فى أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

الكنى و الألقاب، سفينة البحار ج ١ ص ١٤٦، الأعلام ج ٥ ص ٢٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦١

أقرب الى الدوام، و أبعد عن الالتيام و الالتحام، و لذا قيل: جراحات السنان لها التيام و لا يلتام ما جرح اللسان.

و فى «الصحاح»: الكلم الجراحة، و الجمع كلوم و كلام، تقول كلمته كلما قال: و قرأ بعضهم «١»: دابة من الأرض تكلمهم «٢»، أى تجرحهم، و تسمهم، لكنّه اشتقاق بعيد كما نبه عليه نجم الأئمة «٣» و غيره، و أبعد منه ما يتوهم من اشتقاقها من الكلام بالضم.

قال فى القاموس: إنه الأرض الغليظة، و ربما يفسر بالقوت، قيل و منه قولهم: شغلنا الكلام عن الكلام.

و أما الحرف، فهو فى الأصل بمعنى الطرف، و النهاية، و الحد، و الشفير، و منه حرف الجبل، و هو أعلاه المحدد، و حرف لشفيره، و قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ «٤»، أى على وجه واحد، و هو أن يعبد على السراء دون الضراء، أو فى العلانية دون السر، أو باللسان دون الجنان، فإن الدين حرفان، أو على ضعف فى العبادة، كضعف القائم على حرف، أى طرف جبل، الى غير ذلك مما يؤول إلى ما مر، نعم قد غلب عرفا على هذه المسموعات التى

(١) المراد به ابن زرعة الذى قرأ تكلمهم بتخفيف اللام على ما صرح به الطبرسى مجمع البيان ج ص ٢٣٢.

(٢) النمل: ٨٢.

(٣) نجم الأئمة محمد بن الحسن الرضى الإسترابادى: محقق، مدقق من نوادر الزمان من الإمامية له مصنفات رائعة فائقة منها: «شرح الكافية لابن الحاجب» فى النحو و «شرح مقدمة ابن الحاجب المسماء بالشافية فى علم الصرف» و «شرح القصائد السبعة لابن أبى الحديد» توفى نحو ٦٨٦ هـ.

خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٢ و الأعلام ج ٧ ص ٣١٧.

(٤) الحج: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٢

يقال لها حروف المعجم، و ربما يعرف بأنه كيفية للصوت بها يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله فى الحدّة و الثقل تميزا فى المسموع، و التقييد بالمثلثة فى الوصفين، لإخراجهما إذ لا يمتاز بشيء من الحدّة أى الزيرية و الثقل أى البميّة صوت يماثله فيهما و إن

كانا كيفيتين للصوت، وبالتمييز في المسموع لإخراج الغنة التي تظهر من تسريب الهواء بعضا الى الأنف و بعضا الى الفم مع انطباق الشفتين و البوحوة التي هي للصوت الخارج من الحلق و غيرهما من طول الصوت و قصره، و كونه طيبا و غيره، فإن شيئا من ذلك لا يوجب التمييز في المسموع. و لذا قد تختلف هذه الأمور و المسموع واحد، و قد تتحد و المسموع هو الحروف خاصة لا- تلك الكيفيات، و هو لا يخلو عن تأمل.

نعم قد يقسم الحروف الى زمانية صرفة و هي ما يمكن تمديدها بلا- توهم تكرار كالفاء و القاف و الشين، و كالحروف المصوتة المشهورة بحروف المد و اللين المقابلة للصوامت التي هي ما سواها، و الى آتية صرفة كالباء و الطاء، و الدال، و غيرها من الصوامت التي لا يمكن تمديدها أصلا، فإنها لا توجد إلا في آخر زمان حبس النفس، كما يشهد به التكلم بها- ساكنة بعد الهمزة المفتوحة، و لذا قيل: إن تسميتها بالحروف أولى من تسميتها غيرها، لأنها أطراف الصوت، و قد سمعت أن الحرف هو الطرف، و الى آتية تشبه الزمانية و هي أن تتوارد أفراد آتية مرارا فيظن أنها فرد واحد زمني كالراء و الحاء، و الخاء، حيث إن الغالب على النطق أن الراء التي في آخر الدار مثلا رأت متواليه كل واحد منها آتية الوجود، إلا أن الحس لا يشعر بامتنياز أزمتهها، فظنها حرفا واحدا زمانيا. و من هنا يعترض على التعريف المتقدم بعدم شموله للحروف الآتية نظرا الى أنها لا توجد إلا في الآن الذي هو بداية زمان الصوت أو نهايته، فلا تكون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٣

عارضة له حقيقة، لأن العارض يجب أن يكون موجودا مع المعروف، و هي لا توجد مع الصوت الذي هو زمني. و أوجب بأن عروضها للصوت على نحو عروض الآن للزمان، و النقطة للخط يعني أن عروض الشيء للشيء قد يكون بحيث يجتمعان في الزمان، و قد لا يكون، و حينئذ يجوز أن يكون كل واحد من الحروف الآتية طرفا للصوت عارضا له عروض الآن للزمان، فيندفع الإشكال.

أقول: و في كل من الاعتراض و الجواب نظر.

أما في الأول فللمنع من كون هذه الحروف آتية حقيقية، و التسمية باعتبار الإضافة، سلمنا لكن عروض الكيفية إنما هو لأجزاء الصوت أوعيتها زمانا، و أنا، و منه يظهر الحق في الجواب.

و أما في الثاني فلأن النقطة مجرد نهاية للخط، و هذا كيفية للنهائية، و الفرق واضح جدا، نعم تعريف الحرف بالهيئة العارضة إنما هو المشهور عند الحكماء، و أما أهل العربية، بل العرف العام فالظاهر منهم إطلاقه على مجموع العارض و المعروف كما لا يخفى.

ثم إنه حكى في «المصباح المنير» عن الفراء، و ابن السكيت أن حروف المعجم جميعها مؤنثة، و لم يسمع التذكير في شيء من الكلام، و أنه يجوز تذكيرها في الشعر.

و عن ابن الأنباري «١» التأنيث في حروف المعجم عندي على معنى الكلمة

(١) ابن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: من أعلم أهل زمانه بالأدب و اللغة، و من أكثر الناس حفظا للشعر و الأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمئة ألف شاهد في القرآن، ولد في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٤

و التذكير على معنى الحرف.

و عن البارع «١» أن الحروف مؤنثة إلا أن تجعلها اسما فعلى هذا يجوز أن يقال هذا جيم، و ما أشبهه.

الأنبار (على الفرات) سنة ٢٧١ هـ و توفي ببغداد سنة ٣٢٨ و كان يتردد الى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم، له مصنفات منها

«الزاهر» في اللغة و «شرح معلقة عنترة» و «الأمثال» و «الأضداد» و «غريب الحديث» و هو أجلّ كتبه: قيل أنه ٤٥٠٠٠ ورقة.

- وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٣ و تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٥٧- و الأعلام ج ٧ ص ٢٢٦.

(١) البارع البغدادي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب من بنى الحارث بن كعب من علماء النحو و اللغة و هو من بيت وزارة ولى بعض جدوده وزارة المعتضد و المكتفى العباسيين، له ديوان شعر و كتب فى الأدب و من شعره: أفنيت ماء الوجه من طول ما أسأل من لا ماء فى وجهه

أنهى إليه شرح حالى الذى يا ليتنى متّ و لم أنهه

ولد البارع فى بغداد ٤٤٣ و عمى فى آخر عمره و توفى سنة ٥٣٤. وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٨، أنباء الرواة ج ١ ص ٣٢٨، الأعلام ج ٢ ص ٢٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٥

الفصل الخامس

فى عدد الآيات و الكلمات و الحروف اختلفوا فى تعيين عدد آيات القرآن الكريم على أقوال بعد اتفاقهم فى الجملة على أنها لا تقصر عن ستة آلاف و مائتى آية و شىء زائد، فاختلافهم فى تعيين شىء زائد، و الأقوال المختلفة لا ترجع إلى إثبات بعض الآيات و رفعها رأساً، بل الى عدّ بعض الآيه آيه.

فمن المكّين أن القدر الزائد ستّ عشر آية، و قيل تسع عشر آية، و قيل اثنتى عشرة آية و عن المدّيتين إحدى عشر آية، و الأكثر على أنّها عندهم سبع عشر آية و لعل نسبة الأول إليهم و هم، و عن البصريين أربع آيات، و قيل ثلاث آيات، و قيل خمس آيات، و ربّما يقال: إنّ بناء مصاحفهم على الأول، و عن الشاميين سبع و عشرون، و قيل تسع و عشرون، و المحكى عن إبراهيم «١» التميمى نقصان واحدة عن المائتين، و عن الكوفيين خمس و ثلاثون، و فى «برهان القارى» حكاية عن بعض البارعين فى هذا الشأن أنّها فى عددهم ستّ و ثلاثون، و ربما ينسب إليهم غير ذلك، بل فيه أن الزيادة عند المدنى الأول سبع عشر آية،

(١) إبراهيم بن يزيد التميمى أو التميمى عدّه ابن قتيبة من الشيعة و ذكره الشيخ فى رجال السجّاد عليه السلام مات على عهد الحجاج سنة ٩٥ هـ و لم يحضر جنازته أحد خوفاً منه إلّا سبعة أنفس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٦

و عند المدنى الأخير، و هو إسماعيل «١» بن جعفر المدنى أربع عشر آية الى غير ذلك من الأقوال التى لا طائل تحت التعرض لها لعدم الدليل على شىء منها.

ثم

روى شيخنا الطبرسى فى «المجمع» فى تفسير سورة الإنسان عن النبى صلّى الله عليه و آله أن جميع سور القرآن مائة و أربع عشر سورة، و جميع آيات القرآن ستة آلاف آية و مائتى آية و ستّ و ثلاثون آية، و جميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف و أحد و عشرون ألف حرف و مائتا و خمسون حرفاً «٢».

أقول: و من هنا يظهر صحّة عدد الكوفيين سيّما مع ملاحظه ما ذكره فى أول «المجمع» من أن عدد الكوفيين أصح الأعداد و أعلاها إسناداً لأنّه مأخوذ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: و تعضده الروايات الواردة

عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه قال: فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهنّ بسم الله الرحمن الرحيم

، قال: و عدد أهل المدينة منسوب الى أبى جعفر «٣» يزيد بن القعقاع القارى، و شيبه بن نصح «٤»، و هما المدنى الأول، و الى

إسماعيل بن جعفر و هو المدني الأخير،

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري أبو إبراهيم: قارئ أهل المدينة في عصره من موالى بنى زريق من الأنصار رحل الى بغداد، و تولى تأديب علي بن المهدي، ولد سنة ١٣٠ هـ هو توفي سنة ١٨٠ هـ. تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢١٨، الأعلام ج ١ ص ٣٠٨.
(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٠٦.

(٣) أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع المخزومي المدني أحد القراء العشرة من التابعين كان إمام أهل المدينة في القراء، و عرف بالقارئ و كان من المفتين المجتهدين، توفي بالمدينة سنة ١٣٢ هـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧٨، الأعلام ج ٩ ص ٢٤١.
(٤) شيبه بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني، قاضي المدينة و إمام أهلها في القراءات، و كان من ثقات رجال الحديث. توفي سنة ١٣٠ هـ.

تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٧٧، الأعلام ج ٣ ص ٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٧

وقيل: المدني الأول هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، و عبد الله بن عمر «١» و المدني الأخير هو أبو جعفر، و شيبه بن إسماعيل، و الأوّل أشهر، و عدد أهل البصرة منسوب الى عاصم بن أبي الصباح الجحدرى «٢» و أيوب بن المتوكل «٣» لا يختلفان إلّا في آية واحدة في ص قوله: فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ «٤»، عدها الجحدرى، و تركها أيوب، و عدد أهل مكة منسوب الى مجاهد «٥» بن جبير، و الى إسماعيل المكي «٦»، و قيل لا ينسب الى أحد، بل وجد في مصاحفهم على رأس كلّ آية ثلاث فقط، و عدد أهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر «٧»، ثم قال:

و الفائدة في معرفة آي القرآن أنّ القارئ إذا عدّها بأصابعه كان أكثر ثوابا، لأنه

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب: صحابي نشأ في الإسلام، و هاجر الى المدينة مع أبيه، و شهد فتح مكة، و ولد في مكة سنة ١٠ قبل الهجرة و كفّ بصره في آخر حياته و توفي سنة ٧٣ هـ. بمكة، و هو آخر من توفي بمكة من الصحابة، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا.

تهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٧٨- وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٦- الأعلام ج ٤ ص ٢٤٦.

(٢) عاصم بن أبي الصباح الجحدرى المقرئ البصري المتوفى (١٢٨). غاية النهاية ج ١ / ٣٤٩.

(٣) أيوب بن المتوكل الأنصاري المقرئ البصري المتوفى (٢٠٠) هـ. غاية النهاية ج ١ / ١٧٢.

(٤) ص: ٨٤.

(٥) مجاهد بن جبير، أو جبر أبو الحجاج المقرئ المفسر المكي المتوفى (١٠٣).

غاية النهاية ج ٢ ص ٤١، حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٧٩، الأعلام ج ٦ ص ١٦١.

(٦) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين قارئ مكة من أصحاب ابن كثير قرأ عليه الشافعي، مات سنة ١٩٠ هـ و هو المعروف بالقسط.

(٧) عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي أحد السبعة و لى قضاء دمشق في خلافة الوليد ابن عبد الملك، و ولد في البلقاء في قرية «رحاب» سنة ٨ من الهجرة و انتقل الى دمشق بعد فتحها، يقال: أنه أخذ القراءه عن معاوية و هو غلط فإن معاوية أظهر الإسلام عام الفتح و كان من الطلقاء ثم كان من الأمراء و أصحاب السياسة و تعليم القرآن بعيد من مثله و أنما نسبه إليه تشريفا له، و إنما أخذ عن الوائلة بن الأسقع و فضاله بن عبيد- توفي بدمشق عام ١١٨ هـ.

تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٤، الأعلام ج ٤ ص ٢٢٨، فهرس مشاهير القراء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٨

قد شغل بالقرآن يده مع قلبه ولسانه، و بالحرى أن تشهد له يوم القيامة فإنها مسئولة، ولأن ذلك أقرب الى التحفظ فإن القارئ لا يأمن السهو، و

قد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: تعاهدوا القرآن فإنه وحشى، و قال صلى الله عليه وآله لبعض النساء اعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات، و مستنطقات،

و قال حمزة بن حبيب «١» و هو أحد القراء السبعة إن العدد مسامير القرآن «٢».

أقول: أما الفائدة في معرفة الآيات فلعله يكفى فيها ما سمعت، بل قد تظهر أيضا في مثل النذر، و الاستيجار للتعليم، أو للقراءة، و قراءة الجنب، و أخيه لسبع آيات المحكم بكرامته ما زاد عليها، و اشتدادها فيما زاد على السبعين، هذا مضافا الى الفضل المترتب على أعداد الآيات، فضلا عما يترتب على الحروف و الكلمات، كما

ورد في النبوى: أن من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، و من قرأ مائتى آية كتب من القانتين، و من قرأ ثلاثمئة آية لم يحاجه القرآن «٣».

و

أنه ينبغي أن يقرأ فى الوتيرة بعد العشاء مائة آية «٤»

و

أن من قرأ مائة آية يصلّى بها فى ليلة كتب الله له بها قنوت ليلة، و من قرأ مائتى آية فى غير صلاة الليل كتب الله له فى اللوح قنطارا من الحسنات، و القنطار ألف و مائتا أوقية، و الأوقية أعظم من

(١) حمزة بن حبيب الزيئات كان عالما بالقرآن و القراءات، قال الثورى: ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر، ولد سنة ٨٠ و توفى سنة ١٥٦ و يأتى ترجمته مفصلا.

- تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧، الأعلام ج ٢ ص ٣٠٨.

(٢) مجمع البيان مقدمة الكتاب- الفن الأول فى تعداد آى القرآن.

(٣) معانى الأخبار للصدوق ص ٤١٠ قال بعد نقل الحديث: يعنى من حفظ قدر ذلك من القرآن، يقال قد قرأ الغلام القرآن إذا حفظه.

(٤) مصباح المتهجد ص ٨١: يستحب أن يقرأ فيهما (الركعتين للوتيرة) مائة آية من القرآن و

روى فى فلاح السائل ص ٢٥٩ عن الصادق عليه السلام قال: كان أبى يصلّى بعد عشاء الآخر ركعتين و هو جالس يقرأ فيهما مائة آية.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٦٩

جبل أحد «١»

و

أن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال له: اقرأ و أرق

، بل قد يعدّ الوقف على خصوص الآيات من الترتيل المندوب إليه، و لذا

ورد «٢» أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقطع قراءته آية آية «٣».

و أما سبب الاختلاف فيها مبنى على اختلاف أنظارهم كغيره من الاختلافات الكثيرة الواقعة فى الموادّ و الهيئات المستندة إليها، أو الى

اختلاف المصاحف، نعم ذكر فى «برهان القارئ» تبعاً لهم أن الموجب هو النقل و التوقيف، قال و يؤيده ما

رواه عاصم عن ذرّ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: اختلفنا في سورة من القرآن، فقال بعضنا ثلاثين، وقال بعضنا اثنتين و ثلاثين، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرناه فتغير لونه، فأسرّ الى علي بن أبي طالب عليه السّلام بشيء، فالتفت إلينا عليّ عليه السّلام فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتموه «٤»

، قال وفي هذا دليل على أن العدد راجع الى التعليم، وفيه أيضا دليل على تصويب العددين.

أقول بل لعلّ الأظهر فيه على فرض صحّة الخبر أن العدد الحقّ هو ما أسره النبي صلى الله عليه وآله الى مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام إرشادا لهم الى سؤاله والأخذ منه، حيث

إنّه عليه السّلام باب مدينة حكيمته عليه السّلام

و حيث

إنّه صلى الله عليه وآله علم أنّ الناس لا يأتون البيوت من

(١) معاني الأخبار ص ١٤٧ عن أبي عبد الله عليه السّلام.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢١٦ عن الصادق عليه السّلام.

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ عن أم سلمة.

(٤)

روى أحمد بن حنبل و ابن بطّة و أبو يعلى في مصنفاتهم عن الأعمش عن أبي بكر ابن أبي عيّاش في خبر طويل: أنه قرأ رجلا من ثلاثين آية من الأحقاف، فاختلغا في قراءتهما فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرأه فذهبت بهما الى النبي صلى الله عليه وآله فغضب و عليّ عنده فقال عليّ عليه السّلام: رسول الله يأمركم أن تقرأوا ما علمتم. بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٥٣ ط. الآخوندي

بطهران. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٠

الأبواب أمرهم بالقراءة كما علموا

، و في معناه ما

روى عن مولانا الصادق عليه السّلام أقرأوا كما علمتم حتى يجيء من يعلمكم «١».

و أما الكلمات القرآنية فقد يقال: إنّ مجموعها عند الجميع سبع و سبعون ألف كلمة و أربعمائه و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعند البصريين أربع و ستون، و عند الكوفيين و الشاميين ثلاثون، و عن أهل الحرمين تسع و ثمانون، و ربما يحكى عن الكوفيين خمسون، و عن حميد بن الأعرج عشرون، و عن إبراهيم التيمي تسع و تسعون، و عن عطاء تسع و ثلاثون، و عن عبد العزيز ست و ثلاثون، و عن البصريين سبع و ثلاثون الى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي لا طائل تحت التعرّض لها فضلا عن الترجيح بينها، نعم في «برهان القارئ»:

عدّنا الكلمات فكانت اثنتين و سبعين ألفا، و لعله سهو منه، و كان منشأ الاختلاف في الأعداد هو الاختلاف في تعيين الكلمات، نعم في «جواهر التفسير»: أنّ أقصرها حرفان، كمن و (عن) و (ما) و (لا)، و إن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو

العطف و همزة الاستفهام، و الباء الجارة لكنّها لما لم يتنطق بها مفردة لم يعتبروها رأسا، و أطولهما عشرة أحرف مثل:

لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ «٢». و أما قوله: فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ «٣» فهو و إن كان في اللفظ أحد

(١)

في الكافي بإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السّلام و أنا أستمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرؤها

الناس - فقال أبو عبد الله عليه السلام كفّ عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عزّ وجلّ على حدّه إلخ. الكافي كتاب فضل القرآن باب النوادر حديث ٢٣.

و

فيه أيضا عن سفيان بن السمط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تنزيل القرآن قال عليه السلام: اقرءوا كما علمتم. المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣١.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) الحجر: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧١

عشر حرفا لكنّه في الرسم عشرة.

أقول: وفيه تأمل إذ الملفوظ أولى بالاعتبار، بل الأظهر موافقة المكتوب له. و أمّا أعداد حروف القرآن فهي ثلاثمائة واحد و عشرون ألفا و شىء، زائدا اختلفوا في تعيينه، فعن أهل الحرمين مائتان و خمسون، و عن البصريين مائتان، و عن الكوفيين مائة و ثمانون، و عن الشامي مثله بزيادة ثمانية، و ربّما يحكى عن مجاهد مائة و عشرون و عن غيره أقوال آخر ربما تزيد على ما سمعت بكثير لكنّه لا داعي للتعرض لها سيّما بعد ما سمعت في النبوى المحكى عن «مجمع البيان» أنّ جميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف و أحد و عشرون ألف و عشرون ألف حرف و مائتان و خمسون حرفا، و هو الموافق للمحكى عن أهل الحرمين.

ثمّ أنّه

قد روى عن مولانا الصادق عليه السّلام أنّ من تعلّم من القرآن حرفا كتب الله له عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات، ثمّ قال عليه السّلام لا- أقول: بكلّ آية، و لكن بكلّ حرف (باء) أو (تاء) أو شبههما، قال: و من قرأ حرفا و هو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة، و محى عنه خمسين سيئة، و رفع له خمسين درجة، و من قرأ حرفا و هو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة، و محى عنه مائة سيئة، و رفع له مائة درجة الخبر. (١)

و على هذا فيكتب لمن تكلم كلّ القرآن مضروب العدد المذكور على عشرة و هو ثلاثة آلاف و مائتان و اثنى عشر ألفا و خمسمائة حسنة (٣٢١٢٥٠٠) و يمحي عنه بهذا العدد من السيئة و ترفع له بهذا العدد درجة، و لمن قرأه و هو جالس في صلاة مضروبه في خمسين، و هو ستّة عشر ألف ألف و اثنان و ستون

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤١ ح ٧٦٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٢

ألفا و خمسمائة (١٦٠٦٢٥٠٠) بالنسبة الى كلّ من الثلاثة، و لمن قرأه قائما فيها مضروبه في مائة، و هو اثنان و ثلاثون ألف ألف و مائة و خمسة و عشرون ألفا (٣٢١٢٥٠٠٠)، و الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثمّ إنّ أكثر الحروف دورانانا في الكتاب العزيز، بل في مطلق الكلام هو الألف حتى لا يكاد يخلو منها شىء من الكلام القصير، فضلا عن الخطب و الكتب الطويلة، و إن أنشد مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام خطبة طويلة خالية منها على وجه الارتجال و ليس بيدع من غرائبه البديعة روحى له الفداء، أولها: حمدت من عظمت منته، و سبقت غضبه رحمة، و تمّت كلمته و نفذت مشيئته، الخطبة بطولها (١) كما

أنّه عليه السلام أنشد خطبة طويلة (٢) خالية من النقط مع كثرة دورانها في الكلام أولها: الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، و قال كلّ مطرود، الخطبة بطولها

و ربّما يروى عنه عليه السلام خطبة أخرى في ذلك كما

رواه ابن شهر آشوب في «المناقب» قال: روى الكلبي عن أبي صالح، و أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عن آباءه عليهم السلام: أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولا في الكلام فارتجل الخطبة المونقة.

أولها: حمدت من عظمت إلخ

ثم ارتجل خطبة أخرى من غير النقط التي أولها:

الحمد لله أهل الحمد و مأواه، أوكد الحمد و أحلاه، و أسرع الحمد و أسراه و أطهر الحمد و أسماه، و أكرم الحمد و أولاه الى آخرها «٣»

، قال: و قد أوردتهما في

(١) الوافي للفيض القاساني ج ٢ ص ٢٦٥ ط. الإسلاميه بطهران.

(٢) هذه الخطبة مروية بطرق عديدة و رواها العلامة المجلسي في المجلد السابع عشر من البحار من مصباح الكفعمي باختلاف شديد و قال في المجلد التاسع منه: و روى الكلبي عن أبي صالح إلخ.

(٣) مناقب آل طالب ج ٢ ص ٤٨ ط. المطبعة العلمية بقم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٣

«المخزون المكنون».

و بالجملة فجميع الألفات المذكورة في القرآن على قول عبد العزيز المزني الذي قيل أنه أشهر الأقوال ثمانية و أربعون ألفا و ثمانمائة (٤٨٨٠٠)، و هو أكثر الحروف دورانا في الكتاب العزيز كما أقلها الظاء المشالة، و عدة ما ورد منها فيه اثنان و ثمانمائة (٨٠٢)، و غيرهما متوسطات في ذلك مضبوطة الأعداد عند المعنيين بهذا الشأن «١».

تم الجزء الثاني و يليه الجزء الثالث أوله: علم القرآن مخزون عند أهل البيت عليهم السلام

(١) قال النراقي في الخزان في بيان حروف القرآن: الألف (٤٨٨٠٠) الباء (١١٢٠٠) الناء (١٠١٩٩) الثاء (٩٢٧٦) الجيم (٣٢٧٣) الحاء (٣٩٣٩) الخاء (٢٤١٨) الدال (٥٣٤٢) الذال (٤٣٩٩) الراء (١١٧٩٣) الزاء (١٥٩٠) السين (٥٨٩١) الشين (٢٢٥٣) الصاد (٢٠٨١) الضاد (٢٦٧٤) الطاء (٢٢٧٤) الظاء (٨٤٢) العين (٩٠٢٠) الغين (٢٢٠٨) الفاء (٨٤٧٠) القاف (٦٨١٣) الكاف (١٠٣٥٤) اللام (٣٣٥٢٢) الميم (٢٦٠٣٥) النون (٢٦٥٦٥) الواو (٢٥٥٣٦) الهاء (٩٠٧٠) الياء (٢٥٩١٩).

الخزائن لأحمد النراقي ص ٢٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٥

الباب الثامن

في أن علم القرآن مخزون عند أهل البيت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٧

اعلم أن علم القرآن مخزون عند أهل البيت عليهم السلام و هو مما قضت به ضرورة المذهب، بل الدين لو لا متابعة الأهواء الباطلة، بل يظهر ذلك من التأمل في كثير من الآيات كقوله تعالى:

فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ «١».

و قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٢».

وقوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٣».

وقوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٤».

وقوله تعالى: هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ «٥».

وقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ «٦».

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المفسرة في أخبار الفريقين بهم عليهم السلام، بل

(١) العنكبوت: ٤٧.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) العنكبوت: ٤٩.

(٥) الجاثية: ٢٩.

(٦) الأعراف: ١٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٨

قد ورد في أخبار متواترة معنى، وإن لم تكن ألفاظها متواترة، أنها نزلت فيهم، وأنهم المخصوصون بها، مع دلالة تلك الأخبار على تمام المقصود أيضا.

ففي «تأويل الآيات» و«المناقب» و«تفسير العياشي» عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ «١» قال عليه السلام: هم آل محمد صلوات الله عليهم. «٢»

و

في «البصائر» عن أبي عبد الله عليه السلام: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله. «٣»

و

فيه، عن أحدهما في هذه الآية قال: إن الراسخين في العلم هم آل محمد صلى الله عليه وآله، فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله. «٤»

و

فيه، عن يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة، فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به، فقال أبو الحسن عليه السلام: علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضرته، وفي أي ليلة نزلت كم من آية، وفيمن نزلت وفيما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه، وشهداؤه على خلقه، وهو قول

(١) العنكبوت: ٤٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ٤٢٣، المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٨٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ٥٦، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٩ ح ٣١.

(٤) بصائر الدرجات ص ٥٦، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٩ ح ٣٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٧٩

اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ «١» فالشهادة لنا و المسألة للمشهود عليه ... إلخ «٢».

و

في «المناقب» عن تفسير الثعلبي، قال على عليه السلام في قوله تعالى:

فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ «٣»: نحن أهل الذكر. «٤»

و

عن «إبانه» أبي العباس الفلکی عنه عليه السلام: «ألا- إنَّ الذکر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و نحن أهلُه، و نحن الراسخون في العلم، و نحن منار الهدى، و أعلام التقى، و لنا ضربت الأمثال» «٥».

و

في «الكافي» و «تفسير العياشي»، و «تأويل الآيات»، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «٦»، قال عليه السلام: «هم الأئمة من آل محمد صَلَّى الله عليه و آله» «٧».

و في «البصائر» و غيره أخبار كثيرة جداً في معناه، و

في كثير منها: «إيانا عنى، و على أولنا و خيرنا» «٨»

و،

في بعضها: «هم الأئمة خاصة» «٩» و نحن

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) بصائر الدرجات ص ٥٤، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٦ ح ٢٦.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٩٨.

(٥) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٨٤ نقلاً عن المناقب ج ٣/ ٩٨ و الإبانة.

(٦) العنكبوت: ٤٩.

(٧) الكافي ج ١ ص ١٦٧ باب أن الأئمة قد أوتوا العلم، إلا أنه ليس فيه «من آل محمد صَلَّى الله عليه و آله»، بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٨٩ ح ٥ عن كنز الفوائد.

(٨)

الكافي ج ١ ص ١٦٧ باسناده عن بريدة بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِيَّانَا عَنَى وَ عَلَى أَوْلَانَا وَ أَفْضَلِنَا وَ خَيْرِنَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

(٩) الكافي ج ١ ص ١٦٧، بصائر الدرجات ص ٥٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٠.

المخصوصون بها.

و

في «المناقب» عن أبي القاسم الكوفي، قال: روى في قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «١»: «إنَّ الراسخين في العلم من قرنهم الرسول صَلَّى الله عليه و آله بالكتاب، و أخبر أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

قال: و في اللغة الراسخ هو اللازم الذي لا يزول عن حاله، و لن يكون كذلك إلا من طعنه الله تعالى على العلم في ابتداء نشوءه كعيسى عليه السلام في وقت ولادته قَالَ إِنَّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِى الْكِتَابَ «٢» فأما من يبقى السنين الكثيرة لا يعلم ثم يطلب العلم، فينال على

قدر ما يجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين، يقال: رسخت عروق الشجر في الأرض، ولا يرسخ إلا صغيرا.

و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا، و بغيا علينا، و حسدا لنا «٣» أن رفعنا الله سبحانه و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطي العلم «٤» و يستجلى العمى، لا بهم «٥».

و

في «تأويل الآيات» عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: هذا كتابنا يُطَقُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ «٦» قال: «إنَّ الكتاب لا ينطق، و لكن محمد صَلَّى اللهُ عليه و آله و أهل بيته هم

(١) آل عمران: ٧.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) في المصدر: و بغيا لنا، و حسدا علينا.

(٤) في البحار: بنا يستعطي الهدى.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٨٥ ط قم، و بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٠٤ ح ٥٣ باب أنهم عليهم السلام أهل علم القرآن.

(٦) الجاثية: ٢٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨١

الناطقون بالكتاب «١».

و

في «تفسير القمّي» عن بريد «٢»، عن الباقر عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله أفضل الراسخين في العلم فقد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، و أوصياؤه من بعده يعلمونه كَلَّه، قال: جعلت فداك إنَّ أبا الخطّاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً، قال: و ما كان يقول؟ قلت: قال: إنَّكم تعلمون علم الحلال و الحرام و القرآن، فقال عليه السلام: علم الحلال و الحرام و القرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث بالليل و النهار «٣».

و في «البصائر» ما في معناه،

فيه: «و أيّ شيء الحلال و الحرام في جنب العلم؟ إنَّما الحلال و الحرام في شيء يسير من القرآن» «٤».

و

من الشائع في أخبار الفريقين، و العبارة للمفيد في «إرشاده» عن ابن نباتة، قال: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معمّما بعمامة رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله، لابسا برديه، فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ، و أنذر، ثم جلس متمكّنا، و شبك بين أصابعه، و وضعهما أسفل سرّته، ثم قال عليه السلام: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّ عندي علم الأوّلين و الآخريين، أما و الله لو ثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم،

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٥٥٩، كنز الدقائق ج ٩ ص ٤٣٢ و فيه في ذيل الحديث: هذا على سبيل المجاز تسمية المفعول باسم

الفاعل، إذ جعل الكتاب هو الناطق، و الناطق غيره.

(٢) الظاهر أنّه بريد بن معاوية العجلي، البجلي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و ثقّه النجاشي لأنّ القمّي روى عنه في

تفسيره. (معجم رجال الحديث ج ٣).

(٣) تفسير القمى: ٨٧-٨٨، والإختصاص ص ٣١٤ عن محمد بن مسلم.

(٤) بصائر الدرجات ص ٥٣، بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٩٥ عن البصائر. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٢ حتى ينتهى كل كتاب من هذه الكتب و يقول: يا ربّ إنّ علياً قضى بكتابك، والله إنّى لأعلم بالقرآن و تأويله من كل مدّع علمه، و لو لا آية فى كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة، ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة و برىء النسمة لو سألتمونى عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، و فيم نزلت، و أنبأتكم بناسخها، و منسوخها، و خاصّتها، و عامّتها، و محكمها من متشابهها، و مكّيتها من مدّيتها، و الله ما من فئة تضلّ أو تهتدى إلّا و أنا أعرف قائدها و سائقها و ناعقها» (١).

قال فى «المناقب»: و رواه ابن أبى البخترى من ستّة طرق، و ابن المفضّل من عشر طرق، و إبراهيم الثقفى من أربعة عشر طريقاً، منهم: عدى بن حاتم، و الأصبغ بن نباتة، و علقمة بن قيس، و يحيى بن أمّ الطويل، و زرّ بن حبّيش، و عباية بن ربيع، و عباية بن رفاعه، و أبو الطفيل.

ثم ذكر الخبر قريباً ممّا مرّ (٢).

و

فى «البصائر»، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «كنت إذا سألت رسول الله صلّى الله عليه و آله أجبني، و إن فنيّت مسألتي ابتدأني، فما نزلت عليه آية فى ليل و لا نهار، و لا سماء و لا أرض، و لا دنيا و لا آخرة، و لا جنّة و لا نار، و لا سهل و لا جبل، و لا ظلمة و لا نور، إلّا و أقرأنيها، و أملاها عليّ، و كتبها بيدي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و محكمها و متشابهها، و خاصّها و عامّها، و كيف نزلت، و أين نزلت، و فيهم أنزلت إلى يوم القيامة، و قد دعا الله إلى أن يعطينى فهما

(١) الإرشاد ص ٣٠ ط طهران المطبعة العلمية الإسلامية.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٨ ط، قم، بحار الأنوار ج ٤٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٣ و حفظاً، فما نسيت آية من كتاب الله أملاه عليّ» (١).

و

فيه، و فى «الإختصاص» عن الحسين بن خالد، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام، قال: سألته عن قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ قال عليه السّلام: «إنّ الله علّم القرآن»، قال: قلت: خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ قال عليه السّلام: «ذاك أمير المؤمنين عليه السّلام علّمه بيان كلّ شىء ممّا يحتاج الناس إليه». (٢)

و

فى «المناقب» عن ابن عبّاس، قال: حم اسم من أسماء الله عسق علم عليّ سبق كلّ جماعة، و تعالى كلّ فرقة. (٣) و فيه أيضاً، عن محمد بن مسلم، و أبى حمزة الثمالى، و جابر بن يزيد، عن الباقر عليه السّلام.

و عن عليّ بن فضال، و الفضيل بن يسار، و أبى بصير، عن الصادق عليه السّلام.

و عن أحمد بن محمد الحلبي، و محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السّلام.

و

قد روى عن موسى بن جعفر عليهما السّلام، و عن زيد بن على، و عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه، و عن سلمان الفارسى، و عن أبى سعيد الخدرى، و عن إسماعيل السدى، أنهم قالوا فى قوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤): «هو على بن أبى طالب عليه السّلام». (٥)

(١)

بصائر الدرجات ص ٥٣ وفيه: «و لا على من أنزلت إلّا أملاها عليّ»، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٣٩ عن البصائر.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٨، الاختصاص ص ١٥٧، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٢ عن الإختصاص و البصائر.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٨ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٥ عن المناقب.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٧ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٦ عن المناقب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٤

و

فيه أيضا: الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي معاوية، من الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس، و روى عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قيل لهما: زعموا أنّ الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام «١»، قال: «ذاك على ابن أبي طالب عليه السلام».

ثم روى أيضا أنه سئل سعيد بن جبیر: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ عبد الله ابن سلام؟ قال: «لا فكيف وهذه سورة مكيّة» «٢» و قد روى عن ابن عباس: لا والله ما هو إلّا على بن أبي طالب، لقد كان عالما بالتفسير والتأويل، و الناسخ و المنسوخ، و الحلال و الحرام. و روى عن ابن الحنفية: «على بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأول و الآخر». رواه النطنزي في «الخصائص».

ثم قال ابن شهر آشوب: «و من المستحيل أنّ الله تعالى يستشهد بيهوديّ و يجعله ثاني نفسه! «٣» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت في المقدمات السابقة إلى بعضها الإشارة، و ستسمع إن شاء الله العزيز كثيرا منها في تفسير الآيات المتعلقة. و أمّا انتهاء علم القرآن و علم التفسير إليهم عليهم السلام فواضح بعد ما مرّ في الأبواب السابقة، و ما يأتي من الأخبار المتواترة الدالّة على أنّ مولانا أمير

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه و آله المدينة و كان اسمه الحصين فسمّاه النبي صلى الله عليه و آله عبد الله، مات سنة (٤٣) هـ. (الاعلام ج ٤ ص ٢٢٣).

(٢) الإتقان للسيوطي ج ١ ص ١٦ ط بيروت.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٧-٢٥٩، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٥-١٤٦ عن المناقب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٥

المؤمنين عليه السلام هو الجامع للقرآن كما نزل من دون زيادة حرف أو نقصان، و أنّ إليه ينتهي علم ظاهره و باطنه، و تنزيله و تأويله، و تخومه و بطونه، و محكمه و متشابهه، و عامّه و خاصّه، و ناسخه و منسوخه، كما ينتهي إليه سائر العلوم و المعارف و الكمالات، على ما أطبق عليه الفريقان، كما نبّه عليه الرازي في «أربعينه».

و قال في «المناقب»: و من عجب أمره في هذا الباب أنّه لا شيء من العلوم إلّا و أهله يجعلون عليّا قدوة، فصار قوله قبله للشريعة «١»، فمنه سمع القرآن.

ذكر الشيرازي في «نزول القرآن» و أبو يوسف يعقوب في تفسيره، عن ابن عباس في قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ «٢»: كان النبي صلى الله عليه و آله يحرك شفّيته عند الوحي ليحفظه، فقيل له: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ يعني بالقرآن لِتُعْجَلَ بِهِ من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك إنّ عليّنا جمعة و قرآنه قال: ضمن الله محمدا أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب عليّ، وجمعه عليّ بعد موت رسول الله بستّة أشهر. «٣» و
في أخبار أبي رافع أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفّي فيه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي هذا كتاب الله
خذه إليك» فجمعه في ثوب فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي صلّى الله عليه وآله جلس عليّ فألفه كما أنزل الله، و كان به عالما»
«٤».

(١) في «البحار»: في الشريعة.

(٢) القيامة: ١٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١ ط قم، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٦

و حدّثني أبو العلاء العطار، والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن عليّ «١» بن رباح أنّ النبي صلّى الله عليه وآله أمر عليّا
بتأليف القرآن فألفه و كتبه.

و

عن جبلة «٢» بن سحيم، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو نثيت لي الوسادة، و عرف لي حقّي لأخرجت لهم مصحفا
كتبته، و أملاه عليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله».

و

روى أبو نعيم في «الحلية» و الخطيب في «الأربعين» بالإسناد عن السدي، عن عبد خير «٣»، عن عليّ عليه السلام، قال: «لما قبض رسول
الله صلّى الله عليه وآله أقسمت - أو حلفت - أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى
جمعت القرآن».

و

في أخبار أهل البيت عليهم السلام: «آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلّا للصلاة حتى يؤلف القرآن و يجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى
أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله و هم مجتمعون في المسجد ... إلخ «٤».

و قال أيضا في «المناقب»: و منهم العلماء بالقراءات،

روى أحمد بن حنبل،

(١) عليّ بن رباح بن قصير (بضم العين و فتح اللام) المصري، ولد سنة (١٠) ه و توفّي سنة (١١٤) أو (١١٧) (تهذيب التهذيب ج ٧/
٢٧١).

(٢) جبلة بن سحيم التيمي الشيباني أبو سريرة الكوفي توفّي سنة (١٢٥) أو (١٢٦) ه (تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٥٥).

(٣) هو عبد خير بن يزيد الهمداني أبو عمارة الكوفي المخضرم أدرك الجاهلية و عاش (١٢٠) سنة أو أكثر، ذكره ابن عبد البرّ و غيره
في الصحابة. (تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٦٣).

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٧

و ابن بطّة «١»، و أبو يعلى «٢» في مصنفاتهم عن الأعمش، عن أبي بكر «٣» بن عيّاش في خبر طويل أنّه قرأ رجلا ثلاثين آية من
الأحقاف. فاختلفا في قراءتهما، فقال ابن مسعود: هذا خلاف ما قرأه، فذهبت بهما إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فغضب و عليّ

عنده، فقال عليّ: رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم. وهذا دليل على علم عليّ بوجوه القرآن المختلفة.

و

روى أن زيدا لما قرأ «التابوه» «٤» «٥» قال عليّ عليه السلام: اكتبه «التابوت»، فكتبه كذلك، وقرأ السبعة إلى قراءته يرجعون. «٦» فأقرأ حمزة والكسائي فيقولان على قراءة عليّ وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما إنما يرجعان إلى عليّ و يوافقان ابن مسعود فيما يجرى مجرى الإعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحدا أقرأ من عليّ ابن أبي طالب عليه السلام للقرآن. وأما نافع، وابن كثير، وأبو عمرو فمعظم قراءاتهم ترجع إلى ابن عباس،

(١) هو عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلي المعروف بابن بطة توفّي (٣٨٧) - العبر ج ٣ ص ٣٤.

(٢) هو أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي الحافظ المتوفّي (٣٠٧) - العبر ج ٢ / ١٤٠.

(٣) هو: أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحنّاط الأسدي توفّي سنة (١٩٣) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٢٥ رقم ١٣٢١.

ولا يخفى أن الأعمش من شيوخ أبي بكر بن عياش وتوفّي سنة (١٤٨) ولا يروى عن تلميذه، بل الأمر بالعكس، فالظاهر أن في العبارة تقدّما وتأخيرا.

(٤) البقرة: ٢٤٨.

(٥) قال الطبرسي في «مجمع البيان» ج ٢ ص ٣٥٢: التابوت بالتاء لغة جمهور العرب، و التابوه بالهاء لغة الأنصار.

(٦) المناقب ج ٢ ص ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٨

و ابن عباس قرأ على أبي بن كعب، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، والّمدى من قراءة هؤلاء يخالف قراءة أبيّ فهو إذا مأخوذ من عليّ عليه السلام.

و أما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وقال أبو عبد الرحمن:

قرأت القرآن كلّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم، لأنّه أتى بالأصل، وذلك أنّه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقّق من الهمز ما لئنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره.

و العدد الكوفي في القرآن منسوب إلى عليّ عليه السلام، ليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنّما كتب عدد ذلك كلّ مصر عن بعض التابعين.

ثمّ قال: و منهم المفسّرون كعبد الله بن العباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وهم معترفون له بالتقدّم.

ففي «تفسير العياشي»: قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن مسعود: إنّ القرآن انزل على سبعة أحرف، ما منها إلّا وله ظهر و بطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام علم الظاهر و الباطن. «١» و في فضائل العكبري:

قال الشعبي: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و

في «تاريخ» البلاذري، و «حلية الأولياء»: قال عليّ عليه السلام: و الله ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيما نزلت، و أين نزلت، أ بليل نزلت أم بنهار نزلت، في سهل أو جبل، إنّ ربّي وهب لي قلبا عقولا، و لسانا سؤلا. «٢»

(١) رواه أيضا أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧-٦٨ بتفاوت يسير، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨، مناقب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٨٩

و

في «قوت القلوب»: قال علي عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب» (١).

ولما وجد المفسرون قوله لا يأخذون إلّا به.

سأل ابن الكوّاء وهو عليه السلام على المنبر: ما الدّاريات ذرّوا؟ فقال:

الرياح، فقال: وما الحاملات وقرأ؟ قال: السحاب، قال: وما الجاربات يُشيراً؟ قال: الفلك، قال: فما المقسمات أمراً؟ قال الملائكة،

فالمفسرون كلّهم على قوله. (٢)

و جهلوا تفسير قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ (٣) فقال له رجل:

هو أوّل بيت؟ قال عليه السلام: لا قد كان قبله بيوت، ولكنّه أوّل بيت وضع للناس مبارك فيه الهدى والرحمة والبركة، وأوّل من بناه

إبراهيم، ثمّ بناه قوم من العرب من جرهم (٤)، ثمّ هدم فبنته العمالقّة، ثمّ هدم فبنته قريش.

وإننا استحسّن قول ابن عبّاس فيه (٥) لأنّه قد أخذ منه عليه السلام.

وقال أحمد في «المسند»: لما توفّي النبي صلّى الله عليه وآله كان ابن عبّاس ابن عشر

الخوارزمي ص ٥٤ ط تبريز.

(١) و رواه النقشبندی الحنفى أيضا فى «ينابيع المودّة» ج ١ ص ٢٠٥ و ج ٣ ص ٤٥٦ ط الجديد، و العلامة الهروى فى «شرح عين العلم

و زين الحلم» ص ٩١، و العلامة الكاكوردى فى «الروض الأزهر» ص ٣٣ ط حيدرآباد.

(٢) المستدرک للحاکم ج ٢ ص ٤٦٦ ط حيدرآباد الدکن.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) جرهم: بطن من القحطانية كانت منزلهم أولا- اليمن، ثمّ انتقلوا إلى الحجاز، و نزلوا بمكة و استوطنوها- معجم قبائل العرب ص

١٨٣.

(٥) فى (أى فى علم التفسير).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٠

سنين، و كان قرأ المحکم يعنى المفصّل (١). (٢) أقول: و انتساب ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فى العلوم سيّما التفسير

واضح جلى مروى من طرق الفريقين، و لذا لما سئل عن علمه قال: علمى إلى علم على عليه السلام كالقرارة فى المتعجّر.

قال فى «القاموس»: و المتعجّر: السائل من ماء أو دمع، و بفتح الجيم:

وسط البحر ... إلى أن قال: و قول ابن عبّاس و قد ذكر عليّا رضى الله تعالى عنهما:

«علمى إلى علمه كالقرارة فى المتعجّر أى مقيسا إلى علمه كالقرارة موضوعه فى جنب المتعجّر». (٣) و رواه عنه فى «النهاية» (٤).

و فى «المناقب» عن تفسير العياشى: قال ابن عبّاس: علمى علم علما علمه رسول الله، و رسول الله علمه الله، فعلم النبى من علم الله، و

علم على من علم النبى، و علمى من علم على، و ما علمى و علم أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله فى علم على

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤٣.

(٢) أورد البحرانى فى «البرهان» ج ١ ص ٥٢ رواية عن العياشى تدلّ على أنّ المفصّل سبع و ستون سورة من سورة الفتح إلى آخر

القرآن.

(٣) القاموس في مادة «تعجر».

(٤) هذا الكلام عن ابن عباس مشهور بين الفريقين، أورده الحافظ أبو عبيد الهروي في «الغريبين» في مادة «قرر»، والعلامة الشيخ محمد طاهر الصديقي في «مجمع بحار الأنوار» ج ٣ ص ١٣١ ط لكهنو، والعلامة الزبيدي الحنفي في «تاج العروس» ج ٣ ص ٤٨٧ في مادة «قرر»، وابن منظور المصري في «لسان العرب» ج ٤ ص ١٠٣ ط بيروت، وابن الأثير في «النهاية» ج ١ ص ١٥٢ ط مصر، وقال: القرارة: الغدير الصغير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩١

إلا كقطرة في سبعة أبحر. «١» و عن الضحّاك، عن ابن عباس أنّه قال: اعطى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام تسعة أعشار العلم، وإنّه لأعلمهم بالعشر الباقي. «٢».

بل رووا عن عمر بن الخطّاب التصديق له بمثل ذلك:

فمن الخطيب في «الأربعين»: قال عمر: العلم ستّة أسداس، لعلّي من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منّا. «٣» قال في «المناقب»: وقد ظهر رجوعه إلى عليّ عليه السّلام في ثلاث وعشرين مسألة حتى قال: لو لا عليّ لهلك عمر، وقد رواه الخلق منهم: أبو بكر بن عيّاش، وأبو المظفر السمعاني.

قال صاحب:

«في مثل فتواك إذ قالوا مجاهرة لو لا عليّ هلكنا في فتاونا»

وقال خطيب خوارزم:

إذا عمر تخطّى في جواب و تبّه عليّ بالصواب

يقول بعدله لو لا عليّ هلكت هلكت في ذاك الجواب «٤»

(١) المناقب ج ٢ ص ٣٠، ينابيع المودّة ص ٧٠ ط اسلامبول.

(٢) المناقب ج ٢ ص ٣٠، الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٤٦٢ ط حيدرآباد بتفاوت يسير، ذخائر العقبى ص ٧٨ ط مصر، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ ط مصر، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ ط مصر، تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١، مناقب الخوارزمي ص ٥٥ ط تبريز.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١-٣٢، روى قوله هذا غير واحد من الأعلام وإليك بعضهم:

١- ابن قتيبة في مختلف الحديث ص ٢٠٢ ط القاهرة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٢

كما اشتهر قوله الآخر الذي صار مثلاً بين الناس: «معضلة ليس لها أبو حسن». «١» قال الجزري في «النهاية»: يقال: أعضل إلى الأمر إذا ضاقت فيه الحيل، ومنه حديث عمر: «أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو حسن»، و روى المعضلة (بفتح العين و تشديد الضاد) أراد المسألة الصعبة، أو الخطة الضيقة المخارج. من الإعضال أو التعضيل، و يريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السّلام.

ومن حديث معاوية و قد جاءه مسألة مشكّلة، فقال: «معضلة و لا أبا حسن»، أبو حسن معرفة وضعت موضع النكرة، كأنّه قال: و لا رجل لها كأبي حسن، لأنّ لا النافية إنّما تدخل على النكرات دون المعارف. «٢» و

في «الكافي» باسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى

٢- ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ط مصر بديل الإصابة ص ٣٩.

٣- القاضي على المالقي في قضاء الاندلس ص ٧٣ ط القاهرة.

٤- محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبي ص ٨٢ ط مصر.

٥- ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص ١٨ ط الغرّي.

٦- المتقى الهندي في كنز العمال ج ١ ص ١٥٤ ط حيدرآباد الدكن.

٧- عضد الدين الياسجي في المواقف.

٨- علاء الدين القوشجي في شرح التجريد.

٩- أخطب خوارزم في المناقب ص ٤٨.

(١) تعوّد الخليفة من معضلة ليس لها أبو حسن مميّا رواه جماعة من أعلام القوم كصاحب «الاستيعاب» ج ٣ ص ٣٩ المطبوع بديل الإصابة طبع مصر، و صاحب «مختلف الحديث» ص ٢٠٢ ط القاهرة، و صاحب «صفة الصفوة» ج ١ ص ١٢١ ط حيدرآباد، و صاحب «أسد الغابة» ج ٤ ص ٢٢ ط مصر.

(٢) النهاية ج ٣ ص ١٠٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٣

أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الأوصياء» (١).

و

فيه، عنه عليه السّلام قال: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّ كما أنزل إلّا كذاب، و ما جمعه و حفظه كما نزّله الله تعالى إلّا على بن أبي طالب عليه السّلام .. إلخ (٢).

و

في «البصائر» عن الصادق عليه السّلام: «قد ولّدتني رسول الله صلّى الله عليه وآله، و أنا أعلم كتاب الله، و فيه بدء الخلق، و ما هو كائن إلى يوم القيامة، و فيه خبر السماء و خير الأرض، و خير الجنّة و خير النار، و خبر ما كان و خير ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفى إنّ الله يقول (٣): «فيه تبيان كلّ شيء» (٤).

و

في «تفسير العياشي» عن أبي الصباح قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ الله علّم نبيه عليه السّلام التنزيل و التأويل، فعلمه رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّا صلوات الله عليهما. (٥)

و قد مضى

في خبر طويل عن الباقر عليه السّلام: إنّ الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسّرا، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله فسّره لرجل واحد، و فسّر للائمّة شأن ذلك، و هو على بن أبي طالب عليه السّلام (٦).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٢٨ ط دار الكتب الاسلامية بطهران.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) مراده عليه السّلام مفاد قول الله سبحانه لا- لفظه بعينه، و أمّا اللفظ بعينه ففي سورة النحل: ٨٩ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٩٧.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١٧ و بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٩٧ عن العياشي، و رواه في البحار ج ٢٦ ص ١٧٣ رقم ٤٣ عن بصائر

الدرجات و في ذيله:

«قال: و علمنا الله ثم قال: ما صنعتم من شيء أو حلفتكم عليه من يمين فأنتم فيه من سعة».

(٦) الكافي ج ١ ص ٢٥٠ ح ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٤

و

أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به. «١»

و

أنه يسئل عن القرآن علماء آل محمد عليهم السلام. «٢»

و

في «الأمالي» و «العيون» عن مولانا الرضا عليه السلام في حديث: انّ المأمون سأل علماء العراق و خراسان عن قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا

الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٣» فقالت العلماء: أراد الله بذلك الأمة كلها، فقال المأمون:

ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: ما أقول كما قالوا، و لكنني أقول: أراد الله عزّ و جلّ بذلك العترة الطاهرة، فقال

المأمون: و كيف عنى العترة من دون الائمة؟

فقال الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الائمة لكانت بأجمعها في الجنة لقول الله عزّ و جلّ:

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: جَنَاتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ «٤» فصارت الوارثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، قال المأمون: و من العترة الطاهرة؟ فقال

الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «٥» ... إلى أن قال: فصارت وراثته الكتاب للمهتدين دون الفاسقين.

«٦»

و قد مرّ

في خبر خطبة النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: معاشر الناس تدبروا القرآن، و افهموا آياته، و انظروا إلى محكماته، و لا- تتبعوا

متشابهه، فو الله لن يبين لكم

(١) الكافي ج ٨ ص ٣١١ ح ٤٨٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢١٠-٢١٢ ح ١-٩ ..

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٠ باب ٢٣ ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٥

زواجره، و لا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده و مصعده إلى، و سائل بعضه و معلمكم أن من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، و

هو علي بن أبي طالب أخي و وصي، و مولاته من الله عزّ و جلّ، أنزلها عليّ، معاشر الناس إن عليا و الطيبين، من ولدي هم الثقل

الأصغر، و القرآن هو الثقل الأكبر، و كل واحد مني عن صاحبه و موافق له، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا إنهم أمناء الله في

خلقه، و حكماؤه في أرضه، ألا و قد أدبت، ألا و قد بلغت، ألا و قد أسمعت، ألا و قد أوضحت، ألا و إن الله عزّ و جلّ قال، و أنا قلت

عن الله عزّ وجلّ، ألاّ إنّه ليس أمير المؤمنين غير أخى هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدى لأحد غيره. ثمّ ضرب بيده على عضده فرفعه- وكان منذ أول ما صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله درجة دون مقامه فبسط يده نحو وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله- وشال علينا حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ قال: معاشر الناس هذا علىّ أخى، ووصيّى، وواعى علمى، وخليفتى علىّ أمتى وعلىّ تفسير كتاب الله عزّ وجلّ والداعى إليه ... (١) و

عن الصادقين عليهما السلام فى قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ... إلخ (٢) قالوا: هى لنا خاصّة، وإيانا عنى. (٣) و

فى «تفسير القمى»: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤) يعنى آل محمد صلوات الله عليهم. (٥)

(١) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٩ ح ٨٦ عن الإحتجاج.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٣٠ باب إمارة السجّاد عليه السلام.

(٤) العنكبوت: ٤٣.

(٥) تفسير القمى ج ٢ ص ١٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٦

فى «شرح الآيات الباهرة» باسناده عن الفضيل بن يسار، عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزّ وجلّ: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ قال: نحن هم (١).

فى «الكافى» باسناده عن أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبى الحسن الأوّل، قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلّهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلماً ومحمّداً صلّى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان ابن داود قال للهدد حين فقده وشكّ فى أمر فقال ما لى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين حين فقده فغضب عليه فقال: لَأَعْدَبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢)، وإنما غضب عليه، لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا- وهو طائر- قد أعطى ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَتْ بِهِ الْمَوْتَى (٣)، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله

(١) تأويل الآيات الطاهرة ص ٤٢٤.

(٢) النمل: ٢١.

(٣) الرعد: ٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٧

مِمَّا كَتَبَهُ الْمَاضُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا فِي أُمَّ الْكِتَابِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «١»، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «٢» فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء. «٣»
وعن الحموي «٤» من أعيان العامة بأسناده عن ابن مسعود قال: القرآن انزل على سبعة أحرف ما منها إلّا وله ظهر و بطن، وإن على بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن. «٥» و

عن ابن شاذان «٦» من طريق المخالفين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الرحمن بن عوف: أنتم أصحابي، و علي بن أبي طالب مني وأنا من علي فما قاسه بغيره فقد جفاني، و من جفاني فقد آذاني، و من آذاني فعليه لعنة الله ربّي، يا عبد الرحمن إن الله تعالى أنزل عليّ كتابا مبينا، و أمرني أن أبين ما نزل إليهم ما خلى عليّ بن أبي طالب، فإنه لم يحتج إلى بيان، لأن الله تعالى جعل فصاحته كفصاحتي، و درايته كدرايتي، و لو كان الحلم رجلا لكان عليا، و لو كان

(١) النمل: ٧٧.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٣٦ ح ٧، و رواه في البحار ج ٢٦ ص ١٦١ ح ٧ عن «البصائر» عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.

(٤) هو: إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني المتوفى (٧٢٢) - الاعلام ج ١ / ٦١.

(٥) رواه أيضا أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، و ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٤٣.

(٦) هو: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي من مشايخ الامامية و كان حيا سنة (٤١٢) هـ. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٨

العقل رجلا لكان الحسن، و لو كان السخاء رجلا لكان الحسين، و لو كان الحسن شخصا لكان فاطمة، بل هي أعظم، إن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرا و شرفا و كرما. «١»

و

عنه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العلم خمسة أجزاء، اعطى علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك أربعة أجزاء، و اعطى سائر الناس واحدا، و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا عليّ بجزء الناس أعلم من الناس بجزئهم. «٢»
و قال ابن أبي الحديد «٣» في «شرح نهج البلاغة»: و من العلوم علم تفسير القرآن، و عنه أخذ، و منه فرع، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه، و عن عبد الله بن عباس، و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خريجه، و قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. «٤»

(١) مائة منقبة لابن شاذان ص ١٢٢ المنقبة (٦٧) و أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ص ٦٠ بأسناده إلى ابن شاذان، و القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ٢٦٣ و الجويني في فرائد السمطين ج ٣ ص ٦٨.

(٢) مناقب ابن شاذان ص ١٣٣ المنقبة (٧٨)، و أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ج ١ / ٤٤ و ابن عساكر في تاريخ دمشق ج ٣ ص ٤٥ و المتقي الهندي في كنز العمل ج ١١ ص ٦١٥.

(٣) هو: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المولود سنة (٥٨٦) هـ هو المتوفى سنة (٦٥٦) هـ كما في «سير النبلاء» و قد تصدّى لشرح «نهج البلاغة» غير واحد من العلماء، و استخرجوا من ذلك اليم الزاخر لثالثي ثمينه، و ألفوا نظما و نثرا باللغات المختلفة حول هذا الكتاب القيم ما تنوف على مائة بل أكثر، منها: «شرح ابن أبي الحديد» شرع في تأليفه في

غزوة رجب سنة (٦٤٤) و أتمته في سلخ صفر سنة (٦٤٩) ففضى أربع سنين و ثمانية أشهر، و كانت كما يقول:
«مقدار خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ج».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ١٩٩

و حكى السيد بن طاووس في «سعد السعود» عن أبي حامد الغزالي «١» في كتاب «بيان العلم اللدني في وصف مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال علي عليه السلام لما حكى عهد موسى: «أن شرح كتابه كان أربعين جملا»، لو أذن الله و رسوله لأشعر في شرح معاني «ألف» الفاتحة حتى يبلغ مثل ذلك، يعني أربعين وقرا أو جملا». و هذه الكثرة في السعة و الافتتاح في العلم لا يكون إلا لدنيا سماويا إلهيا.

ثم

حكى السيد عن أبي عمر «٢» الزاهد محمد بن عبد الواحد باسناده أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يا بن عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني إلى الجبانة، قال: فصليت و لحقته و كانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ فما علمت حرفا أجيبه، قال: فقلت: لا أعلم، فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: فما تفسير الميم من الحمد؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: ما تفسير الدال من الحمد؟ قال:

قلت: لا أدري، قال: فتكلم فيها إلى أن بزق عمود الفجر، قال: فقال لي: قم يا أبا عباس إلى منزلك و تأهب لغرضك.

قال أبو العباس عبد الله بن العباس: فممت و قد وعيت كل ما قال، ثم تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المتفجر. و في نسخة: كالقرارة في المتعرج. «٣»

(١) أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الشافعي توفي سنة (٥٠٥) هـ.

(٢) أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد اللغوي الباوردي كان معروفا بغلام ثعلب توفي سنة (٣٤٥) ببغداد- تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٢٤٩

أقول: و يأتي مثل هذا الخبر في تفسير الحمد «١».

و عنه، عن ابن عباس من طريق العائمة: «ما علمي و علم أصحاب محمد صلى الله عليه و آله في علم علي عليه السلام إلا كقطرة في سبعة أبحر. «٢» و

عن طريق النقاش «٣»، و ابن المغازلي «٤» الفقيه الشافعي، و الموفق بن أحمد «٥»، و الترمذي، و غيرهم، عن ابن عباس، و عبد الله بن مسعود، و غيرهما عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: قسمت الحكمة على عشرة أجزاء، فأعطى علي عليه السلام تسعة أجزاء، و الناس جزء واحد. «٦» و زاد في بعضها: أنه شاركهم فيه حتى هو أعلم به منهم.

و روى الترمذي «٧» عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يشرح لنا نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح و هو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالقرارة في جنب البحر المتعرج. «٨»

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٥.

- (٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٥.
- (٣) النقاش: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون أبو بكر المفسر الموصلي البغدادي ولد سنة (٢٦٦) و توفي سنة (٣٨١) هـ - الأعلام ج ٦ / ٣١٠.
- (٤) هو أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الشهير بابن المغازلي الواسطي الشافعي المتوفى سنة (٤٨٣) هـ. الكنى والألقاب ج ١ ص ٤١٧.
- (٥) هو: الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي الحنفي، ولد سنة (٣٨٤) و توفي سنة (٥٦٨) هـ. الأعلام ج ٨ / ٢٨٩.
- (٦) المناقب لابن المغازلي ص ٢٨٧ - حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ - مناقب الخوارزمي ص ٤٩.
- (٧) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن حسن بن بشير المؤذن الحكيم الترمذي المقتول سنة (٢٥٥) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٧٩.
- (٨) ينابيع المودة ط اسلامبول ص ٧٠ - أرجح المطالب ط لاهور ص ١١٣.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠١

و

روى الترمذي أيضا أنه قال رسول الله: ما رأني في الدنيا على الحقيقة التي خلقني الله عليها غير علي بن أبي طالب عليه السلام. (١) بل

قد ورد في أخبار كثيرة أن كل علم حق عند كل أحد فهو منهم عليهم السلام. ففي «مجالس المفيد» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت. ولا أحد من الناس يقضى بحق ولا عدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا. (٢)

و

في «البصائر» و «رجال الكشي» عن أبي مريم (٣) قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل (٤)، والحكم بن عتيبة (٥): شرفا و غزبا لن تجدا علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت. (٦).

و

فيهما عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز؟

- (١) لم أجد له مصدرا.
- (٢) أمالي المفيد ص ٥٦ و ٥٧.
- (٣) هو: عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد أبو مريم الأنصاري، روى عن الصادقين عليهما السلام، وثقه النجاشي وقال: له كتاب - معجم رجال الحديث ج ١ ص ٥٥.
- (٤) هو: سلمة بن كهيل بن الحصين أبو يحيى الحضرمي الكوفي التابعي، كان من البتريه، و هم الذين دعوا إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ثم خلطوها بولاية الشيخين، و بغض عثمان و طلحة و الزبير و عائشة - معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٢٠٨.
- (٥) الحكم بن عتيبة أبو محمد الكوفي الكندي البتري توفي سنة (١١٤) أو (١١٥) و ردت في ذميه روايات كثيرة - معجم رجال الحديث ج ٦ ص ١٧٤.

(٦) بصائر الدرجات ص ١٠، الكافي ج ١ ص ٣٩٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٢

قال عليه السلام: لا، فقلت: إن الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز، فقال عليه السلام: اللهم لا تغفر ذنبه، ما قال الله للحكم: إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ

وَلَقَوْمِكَ «١» فليذهب الحكم يمينا و شمالا، فو الله لا يؤخذ العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام. «٢»

و

في «البصائر» عنه عليه السلام: كلّمّا لم يخرج من هذا البيت فهو باطل. «٣»

و

فيه عن زرارة قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا شئتم ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبأتكم به»، قال: فسألته، فقال عليه السلام: إنّه ليس أحد عنده شيء إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاؤوا فو الله ليأتين الأمر هاهنا، وأشار بيده إلى صدره. «٤»

قال المجلسي رحمه الله: ليأتين (بفتح الياء ورفع الأمر) أي يأتي العلم وما يتعلّق بأمر الخلق ويهبط إلى صدورنا، ويحتمل نصب الأمر فيكون ضمير الفاعل راجعا إلى كلّ أحد من الناس، أو كلّ من أراد اتّضح الأمر له.

أقول: ولعلّ الأقرب الأوّل، وذلك أنّك قد سمعت في غير موضع من هذا التفسير أنّ الله تعالى جعلهم أبوابه، وسبله و صراطه في الأمور التكوينيّة و التشريعيّة، فلا يصل إلى أحد من الخلق شيء من الفيوض الإلهيّة، و المواهب

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) بصائر الدرجات ص ٩، رجال الكشي ص ١٣٧، الكافي ج ١ ص ٤٠٠ و ج ٧ ص ٣٦٥.

(٣) بصائر الدرجات ص ٣٨ ح ٥، الوسائل ج ١٨ ص ٥٠ ح ٣٤ عن البصائر.

(٤) بصائر الدرجات ص ١٢ ح ١، الوسائل ج ١٨ ص ٤٦ ح ٢١، و لكن فيه مكان (ليأتين الأمر هاهنا و أشار بيده إلى صدره): ليس الأمر إلّا من هاهنا و أشار بيده إلى بيته، بحار الأنوار ج ٤٠ / ١٣٦ و فيه:

ليأتينهم الأمر هاهنا و أشار إلى المدينة».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٣

الرحمانيّة إلّا بوساطتهم و شفاعتهم، فبهم بدأ الله، و بهم يختم، و من جملة فيوضه سبحانه، بل من أعظمها العلوم و المعارف الحقيقيّة التي خصّهم الله سبحانه بمعرفتها، فهم عيبه علمه، و خزنة و حيه.

ففي «البصائر»: عن الصادق عليه السلام يقول: «نحن ولاة أمر الله، و خزنة علم الله، و عيبه وحي الله». «١»

و

فيه، عنه عليه السلام: يا بن أبي يعفور «٢» إنّ الله واحد متوحد بالوحدانيّة، متفرد بأمره، فخلق خلقا فقدّرهم لذلك «٣» الأمر، فنحن هم، يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عبادته، و خزّانه على علمه، و القائمون بذلك. «٤»

و

عن أبي جعفر عليه السلام قال: و الله إنّنا لخزان الله في سمائه و أرضه، لا على ذهب و لا على فضة إلّا على علمه. «٥»

(١) بصائر الدرجات ص ٣٠، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٦ ح ٩ عن البصائر.

(٢) هو: عبد الله بن أبي يعفور واقد أبو محمد العبدى من خواص أصحاب الصادق عليه السلام توفى في حياة الإمام عليه السلام سنة الطاعون. معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٩٦.

(٣) في البحار: فقدّرهم بذلك الأمر. و قال المجلسي قدس سرّه في بيانه: بذلك الأمر أي الإمامة، أو بذلك العلم، فالباء للسببيّة.

(٤) بصائر الدرجات ص ٢٩، الكافي ج ١ ص ١٩٣ ح ٥، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٦ ح ٨.

(٥) بصائر الدرجات ص ٢٩، الكافي ج ١ ص ١٩٢ ح ٢، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٥ ح ١ عن البصائر.
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٥

الباب التاسع

في أن جلّ القرآن نزل في أهل البيت و شيعتهم و في أعدائهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٧

روى الشيخ الجليل ثقة الإسلام الكليني «١»، و محمد بن مسعود العياشي «٢»، و فرات «٣» بن إبراهيم، بأسانيدهم عن أصبغ «٤» بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: نزل القرآن أرباعاً: ربع فينا، و ربع في عدونا، و ربع سنن و أمثال، و ربع فرائض و أحكام، و لنا كرائم القرآن «٥».

قال في «تأويل الآيات»: و روت الخاصية و العامية عن ابن عباس أيضا مثله «٦» و فيه عن ابن نباتة عنه عليه السّلام قال: القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، و ربع في أعدائنا، و ربع فرائض و أحكام، و ربع حلال و حرام، و لنا كرائم

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق ابو جعفر الكليني مصنف «الكافي» في عشرين سنة، توفي سنة (٣٢٨) أو (٣٢٩) و قبره في بغداد مزار معروف. طبقات الشيعة ج ١/ ٣١٤.

(٢) هو: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش أبو النضر السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، كان عامياً ثم تبصر، و كان حديث السن، و بعد سمع الاصحاب بالعراق و روى عن علي بن الحسن بن علي بن فضال الذي يروى عن أخيه أحمد الذي توفي سنة (٢٦٠) - طبقات الشيعة ج ١ ص ٣٠٥.

(٣) فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، روى عن عبيد بن كثير المتوفى (٢٩٤) و روى عنه الصدوق المتوفى (٣٨١) بواسطة واحدة كثيرا في الأمالي - طبقات الشيعة ج ١ ص ٢١٦.

(٤) الأصبغ بن نباتة المجاشعي من خاصية أمير المؤمنين عليه السّلام، و عمّر بعده، و روى عنه عهد الأشر الذي عهدته اليه أمير المؤمنين عليه السّلام لما ولّاه مصر - معجم رجال الحديث ٣ ص ٢١٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٢٨ - تفسير الفرات ص ٢ - شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٣ ح ٥٨ - بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٥ ح ١ عن الكنز و الفرات.

(٦) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٥ عن الكنز ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٨.
القرآن «١».

قلت: و الكرائم نفائس الشيء و خياره جمع الكريمة، و التاء للمبالغة كما في «النهاية الاثريّة» قال: و منه حديث الزكاة: «و أتق كرائم أموالهم» أي نفائسها التي يتعلّق بها نفس مالکها و يختصّها لها حيث هي جامعّة للكمال الممكن في حقّها.

و المراد أن كلّ ما في القرآن من خير، و برّ، و شرف فهو لهم، و فيهم، و في شيعهم، كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: «إن ذكر الخير كنتم أوله، و أصله، و معدنه، و مأواه، و منتهاه».

عن مولانا الصادق عليه السّلام قال: ما من آية في القرآن أولها يا أيّها الذين آمنوا إلّا و عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أميرها و قائدها، و شريفها و أولها، و ما من آية تسوق إلى الجنة إلّا و هي في النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الأئمة عليهم السّلام، و أشياعهم، و أتباعهم، و ما من آية تسوق إلى النار إلّا و هي في أعدائهم و المخالفين لهم، و إن كانت الآيات في ذكر الأولين فما كان منها في خير فهو جار في أهل الخير، و ما كان منها في شرّ فهو جار في أهل الشرّ «٢».

و

عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا خيثمة «٣» إن القرآن نزل أثلثا: فثلث فينا، وثلث في عدونا، وثلث فرائض و أحكام «٤».

(١) البحار ج ٢٤ ص ٣٠٥ ح ٢ عن تفسير الفرات.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣١٦ ح ٢٠ عن عقائد الصدوق ص ١٠٤.

(٣) الظاهر أنه خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي أبو عبد الله و كان من أصحاب الباقر عليه السلام - انظر معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٨٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٤ باب جوامع تأويل ما نزل فيهم ٤ ح ٤٦ عن الفرات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٠٩

و

روى ابن المغازلي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: القرآن أربعة أرباع: فربع فينا أهل البيت خاصة، و ربع حلال، و ربع حرام، و ربع فرائض و أحكام، و الله أنزل فينا كرائم القرآن «١».

و روى العياشي مثله بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام «٢».

و

روى عن أصبغ بن نباتة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نزل القرآن أثلثا: ثلث فينا و في عدونا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام «٣».

و

في «تفسير العياشي» عن خيثمة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «القرآن نزل أثلثا: ثلث فينا و في أحبائنا، و ثلث في أعدائنا و عدو من كان قبلنا، و ثلث سنّة و مثل، و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقى من القرآن شيء، و لكنّ القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكلّ قوم آية يتلونّها هم منها من خير أو شرّ» «٤».

و في «كشف الغمّة» عن ابن مردويه «٥»، عن ابن عباس قال: «ما في القرآن آية إلّا و عليّ رأسها و قائدها» «٦».

قال: و روى عن عليّ عليه السلام قال: «نزل القرآن أرباعا: فربع فينا، و ربع في

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣٢٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ باب أنواع آيات القرآن ص ١١٤ ح ١ عن تفسير العياشي ج ١ ص ٩ مع تفاوت يسير.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٩.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ١٠.

(٥) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى (٣٥٢)، الكنى و الألقاب ج ١ ص ٤٠٦.

(٦) كشف الغمّة ص ٩١ - بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١١٦ من كشف الغمّة. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٠

عدونا، و ربع سير و أمثال .. و ربع فرائض و أحكام «١».

و فيه عن ابن عباس: «ما نزلت «يا أيها الذين آمنوا» إلّا و عليّ أميرها و شريفها» «٢».

و عنه في خبر آخر: «إلّا كان عليّ رأسها و أميرها» «٣».

و عن حذيفة «٤»: «إلّا كان عليّ لئبها و لبابها» «٥».

و

في «غيبه النعماني» «٦»: عن العبد الصالح عليه السلام في قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ «٧» أنه قال: «إن القرآن له ظاهر و باطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن فهو حرام على ظاهره كما هو في الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الجور، و جميع ما أحلّ الله في الكتاب فهو حلال، و هو الظاهر، و الباطن من ذلك أئمة الهدى» «٨».

و

في «تفسير فرات» عن ابن عباس قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي و يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فعلا بنا علي ثبير، ثم صلى ركعات، ثم رفع

(١) المصدر نفسه ص ٩١.

(٢) كشف الغمّة ص ٩١ البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن كشف الغمّة.

(٣) المصدر نفسه ص ٩١ البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن كشف الغمّة.

(٤) هو حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العباسي كان صاحب سرّ النبي صلى الله عليه وآله في المنافقين، توفي بالمداين سنة (٣٦) هـ - الاعلام للزركلي ج ٢ ص ١٨٠.

(٥) كشف الغمّة ص ٩٢- البحار ج ٣٦ ص ١١٧ عن الكشف.

(٦) النعماني: محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب كان تلميذا للكليني المتوفى (٣٢٩) و كان حيا في سنة (٣٤٢) هـ و توفي بالشام - الذريعة ج ١٦ ص ٧٩.

(٧) الأعراف: ٣٣.

(٨) غيبه النعماني ص ٦٤ و فيه: «ائمة الهدى الحق». تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١١

يده الى السماء فقال: اللهم إنّ موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام سألك، و أنا محمد نبيك سألك أن تشرح لي صدري و تيسر لي أمري، و تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، و اجعل لي وزيرا من أهلي علي بن أبي طالب أخي أشدد به أزرى، و أشركه في أمري، قال: فقال ابن عباس: سمعت مناديا ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن ارفع يدك إلى السماء فادع ربك و سله يعطك، فرفع يده إلى السماء و هو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهدا، و اجعل لي عندك ودا، فأنزل الله على نبيه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا «١». فتلاها النبي صلى الله عليه وآله و آله على أصحابه، فتعجبوا من ذلك عجا شديدا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: بما تعجبون؟ إنّ القرآن أربعة أرباع: ربع فينا أهل البيت خاصية، و ربع في أعدائنا، و ربع حلال و حرام، و ربع فرائض و أحكام، و إنّ الله أنزل في علي بن أبي طالب عليه السلام كرائم القرآن «٢».

و

في «البصائر» عن أبي الحجاز «٣» قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ختم مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي، و ختمت أنا مائة ألف وصي و أربعة و عشرين ألف وصي، و كلّف ما تكلف الأوصياء قبلي، و الله المستعان، و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه: لست أخاف عليك أن تضلّ بعد الهدى، و لكن أخاف عليك فساق قريش و عاديتهم، حسبا الله و نعم الوكيل علي أن ثلثي القرآن فينا و في شيعتنا، فما كان من خير فلنا و لشيعتنا، و الثلث أشركنا

(١) مريم: ٩٦.

(٢) تفسير فرات ص ٨٩- بحار الأنوار ج ٣٥ عن الروضة ص ١٦ و تفسير فرات.

(٣) لم أظفر على ترجمته. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٢

فيه الناس، فما كان من شرّ فلعدونا» (١).

و

في «الخصال» عن ابن أبي ليلى (٢) قال: «نزلت في عليّ ثمانون آية صفوا في كتاب الله ما شرکه فيها أحد من هذه الأمة» (٣).

وفيه بالإسناد عن مجاهد مثله، إلا أن فيه: «سبعون» (٤).

قلت: ولعل المراد الآيات المختصة به دون غيره كما يرمى إليه قوله:

«صفوا» أو أنه ذكر هذا العدد بناء على ما اطلع عليه.

و

عن ابن شهر آشوب قال: روى جماعة من الثقات عن الأعمش، عن عباية الأسدي عن عليّ عليه السلام، و الليث (٥)، عن مجاهد، و

السدي عن أبي مالك (٦)، و ابن أبي ليلى، عن داود (٧) بن علي، عن أبيه، و ابن جريح، عن عطاء، و عكرمة، و سعيد بن جبیر، كلهم

عن ابن عباس، و روى العوام (٨) ابن حوشب عن مجاهد،

(١) بصائر الدرجات ص ١٢٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - شهد معه، عربي كوفي، ضربه الحجاج حتى اسودّ

كتفاه على سبّ عليّ عليه السلام - جامع الرواة ص ٤٤٣ رقم ٣٦٥٢.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥٩٢ أبواب الثمانين ح ١.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٥٨١ أبواب السبعين ح ٢.

(٥) هو الليث بن أبي سليم الكوفي القرشي كان من العلماء و يقال: كان من أوعية العلم، توفي سنة (١٤٣) هـ - الميزان للذهبي ج ٣ ص

٤٢٠.

(٦) ابو مالك روى روايات كثيرة عن ابن عباس و روى عنه السديّ إسماعيل بن عبد الرحمن المتوفى (١٢٨ هـ) ذكره ابن أبي حاتم

في «الجرح و التعديل» ج ٩ ص ٤٣٥ رقم ٢١٧٣ و قال: سئل أبو زرعة عنه فقال: كوفي ثقة لا أعرف اسمه.

(٧) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عم المنصور الدوانيقي، قد ولي الكوفة في دولة السفّاح، ثم المدينة، مات سنة (١٣٣) هـ -

ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣.

(٨) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي توفي سنة (١٤٨ هـ) - سير أعلام النبلاء ج ٤ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢،

ص: ٢١٣

و روى الأعمش عن زيد بن وهب (١). عن حذيفة كلهم عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «ما انزل الله تعالى في القرآن آية فيها

يا أيّها الذين آمنوا إلّا و عليّ أميرها و شريفها» (٢).

و

في رواية حذيفة: «إلّا كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام لبها» (٣) و لبابها» (٤).

و

في رواية: «إلّا عليّ رأسها و أميرها» (٥).

و

في رواية يوسف «٦» بن موسى القطان، ووكيع «٧» بن الجراح: «أميرها و شريفها لأنه أول المؤمنين إيماناً» (٨).

و

في رواية إبراهيم «٩» الثقفى، و أحمد بن حنبل، و ابن بطّة «١٠» العكبرى،

ص ٣٥٤.

(١) هو زيد بن وهب الجهنى أبو سليمان الكوفى المتوفى سنة (٩٤) - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٩٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٤٦ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٣) اللبّ و اللباب (بضم اللام) فى اللغة بمعنى واحد و هو المختار الخالص من كل شىء و لعل معنى الحديث أنّ المصداق الأتم الخالص المختار من المؤمنين هو أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) المناقب ج ١ ص ٥٤٦ - شواهد الحسكاني ج ١ ص ٤٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) يوسف بن موسى بن راشد القطان أبو يعقوب الكوفى نزيل بغداد، توفى سنة (٢٥٣) من سنّ عاليه - سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص

٢٢٢.

(٧) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الحافظ ولد بالكوفة سنة (١٢٩) و توفى بفيد راجعا من الحج سنة (١٩٧) - الاعلام ج ٩ ص

١٣٥.

(٨) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٦ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٩) هو إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى الكوفى المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) - الاعلام ج ١ ص ٥٦.

(١٠) هو عبيد الله بن محمّد بن محمد بن حمدان بن بطّة العكبرى الحنبلى المتوفى (٣٨٧) - الاعلام ج ١ ص ٣٥٤. تفسير الصراط

المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٤

عن عكرمة، عن ابن عباس: «إلّا على رأسها و شريفها و أميرها» (١).

و

فى «صحيفة الرضا عليه السلام» (٢): «ليس فى القرآن يا أيّها الذين آمنوا إلّا فى حقنا، و لا فى التوراه يا أيّها الناس إلّا فىنا» (٣).

و

فى تفسير مجاهد قال: ما كان فى القرآن «يا أيّها الذين آمنوا» فإنّ لعلّى عليه السلام سابقه هذه الآية، لأنّه سبقهم الى الإسلام، فسماه

الله تعالى فى تسع «٤» و ثمانين موضعا أمير المؤمنين و سيّد المخاطبين الى يوم الدين «٥».

و

روى المنقرى «٦» باسناده الى عمرو «٧»، أخى بريده الأسلمى، و روى يوسف ابن كليب المسعودى باسناده عن أبى داود، عن أخى

بريده، و روى عبّاد

(١) المناقب ج ١ ص ٥٤٦.

(٢) صحيفة الرضا: و يعتبر عنها بمسند الرضا، و الرضويات، و صحيفة أهل البيت أيضا و قد أحصى بعض الأصحاب أحاديثها

فوجدوها (٢٤٠) حديثا و هى منسوبة الى الإمام الرضا عليه السلام، مروية بأسانيد متعددة ينتهى جميعها الى ابى القاسم عبد الله بن

احمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب، عن أبية احمد بن عامر عن الرضا عليه السلام فى سنة (١٩٤)، انظر الذريعة ج ١٥ ص

١٧ رقم ٩٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٦- بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٤) هذه الموارد (١١) موردا في سورة البقرة، و (٧) موارد في آل عمران، و (٩) موارد في سورة النساء، و (١٦) موردا في المائدة، و (٦) موارد في الأنفال، و (٦) موارد في التوبة، و (١) في الحج، و (٣) موارد في سورة النور، و (٧) موارد في الأحزاب، و (٢) في سورة محمد، و (٥) موارد في الحجرات، و (١) في سورة الحديد، و (٣) في المجادلة، و (١) في سورة الم، و (٣) موارد في الممتحنة، و (٣) في الصف، و (١) في الجمعة، و (١) في سورة المنافقين، و (١) في التغابن، و (٢) في سورة التحريم.

(٥) المناقب ج ١ ص ٥٤٦- البحار ج ٣٧ ص ٣٣٣.

(٦) هو: سليمان بن داود بن بشر بن زياد أبو أيوب المنقري البصرى المعروف بالشاذكونى الحافظ المتوفى (٢٣٤) هـ - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٦٧٧.

(٧) هو عمرو بن حصيب أخو بريدة بن حصيب الأسلمى كما فى أمالى الشيخ ص ١٨١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٥ ابن «١» يعقوب الأسدى، باسناده عن أبى داود «٢» السبيعى، عن أخى بريدة، أنه دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اذهب و سلم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله و أنت حى؟ قال صلى الله عليه وآله: و أنا حى، ثم جاء عمر فقال له مثل ذلك.

و فى رواية السبيعى: أنه قال عمر: و من أمير المؤمنين؟ قال: على بن أبى طالب قال: عن أمر الله و أمر رسوله؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم «٣».

و

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى قدس سره باسناده الى الفضل «٤» بن شاذان عن داود «٥» بن كثير. قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ، و أنتم الزكاة، و أنتم الحجّ؟ فقال عليه السلام: يا داود نحن الصلاة فى كتاب الله عزّ و جلّ، و نحن الزكاة، و نحن الصيام، و نحن الحجّ، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبة الله، و نحن قبله الله، و نحن وجهه الله، قال الله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ «٦» و نحن الآيات، و نحن البيئات.

(١) هو أبو سعيد عباد بن يعقوب الأسدى الرواجنى الكوفى المتوفى سنة (٢٥٠) هـ - التاريخ الكبير للبخارى ج ٦ ص ٤٤ رقم ١٦٤٥.

(٢) هو نفيح بن الحارث أبو داود النخعى الكوفى و يقال له السبيعى لأنهم مواليه، و كان أعمى من قبيلة همدان تابعيا - تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٧٠.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٤٩- أمالى الشيخ ص ١٨١ و ص ١٨٢ و البحار ج ٣٧ ص ٢٩١ عن الأمالى و ص ٣٣٤ عن المناقب.

(٤) الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيسابورى المتوفى (٢٦٠) هـ - الاعلام ج ٥ ص ٣٥٥.

(٥) داود بن كثير أبى خالد الرقى أبو سليمان المتوفى بعد وفاة الرضا عليه السلام بقليل حدود سنة (٢٠٣) هـ - معجم رجال الحديث ج ٧ ص ١٢٢.

(٦) البقرة: ١١٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٦

و عدونا فى كتاب الله عزّ و جلّ: الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر، و الميسر و الانتصاب و الأزلام، و الأصنام و الأوثان، و الجبت و الطاغوت، و الميتة و الدم و لحم الخنزير.

يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا، وفضلنا، وجعلنا أمناءه، وحفظته، وخزانه على ما فى السماوات وما فى الأرض، وجعل لنا أصدادا وأعداء، فسمانا فى كتابه، وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه، وسمى أصدادنا وأعدائنا فى كتابه، وكنى عن أسمائهم و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و إلى عبادة المتقين «١».

و

عن الفضل بن شاذان بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن أصل كل خير، و من فروعنا كل بر، و من البر التوحيد، و الصلاة، و الصيام، و كظم الغيظ عن المسىء، و رحمة الفقير، و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل لأهله.

و عدونا أصل كل شر، و من فروعهم كل قبيح و فاحشة، فمنهم الكذب و النميمة، و البخل، و القطيعة، و أكل الربا، و أكل مال اليتيم بغير حقه، و تعدى الحدود التى أمر الله عز و جل، و ركوب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن من الزنا و السيرة، و كل ما وافق ذلك من القبيح، و كذب من قال: إنه معنا و هو متعلق بفرع غيرنا «٢».

و

فى «رجال الكشى» بالإسناد عن بشير «٣» الدهان، قال: كتب أبو

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٣ ح ١٤ عن كثر الفوائد ص ٢-٣.

(٢) البحار ج ٢٤ ص ٣٠٣ ح ١٥ عن الكنز.

(٣) بشير الدهان الكوفى من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام، و قيل: (يسير) بالياء التحتانية و السين المهملة، وقع فى اسناد جملة من الروايات تبلغ ثمانية عشر موردا. معجم رجال الحديث ج ٣ تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٧
عبد الله عليه السلام إلى أبى «١» الخطاب بلغنى أنك تزعم أن الزنا رجل، و أن الخمر رجل، و أن الصلاة رجل، و الصيام رجل، و أن الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول، إننا أصل الحق، و فروع الحق طاعة الله، و عدونا أصل الشر، و فروعهم الفواحش، و كيف يطاع من لا يعرف، و كيف يعرف من لا يطاع «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التى سيمر عليك كثير منها فى تضاعيف هذا التفسير إن شاء الله تعالى.

و جملة الكلام أنه يستفاد من ملاحظة الأخبار أمور:

أحدها: أن كل آية فى القرآن فيها يا أيها الذين آمنوا فالخطاب فيها متوجه إلى أهل البيت عليهم السلام بالأولوية و الأولوية و الأصالة، و هم أميرها و شريفها و رأسها و لبها و لبابها، و ذلك بسبب سبقتهم إلى الإيمان بالله سبحانه فى عالم الأنوار و فى الظلة الخضراء. كما

عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: إن الله سبحانه تفرّد فى وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نورا، ثم خلق من ذلك النور محمّدا و عليا و عترته عليهم السلام، ثم تكلم بكلمة فصارت روحا و أسكنها فى ذلك النور و أسكنه فى أبداننا، فنحن روح الله و كلمته، احتجب بنا عن خلقه، فما زلنا فى ظلّ خضراء مسبحين نسبحه و نقدسه حيث لا شمس و لا قمر، و لا عين تطرف، ثم خلق

ص ٣٣١ رقم ١٨٠٦.

(١) ابو الخطاب محمّد بن أبى زينب الأسدى الكوفى البرّاد، كان مستقيما ثم انحرف و صار من الغلاة فترك أصحابنا ما رواه بعد انحرافه- معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٩٩ عن رجال الكشى ص ١٨٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٨

شيعتنا، و إنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا «١».

و

عنه، قال: دخلت حبابة «٢» الوالبيّة على أبي جعفر عليه السّلام فقالت: أخبرني يا بن رسول الله أى شىء كنتم فى الأظلمة؟ فقال عليه السّلام: كنّا بين يدي الله قبل خلق خلقه، فلما خلق الخلق سبحنا فسبحوا، وهللنا فهللوا، وكبرنا فكبروا، وذلك قوله عزّ وجلّ: وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا «٣» الطريفة حبّ على صلوات الله عليه، والماء الغدق الماء الفرات، وهو ولاية آل محمّد عليهم السّلام. «٤».

و

فى خبر المفضّل: كنّا أنوارا حول العرش نسبح الله ونقدسه حتّى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا فسبحنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنّنا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور ... الخبر «٥».

و أيضا لسبقهم إلى الإيمان به سبحانه فى عالم الميثاق والذّرّ الأوّل، كما ورد أنّ أوّل من بادر إلى الإجابة هو رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ الأئمّة من ذريته صلوات الله عليهم أجمعين،

ولسبقتهم إلى الإيمان به فى هذا العالم الناسوتى فى الدّولة الكاملة الختمية المصطفوية كماليا شرفيا، إذ لا يدانى

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣ ح ٣٩ عن مشارق الأنوار للبرسى ص ٤٢.

(٢) هى صاحبة الحصاة التى طبع فيها أمير المؤمنين عليه السّلام بخاتمه و أتت بها الى الأئمّة بعده واحدا بعد واحد وهم يطبعونها فيها إلى أن انتهت الى أبى الحسن الرضا عليه السّلام فطبع فيها وعاشت بعد ذلك تسعة أشهر - سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠ طبع الجديد.

(٣) سورة الجنّ: ١٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٤ ح ٤٠ عن مشارق الأنوار للبرسى ص ٤٠.

(٥) البحار ج ٢٥ ص ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢١٩

إيمانهم إيمان أحد من المخلوقين، آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين، و سبقا حدوثيا زمانيا كما اتفقت عليه روايات الفريقين من أنّه عليه السّلام أوّل من آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله فى العالم الناسوت إيمانا ظاهريا بعد ما آمن به فى جميع العوالم الكليّة والنشآت الغيبية، ولذا

قال عليه السّلام: سبقتكم إلى الإسلام طرا* غلاما ما بلغت أو ان حلمى «١» وقد قيل فى هذا أيضا: ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفا* عن هاشم ثمّ منها عن أبى الحسن أليس أوّل من صلّى لقبلكم* وأعلم الناس بالآداب والسنن وبالجملة فهؤلاء الأنوار صلوات الله عليهم هم السابقون بالإيمان فى جميع العوالم بمراتب السبق وأقسامه الستة «٢».

(١)

قال ابن حجر الهيتمى: لما وصل الى على بن أبى طالب عليه السّلام فخر من معاوية قال عليه السّلام لغلامه: اكتب إليه، ثمّ أملى عليه: محمّد النبى أخى و صهرى* و حمزة سيّد الشهداء عمى و جعفر الذى يمسى و يضحى* يطير مع الملائكة ابن أمى و بنت محمد سكنى و عرسى* منوط لحمها بدمى و لحمى و سبطا أحمد ولدائى منها* فأتيكم له سهم كسهمى سبقتكم الى الإسلام طرا* غلاما ما بلغت أو ان حلمى الصواعق المحرقة ص ١٣٠ ط القاهرة-

(٢) السبق على المشهور ينقسم الى ستة أقسام: الزماني، والزبني، والشرفي، والطبعي، والعلي، والماهوي، وزاد عليها صدر المتألهين قسما سابعاً، وهو السبق بالحقيقة، والمحقق الداماد قسماً ثامناً وهو السبق الدهري، قال الفيلسوف المتأله السبزواري في منظومته: السبق منه ما زمانياً كشف والسبق بالرتبة ثم بالشرف والسبق بالطبع وبالعلية ثم الذي يقال بالماهية تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٠ و لذا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١﴾: إنها في نزلت «٢».

و قال مولانا الصادق عليه السلام: نحن السابقون، ونحن الآخرون «٣».

بل يستفاد من أخبار متواترة أنّ كل من آمن بالله و وحده و عبده في جميع العوالم فإنما هو بوساطتهم، و لذا قالوا: «بنا عرف الله و بنا عبد الله» «٤».

و في أخبار كثيرة: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا» «٥».

و في «الجماعة الكبيرة»: «بكم علمنا الله معالم ديننا، و أصلح ما كان فسد من ديننا».

ثانيها: أنّ القرآن كلّهُ إنّما نزل فيهم و في شيعتهم، و في أعدائهم.

و ذلك أنّ من الآيات ما نزلت بخصوصها فيهم، و منها ما نزلت في غيرهم، سواء أ كان في شأن أشخاص خصوصاً أو عموماً، و القصص و الأمثال، أم كان في الفرائض و السنن و الأحكام، و كلّ ذلك ينقسم إلى فروع الإيمان و فروع _____ و السبق بالذات هو اللذ كان عمّ بذى الثلاثة الأخير انقسم

بالذات إن شيء بدا و بالعرض لاثنين سبق بالحقيقة انتهض

و السبق فكياً يجي طولياً سمي دهرتياً و سرمدياً

(١) الواقعة: ١٠-١١.

(٢)

في البحار ج ٢٤ ص ٨ ح ٢٢ عن علي عليه السلام قال: «إني أسبق السابقين إلى الله و إلى رسوله ... إلخ.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٤ ح ١١ عن مناقب آل أبي طالب ج ٣/٤٠٣.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ٢٠ ح ٣١.

(٥) البحار ج ٢٤ ص ٢٤٩ ح ٢ عن الاحتجاج ص ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢١

الكفر.

فالآيات المتضمنة لفروع الإيمان و أحكامه و وعده و جزائه، و جميع الطاعات و العبادات، و الفرائض و السنن، و القصص المتعلقة بأهل الإيمان من الأنبياء و المرسلين، و الملائكة و الشهداء و الصالحين و الصديقين، و المستضعفين كلّها نزلت في شيعتهم.

و الآيات المتضمنة للكفر و النفاق و الشرك، و متابعة الأهواء و الفحشاء، و الظلم، و التواهي المتعلقة بها، و الوعيد و التهديد على ذلك، و السجين، و الظلمة، و القسوة، و القصص المتعلقة بالكفار، و الفرق كلّها، ممّا نزلت في أعدائهم، و لذا

قالوا: «إن آيات القرآن نزلت أثلاثاً: فثلث فينا، و ثلث في شيعتنا، و ثلث في أعدائنا».

بل وإليه يثول ما

ورد من أنها نزلت أرباعاً: ربع فينا، و ربع فى أعدائنا، و ربع فرائض و أحكام، و ربع حلال و حرام.

فإنّ الأخيرين يؤولان إلى الأولين على ما سمعت من التقريب.

ثالثها: أنهم عليهم السلام أصل كلّ خير و برّ و شرف و إحسان، و منهم ينشعب جميع الخيرات و الذوات السعيدة الصالحة حتى عليّين و ما خلق منه من طين المؤمنين و الملائكة و الجنان، و الأفعال الحسنة و الأقوال الصالحة الصادقة، و الهيئات و الأشكال المليحة، و الروائح و الألوان الطيبة، و غير ذلك ممّا يتعلّق بالتكويّنات، و كذا التشريعات فى العبادات، و الطاعات المفترضة و المندوبة، و لذا قالوا: «نحن أصل كلّ خير و برّ، و من فروعنا كلّ برّ، و من البرّ التوحيد،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٢

و الصّلاة و الصّيام ...

الى آخر ما مرّ (١).

و فى أخبار طينة الأنبياء و المؤمنين إشارات إلى ذلك، مثل ما

ورد «أنّ جميع الأنبياء و الملائكة و المؤمنين، بل الجنّة و السماوات و الحجب، و السرادقات، و الأعمال الصالحة كلّها خلقت من فاضل أشعة أنوارهم عليهم السلام، و أنّ قلوب شيعتهم خلقت من فاضل طينة أبدانهم عليهم السلام، و أنّ شيعته منهم لأنهم خلقوا من شعاع طينتهم» (٢).

و نظير ذلك كلّه فى جانب الشرور و المفساد و القبائح من طينة خبال و سجين، و النار، و ما خلق منها من الذوات و الكيّنونات، و الصفات و الملكات، و الأفعال، و الخطرات، و الأقوال، و الأشكال و الهيئات الى غير ذلك من الفروع، و فروع الفروع، و هلمّ جزاً. فالقرآن كلّ بهذا الاعتبار إنّما نزل فيهم و فى أعدائهم بعد ملاحظة الأصول و الفروع.

بل الكون الكبير و عالم التكوين منقسم الى نور و ظلمة، و خير و شرّ، و حسن و قبح، و استقامة و انحراف، الى غير ذلك من الأضداد، فهم أصل الخير و فرعه، و معدنه و مأواه و منتهاه، كما أنّ أعدائهم أصل الشرّ و فرعه ... إلخ. و لذا وقع التعبير عنه بجملة من فروعهم تلوّيحاً و تكنية للمؤمنين، و سترا و تقيّة عن المخالفين، فيعتبر عنهم بالصلاة، و الزكاة، و الحجّ، و الكعبة، و غيرها، حسبما سمعت فى الأخبار المتقدمة، و غيرها، كما أنّه يعتبر عن أعدائهم بالجبت،

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٣ عن كنز الفوائد ص ٢-٣.

(٢) البحار ج ٢٥ ص ١ إلى ص ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٣

و الطاغوت، و الشيطان، و الخمر، و الميسر، و الرّجس، و غير ذلك.

قال مولانا الصادق عليه السلام فيما كتبه فى جواب المفضّل على ما رواه فى «البصائر» فى خبر طويل: «إنّ الله تبارك و تعالى أحلّ حلالاً و حرّم حراماً إلى يوم القيامة، فمعرفة الرّسل و ولايتهم و طاعتهم هو الحلال، فالمحلّل ما حلّوا، و المحرّم ما حرّموا، و هم أصله، و منهم الفروع الحلال، و ذلك سعيهم، و من فروعهم أمرهم شيعتهم، و أهل ولايتهم بالحلال و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم شهر رمضان، و حجّ البيت و العمرة، و تعظيم حرّامات الله و مشاعره. و تعظيم البيت الحرام، و المسجد الحرام، و الشهر الحرام، و الطهور و الاغتسال من الجنابة، و مكارم الأخلاق و محاسنها، و جميع البرّ، ثمّ ذكر بعد ذلك فقال فى كتابه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ يُنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (١).

فعدوّهم هم الحرام المحرّم، و أوليائهم الداخلون فى أمرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش و ما ظهر منها و ما بطن و الخمر و الميسر،

و الزنا و الربا، و الدم، و لحم الخنزير، فهم الحرام المحرم، و أصل كل حرام، و هم الشرّ و أصل كل شر، و منهم فروع الشرّ كلّ، و من تلك الفروع الحرام، و استحلالهم إياها، و من فروعهم تكذيب الأنبياء، و جحود الأوصياء و ركوب الفواحش: الزنا، و السرقة، و شرب الخمر و المسكر، و أكل مال اليتيم، و أكل الربا، و الخدعة، و الخيانة، و ركوب المحارم كلّها، و انتهاك المعاصي.

(١) سورة النحل: ٩٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٤

و إنّما أمر الله بالعدل، و الإحسان، و إيتاء ذى القربى يعنى مودّة ذى القربى و ابتغاء طاعتهم، و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى، و هم أعداء الأنبياء و أوصياء الأنبياء، و هم المنهى من مودّتهم و طاعتهم، يعظّمكم بهذه لعلكم تذكرون. و أخبرك أنّى لو قلت لك: إنّ الفاحشة، و الخمر، و الميسر، و الزنا، و الميتة، و الدّم، و لحم الخنزير هو رجل، و أنا أعلم أنّ الله قد حرّم هذا الأصل و حرّم فرعه و نهى عنه، و جعل ولايته كمن عبد من دون الله و ثنا و شركا، و من دعا الى عبادة نفسه فهو كفرعون إذ قال: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى «١» فهذا كلّ على وجه إن شئت قلت: هو رجل و هو الى جهنّم و من شايعه على ذلك فإنهم مثل قول الله: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ «٢» لصدقت، ثمّ إنّى لو قلت: إنّ فلان ذلك كلّ لصدقت: إنّ فلانا هو المعبود المتعدّى حدود الله التى نهى أن يتعدّى.

ثمّ إنّى أخبرك إنّ الدين و أصل الدين هو رجل، و ذلك الرجل هو اليقين، و هو الإيمان، و هو إمام أمته و أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله و دينه، و من أنكره أنكره الله و دينه، و من جهله جهل الله و دينه، و لا يعرف الله و دينه و حدوده و شرائعه بغير ذلك الإمام، كذلك جرى بأن معرفة الرجال دين الله «٣».

و المعرفة على وجهين: معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله، و يوصل بها الى معرفة الله، فهذه المعرفة الباطنة الثابتة الموجبة حقّها المستوجب

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) البقرة: ١٧٣.

(٣) فى نسخة: «فذلك معنى أنّ معرفة الرجال دين الله». تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٥

أهلها عليها الشكر لله التى منّ عليهم بها منّ من الله يمنّ به على من يشاء، مع المعرفة الظاهرة، فأهل المعرفة فى الظاهر الذين علموا أمرنا بالحقّ على غير علم لا يلحق بأهل المعرفة فى الباطن عن بصيرتهم، و لا يصلوا بتلك المعرفة المقصورة إلى حقّ معرفة الله كما قال فى كتابه: وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «١».

فمن شهد شهادة الحقّ لا يعقد عليه قلبه و لا يبصر ما يتكلّم به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد قلبه و ثبت على بصيرة، و كذلك من تكلم بجور لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبة من عقد عليه قلبه و ثبت، فقد عرفت كيف كان حال رجال أهل المعرفة فى الظاهر و الإقرار بالحقّ على غير علم فى قديم الدهر و حديثه إلى أن انتهى الأمر إلى نبيّ الله، و بعده إلى من صاروا؟ إلى من انتهت إلى معرفتهم، و إنّما عرفوا بمعرفة أعمالهم و دينهم الذى دان الله به المحسن بإحسانه و المسىء بإسائه، و قد يقال: إنّ من دخل فى هذا الأمر بغير يقين و لا بصيرة خرج منه كما دخل فيه، رزقنا الله و إياك معرفة ثابتة على بصيرة.

و أخبرك أنّى لو قلت: إنّ الصلاة و الزكاة و صوم شهر رمضان، و الحجّ و العمرة، و المسجد الحرام، و البيت الحرام، و المشعر الحرام، و الطهور، و الاغتسال من الجنابة، و كل فريضة كان ذلك هو النبيّ الذى جاء به من عند ربّه لصدقت، لأنّ ذلك كلّ إنّما يعرف بالنبيّ، و لو لا معرفة ذلك للنبيّ و الإيمان به و التسليم له ما عرف ذلك، فذلك منّ الله على من يمنّ عليه، و لو لا ذلك لم يعرف

(١) الزخرف: ٨٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٦

شيئا من هذا، فهذا كله ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ، وَهُوَ دَعَانِي إِلَيْهِ، وَدَلَّنِي عَلَيْهِ، وَعَرَّفَنِيهِ، وَأَمَرَنِي بِهِ، وَأَوْجِبَ عَلَيَّ لَهُ الطَّاعَةَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ لَا يَسْعُنِي جَهْلُهُ، وَكَيْفَ يَسْعُنِي جَهْلٌ مِنْهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لِي لَوْ لَا أَنِّي أَصْفُ أَنْ دِينِي هُوَ الَّذِي أَتَانِي بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ، أَنْ أَصْفُ أَنْ الدِّينَ غَيْرُهُ؟ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مَعْرِفَةَ الرَّجُلِ، وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ بِالرِّجَالِ، وَأَنْ يَطَاعَ بِطَاعَتِهِمْ، فَجَعَلَهُمْ سَبِيلَهُ، وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرِ ذَلِكَ، لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ، فَقَالَ فِيمَا أَوْجِبَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِذَلِكَ: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا «١».

فَمَنْ قَالَ لَكَ: إِنَّ هَذِهِ الْفَرَائِضَ كُلَّهَا إِنَّمَا هِيَ رَجُلٌ، وَهُوَ يَعْرِفُ حَدَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَدْ صَدَقَ، وَمَنْ قَالَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرْتَ بغيرِ الطَّاعَةِ فَلَا يَغْنَى التَّمَسُّكُ بِالأَصْلِ بِتَرْكِ الْفِرْعِ، كَمَا لَا تَغْنَى شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ بِتَرْكِ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلاَّ بِالْبَرِّ وَالْعَدْلِ، وَالْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، فَالْبَاطِنُ مِنْهُ وَلا يَأْتِي أَهْلَ الْبَاطِلِ، وَالظَّاهِرُ مِنْهُ فَرُوعُهُمْ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ يَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةٍ لَيْسَ مَعَهَا طَاعَةٌ فِي أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، فَإِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الْعَمَلَ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى حُدُودِهَا مَعَ مَعْرِفَةٍ مِنْ جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ ... الْخَبْرُ بِطَوْلِهِ «٢».

(١) النساء: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٨٦- ص ٢٩٨ نقلا عن البصائر ص ١٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٧

رابعها: مَا تَبَّ عَلَيْهِ بَعْضُ «١» الأعلام في هذا المقام. وَهُوَ أَنَّ أَحْكَامَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ إِنَّمَا تَجْرِي عَلَى الْحَقَائِقِ الْكَلِيَّةِ وَالْمَقَامَاتِ النَّوْعِيَّةِ دُونَ خِصَائِصِ الأَفْرَادِ وَالْأَحَادِ، فَحَيْثُمَا خُوِطِبَ قَوْمٌ بِخُطَابٍ أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِمْ فِعْلٌ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْخُطَابِ وَذَلِكَ الْفِعْلُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالأُولَى الأَلْبَابِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ سَنَخِ أَوْلِيائِكَ الْقَوْمِ وَطِينَتِهِمْ، فَصَفْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُمَا خُوِطِبُوا بِمَكْرَمَةٍ أَوْ نَسَبُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ مَكْرَمَةً يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ سَنَخِهِمْ وَطِينَتِهِمْ مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ، وَكُلِّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ إِلاَّ مَكْرَمَةً خَصَّوْا بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ إِذَا خُوِطِبَتْ شِيعَتُهُمْ بِخَيْرٍ أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ أَوْ خُوِطِبَ أَعْدَائُهُمْ بِسُوءٍ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ سُوءٌ يَدْخُلُ فِي الأَوَّلِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ سَنَخِ شِيعَتِهِمْ وَطِينَةُ مَحَبَّتِهِمْ، وَفِي الثَّانِي كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ سَنَخِ أَعْدَائِهِمْ وَطِينَةُ مَبْغُضِيهِمْ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنْ ابتداءِ الخلقِ إِلَى انْتِهَائِهِ، وَكُلُّ مَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَبْغَضَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَذَلِكَ هُوَ يَبْغِضُ كُلَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ فِي الْعَالَمِ قَدِيمًا أَوْ حَدِيثًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَكُلُّ جَا حِدٍ فِي الْعَالَمِ قَدِيمًا أَوْ حَدِيثًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهُوَ مِنْ مَخَالِفِيهِمْ وَمَبْغُضِيهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَتْ الإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي كَلَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍ، وَهُوَ الَّذِي

رَوَاهُ الصَّدُوقُ طَابَ ثَرَاهُ فِي كِتَابِ «عِلَلِ الشَّرَائِعِ» بِإِسْنَادِهِ إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَا صَارَ عَلَيَّ أَبِي طَالِبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟ قَالَ: لِأَنَّ حُبَّهُ إِيمَانٌ وَبَغْضُهُ كُفْرٌ، وَإِنَّمَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ

(١) هُوَ الشَّيْخُ الأَجَلُّ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ وَالْفَاضِلُ الصَّمَدَانِيُّ مُحَمَّدٌ مُحَسِّنُ الْفَيْضِ الْكَاشَانِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٩١ هـ) وَمَرْقَدُهُ مَعْرُوفٌ فِي

كَاشَانَ مَوْتَلٌ لِلزَّائِرِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَمَا تَبَّ عَلَيْهِ فِي «تَفْسِيرِ الصَّافِي» الْمَقْدَمَةُ الثَّلَاثَةُ. تَفْسِيرِ الصَّارِطِ الْمُسْتَقِيمِ، ج ٢، ص: ٢٢٨

وَخُلِقَتِ النَّارُ لِأَهْلِ الْكُفْرِ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلاَّ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ، وَالنَّارُ لَا يَدْخُلُهَا إِلاَّ أَهْلُ

بغضه، قال المفضل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لا عطينَ الرّايةَ غدا رجلا يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله، ما يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوتى بالطير المشوى قال: اللهم ائني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، وعنى به علينا؟ قلت:

بلى، قال: يجوز أن لا يحبّ أنبياء الله ورسوله وأوصيائهم عليهم السّلام رجلا يحبه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبّون حبيب الله وحبّيب رسوله صلى الله عليه وآله وأنبيائه؟ قلت: لا، قال: فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسوله وجميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام محبّين، و ثبت أن المخالفين لهم كانوا له لجميع أهل محبّته مبغضين، قلت: نعم، قال:

فلا يدخل الجنّة إلّا من أحبه من الأوّلين والآخريين، فهو إذن قسيم الجنّة والنار، قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فرجّت عنّي فرج الله عنك فزدني ممّا علمك الله تعالى، فقال: سل يا مفضل، فقلت: أسأل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، فعليّ بن أبي طالب عليه السّلام يدخل محبّه الجنّة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح الى الأنبياء عليهم السّلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟ قلت: بلى قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته، واتباع أمره، ووعدهم الجنّة على ذلك، وأوعدهم من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلت: بلى، قال عليه السّلام: أ فليس النبي ضامنا لما وعد وأوعدهم عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: أو ليس عليّ بن أبي طالب عليه السّلام خليفة وإمام أمته؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: أو ليس رضوان ومالك من جملة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٢٩

الملائكة المستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟ قلت: بلى، قال عليه السّلام: فعليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه إذن قسيم الجنّة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله و رضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكونه لا تخرجه إلّا إلى أهله (١).

أقول: أنّ مجرّد السنخية والنوعية وإن أفاد شمول الخطابات وعموم الأحكام بعد مساعدة ما يدلّ على عموم الموضوع تنزيلا أو تأويلا إلّا أنّه لا يقضى باختصاص القرآن بهم وبشيعتهم وأعدائهم إلّا مع ملاحظة الأصالة التبعية حسبما سمعت فيما استفدناه من الأخبار، وإلّا فكلّ الناس في ذلك شرع سوء، فأين الإختصاص، وعلى كلّ حال فالأخبار متواترة على نزول القرآن فيهم وفي شيعتهم وفي أعدائهم، بل هذا الأمر كان مشهورا عند المؤالف والمخالف.

ففي الاحتجاج عن سليم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا في خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما منهم قرشي فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالهم لم يستقبلوني؟

فقيل لهم: إنهم محتاجون ليس لهم دواب، فقال معاوية: و أين نواضحهم؟

فقال قيس (٢) بن سعد بن عباد، وكان سيّد الأنصار وابن سيدها: أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الإسلام

(١) تفسير الصافي ج ١ ص ١٥ المقدمة الثالثة عن علل الشرائع ص ٦٥- بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٩٤ عن العلل.

(٢) قيس بن سعد بن عباد بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني صحابي من دهاة العرب وأجوادهم، كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله و آله بمنزلة الشرطي من الأمير، وكان من أطول الناس وأجملهم، هرب من معاوية سنة (٥٨)، وسكن تفلين فمات بها سنة (٦٠)، الاعلام ج ١٦/٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٠

حتى ظهر أمر الله و هم كارهون.

ثم إن معاوية مرّ بحلقه من قريش فلما رأوه قاموا غير عبد الله ابن عباس، فقال له: يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا لموجده أتي قاتلتكم بصفين فلا تجد من ذلك يا ابن عباس فإن ابن عمي عثمان قتل مظلوما، قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما، قال: إن عمر قتله كافر، قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون، قال: فذلك أذحض لحجتك.

قال: فإننا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب عليّ و أهل بيته فكفّ لسانك، فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرأ و لا نسأل عمّا عنى الله به، ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: كيف العمل به و لا نعلم ما عنى الله؟

قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت و أهل بيتك، قال: إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي أسأل عنه آل أبي سفيان؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله تعالى بالقرآن بما فيه من حلال و حرام فإن لم تسأل الأئمة عن ذلك حتى تعلم تهلك و تختلف، قال: اقرأوا القرآن و تأولوه و لا ترووا شيئا ممّا أنزل الله فيكم و ارووا ما سوى ذلك، قال: فإن الله تعالى يقول في القرآن: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ «١» قال: يا ابن عباس اربع «٢» على نفسك و كفّ لسانك، و إن كنت لا بدّ فاعلا فليكن ذلك سزا لا يسمعه أحد علانية، ثم رجع إلى بيته، فبعث إليه بمائة ألف درهم، و نادى منادى معاوية: أن برئت الذمة ممّن يروى حديثا من مناقب عليّ و فضل أهل

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) اربع عليك أو على نفسك أو على ضلعك: اى توقف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣١

بيته عليهم السلام ... الخبر بطوله «١».

و رواه سليم بن قيس فى كتابه بوجه أبسط، و فيه: أنّه قال ابن عباس: إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان، و آل أبي معيط، و اليهود، و النصرى، و المجوس، قال: فقد عدلتنى بهؤلاء، قال: لعمرى ما أعدلك بهم إلّا إذا نهيت الأئمة أن يعبدوا الله بالقرآن بما فيه من أمر أو نهى، أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عامّ أو خاصّ، أو محكم أو متشابه، و إن لم تسأل الأئمة عن ذلك هلكوا و اختلفوا و تاهوا «٢».

خامسها: أنّ لمولانا أمير المؤمنين و ذريته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فى كتاب الله أسماء شريفة و ألقابها منيفة كما أشير إلى بعض منها فى الأخبار المتقدمة.

و

فى «المناقب» مسندا عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام بالكوفة عند منصرفه من النهروان، و بلغه أنّ معاوية يسبه و يعيبه و يقتل أصحابه فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه، و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله، و ذكر ما أنعم الله تعالى على نبيه و عليه، ثم قال: لو لا آية فى كتاب الله تعالى ما ذكرت ما أنا ذاكره فى مقامى هذا، يقول الله عزّ و جلّ: وَ أَمَّا نِيعْمِيَّ رَبِّكَ فَحَدِّثْ «٣» اللهم لك الحمد على نعمك التى لا تحصى، و فضلك الذى لا ينسى، يا أيها التّياس إنّه بلغنى ما بلغنى، و إنى قد أرانى قد اقترب أجلى، و كأتى بكم و قد جهلتم أمرى، و إنى تارك فيكم ما تركه رسول الله: كتاب الله و عترتى، و هى عتره الهادى النّجاة: خاتم الأنبياء، و سيد النّجباء، و النّبى

(١) الإحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ١٥ ط النجف الأشرف.

(٢) الإحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ١٥ ط النجف الأشرف.

(٣) الضحى: ١١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٢

المصطفى، يا أيها الناس لعلكم لا تسمعون فانلا يقول مثل قولى بعدى إلّا مفتر، أنا أخو رسول الله، وابن عمه، و سيف نغمته، و عماد نصرته و بأسه و شدته، أنا رحي جهنم الدائرة، و أضراسها الطاحنة، أنا مؤتم البنين و البنات، أنا قابض الأرواح، و بأس الله اللمدى لا يرده عن القوم المجرمين، أنا مجدل الأبطال، و قاتل الفرسان، و مييد من كفر بالرحمن، و صهر خير الأنام، أنا سيد الأوصياء، و وصي خير الأنبياء، أنا باب مدينة العلم، و خازن علم رسول الله و وارثه، أنا زوج البتول سيده نساء العالمين، فاطمة التقية النقية الزكية البرة المهديّة حبيبة حبيب الله، و خير بناته و سلالته، و ريحانة رسول الله، سبطاه خير الأسباط، و ولداى خير الأولاد، هل أحد ينكر ما أقول؟

أين مسلموا أهل الكتاب؟ أنا اسمى فى الإنجيل أليا، و فى التوراة بريّا، و فى الزبور أدى، و عند الهند كبرك، و عند الروم بطريا و عند الفرس جيتر، و عند الترك بثير، و عند الزنج حيتر، و عند الكهنة بوىء، و عند الحبشة بشريك، و عند أمى حيدرة، و عند ظئرى «١» الميمون، و عند العرب على، و عند الأرمين فريق و عند أبى ظهير، ألا- و إئى مخصوص فى القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها فتضلوا فى دينكم، يقول الله عزّ و جلّ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّٰدِقِينَ» «٢».

و أنا المؤذن فى الدنيا و الآخرة، قال الله عزّ و جلّ: فَأَذِّنْ مَوْذِنًا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّٰلِمِينَ «٣» أنا ذلك المؤذن، و قال:

(١) الظئر (بكسر الظاء): العاطفة على ولد غيرها- المرضعة لولد غيرها.

(٢) ليست هذه الجملة بعينها فى القرآن و لكن مفادها يستفاد من سورة البقرة الآية (١٧٧) و الآية (١٩٤).

(٣) الأعراف: ٤٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٣

وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ «١».

و أنا المحسن يقول الله عزّ و جلّ: إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ «٢» و أنا ذو القلب يقول الله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لِدِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ «٣» و أنا الذّاكر يقول الله:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ «٤».

و نحن أصحاب الأعراف: أنا و عمى، و أخى، و ابن عمى، و الله فالق الحبّ و النوى لا- يلج النار لنا محبّ، و لا يدخل الجنة لنا مبغض، يقول الله عزّ و جلّ:

وَ عَلَىٰ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ «٥».

و أنا الصّهر، يقول الله عزّ و جلّ: وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا «٦».

و أنا الاذن الواعية، يقول الله عزّ و جلّ: وَ تَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ «٧».

و انا السلم لرسول الله صلى الله عليه و آله، يقول الله عزّ و جلّ: وَ رَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ «٨».

و من ولدى مهديّ هذه الامية، ألا- و قد جعلت محتكم، ببغضى يعرف المنافقون، و بمحتى امتحن الله المؤمنين، هذا عهد النبى الامى: «ألا إنه لا يحبك

(١) التوبة: ٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) ق: ٣٦.

(٤) آل عمران: ١٨٨.

(٥) الأعراف: ٤٤.

(٦) الفرقان: ٥٦.

(٧) الحاقة: ١٢.

(٨) الزمر: ٣٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٤

إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»، و أنا صاحب لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، و رسول الله فرطى، و أنا فرط شيعتى، و الله لا- عطش محبى، و لا- خاف ولىي، أنا ولى المؤمنين، و الله ولىي، حسب محبى أن يحبوا ما أحب الله، و حسب مبغضى أن يبغضوا ما أحب الله، ألا و إنّه بلغنى أنّ معاوية سبني و لعنى، اللهم اشدد وطأتك عليه و أنزل اللعنة على المستحقّ، آمين ربّ العالمين، ربّ إسماعيل، و باعث إبراهيم إنك حميد مجيد».

ثمّ نزل عليه السلام عن أعواده فما عاد إليها حتّى قتله ابن ملجم لعنه الله.

قال جابر «١»: سنأتى على تأويل ما ذكرنا من أسمائه:

أمّا قوله: انا اسمى فى الإنجيل «أليا» فهو على بلسان العرب.

و فى التوراة «برىء» قال: برىء من الشرك.

و عند الكهنه «بوىء» هو من تبوء مكانا، و بؤا غيره مكانا، و هو الذى يبوء الحقّ منزله، و يبطل الباطل و يفسده.

و فى الزبور «أدى» و هو السبع الذى يدقّ العظم و يفرس اللحم.

و عند الهند «كبكر» قال: يقرءون فى كتب عندهم فيها ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله، و ذكر فيها أن ناصره «كبكر» و هو الذى

إذا أراد شيئا ليج فيه و لم يفارقه حتّى يبلغه.

و عند الزوم «بطريسا» قال: مختلس الأرواح.

(١) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى أبو عبد الله التابعى، واسع الرواية غزير العلم، و توفى بالكوفة سنة (١٢٨ هـ) - الأعلام ج ٢ / ٩٣.

٩٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٥

و عند الفرس «حبترو» و هو البازى الذى يصطاد.

و عند الترك «بشير» قال: هو النمر الذى إذا وضع مخله فى شيء هتكه.

و عند الزنج «حيترو» قال: و هو الذى يقطع الأوصال.

و عند الحبشة «بشريك» قال: هو المدمر على كل شيء، أتى عليه.

و عند أمى «حيدرة» قال: هو الحازم الرأى، الخبير النقب «١» النظار فى دقائق الأشياء.

و عند ظئرى «ميمون»، قال جابر: أخبرنى محمّد بن على عليهما السلام قال: كانت ظئر على عليه السلام التى أرضعته امرأة من بنى

هلال، خلفته فى خبائها «٢»، و معه أخ له من الرضاعة، و كان أكبر منه سنّا بسنة إلّا أياما، و كان عند الخباء قلب، فمرّ الصبى نحو

القلب و نكس رأسه فيه فحبا «٣» على عليه السلام خلفه، فتعلقت رجله بطنب الخيمة، فجزّ الحبل حتّى أتى على أخيه، فتعلّق بإحدى

رجليه بيده و إحدى يديه بفيه، فجاءته أمّه و أدركته فنادت يا للحمى يا للحمى من غلام ميمون أمسك على ولدى، فأخذوا الطفل

من عند رأس القلب، و هم يعجبون من قوته على صباه و لتعلّق رجله بالطنب و لجزّه الطفل حتّى أدركوه فسمّته أمّه ميمونا أى مباركا

فكان الغلام فى بنى هلال يعرف بمعلّق ميمون و ولده إلى اليوم.

و عند الأزمن «فريق» قال: الفريق: الجسور الذى يهابه الناس.

و عند أبى «ظهير» قال: كان أبوه يجمع ولده و ولد إخوته ثم يأمرهم

(١) النقب: النافذ فى الأمور و الذى يبالغ فى البحث عنها.

(٢) الخباء (بكسر الخاء) ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر للمسكن.

(٣) حبا: الولد: زحف على يديه و بطنه. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٦

بالصيراع و ذلك خلق فى العرب. و كان على عليه السلام يحسر عن ساعدين له غليظين قصيرين و هو طفل، ثم يصارع كبار إخوته و صغارهم و كبار بنى عمه و صغارهم فيصرعهم، فيقول أبوه: ظهر على فسمى ظهيرا.

و عند العرب على، قال جابر: اختلف الناس من أهل المعرفة لم سمي على عليا، فقالت طائفة: لم يسم أحد من ولد آدم قبله بهذا الاسم فى العرب و لا فى العجم، إلا أن يكون الرجل من العرب يقول: ابني هذا على يريد من العلو لا أنه اسمه، و إنما تسمى الناس به بعده و فى وقته.

و قالت طائفة: سمي على عليا لعلوه على كل من بارزه.

و قالت طائفة: سمي على عليا لأن داره فى الجنان تعلق حتى تحاذى منازل الأنبياء، و ليس نبى تعلق منزلته منزلة على.

و قالت طائفة: سمي على عليا لأنه علا ظهر رسول الله صلى الله عليه و آله بقدميه طاعة الله عز و جل. و لم يعمل أحد على ظهر نبى غيره عند حط الأصنام من سطح الكعبة.

و قالت طائفة: سمي على عليا لأنه زوج فى أعلى السماوات. و لم يزوج أحد من خلق الله عز و جل فى ذلك الموضع غيره.

و قالت طائفة: إنما سمي على عليا لأنه كان أعلى الناس علما بعد رسول الله صلى الله عليه و آله «١»

(١) معانى الأخبار ص ٥٨-٦٣- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٥-٤٨ عن المعانى، و المؤلف نقله عن المناقب و الظاهر أن مراده

«المناقب» لابن شهر آشوب، و لكن ما وجدته فيه، نعم الأسماء المذكورة موجودة فى القصيدة المذهبة لأبى محمد طلحة بن عبيد الله العونى المصرى المتوفى حدود (٣٥٠) ه مع تفاوت يسير و نقل بعضها فى «المناقب» و أذكر القصيدة تيمنا و تبركا: وسائل عن العلى

الشانى هل نص فيه الله بالقرآن تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٧

بأنه الوصى دون ثان لأحمد المطهر العدنانى

فاذكر لنا نصا به جليا أجبت يكفى (خم) بالخصوص

من آية التبليغ بالمخصوص و جملة الأخبار و النصوص

غير الذى انتاشت يد اللصوص و كتمته ترتضى أميا

أما سمعت يا بعيد الذهن ما قاله أحمد كالمهتئى

أنت كهارون لموسى متى إذ قال موسى لأخيه اخلفنى

فأسألهم لم خالفوا الوصيا أما سمعت خبر المباهلة

أما علمت أنها مفاضلة بين الورى فهل رأى من عادلة

فى الفضل عند ربّه و قابله و لم يكن قربه نجيا

أما سمعت أنا أوصاه و كان ذا فقر كما تراه

فخص بالدين الذى يراه فإن عداه و هو ما عداه

غادر دينا لم يكن مرعياً فقال: هل من آية تدلّ
على عليّ الطهر لا تعلّ بحيث فيها الطهر يستقلّ
تدنيه للفضل فيقصي كلّ ويغتدى من دونه مقصياً
فقلت إنّ الله جلّ قلالاً إذ شرف الآباء والأنسلا
و آل إبراهيم فازوا إلّا إنّنا وهبنا لهم إفضالا
لسان صدق منهم عليّ فكان إبراهيم ربانيا
ثم رسولا منذراً رضيائهم خليلاً صفوة صفياً
ثم إماماً هادياً مهدياًو كان عند ربّه مرضياً
فعندها قال: «و من ذريّتي» قال له: لا لن ينال رحمتي
وعهدى الظالم من بريتي أبت لملكي ذاك وحدائتي
سبحانه لا زال وحدائتي
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٨

فالمصطفى الأمر فينا الناهي و عادم الأمثال و الأشباه

فالفعل منه و المقال الزاهي لم يصدر إلا بأمر الله
لم يتقول أبداً فرياً إن كان غير ناطق عن الهوى
إلّا بأمر مبرم من ذي القربى فكيف أقصاهم و أدنى المجتوى
إذن لقد ضلّ ضلالاً و غوى و لم يكن حاشاً له غويّاً
لكنّما الأقسام في السقيفة قد نصبوا برأيهم خليفه
و كان في شغل و في وظيفة من غسل تلك الدرّة النظيفة
و حزنه الذي له تهيّأحتي إذا قضى الخليفة انتخب
من عقد الأمر له بين العرب ثم قضى و اختار منهم من أحبّ
و إن تكن شوري فللشوري سبب إذ كان ذا ترتيبه مقصياً
ثم قضى ثالثهم فانشالوا له الرجال تتبع الرجال
فلم تسع غير القبول الحال فقام و الرضا به محال
إذ كان كلّ يتمنى شيئاً فغاضبت أولهم ذات الجمل
و قام معها الرجال في العمل فردّهم سيف القضاء و فصل
و لم يكن قد سبق السيف العذل فقد تآتى حربهم ملياً
و غاضب الثاني لأمر سالف فاجتاحه بذى الفقار القاصف
و أصبح الناصر كالمخالف إذ شكت الرماح بالمصاحف
و أخذ الانحدار و الرقياو كان أن يرّد للتسليم
إذ ردّ للاحبش في الهزيم فأعمل الحيلة في التحكيم
بأمر شيطانهم الرّجيم ففي الرعا حكم الرعيّا
فلم يجد للكفّ من مناص و أخذ التحكيم بالنواصي

فجاء أهل الشام بابن العاص فاحتال فيها حيلة القناص تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٣٩
غزّ أبا موسى الأشعري أقام أبو موسى فويق المنبر

وقال: إنني خالغ بحيدر كما خلعت خاتمي من خنصر
ثم جعلتها لنجل عمريا عمر و قم أنت اخلع الشاميا
فقال عمرو: أيها الناس اشهدوا أن خلع الذي له يعتمد
ثم اسمعوا قولي و لا تردّوا به فإني لابن هند أعقد
فاتخذوه مذهبا عمريا فما ترى أنت بهذي الحال
من المقال و من الأفعال لا تدخل المفتاح في الأفعال
تفتح عن الاضغان و الأذحال و ما يكون في الحشا مطويا
إنّ علينا عند أهل العلم أول من سمى بهذا الاسم
قد ناله من ربه في الحكم على يدي أخيه و ابن الفم
وحيا قديم الفضل عد عليا و هو الذي سمى في التوراة
عند أولى هاد من الهداة بالنص و التصريح في البراءة
برغم من سيئ من العداة من كلّ عيب في الوري برينا
و هو الذي يعرف عند الكهنة إذ جمعوا التوراة في الممتحنة
فأخذوا من كل شيء أحسنه و هم لتوراة الكليم خزنة
ليورد الحقّ لهم بويا و هو الذي يعرف في الإنجيل
برتبة الإعظام و التبجيل و ميزة الغرة و التحجيل
و فوزه الرقيب للمجيل و كان يدعى عندهم أليا
و هو الذي يعرف بالزبور زبور داود حليف النور
و ذى العلا و العلم المنشور في اسم الهزبر الأسد الهصور
ليث الوغا اعنى به أريا و هو الذي تدعوه ما بين الوري
أكابر الهند و أشياخ القرى
تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٠

ذو و العلوم منهم بكنكر الأنة كان عظيما خطرا

و كنكر كان له سميا و هو الذي يعرف عند الروم
ببطرس القوّة و العلوم و صاحب السرّ لها المكتوم
و مالك المنطوق و المفهوم و من يكن ذا يدع بطرسيا
و هو الذي يعرف عند الفرس لدى التعاليم و عند الدرس
بغرنا و ذاك اسم قدسى معناه قابض بكلّ نفس
كما دعوه عندهم باريا و هو الذي يعرف عند الترك
تيرا و ذاك مشبه المحكّ و أنّه يرفع كلّ شكّ
عن كلّ حاك قوله و محكى إذا عرفت المنطق التركيا

و هو الذى يدعونه فى الحبش بتريك أى مدبر لا يختشى
 لقدرة به و بطش مدهش و ينعونه بأقوى قرشى
 فاسئل به من يعرف الحبشياو هو الذى يعرف عند الزنج
 بحبنى أى مهلك و منجى و قاطع الطريق فى المحجج
 إلّا ياذن فى سلوك النهج فإن أردت فاسأل الزنجيا
 و هو فريق بلسان الأرمن فاروقه الحق لكل مؤمن
 تعرفه اعلامهم فى الزمن فاسأل به ان كنت ممن يعتنى
 تحقيقه من كان أرمنياو هو الذى سمته تلك الجوهرة
 إذ ولدت فى الكعبة المطهرة و خرجت به فقال الجمهور
 من ذا؟ فقالت: هو شبلى حيدرته ولدته مطهرا قدسيا
 هذا و قد لقبه ظهيرا أبوه إذ شاهده صغيرا
 يصرع من إخوانه الكبير امشمرًا عن ساعد تشهيرا
 و كان عبلا فتلا قويا
 تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤١

و لقبته ظنره ميمونا إذ رأت السعد به مقرونا

فكان درًا عندها مكنونا يحمى أخوا رضاعه المنونا
 ثم يدر ثديها الأبيباو اسم أخيه فى بنى هلال
 معلق الميمون بالحبال يذكره فى سمر الليالى
 رجالهم فاسمع من الرجال موهبة خص بها صيبا
 و الاسم عند الله فى العلى على و هو الصحيح و الصريح و الجلى
 اشتقه من اسمه فى الأزل كمثل ما اشتق لخير الرسل
 و منح النبى و الوصياو اتفقت آراء أهل العلم
 على اسمه من دون معنى الاسم فاختلفت فى قصده و الفهم
 له و كل لم يطش بسهم إذ قد أصاب الغرض المرقيا
 فقام قوم: قد علا برازا أقرانه و ابتزها ابتازا
 فما رآه القرن إلا انحازوا كان دونا سافلا فامتازا
 فهو على إذ علا العدياو قال قوم: قد علا مكانا
 متن النبى و رمى الأوثانا إذ لم يطق حمل نبى كانا
 من ثقل الوحي حكى ثهلانا فنال منه المنزل العليا
 و قال فرقة على الدارفى جنة الخلد مع المختار
 علاه ذو العرش على الأبرارفى روضة تزهو و فى أنهار
 فنال منه المرتضى العلوياو قال فرقة علاهم علما
 فكان أفضاهم لذاك حكماو من الى القضاء قد تسمى

يكون أعلى رفعة و أسمى فوال ذاك العالم السميّا
 ودع تأويل الكتاب و الخبر و خذ بما بان لديك و ظهر
 قد خاطب الله به خير البشر ليفهموا الأحكام في بادي النظر تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٢
 و يعرفوا النبيّ و الوصيا و استمسكن بالعروة الوثقى التي

لم تنفصم عنه و لم تنفلت تمش على الصراط لم تلتفت
 في قدم رأس و قلب مثبت حتى تجوز سالما سويا
 إلى جنان الخلد في أعلى الرتب إذ ينشئ كل امرء مع من أحبّ
 موهبة مّمن له الشكر و جب فهو أبرّ خالق و خير ربّ
 عزّ و جلّ ملكا قويا يا ربّ عبدك الذي غمرته
 بالفضل و الإنعام مذ صيرته و قد عصى جهلا و قد أمرته
 إن تاب فالذنب له غفرته قد تبت فاغفر ذنبي العديّا
 يا ربّ ما لي عمل سوى الولا لا حمد و آله أهل العلا
 صنو الرسول و الوصي المبتلا و فاطم و الحسنين في الملاء
 غزا تزين العرش و الكرسيّ ثم عليّ و ابنه محمّد
 و جعفر الصدق و موسى المهتدي ثم عليّ و الجواد الأجود
 محمّد ثم عليّ الأجدو الحسن الذي جلا المهديّا
 فأعطني بهم جمال الدنيا و راحة القبر زمان البقيا
 و الأمن و الستر بحشر المحيا و الرى من كوثر أهل السقيا
 و الحشر معهم في العلى سويا يا طلع إن تختم بهذا في العمل
 لم يدن منك فرع و لا وجل و أنت طلع الخير إن جاء الأجل
 بالأجر من ربّ الورى عزّ و جلّ كفى برّبى راحما كفيّا
 الغدير ج ٤ ص ١٥٦ - ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٣

الباب العاشر

إشارة

في اعجاز القرآن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٥

لا-ريب في كون القرآن معجزة من معجزات سيّد الأنام عليه و على آله أفضل الصلاة و السلام، باقية على مرّ الدهور و الأعوام و
 الشهور و الأيام، و إنّما الكلام في جهة إعجازه و كفيّته، فاختلفوا فيه على أقوال:
 أحدها: أنّه معجز بفصاحته، ذهب إليه كثير من المتكلمين، و اختاره الجبائيان «١»، و الرازى، و المحكّي عن الفاضل العلّامة أعلى الله
 مقامه ذلك في «المناهج» و هو الظاهر منه في كتابه «نهج المسترشدين» و يظهر أيضا من علماء المعاني و البيان حيث ذكروا أنّ من

فوائده كشف الأستار عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن.

و لا ينافيه ما ذكره بعضهم من أن مدرك الأعجاز هو الذوق ليس إلّا، سيّما بعد تصريحهم بأنّ وجه الإعجاز أمر من جنس الفصاحة و البلاغة، نعم عن بعضهم أنّه لا علم بعد علم الأصول اكشف للقناع عن وجه الإعجاز من هذين العلمين، وفيه إيماء إلى أنّ من وجوه الإعجاز أيضا عنده اشتماله على العلوم الحقيقيّة و المعارف الربانيّة.

(١) الجبائيان: هما أبو علي محمد بن عبد الوهاب كان من الأئمّة المعترلة و رئيس علماء الكلام في عصره، ولد في جبّا (خوزستان) و اشتهر في البصرة، و توفي فيه سنة (٣٠٣) هـ تنسب إليه الطائفة الجبائية، و ابنه أبو هاشم عبد السلام ابن محمّد، هو أيضا من كبار المعترلة نسب إليه الطائفة البهشميّة، تعلّم على أبيه، و توفي ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٦

ثانيها: إعجازه من حيث الأسلوب و عنوانه الفنّ و الضرب.

ثالثها: ما ذهب إليه الجويني «١» من أنّه معجز بفصاحته و أسلوبه معا، قال:

لأنّ كلّ واحد منهما غير متعذّر على العرب، لأنّه وجد في كلامهم ما هو بفصاحته و ليس مثل أسلوبه، و كلام مسيلم «٢» كأسلوبه و ليس كفصاحته، و أمّا مجموعهما فغير مقدور للخلق.

رابعها: ما يحكى عن الشيخ كمال الدين «٣» ميثم البحراني من أنّه معجز بأمر ثلاثه معا: فصاحته، و أسلوبه، و اشتماله على العلوم الشريفة من علم التوحيد و السلوك الى الله تعالى، و تهذيب الأخلاق، فإن الفصاحة خاصّة قد وجدت في كلام العرب، و الأسلوب و إن أمكن عند التكلف، لكن اجتماعه مع الفصاحة نادر، لأنّ تكلف الأسلوب مذهب بالفصاحة، و أمّا العلوم الشريفة فلم يوجد لها عين و لا أثر إلّا ما يوجد في كلام قسّ بن «٤» ساعده و أضرابه ممّن وقف على الكتب الإلهيّة نقلا من غيره. و الحاصل أن كلامهم يوجد فيه ما يناسب بعض القرآن في الفصاحة و هو في مناسبه له في أسلوبه أبعده، و أمّا في العلوم المذكورة فأشدّ بعدا.

خامسها: أنّه خلّوه من التناقض كما أشار إليه سبحانه بقوله:

(١) الظاهر أنّ المراد به هو عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الفقيه الشافعي توفي سنة (٤٧٨ هـ) نيسابور.

(٢) هو أبو ثمامة مسيلم بن حبيب اليمامي ادّعى النبوة قبل الهجرة و سمي بمسيلم الكذاب و حاربه المسلمون و قتله الوحشي سنة (١٣) هـ.

(٣) هو كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني الفقيه الحكيم له تصانيف منها «شرح نهج البلاغة» توفي به سنة (٦٨١) هـ.

(٤) قسّ بن ساعده الإيادي من معدّ بن عدنان. قيل: إنّه عمّر (٧٠٠) سنة و هو أوّل من تألّه و تعبد من العرب، و قد أدرك النبي صلّى الله عليه و آله و سمعه و مات قبل البعثة - بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٧

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا «١». تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٤٩

سادسها: إنّه من جهة اشتماله على الغيوب، و الإخبار عن الكائنات قبل وقوعها.

سابعها: ما يحكى عن السيّد المرتضى «٢» رضی الله عنه، و النّظام «٣» من العامّة و ربما يحكى أيضا عن الأستاذ أبي إسحاق «٤» من الأشاعرة، و كثير من المعترلة و هو الصرفة، بمعنى أنّ الله تعالى صرف الناس عن معارضته.

قيل: و هذا يحتمل أمورا ثلاثة:

الأول: أنه تعالى سلبهم القدرة.

الثاني: أنه سبحانه سلبهم الدّاعية وهم المتحدّين عن معارضته مع قدرتهم عليه.

الثالث: أنه سلبهم العلوم التي كانوا يتمكنون بها من المعارضة، وربما يقال: إن مختار السيد هو الأخير.

ثامنها: التوقّف في ذلك كما يحكى عن سيد «٥» الدّين سالم عزيزة، وربما

(١) النساء: ٨٢.

(٢) هو الشريف المرتضى على بن الحسين فقيه الشيعة في عصره، ولد في بغداد سنة (٣٥٥) و توفي بها سنة (٤٣٦).

(٣) هو إبراهيم سيّار المتكلّم المعتزلي البصرى توفى ببغداد سنة (٢٣١) هـ.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابو إسحاق الاسفرائنى المتوفى (٤١٨) - الاعلام ج ١ / ٥٩.

(٥) هو سيد الدين سالم بن شمس الدين محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراني الحلّي كان من الفقهاء المتكلمين في القرن السابع له

التبصرة و المنهاج في الكلام قرأ عليه السيد رضى الدين على بن طوس

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٨

يؤمى اليه كلام الوحيد «١» في «التجريد» حيث قال: و إعجاز القرآن، قيل:

لفصاحته، و قيل: لاسلوبه و فصاحته، و قيل: للصرفة، و الكلّ محتمل، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

لكنّه لا يخفى عليك أنّ الاختلاف في ذلك غير قادح في الإعجاز الذي اتفق عليه جميع أهل الإسلام، بل كافّة الأنام من الخواصّ و

العوامّ، حيث إنّ من الضروريّات القطعية المعلومة لجميع أهل الفرق و الأديان أنّ نبينا خاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله قد ادّعى النبوة

العامة الخاتمية على فترة من الرّسل و انقطاع من الوحي، و ضلالة من الأمم، و جهالة في أهل العالم، و اندراس لجملة العلوم و الحكم،

فجاءهم بهذا القرآن الهادي للتي هي أقوم، هدى من الضلالة، و رشدا من العمى و الجهالة، و نورا من الظلمة، و ضياء عن الغياهب

«٢» المدلهمة، و استبصارا لكافة الأمية، و كشفا للغمّة، ساطعا تبيانه، قاطعا برهانه، قرأنا عربيا غير ذي عوج، داعيا إلى خير مقصد و

منهج، مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية، محتويا على أكثر ممّا اشتملت عليه من العلوم الحقة و المعارف الإلهية، معجزا سائرا

دائرا، باقيا على مرّ الدهور، متجليا منه أنوار الحقائق تجلّى النور من الطّور، أفحم به من تصدّى لمعارضته من العرب العرباء، و أبكم به

من تحدّى من مصاقع الخطباء الفصحاء الذين هم كانوا أمراء الكلام، و بلغاء الأنام، فلم يظهر منهم إلّا الضعف و الفتور، مع ما كان

يتلو عليهم من الآيات الحاكمة عليهم بالعجز و القصور مثل قوله تعالى:

المتوفى (٦٦٤)، طبقات أعلام الشيعة ج ٣ / ٧١.

(١) المقصود به هو الخراجة نصير الدين الطوسي المتوفى (٦٧٢).

(٢) الغياهب جمع الغيب و هي الظلمة، و المدلهمة من ادلهمّ الليل اى اشتدّ سواده.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٤٩

وَ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَ اذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ

تَفْعَلُوا ...

الآية «١»، و قوله تعالى: و ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله و لكنّ تصديقي الذي بيّن يديه و تفصّل الكتاب لا ريب فيه من

ربّ العالمين * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استتعظتم من دون الله إن كنتم صادقين «٢»، و قوله تعالى: أم يقولون

افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استتعظتم من دون الله إن كنتم صادقين * فالتمّ يستجيبوا لكم فاعلموا أنّما أنزل بعلم

اللَّهُ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «٣»، وقوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «٤».

فعجزوا عن معارضته ببلغ الكلام حتى اختاروا الخصام بالنبال و السهام، و قصروا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه فالتجأوا إلى قبول جراحة السنان للقصور عن فصاحة اللسان.

و لم يعهد من واحد منهم في ذلك الزمان و لا في غيره من الأزمان إلى هذا الأوان معارضته بمثل أقصر سورة منه مع وقوع التحدى و الإخبار عن عجز الجميع عن الإتيان به كما في الآيات المتقدمة، و توفر الدواعي على المعارضة و المناقضة، و تراكم الأسباب الدينيّة و الدنيويّة على المغالبة و المنافسة.

(١) البقرة: ٢٣-٢٤.

(٢) يونس: ٣٧-٣٨.

(٣) هود: ١٢-١٤.

(٤) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٠

و هذا غاية الإعجاز للكلام بلا فرق بين تسليم اشتماله على مراتب الفصاحة و البلاغة، و الأسرار الحكيمية و الآداب الإلهية و عدمه، فإنّ إعجازه على الأول ظاهر، و كونه خارقا للعادة معجزا لجميع البشر باهر، و كذا على الثانى أى على فرض عدم التسليم بأنّ إعجازه للفصاحة، بل للصرفة أيضا ظاهر، بل لعله أظهر، إذ سلب القدرة عن آحاد الناس عمّا كانوا يقدرون عليه و استمرار ذلك السلب فى حال حياة السالب و بعدها الى أبد الدهر أعجب و أغرب من إظهار القدرة على ما لا يقدرون عليه.

ألا ترى أنّه لو ادعى أحد النبوة و قال: إنّ معجزتى المشى على الماء، و ادعاها آخر و قال: إنّ معجزتى سلب قدرة الناس عن المشى على الأرض لكانا مشتركين فى خرق العادة، بل لعلّ الثانى أعظم قدرا و أجلّ خطرا لكونه تصرفا فى الغير، سيّما مع عمومته و شموله لجميع آحاد النوع، خصوصا مع استمراره مدّة حياته و بعد وفاته.

و بالجملة كون القرآن معجزا أمر بديهى لا شك فيه و لا شبهة يعتريه، سيّما مع الإخبار فيه فى كمال القوّة و الاطمئنان بمحضر و منظر من فصحاء آل عدنان و بلغاء قحطان بأنّه لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا «١» مع أنّهم قد ادّعوا له بكمال الفصاحة و البلاغة و أعظموا أمره حتّى نسبوه الى السحر كما حكى عنهم فيه بقوله: و قالوا إنّ هذا إلا سحر مبين «٢»، و

قد ورد فى تفسير قوله تعالى:

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) الصافات: ١٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥١

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً «١»: إنّها نزلت فى الوليد «٢» بن المغيرة و كان شيخا كبيرا مجرّبا من دهاء العرب، و كان من المستهزئين برسول الله صلّى الله عليه و آله، و كان النبى صلّى الله عليه و آله يجلس فى الحجر و يقرأ القرآن، فاجتمعت قريش الى الوليد و قالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمد صلّى الله عليه و آله أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال:

دعوني أسمع كلامه، فدننى من رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال: يا محمد أنشدنى من شعرك، قال صلّى الله عليه و آله: ما هو بشعر، و لكنّه كلام الله الذى ارتضاه الملائكة- و أنبيأوه و رسله، فقال: أتلى علىّ منه شيئا، فقرأ عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله:

(حم، تنزيل) السجدة فلما بلغ قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ «٣» فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته ومّر الى بيته ولم يرجع الى قريش من ذلك، فمشوا الى أبي جهل وقالوا: يا أبا الحكم إن أبا عبد شمس صبأ الى دين محمّد صلّى الله عليه وآله، أما تراه لم يرجع إلينا، فغدا أبو جهل الى الوليد وقال له: يا عمّ نكست رؤسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا، وصبوت الى دين محمّد صلّى الله عليه وآله، فقال: ما صبوت الى دينه ولكني سمعت كلاما صعبا تقشعرّ منه الجلود، فقال أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، الخطب كلام متصل وهذا كلام منشور، ولا يشبه بعضه بعضا، قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنني لقد سمعت أشعار العرب بسيطها، ومديها، ورمليها، ورجها، وما هو بشعر، قال: فما هو؟ قال: أفكر فيه، فلما كان من الغد قال له: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله على رسوله في ذلك

(١) المدثر: ١١.

(٢) الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابو عبد الشمس المخزومي من زنادقة العرب، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر (١ هـ) - الاعلام ج ٩ / ١٤٤.

(٣) فصلت: ١٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٢

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا «١».

وإنما سمّي وحيدا لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنه، و عليكم في جماعتكم سنه، و كان له مال كثير و حداثق، و كان له عشر بنين بمكّه، و كان له شعر عبيد عند كلّ عبد ألف دينار يتجر بها، فأنزل الله تعالى:

ذَرْنِي إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ «٢»، «٣»

و

في خبر آخر: أن الوليد قال لبنى مخزوم: والله لقد سمعت من محمّد صلّى الله عليه وآله أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و الجنّ، إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة «٤»، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق «٥»، و إنّه ليعلو و لا- يعلى، فقال قريش: صبأ «٦» الوليد، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينا، و كلمه بما أحماه، فقام و ناداهم فقال: تزعمون أن محمّدا صلّى الله عليه وآله و آله مجنون، فهل رأيتموه يخفق؟

و تقولون: إنّه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ و تزعمون أنّه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين المرء و أهله و ولده و مواليه؟ ففرحوا به و تفرّقوا مستعجبين منه «٧».

(١) المدثر: ١١.

(٢) المدثر: ١١-٢٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٤٥ عن تفسير القمي ص ٧٠٢.

(٤) الطلاوة بتثليث الطاء: الحسن و البهجة.

(٥) أغدقت الأرض: أخصبت.

(٦) صبأ: أي خرج من دين الى دين آخر.

(٧) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٦٧ - مجمع البيان ج ٥ ص ٣٨٧ بتفاوت يسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٣

وفي «مجمع البيان»: يروى أن كَفَّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن، فعكفوا على لباب البر، و لحوم الضأن، و سلاف الخمر أربعين يوماً لتصفوا أذهانهم، فلما أخذوا فيما أرادوا و اسمعوا قوله تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ (١)، فقال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام، و لا يشبهه كلام المخلوقين، و تركوا ما أخذوا فيه و افرقوا (٢).

و
في «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم (٣)، قال: اجتمع ابن أبي العوجاء (٤)، و أبو شاعر الديصاني، و عبد الملك البصري، و ابن المقفع (٥) عند بيت الله الحرام يستهزءون بالحاج و يطعنون على القرآن، فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ينقض كل واحد منّا ربع القرآن، و ميعادنا من قابل في هذا الموضوع تجتمع فيه و قد نقضنا القرآن كله، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوة محمد صلى الله عليه و آله و في إبطال نبوته إبطال الإسلام، و إثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك و افرقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام. فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ افرقنا في هذه الآية:

(١) هود: ٤٤.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ١٦٥ ط صيدا.

(٣) هو هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني بالولاء الكوفي كان من أصحاب الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام نشأ بواسط و سكن بغداد و صنف كتباً في الكلام و في الرد على المخالفين، توفي حدود سنة (١٩٠) هـ - انظر الاعلام ج ٩ / ٨٢.

(٤) هو عبد الكريم بن أبي العوجاء كان من الزنادقة و كان خال معن بن زائدة الشيباني قتل حدود سنة (١٥٣) قتل محمد بن سليمان بن علي العباسي الحاكم بالكوفة - الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٨.

(٥) هو عبد الله بن المقفع من أكابر الكتاب ولد في العراق مجوسياً سنة (١٠٦) و أسلم على يد عيسى ابن عم السفاح و ولي كتابه الديوان للمنصب العباسي، و اتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سفيان المهلبى سنة (١٤٢) - الاعلام ج ٤ / ٢٨٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٤

فَلَمَّا اسْتَيْسَؤُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا (١) فما أقدر أن أضمر إليها في فصاحتها و جمع معانيها فشغلتنى هذه الآية عن التفكير فيما سواها. و قال عبد الملك: و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ (٢) و لم أقدر بمثلها.

فقال أبو شاعر: و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (٣) و لم أقدر على الإتيان بمثلها. فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي (٤) لم أبلغ غاية المعرفة بها، و لم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فيناهم في ذلك إذ مرّ بهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال: قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٥).

فنظر القوم بعضهم إلى بعض و قالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت وصيته محمد صلى الله عليه و آله إلّا إلى جعفر بن محمد صلى الله عليه و آله، و الله ما رأينا قط إلّا هبناه

(١) يوسف: ٨٠.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

(٤) هود: ٤٤.

(٥) الإسراء: ٤٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٥

و اقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرّين بالعجز «١».

إن قلت: إن الاختلاف في تعيين الوجه في الإعجاز قادح في أصله، نظرا إلى أن الدعوة عامّة إلى كافّة النّاس، فلا بد أن تكون المعجزة عامّة واضحة بحيث يفهمها النّاس كافّة، ولا يشكّ فيها أحد منهم و إن أنكرها بلسانه، و الاختلاف في ذلك ينبى عن اختفاء كلّ من الوجوه الظاهرة لكلّ من المختلفين عن الآخرين، حيث إن كلّ واحد منهم منكر لما يشبهه الآخرون من وجوه الإعجاز، و كلّ من هذه الوجوه المختلفة فيها قابل للإنكار لعدم القطع بتحقيقه، و عدم الاتفاق عليه.

بل و من هنا يظهر عدم الاتفاق على اعجاز القرآن في الجملة، لأنّ كلّا من الفرق يعلّل جهة الإعجاز بما ينكره الآخر.

فالجواب أنّه مجرد الاختلاف في ذلك لا يقتضى الشكّ في الإعجاز بعد الاتفاق عليه، بل لعلّ الاختلاف إنّما نشأ من فهم كلّ منهم غير ما فهمه الآخر لعجزه عن ذلك، أو لأنّه ليس من أهله، و ليست تلك الوجوه مانعة الجمع كى يمنع تحقّق كلّ منها من الآخر، بل يمكن تصويب كلّ منهم من جهة فهمه، كما لو اتّفق جماعة على إكرام زيد غير أنّ واحدا منهم يكرمه لعلمه، و آخر يكرمه لعدالته، و ثالث يكرمه لسخائه، و رابع يكرمه لشجاعته، و كلّ هذه الأوصاف ظاهرة للكّل ظهور البعض للبعض، فلا مانع من كونه مجمعا لها، على أنّه ليس المقصود إثبات جامعيتها عند الجميع بل الاتفاق على وجوب الإكرام و هو حاصل بتصديق كلّ فرقة منهم بصفه من تلك الصفات، و لو مع فرض التضادّ بين الجهات، كالصّيرفة و غيرها لرجوعهما إلى الإثبات و النفي، فإنّ الاتفاق على ما هو المراد دافع

(١) الإحتجاج: ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٦

للإيراد، و من البين أنّ الجهات التعليّة لا- توجب اختلافا أو تغايرا فيما علّل بها، لأنّها علل و كواشف، و معرّفات لا- يتقيّد بها المطلوب.

فان قلت: إنّ الجهات في المقام تقيديّة ترجع الى اختلاف الأحكام تبعا لاختلاف الموضوعات كما في المثال المذكور، إذ توجب الفرقة الأولى إكرام العالم، و الثانية إكرام العادل، و الثالثة إكرام السخي، و هكذا، و الاتفاق في مثله متفّ جدا، و لذا لم يعتبروا به في باب الإجماع أيضا.

قلت: لا ريب في أنّ المقصود في المقام إعجاز القرآن، و هو حكم خاصّ في موضع خاصّ و إن اختلفت علله إثباتا و نفيًا أو جميعا و استقصاء، و هذا لا يقتضى اختلاف الموضوع، و ذلك لأنّه ليس الكلام في أنّ نوعا خاصا خارقا للعادة من الفصاحة و البلاغة أو من البيانات المشتملة على الآداب و الحكم، أو الصّرفه، أو غير ذلك معجزة أم لا، فإنّ الخارق من كلّ شيء معجزة بشرطها، بل الكلام في إثبات إعجاز القرآن و لو بأيّ وجه كان و هذا ممّا اطبقوا عليه.

فإن قلت: مجرد الاختلاف في ذلك ممّا يقدح في الإطباق على الإعجاز لعدم حصول الإطباق على شيء من تلك الجهات بل لعلّه ربما يتوهم أنّ الاتفاق الحاصل على اعجازه إنّما وقع بمجرد التعيّد و التقليد و الأخذ من غير دليل و لذا اختلفوا في وجهه حتى ذهبوا فيه كلّ مذهب حسبما سمعت، و هذا ممّا يقدح في الإعجاز.

قلت: نمنع من تحقّق القدح فيه بمجرد الاختلاف، كيف و مراتب النّاس و استعداداتهم مختلفة و بحسبها تختلف أنظارهم و مقاصدهم، و من كمال المعجزة اشتغالها على جهات عديدة ظاهرة و خفيّة، و التوهم المذكور في السؤال ممّا لا ينبغي الإصغاء إليه بعد وقوع التحدّي به على لسان النبي صلّى الله عليه و آله، بل في آيات كثيرة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٧

تتلى على المصانع الخطباء في كل صباح و مساء.

و كيف كان فالحق أن إعجاز القرآن ليس من جهة واحدة بل هو من جهات كثيرة و إن اختص أدراك بعضها البعض:

منها: ما سمعت من الفصاحة العجيبة و البلاغة الغريبة التي أذعن لها جميع فصحاء العرب و بلغاء محافل الأدب مع كمال حرصهم و اجتهادهم على معارضته و مناقضته، حتى أنهم قد أفحموا عند سماع قوله تعالى: **قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ و أَبْكُمْوا من نداء قُلْ فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ** بل كانوا عموما عن ذلك و صموا و إن بذلوا جهدهم في ذلك و هموا.

و توهم أنه لعلهم قد عارضوه بما لم يصل إلينا، مدفوع بأنه لو كان لبان، سيما مع توفر الدواعي و اجتماع الهمم على نقل الأمور العجيبة و الشؤون الغريبة خصوصا في مثل هذا الأمر الذي جمعوا فيه متفرقات ما صدر عنهم في مقام المعارضة حسبما سمعت سابقا، و لا يخفى عليك توفر الدواعي على نقل القصائد و الخطب و الأشعار و الأمثال الفصيحة من الجاهلية و الإسلام و قد لفق مسيلمة الكذاب جملة من المزخرفات و الاضحوكات قد بقيت حكايتها إلى الآن كقوله: و الزارعات زرعاً، فالطاحنات طحنا، و العاجنات عجنا، و الطابخات طبخا، و قوله الآخر: الفيل، ما الفيل، و ما أدريك ما الفيل، له ذنب و ثيل و خرطوم طويل.

فإن قلت: لعلهم قد عارضوه بما قد ذهب من البين بعد ظهر شوكة الإسلام، و تبدل المعارضة بالكلام بالمجادلة بالسيوف و السهام. قلت: بعد تسليم ذهابه من بين المسلمين فلا ريب في توفر الدواعي على بقائه بين الكفار من أهل الكتاب و غيرهم، سيما اليهود الذين هم أشد الناس

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٨

عداوة للمؤمنين، مضافا إلى ظهور وجود أهل اللسان في كل زمان و أوان بكل مكان، و اتفاق الجميع بحصول الإعجاز بحيث لم يظهر إلى الآن المعارضة من فصحاء نجد، و اليمن، و العراق، و الحجاز.

و منها: نظمه العجيب و أسلوبه الغريب الذي لا يشبه شيئا من أساليب الكلام للعرب العرباء، و لا صنفا من صنوف تركيبات مصانع الخطباء، و لا فنا من فنون توصيفات بلغاء الأدباء، بحيث تنادى كل جزء منه من الآيات و السور: ما يشبه نقد الكلام البشر، و لذا لما عجز الوليد عن معارضته، قال: **إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ مَعَ شَيْوَعِ الْفَصَاحَةِ و غلبتها في ذلك الزمان، بل ربما يظهر من بعض الأخبار، و يؤيده الاعتبار أن الأولى في معجزة كل نبي أن تكون من سنخ الصنعة الغالبة على أهل زمانه.**

كما

روى في «العلل» و «العيون» و «الاحتجاج» عن ابن السكيت (١) أنه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بيده البيضاء و العصاء، و آله السحر، و بعث الله عيسى عليه السلام بالطب، و بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله بالكلام و الخطب، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن في وسع القوم مثله و بما أبطل به سحرهم، و أثبت به الحجج عليهم، و أن الله تبارك و تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات، و احتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله عز و جل بما لم يكن عندهم مثله و بما أحيى لهم الموتى، و أبرأ الأكمه

(١) ابن السكيت: يعقوب أبو يوسف كان من أكابر اللغويين من الامامية ولد في بغداد سنة (١٨٦ هـ) أدرك الامام الرضا عليه السلام و استفاد منه في أبان شبابه، و اتصل بالمتوكل العباسي و جعله المتوكل من ندمائه ثم قتله لتشييعه سنة (٢٤٤ هـ) - الاعلام ج ٩ ص ٢٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٥٩

و الأبرص بإذن الله، و اثبت به الحجج عليهم، و إن الله تبارك و تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و آله في وقت كان الأغلب على

عصره الخطب والكلام- وأظنه قال:

والشعر، فاتاهم من كتاب الله و مواعظه و أحكامه بما أبطل به قولهم و أثبت الحجّة عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثل اليوم قط، فما الحجية على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه، و الكاذب على الله فتكذبه، فقال ابن السكيت: هذا و الله الجواب «١».

و بالجملة غرابة الأسلوب مما أذعن به الجميع، و لذا حكى فى بعض التفاسير عن أبى عبيدة «٢»: أن أعرابيا سمع قول الله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَخَرَّ سَاجِدًا فِي الْحَالِ، فَقِيلَ لَهُ: أَسَجَدْتَ لِلَّهِ تَعَالَى وَ آمَنْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ سَجَدْتُ لِفَصَاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ.

ثم إن الأولى عدّ هذين الوجهين سببا واحدا للعلم بالإعجاز، و لذا تعرّضنا لما يتعلّق بكلّ منهما فى الآخر.

و أما ما يحكى عن القائلين بالصرفة فى إبطال القول بالفصاحة من أن الإعجاز لو كان مستندا إليها لكان إما من حيث ألفاظه المفردة أو من حيث الهيئة التركيبية، أو منهما معا، و الأقسام الثلاثة بأسرها باطلة، فاعجازه بسبب الفصاحة باطل، فيكون للصرفة، إذ ما عداها من الأقوال ضعيفة، و إنما قلنا إن الأقسام باطلة لأنّ العرب كانوا قادرين على المفردات و على التراكيب، و من

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٢٤- بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٠.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوى البصرى ولد سنة (١٠٦ هـ) و توفى سنة (٢٠٣ هـ)- الاعلام ج ٨ ص ١٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٠

كان قادرا عليهما منفردين يكون قادرا عليهما معا، فثبت من ذلك أن العرب كانوا قادرين على المعارضة و إنما منعوا منها، ليكون المنع هو العجز.

ففيه أولا- أن فساد الأقسام لا- يقضى بتعيين القول بالصرفة لأنّ بطلان غيرها ليس بيّن و لا مبيّن، بل الحقّ صحتها أيضا فى الجملة حسبما يفصل الكلام فيها، سيّما اشتماله على الاخبار بالمغيبات و غيرها ممّا يأتى.

و ثانيا إن ما ذكره من قدرة العرب على المفردات و على التراكيب. إن كان المراد قدرتهم جميعا أو بعضهم على جميع أفراد النوعين حتّى الكلام البليغ الفصيح الذى هو فى نهاية الفصاحة و البلاغة فتطرّق المنع اليه، واضح جدّا، كيف و من البيّن أنه أوّل الكلام، بل الضرورة قاضية بأنّ الطائفة المشتركة فى لغة واحدة من اللغات ليسوا بمتساويين فى الاقتدار على المفردات الفصيحة و مركباتها و لا على أداء الكلام مطابقا لمقتضى الحال على نحو واحد، فضلا من أن يشركوا فى القدرة على المرتبة العليا التى يعجز عنها القوى البشرية.

و إن كان المراد قدرتهم على معرفة اللغات العربية و تركيبها فى الجملة، فمع تسليمه لا يجدى، ضرورة أن مجرد معرفة اللغات لا يستلزم القدرة على التعبير عن المعانى بالألفاظ الجامعة لوصفى الفصاحة و البلاغة، و بالجملة فالفرق واضح بين العلم باللغات و الألفاظ المفردة و كفيته التركيب و بين ملكة إنشاء الكلام جامعا للوصفين. هذا.

مضافا إلى أن القائل بالصرفة إن أراد سلب الداعية فمن البيّن نحققها، سيّما بالنسبة إلى الذين شتموا عن ساق الجّد للمعارضة. و إن أراد سلب العلم أو القدرة فمن المفروض تسليم القائل بالصرفة قدرتهم المستلزمة للعلم أيضا.

اللهمّ إلّا أن يقال: إن ما هو المسلم فى كلامه إنما هو القدرة لا عند

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦١

المعارضة، و أمّا عندها فهى أو العلم مسلوبة.

و الحاصل أنه مع عدم إرادة المعارضة فالمنتفى هو الداعى، و مع ارادتها فأحد الأمرين فالصرفة متحققة دائما بأحد المعانى الثلاثة

على سبيل منع الخلوّ، و على هذا فكأنّه يعود النزاع لفظياً على بعض الوجوه فتأمل جيّداً.

ثمّ إنّهُ ربّما يستدلّ للقول بالصرفة بأنّ الصّحابة عند جمع القرآن كانوا يتوقّفون في بعض السور والآيات حتى تتحقّق شهادة الثقات بل حكى عن ابن مسعود أنّه بقي متردداً في الفاتحة و المعوذتين، بل المحكّي عنه عدم عدّ المعوذتين من القرآن، و لو كان الإعجاز للفصاحة أو للأسلوب لكان يفهمه كلّ أحد.

و يمكن الجواب مع الغض عن إمكان عدم فهم البعض للفصاحة بحيث صار سبباً للاختلاف، و لذا نشأ القول بالصرفة و نحوها، بأنّ مجرد مثل تلك الفصاحة لا يستلزم القرآنية، فإنّها أعمّ مطلقاً، و هو لا يستلزم الأخصّ، و لذا لا يصدق حدّ القرآن على أدعيه الصحيفه السجادية و خطب «نهج البلاغه» و غيرهما، و إن قلنا بعجز الآخرين عن الإتيان بمثلهما، بل و كذا الأحاديث القدسيّة فأيات التوراة و الإنجيل و الزبور و غيرها ممّا نزلت من عنده سبحانه لا- للإعجاز و التعدي بها، و ان كان العجز حاصلًا معها، فليس مجرد حصول العجز من الأعراض الخاصّة القرآن، و لا من مقوماته الذاتية.

و من هنا يظهر فساد إنكار غير الصرفة من وجوه الإعجاز، نعم ربّما احتجّ القائلون بالفصاحة على فساد القول بالصرفة بوجوه: أحدها أنّ الإعجاز لو كان للصرفة لكانوا قادرين على الإتيان بمثله قبل الصرفة، فإذا وجدت الصرفة و حصل المنع و جب أن يجدوا ذلك من أنفسهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٢

ضرورة، لأنّا نعلم بالضرورة أنّ من كان له قدرة أو قدرة على شيء ثمّ سلبا عنه يجد ذلك من نفسه، و لو وجد و أسلب القدرة و العلم من أنفسهم لتحدّثوا به في مجالسهم، و لو تحدّثوا به لاشتهر و ذاع، و تواتر و شاع، لأنّه من الأمور العجيبة التي تتوقّر الدواعي على نقلها و كلّ هذه المقدمات ضروريّة، و لمّا لم يقع شيء من ذلك فكان القول بالصرفة باطلاً.

ثانيها: أنّه لو كان الإعجاز بسبب الصرفة لوجب أن يكون القرآن في غاية الركاكة، و اللازم باطل فالملزوم مثله، بيان الملازمة أنّ منعهم عن معارضته على تقدير ركاكته أبلغ في الإعجاز ممّا لو كان بالغاً في الفصاحة و هو ضروري، و أمّا بطلان اللازم فظاهر فيبطل الملزوم و هو المطلوب.

ثالثها أنّ حصول الصّيرفة على فرضه إنّما هو بعد النبوة و تحقّق التحدّي، و أما قبله فلا صارف لهم عن الإتيان بمثله، و العادة تقضى بصدور مثله عنهم قبل ذلك، فلو كان الوجه هو الصرفة لكان لهم أن يعارضوه بعد التحدّي بما صدر عنهم قبله.

أقول: و يمكن الجواب عن الأوّل بأنّه لعلّهم كانوا يجدون ذلك من أنفسهم و يؤيّدونه أنّ من كان بصدد المعارضة مثل ابن أبي العوجاء، و غيره كانوا يزعمون أولاً قدرتهم على ذلك، ثمّ ظهر لهم عجزهم، أو تنصرف عن ذلك همهم، و لهذا هو الصرفة عندهم على ما سمعت، و لعلّهم يريدون بها الصرفة الدائمة على أحد الوجوه لا على وجه التبدّل و حينئذ فتبطل الملازمة.

و عن الثاني بالمنع عن الاستلزام لمطلوبيّة الفصاحة نفسها، مع أنّ الركاكة في نفسها مانعة، و الإعجاز يجب أن يكون على الوجه الأبلغ، سلّمنا لكنّ الأبلغ هو الاشتمال على وجوه الإعجاز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٣

و عن الثالث بأنّ القائل بالصرفة لعلّه يلتزم بالمنع عن صدور مثله عنهم قبله أيضاً لذلك أو عن المعارضة به على فرض الصدور، هذا. لكنّه لا يخفى عليك أنّ القول بالصرفة بمكان من القصور لما مرّ و يأتي من الوجوه التي فيها الإعجاز من جهات شتى.

و منها اشتماله على العلوم الحقيقيّة و المعارف الإلهيّة و أصول الحقائق و كشف الأسرار و الدقائق بألفاظ فائقة رائعة مهذبة مختصرة في غاية الإيجاز، و نهاية الاختصار، بل لا- يخفى على من له خوض في العلوم العالية و الحكمة المتعالية أنّ المقاصد التي أفنت الحكماء الفلاسفة الذين هم قدوة أرباب العقول أعمارهم فيها، و لم يصلوا بعد الرياضات الشديدة و المشاقّ الكثيرة إليها ربما أشرفت لوامع أنوارها من أفق بعض الآيات أو الكلمات على أفئدة بعض أرباب القلوب، بل ربما يفتح بالتأمل في كثير من الآيات أبواب العلم

بالغيوب، بل لعلك ترى كثيرا من المسائل التي صنفوا فيها الكتب والرسائل، وأكثرها فيها من ذكر الوجوه والدلائل ربما يمر عليك بأوضح تعبير وأيسر بيان في بعض آيات القرآن، بل ليس بشيء من الحقائق والأسرار إلا ولها أصل في كتاب الله ساطع الأنوار، وإن احتجبت بعض القلوب بغشاوة الأستار وظلمة الأكدار، مع كونه صلى الله عليه وآله قد نشأ في بلد لم يكن فيه عالم ولا حكيم، ولم يعهد من حاله أنه تلمذ على أحد أو سافر في صقع من الأصقاع لذلك.

ومنها اشتماله على قصص الأنبياء السالفين وأحوال المتمردة الماضين وجزئيات أحوالهم وأقوالهم وما جرى عليهم مع عدم قراءته صلى الله عليه وآله لشيء من كتبهم، ولا ملاقاته لأحد من علمائهم، حتى أن علماء اليهود وأخبار النصارى لم يقدروا على الإنكار عليه في شيء مما أخبر به عن الماضين، مع غاية حرصهم على ذلك واجتهادهم فيه، ولذا قيل:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٤ لم يقترن بزمان وهو يخبرنا عن القرون وعن عاد وعن إرم

وقد قال أيضا: من وجوه الإعجاز اشتماله على الآداب القويمه والشرائع المستقيمه، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات مما فيه نظم إصلاح أحوال العباد ونظم سياسة البلاد، بحيث لو تأمل فيه العالم البصير لعلم أنه ليس إلما تنزيلا- من عليم خبير، ومن العوارض النفسانية لكثير من الناس عند قراءته واستماعه من المصيبة والخوف والخشية، والشوق والرقه والتوجه الى المبدء، والتذكر لأمر الآخرة، ودفع الحيرة، وانكشاف العلوم الغيبية والمعارف الربانية، وغير ذلك من الأطوار العجيبة والأحوال الغريبة المختصة به دون غيره من الكلمات والخطب والأشعار وغيرها، وإن اختلفت تلك الأحوال باختلاف الأشخاص والأزمان وغيرها.

ومنها الاستخارات المعجزة التي كأنها بقیة من الوحي الإلهي والإلهام حتى أنه ربما يستفاد مقصد المستخير وجوابه وعاقبته من الآية تصريحاً أو تلويحاً، بل كثيرا ما اتفق لهذا العبد المسكين، وغيرى من المسلمين الإخبار عن مقصد المستخير بمجرد التأمل في الآية، من دون علم سابق به، ومما يثول الأمر إليه في العاقبة، وهذا واضح لمن جرب ذلك.

ومنها اشتمال سورة وآياته وكلماته وحروفه على الأسرار العجيبة والخواص الغريبة من شفاء الأمراض والاعراض، ودفع العافات والعاهات والبلبات، واستجلاب الخيرات، وأداء الديون والغرامات، وغير ذلك مما سنشير الى جماعه منها في الباب الرابع عشر. ومنها انطباق كثير من الأسئلة والأجوبة الواقعة فيه على القواعد الجفرية التي هي من قواعد علم التفسير التي لم يطالع عليها إلا الواحدى من الناس، بل هو من علوم الأنبياء والأوصياء وخواص الأولياء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٥

ولذا ترى أنك إذا علمت في قوله تعالى: مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١﴾ بالقواعد التفسيرية يخرج الجواب: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٢﴾.

وكذا إذا سألت بهذه العبارة: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يخرج الجواب: خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٣﴾، إلى غير ذلك مما لا يخفى على أهله.

ومنها اشتماله على الإخبار من الأمور الغائبة عن الحواس من الحوادث الكائنة والوقائع المستقبلية، وخطرات قلوب المنافقين، ومستجنات صدورهم وغير ذلك، وهي بكثرتها وإن اشتركت في إفادة الإعجاز، لكنها تنقسم إلى نوعين:

الأول أنه سبحانه أخبر في كثير من الآيات من أحوال المنافقين والكفار، وأقوالهم وأسرارهم وتناجيهم وخطرات قلوبهم ما يطالع عليها غيرهم، حتى إنهم بعد الإخبار ربما صدقوا به ولم يسع لهم إنكاره، وهذا النوع كثير في القرآن:

مثل ما أخبر عنه من أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴿٤﴾.

وقوله تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿٥﴾ أى أ تحذونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به.

(١) يس: ٧٨.

(٢) يس: ٧٩.

(٣) زخرف: ٩.

(٤) البقرة: ١٤.

(٥) البقرة: ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٦

ومثل ما أخبر عما وقع عن بعضهم من ملامسة النساء بقوله: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ «١».

ومثل ما روى أنه تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر، وقرى عرينة «٢» وقال بعضهم لبعض: أدخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد و اكفروا به آخر النهار، و قولوا: إنا نظرنا في كتبنا و شاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك و ظهر لنا كذبه في بطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه، وقالوا: إنهم أهل الكتاب، و هم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فنزلت: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «٣». «٤» و ما روى من أنهم كانوا ينالون «٥» من رسول الله صلى الله عليه و آله فأخبره به جبرئيل، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد صلى الله عليه و آله فنزلت: وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «٦». «٧» و مثل ما أخبر عن بعضهم بقوله: وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ «٨».

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) عرينة (بضم العين المهملة): موضع ببلاد فزارة، و قيل: قرى بالمدينة- معجم البلدان ج ٤ ص ١١٥.

(٣) آل عمران: ٧٢.

(٤) مجمع البيان ج ٢ ص ١١٥.

(٥) نال منه: وقع فيه و شتمه و عابه.

(٦) الملك: ١٤.

(٧) مجمع البيان ج ٢ ص ١١٥.

(٨) النساء: ٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٧

و أخبر عن أصحاب العقبة أو غيرهم من المنافقين بقوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِجُوا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَخْتَرُونَ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَشْتَهَرُونَ «١»، الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المشتملة على هذا النوع.

الثاني أنه سبحانه أخبر فيه عن كثير من الأمور المستقبلية التي لا يمكن الاطلاع عليها إلا من طرق الوحي و الإلهام مع مطابقتها للجميع لما وقع بعد الإخبار كالأخبار بذهاب اليهود و عدم انتقال الملك و السلطنة إليهم الى آخر الدهر، و قد تحقق صدقه لتفرقهم و ذلتهم في البلاد و ضرب الجزية عليهم و الاستخفاف بهم حتى ضربت بهم الأمثال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ «٢».

وقوله تعالى: لَنْ يَصُرُواكُمْ إِلَّا أذَىً وَ إِنْ يُفَاتِلُواكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ صُـرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدُّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْسُ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ وَ صُـرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ «٣».

و الإخبار عن غلبته على الكفار مع فقد ما يدل على ذلك من الأمارات والآثار سيما مع قلّة الأنصار، و انتشار الكفار في أطراف الأرض و بسيتها غاية الانتشار. و مع ذلك فقد أخبر بغلبة المسلمين عليهم على وجه الحتم و الجزم بقوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ «٤».

(١) التوبة: ٦٤-٦٥.

(٢) الأعراف: ١٦٧.

(٣) آل عمران: ١١٢.

(٤) آل عمران: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٨

حيث إنّها نزلت في مشركي مكّة يوم بدر مع ظهور أمارات الغلبة من العدة و العدة للمشركين، أو في اليهود حين استشعروا الضعف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يوم أحد فنقضوا العهد.

و الاخير عن انهزام الكفار يوم بدر بقوله تعالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ «١».

و عن غلبة الروم على فارس بقوله سبحانه الم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ... «٢».

و ذلك أنه غلبت فارس الروم، و ظهرت عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و فرحت بذلك كفار قريش، من حيث إنّ فارس لم يكونوا أهل كتاب مع أنّ كسرى خرق كتاب رسول الله صلى الله عليه و آله و أهان رسوله، و قيصر كان من النصارى، و قد كان أكرم و قبل كتابه، و كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين، فدفعهم فارس منه، فساء ذلك المسلمين فكان المشركون بمكّة يجادلون المسلمين، و يقولون: إنّ أهل الروم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس، و أنتم تزعمون أنّكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل إليكم على نبيكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم، فنزلت الآية.

بل

ورد أنّ أبا بكر ناحب «٣» بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شيء

(١) القمر: ٤٥.

(٢) الروم: ٤.

(٣) ناحب مناجبة فلانا على كذا: راهنه، و الذي راهنه أبو بكر هو أبي بن خلف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٦٩

إن لم تغلب فارس في سبع سنين، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: لم فعلت؟ فكلّ ما دون العشر بضع، فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين، ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية، وفرح المسلمون بظهور أهل الكتاب «١».

و كالأخبار بأن المتخلفين عن غزوة تبوك لا- يقاتلون بعد ذلك معه أبدا، حيث أنزل الله سبحانه: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا «٢» فكان كذلك.

و أنّ أبا لهب و غيره من أهل النار، لعدم إيمانهم به صلى الله عليه و آله أبدا، فكان كذلك كما قد أخبر عنه بقوله في أبي لهب: سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَ فِي امْرَأَتِهِ:

وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ «٣».

و في غيرهما من المنافقين: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٤».

الثالثة قصور صنعاء و أخبر جبرئيل ظهور أمتي عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون، و قالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيوة و مدائن كسرى، و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، و لا- تستطيعون أن تبرزوا؟! فنزل قوله سبحانه: وَ إِذِ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا «١».

و أنزل الله في هذه القصة: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ «٢».

و كالأخبار بعود النبي صلى الله عليه و آله الى مكة بعد هجرته عنها بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ «٣».

و المراد بالمعاد مكة المكرمة شرفها الله لعوده إليها، و ليس في الآية كما ترى شرط و لا استثناء.

و كوعده بملاقاة إحدى الطائفتين: إِمَّا عِير «٤» قريش و صاحبها أبو سفيان، و إِمَّا النفير، و هو جيشها، فقال سبحانه: وَ إِذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ يَمِينًا أَمَّا الْعِيرُ وَ إِمَّا النِّفِيرَ، وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَه تَكُونُ لَكُمْ «٥»، و هو العير، و صاحبها أبو سفيان و يريد الله أن يحق بكلماته بإعزاز الإسلام و إهلاك وجوه قريش على أيديكم فكان كما أراد سبحانه.

(١) الأنفال: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) قصص: ٨٥.

(٤) العير: القافلة.

(٥) الأنفال: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٢

و الإخبار بظهور دعوته و الغلبة على سائر الأديان بقوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ «١»، و قوله سبحانه: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ «٢».

و الإخبار بدخول المسجد الحرام مع الأمن و الحلق و التقصير، فكان كما أخبر عنه بقوله تعالى: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ «٣».

و التعليق بالمشيئة للتيمن و التبرك و الامثال.

و الإخبار عن مواعده عبد الله «٤» بن أبي و أصحابه بنى النضير، و عدم الرفاء بوعده لهم بقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيَنَّ الْأُذْيَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ «٥».

و الإخبار عن غلبة أصحابه المؤمنين و استخلافهم في الأرض بقوله تعالى: وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) الفتح: ٢٧.

(٤) هو عبد الله بن أبي بن مالك المشهور بابن سلول الخزاعي المدني رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد قصة بدر تقاه،

مات سنة (٥٩هـ)، الاعلام ج ٤ ص ١٨٨.

(٥) الحشر: ١١-١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٣

وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا «١».

و الإخبار عن قصة طلحة بن أبيرق و مكر المنافقين بقوله تعالى:

و الإخبار عن كذب المنافقين و قولهم بقوله سبحانه: لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ «٢»، و قوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا «٣». و قوله سبحانه: وَ لَيَخْلِفَنَّ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ «٤».

و الإخبار عن انشقاق القمر بقوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ وَ إِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ «٥».

و هذا و إن كان بعد الوقوع إلا أنها قد تضمنت معجزة اخرى و هى الإنشقاق لا سبيل الى إنكاره بعد بقاء الإخبار به عن زمان الدعوة. و الإخبار عما تكتمه اليهود من أحكام التوراة كما قال سبحانه: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ «٦» الى غير ذلك من الآيات التى تسمع تمام الكلام فيها فى مواضعها من هذا التفسير إنشاء الله تعالى.

و يعد أيضا من وجوه الإعجاز أنه على كمال فصاحته التى لا يدانيه فيها غيره قد اشتمل على أمور منافية للفصاحة فى غيره كملازمة الصدق و التجنب

(١) النور: ٥٥.

(٢) التوبة: ٩٤.

(٣) التوبة: ٧٤.

(٤) التوبة: ١٠٧.

(٥) القمر: ١.

(٦) المائدة: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٤

عن الكذب و الإغراق فى جميع القرآن، فإن كل شاعر ترك الكذب و لازم الصدق ترك شعره، و لذا قيل: إن حسان «١» بن ثابت و ليلى «٢» بن ربيعة لما أسلما ترك شعرهما الإسلامى، إذ لم يكن كسعرهما الجاهلى.

الفرق بين القرآن و الحديث القدسى

و أما الفرق بين القرآن و الحديث القدسى فقد فرق العلماء بينهما بوجوه:

الأول أن القرآن يختص سماعه من الروح الأمين، و لكن الحديث القدسى قد يكون إلهاما و نفثا فى الروع و نحو ذلك.

الثانى أن القرآن مسموع بعبارة بعينها بخلاف الحديث القدسى.

الثالث أن القرآن مشتمل على الإعجاز بخلاف الحديث القدسى.

الرابع أن القرآن مقطوع الصدور، بخلاف الحديث القدسى فإنه كسائر الأحاديث فى ظنية صدورها.

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرى الأنصارى أبو الوليد الصحابى الشاعر المدنى أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية و

الإسلام عاش (٦٠) سنة فى الجاهلية و (٦٠) سنة فى الإسلام. مات سنة (٥٤هـ) - الاعلام ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية، أدرك الإسلام و يعدّ من الصحابة، قيل: إنّه ترك الشعر بعد إسلامه و لم يقل إلّا بيتاً واحداً و هو: ما عاتب المرء الكريم كنفسه و المرء يصلحه المجلس الصّالح و هو أحد أصحاب المعلّقات، عاش عمراً طويلاً و سكن الكوفة، توفي سنة (٤١ هـ)، الأعلام ج ٦ ص ١٠٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٥

الباب الحادى عشر

إشارة

فى بيان نزول القرآن على سبعة أحرف و فى هذا الباب يذكر أيضاً منشأ اختلاف القراءات، و هل هى متواترة أم لا و نبذ من أحوال القراء تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٧ و فيه فصول:

الفصل الأوّل

فى معنى نزول القرآن على سبعة أحرف قد تظافت الأخبار من العامية فى أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، بل فى بعضها أنّ النبى صلى الله عليه و آله لم يته أحدًا عن الاختلاف فى قراءة القرآن، و أنّه قرّهم عليه بل صرح بجوازه، ففى «صحيح البخارى» (١) عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: أقرأنى جبرائيل على حرف فراجعتة فزادنى، فلم أزل أستزيده و يزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف (٢). عن «جامع الأصول» (٣) عن البخارى، و مسلم (٤)، و مالك (٥)،

(١) البخارى محمد بن إسماعيل الجعفى الحافظ المحدث المورّخ، ولد فى بخارى سنة (١٩٤ هـ) و توفى فى خرتنك سمرقند سنة (٢٥٦).

(٢) صحيح البخارى باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٦ ص ١٠٠ ح ٣٩٩١ و أخرجه مسلم فى الصحيح ج ١ ص ٥٦١.

(٣) جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير أبى السعادات المبارك المتوفى (٦٠٦) بالموصل.

(٤) مسلم بن الحجاج النيسابورى الحافظ المحدث المتوفى سنة (٢٦١).

(٥) مالك بن انس الأصبحى المدنى ولد بالمدينة سنة (٩٣) و توفى سنة (١٧٩). تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٧٨

و أبى داود (١) و النسائى (٢)، بأسانيدهم، عن عمر بن الخطّاب قال: سمعت هشام (٣) بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه و آله فكذت أساوره (٤) فى الصلاة، فتربّصت حتى سلّم فلبّيته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه و آله فقلت: كذبت، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت: إننى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأنيها، فقال صلى الله عليه و آله: كذلك أنزلت، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه (٥).

قال في «جامع الأصول» أخرجه الجماعة
، و قال الترمذى: هذا حديث صحيح.

و

روى مسلم، و الترمذى «٤»، و أبو داود، و النسائى فى صحاحهم، جميعا عن أبى «٧» بن كعب، قال: كنت فى المسجد، فدخل رجل و
صلّى، فقرأ قراءة

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المحدث المتوفى بالبصرة سنة (٢٧٥).

(٢) النسائى احمد بن على بن شعيب المحدث الحافظ المتوفى سنة (٣٠٣).

(٣) هشام بن حكيم حزام بن خويلد، صحابى ابن صحابى أسلم يوم فتح مكة توفى بعد سنة (١٥) - الاعلام ج ٩ ص ٨٣.

(٤) ساور فلانا: واثبه أو وثب عليه.

(٥) أخرجه البخارى فى ثلاثة مواضع من الصحيح: ج ٥ ص ٧٣ كتاب الخصومات الحديث (٢٤١٩) و فى ج ٩ ص ٢٣ كتاب فضائل

القرآن الحديث (٤٩٩٢) و (٥٠٤١) - و أخرجه مسلم فى الصحيح ج ١ ص ٥٦١ و فى مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤.

(٦) الترمذى محمد بن عيسى المحدث ولد سنة (٢٠٩) و توفى سنة (٢٧٩).

(٧) أبى بن كعب بن قيس الخزرجى المدنى أبو المنذر، صحابى كان قبل الإسلام من أحبار اليهود، يكتب تفسير الصراط المستقيم،
ج ٢، ص: ٢٧٩

أنكرتها، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فلمّا قضيت الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه و آله،
فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فأمرهما النبى صلى الله عليه و آله فقرأ، فحسب
شأنهما، فسقط فى نفسى من التكذيب، و لا إذ كنت فى الجاهلية - فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و آله ما غشيتنى ضرب فى
صدرى، ففضت عرقا كأنما أنظر إلى الله فرقا، فقال لى: يا أبى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتى،
فردّ إلى فى الثانية أن أقرأ القرآن على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتى، فردّ إلى فى الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف، و لك
بكلّ ردة رددتها مسأله تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لآمتى، اللهم اغفر لآمتى و آخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إلى الخلق كلّهم حتى
إبراهيم عليه السلام «١»

و

فى النبوى المروى من طرقهم: «الكتب تنزل من السماء من باب واحد، و إن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف» «٢».

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التى لا داعى للتعرض لها، و

فى بعضها: «أن رسول الله صلى الله عليه و آله لقى جبرائيل، فقال: يا جبرائيل إنى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز و الشيخ الكبير،
و الغلام، و الجارية، و الرجل الذى لا يقرأ كتابا قط، فقال

و يقرأ، توفى بالمدينة سنة (٢١) - الاعلام ج ١ ص ٧٨.

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٦١ كتاب صلاة المسافرين و قصرها و أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ج ٥ ص ١٢٧، و أخرجه الطبرى

عن أبى كريب بطرق اخرى باختلاف يسير أيضا و أخرجه الزركشى عن صحيح مسلم فى البرهان ج ١ ص ٣٠٢.

(٢)

جامع البيان للطبرى ج ١ ص ٢٣ و فيه: عن النبى صلى الله عليه و آله قال: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، و على حرف واحد،

و نزل القرآن من سبعة أبواب و على سبعة أحرف: زجر، و أمر، و حلال، و حرام، و محكم، و متشابه- و أمثال- . تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٠

لى: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» (١).

و ورد فى بعض أخبارنا أيضا مثل ذلك:

ففى «الخصال» عن عيسى بن «٢» عبد الله الهاشمى عن أبيه، عن آباءه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أتانى آت من الله فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: يا رب وسع على أمتى، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف (٣).

و

فيه أيضا عن الصادق عليه السلام حين قال له حماد بن عثمان: إن الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال عليه السلام: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، و أدنى ما للإمام أن يفتى على سبعة وجوه، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٤). (٥) لكنه لا يخفى عليك أن هذه الأخبار لضعف سندها، و قصور دلالتها و موافقتها للأخبار العامية المتقدمة، بل جملة منها بعينها مروية عن طرقهم،

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٢ مع تفاوت يسير- و سنن الترمذى ج ٥ ص ١٩٤.

(٢) مشترك بين رجلين: أحدهما عيسى بن عبد الله بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام.

و الثانى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام و على أى حال لا يحكم بوثاقته، مضافا الى أن الراوى عنه كما فى الخصال أحمد بن هلال أبو جعفر العبرتايبى المتوفى (٢٦٧) و هو على ما فى كتب الرجال كان غالبا متهما فى دينه. انظر معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٣٥٥، و ج ١٣ ص ٢٠٢.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٥٨ باب السبعة ح ٣٤.

(٤) سورة ص: ٣٩.

(٥) الخصال ج ٢ ص ٣٥٨ باب السبعة ح ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨١

و مخالفتها لما يأتى مما هو أقوى سندا و أوضح دلالة لا تنهض حجة لا ثبات نزوله على الوجوه السبعة بحسب المادة، أو الهيئة، أو اللغة، حسبما يأتى إليها الاشارة.

و لذا قال الطبرسى فى «مجمع البيان»: إن الشائع فى أخبار الإمامية أن القرآن نزل بحرف واحد، ثم نسب الى العامة نزوله على سبعة أحرف (١).

و قال الشهيد فى «المسالك» فى باب المهر: إنه قد ورد فى أخبارنا أن السبعة ليست هى القرات، بل أنواع التركيب من الأمر، و النهى، و القصص، و غيرها (٢).

أقول: بل ورد فى أخبارنا أنه على حرف واحد:

ففى «الكافى» فى الصحيح، عن الفضيل (٣) بن يسار، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال عليه السلام: كذبوا أعداء الله، و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد (٤).

و

فى الصحيح عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد، نزل من عند واحد، و لكن الاختلاف يجىء من قبل الزواة

«٥».

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٢٥، وفيه: وما

روته العامة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ»
اختلف في تأويله ...

(٢)

بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٤ و ص ٩٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام: انزل القرآن على سبعة أقسام: أمر، و زجر، ... و قصص.

(٣) الفضيل بن يسار أبو القاسم النهدي البصري روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام و توفي في حياة الصادق عليه السلام، وثقه النجاشي و الشيخ - معجم رجال الحديث ج ١٣ ص ٣٣٥.

(٤) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٠ ح ١٣.

(٥) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٠ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٢

و

عن معلّى بن خنيس، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام.

فقال عليه السلام: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ، فقال ربيعة «١»:

ضالّ؟ فقال عليه السلام: نعم ضالّ، ثم قال عليه السلام: أمّا نحن فنقرأ على قراءة أبي «٢».

أراد قراءة أبيه عليه السلام، و الجمع له تفخيما أوله و لأصحابه.

و يمكن أن يراد قراءة أبي بن كعب لمطابقته قراءته لقراءتهم، إلّا أنّها اليوم غير مضبوطة عندنا، إذ لم تصل إلينا قراءته في جميع ألفاظ القرآن، و إسناد القراءة إليه لعله للتقية عن ربيعة الرأي الذي هو من رؤس ذوات الأذنان، سيما بعد الحكم بضلالة ابن مسعود على فرض المخالفة، حيث إنّه قد اشتهر عنه أنّ الفاتحة ليست من القرآن، بل المعوذتان أيضا ليستامنه.

بل عن بعض علماء العامة أيضا إنكار نزول القرآن على سبعة أحرف، كما حكى عن جابر الله الزمخشري أنّه أنكر تواتر السبع، و قال: إنّ القراءة الصحيحة التي قرأ بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّمَا هِيَ فِي ضَمْنِهَا، وَ إِنَّمَا هِيَ وَاحِدَةٌ، وَ إِنَّ الْمَصْلَى لَا تَبْرَأُ ذَمَّتْهُ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَّا إِذَا قُرَأَ بِمَا فِيهِ الْاِخْتِلَافُ عَلَى كُلِّ الْوَجْهِ، كَمَا لَكَ، وَ مَلِكٌ، وَ صِرَاطٌ وَ سِرَاطٌ، وَ غَيْرَ ذَلِكَ، انْتَهَى «٣».

و على كلّ حال فقد ذكر لنزول القرآن على سبعة أحرف وجوه «٤»:

(١) هو ربيعة بن فروخ أبو عثمان المدني المعروف بريعة الرأي من فقهاء العامة توفي سنة (١٣٦ هـ) - الاعلام ج ٣ ص ٤٢.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٦٣٤ ح ٢٧.

(٣) انظر جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٥.

(٤) قال الزركشي في «البرهان» ج ١ ص ٣٠٤: قال الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي: اختلف الناس فيها على خمسة و ثلاثين قولاً

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٣

منها ما

رواه في «مجمع البيان» عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و

قصص «١».

و

عن «النعمانى» (٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف، و هى: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و قصص (٣).

و منها عن بعض العامة من أنه وعد، و وعيد، و أمر، و نهى، و جدل، و قصص، و مثل (٤). و مرجعه إلى الأولى.

و منها ما عن بعضهم أيضا من أنه ناسخ، و منسوخ، و محكم، و متشابه و مجمل، و مفصل، و تأويل لا يعلمه إلا الله تعالى (٥).

و لكن أخبارهم صريحة فى أن الاختلاف ليس مقصورا على المعنى، بل هو أعم منه و من اللفظ، فالوجه المتقدمه لا تسمن و لا تغنى من جوع.

و منها أن المراد من الحروف القراءات نظرا إلى أن الاختلاف فيها على سبعة أوجه:

الأول الاختلاف فى اعراب الكلمه مما لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة

(١) رواه أيضا الطبرى فى تفسيره ج ١ ص ٢٤ بروايه محمد بن بشر باسناده عن أبى قلابه.

(٢) النعمانى هو محمد بن إبراهيم بن جعفر ابو عبد الله الكاتب المعروف بابن ابى زينب، كان من أجلاء تلاميذ الكلينى، صاحب كتاب «الغيبه».

(٣) رساله النعمانى فى صنوف آى القرآن، راجع بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٤ و ص ٩٧.

(٤) تفسير الطبرى ج ص ١٨- و مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٤

و لا يغير معناها، كقوله: فَيُضَاعَفُ (١) بالرفع و النصب.

الثانى الاختلاف فى الإعراب مما يغير معناها و لا يزيل صورتها كقوله:

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ (٢) و إذ تلقونه (٣).

الثالث الاختلاف فى حروف الكلمه لا فى الاعراب مما يغير معناها و لا يزيل صورتها كقوله: كَيْفَ نُنشِزُهَا (٤) و «كيف ننشرها» بالراء و الزاى.

الرابع الاختلاف فى الحروف مما يغير الصورة دون المعنى، عكس الثالث، كقوله: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً (٥) و «إلا زقيه» (٦).

الخامس الاختلاف فى الحروف مما يزيل الصورة و المعنى نحو طَلَحَ مَنُضُودٍ (٧) و طلع (٨).

السادس الاختلاف بالتقديم و التأخير كقوله: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ (٩) و سكرة الحق بالموت (١٠).

(١) البقرة: ٢٤٥- قال الطبرى فى المجمع ج ١ ص ٢٧٢: فيه (اى فى فيضاعفه) أربع قراءات: قرأ ابو عمرو و نافع و حمزه و الكسائى بالألف و الرفع. و قرأ عاصم بالألف و النصب ...

(٢) النور: ١٥.

(٣) تلقونه بكسر اللام و ضم القاف مخففه من ولق إذا كذب راجع مجمع البيان ج ٥ ص ١٩.

(٤) البقرة: ٢٥٩ قرأ الكوفيون و ابن عامر بالزاى و الباقون بالراء- التيسير للدانى ص ٨٢.

(٥) يس: ٢٩.

(٦) قال فى المجمع ج ٥ ص ١٦: فى الشواذ قراءة ابن مسعود و عبد الرحمن بن الأسود: (إلا زقيه) من زقا الطائر يزقو و يزقى إذا صاح.

(٧) الواقعة: ٢٩.

(٨)

نقلها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٧٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قرأها على المنبر، و (طلع) بالحاء: الموز و (طلع) بالعين ما يبدو من ثمرة النخل في أول ظهورها.

(٩) ق: ١٩.

(١٠) ذكرها ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ١٤٤ عن أبي بكر و أبي بن كعب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٥

السابع الاختلاف بالزيادة و النقصان كقوله: وَ مَا عَمِلْتَهُ أُيْدِيهِمْ «١» و ما عملت أيديهم «٢».

قال في «المجمع» حكاية عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس سرهما: أن هذا الوجه أملح، لما روى عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه «٣».

أقول: لكتبتك قد سمعت تظافر أخبارنا على ردّ خبر نزوله على سبعة أحرف، و على فرضه فمقتضاه نزوله على الوجوه السبعة، و أين هذا من جواز متابعتهم في قراءاتهم المختلفة التي ستسمع اختلافها.

و منها ما يقال: من أن المراد سبع لغات من طوائف العرب كلغة هوازن، و هذيل، و قريش، و يمن، و كنانة، و تميم، و ثقيف.

كما يقال: إن «الجب» «٤» لم يكن معروفا في لغة أهل الحجاز، و إنما هو في لغة أهل الحبشة بمعنى السحر، لكنّ العرب أدخلوه في لغتهم.

قال الفيروز آبادي «٥» في «القاموس»: و نزل القرآن على سبعة أحرف، أي

(١) يس: ٣٥.

و مثل هذا القسم أيضا. حافظوا على الصلوات و الصلاة الواسطة (البقرة: ٢٣٨) و (صلاة العصر) ذكرها الطبري في «التفسير» ج ٢ ص ٣٤٨ عن مصحف أم سلمة، و عائشة، و حفصة زوجات النبي صلى الله عليه و آله و نحوه أيضا: أمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين (الكهف: ٨٠) (و كان كافرا) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ج ١٦ ص ٣ عن قتادة في حرف أبي بن كعب و مصحف ابن مسعود.

(٢) بدون الهاء كما في مصاحف أهل الكوفة، راجع الكشاف ج ٢ ص ٢٥٢.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٢٦.

(٤) النساء: ٥١.

(٥) الفيروز آبادي: أبو طاهر محمد بن يعقوب اللغوي مجد الدين الشيرازي ولد بكازرون من أعمال شيراز سنة (٧٢٩) و توفي سنة (٨١٧) - الاعلام ج ٨ ص ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٦

سبع لغات من لغة العرب، و ليس المراد أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، و إن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، و لكنّ المعنى أن هذه اللغات متفرقة في القرآن «١».

و قال ابن الأثير في «النهاية»: أراد بالحرف اللغة، يعنى على سبع لغات من لغة العرب، أي إنها متفرقة، فبعضه بلغة قريش، و بعضه بلغة هذيل، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة اليمن.

ثم نفى إرادة القراءات السبع ... إلى أن قال: و ممّا يبيّن ذلك قول ابن مسعود: إنّي قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فقرأوا كما علمتم، إنّما هو كقول أحدكم: هلّم، و تعال، و أقبل.

و فيه أقوال آخر، هذا أحسنها. انتهى.

لكن قد يقال: إنهم كانوا في مبدأ الإسلام مخيرين في أن يقرءوا بما شاؤوا منها، ثم أجمعوا على أحدها، و إجماعهم حجة، فصار انعقاد الإجماع منهم على ما أجمعوا عليه مانعا عن جواز القراءة بغيره.

أقول: و لعلّ هذا الإجماع هو الذى يدعون انعقاده فى خلافة عثمان حسبما تأتى إليه الإشارة و قد تعرّض بعض أصحابنا له على وجه الحكاية، بل صرّح به فى «المحاضرات الأوائل» نقلا- عن «الإتقان» للسيوطى، قال: أوّل من جمع القرآن عثمان، و اقتصر من سائر اللغات السبعة على لغة قريش حين اقتتل الغلمان و المعلّمون فى خلافته، كان يقول بعضهم لبعض: إنّ قراءتى خير من قراءتك فجمعهم على مصحف واحد، و جمع المصاحف التى كانت بين الناس،

(١) القاموس فى كلمة (حرف).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٧

و أحرقتها من خشية الفتنة عند الاختلاف، و حملهم على القراءة بوجه واحد، و أمر بإرسال المصاحف الى أقطار الأرض، و إن كان المشهور بين الناس أنّ عثمان هو جامع القرآن مطلقا، و ليس الأمر كذلك، بل الجامع الأوّل للصور المرتبة الباقية إلى يومنا هذا هو أبو بكر، و كان جمعه أوّلا على سبعة لغات، لأنّه كان نزل على لغات قبائل شتى من أهل الحجاز تأليفا لقلوب جميعهم حكمة بالغه منه سبحانه، فكانت كل قبيلة تتداول لغتها، و ترجّحها على غيرها، فجرى الاختلاف بذلك، فاندفع بجمع عثمان، و أمّا ترتيب القراءة على لغة خاصّة فهو لعثمان، و لهذا ينسب إليه الرّسم، فيقال: هذا رسم عثمانى، إلى آخر ما ذكره.

و منها ما يتوهم أنّ المراد بها القراءات السبع المشتهرة فى الأزمنة المتأخّرة، و هو توهم فاسد نبه على فساده كثير من الخاصّة و العامّة، حسبما تسمع إليه الإشارة، بل صرّحوا بأنّ القراءات المتداولة بينهم فى الأعصار المتقدّمة كانت أزيد من عشرين، و قد صنّفوا فيها الكتب و التصانيف، و أنّ أوّل من اقتصر على السبعة هو ابن مجاهد «١»، و قد اعترضوا عليه فى اختيار العدد و المعدود، بل حكى الإجماع عنهم فضلا عن غيرهم على فساد هذا التوهم «٢».

و منها غير ذلك من الأقوال «٣» الكثيرة عنهم على نحو أربعين قولاً، بل ربّما

(١) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، شيخ القراء أبو بكر البغدادى فاق فى عصره سائر نظائره من أهل صناعته- توفى سنة (٣٢٤هـ) و سيجى ذكره إنشاء الله تعالى- معرفة القراء للذهبي ج ١ ص ٤٦٩.

(٢) قال أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى المتوفى (٦٦٥هـ):

ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث، و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، و إنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل.- الإتقان للسيوطى ج ١ ص ١٣٨.

(٣) منها: أنّ المراد التوسعة على القارى و لم يقصد به الحصر. بل المقصود الكثرة فى الآحاد كما يراد من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٨

يقال: إنّ الخبر من المشكل الذى لا يدري معناه، لأنّ الحرف لغة يصدق على حرف الهجاء، و على الكلمة، و على المعنى، و على الجملة. «١»

لفظ السبعين و سبعمائة الكثرة فى العشرات أو المئات، و نسب هذا القول الى القاضى عياض و من تبعه.

- البيان ص ٢٠٨.

و منها: أن ذلك راجع الى بعض الآيات مثل قوله تعالى: أَفَ لَكُمْ الأنبياء: ٦٧ قرء على سبعة أوجه: النصب و الجر و الرفع بالتنوين و غيره، و سابعا الجزم- البرهان ج ١ ص ٣١٥.

(١) قاله ابو جعفر محمد بن سعدان النحوى، أحد القراء، كان يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه توفى سنة (٢٣١)- البرهان للزركشى ج ١ ص ٢١٣- ابناه الرواة ج ٣ ص ١٤٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٨٩

الفصل الثانى

فى منشأ اختلاف القراء و ادعاء التواتر و الإجماع على السبع قد سمعت أن الصحيح من روايات أهل البيت عليهم السلام أن القرآن واحد، نزل من عند واحد، و لم يكن فيه اختلاف أصلا، و أن الاختلاف من قبل الرواة، و أنه لم يكن لهؤلاء القراء و لقرائتهم ذكر فى العصر الأول.

حكى ابن طاوس فى «سعد السعود» عن محمد بن «١» بحر الرهنى الذى هو من أعظم علماء الإمامية فى بيان الاختلاف فى المصاحف قال: اتخذ عثمان سبع نسخ و أرسل إلى مكة صحفا، و إلى الشام مصحفا، و إلى الكوفة مصحفا، و إلى البصرة مصحفا، و إلى اليمن مصحفا، و إلى البحرين مصحفا، و أبقى فى المدينة مصحفا، و هذه المصاحف لخلوها عن الإعراب و النقط وقع فيها اختلافات كثيرة.

و يؤيده ما يحكى عن السيوطى فيما سماه «المطالع السعيدة» فى شرح

(١) محمد بن بحر بن سهل الرهنى أبو الحسين الشيبانى ساكن ترمشيز من أرض كرمان، له تصانيف كثيرة نحو خمسمائة مصنف، كان من أكابر الامامية فى القرن الرابع، و هو من مشايخ أبى العباس بن نوح السيرافى المتوفى (٤٠٨هـ) - طبقات أعلام الشيعة ج ١ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٠

الفريدة فى اللغة: أن أبا الأسود الدئلى أعرب مصحفا واحدا فى خلافة معاوية.

و منه يظهر أن منشأ الاختلافات إنما هو اختلاف المصاحف العثمانية و احتمالاتها.

نعم قد يفسر الحروف السبعة فى الخبر المتقدم بالقراءات السبع، بل قد غلب هذا الوهم على كثير من العامة حتى زعموا نزول القرآن على الوجوه السبعة، لكنك قد سمعت اختلافهم فى معنى الخبر على وجوه تبلغ أربعين وجها، بل صرح الفيروزآبادى و ابن الأثير كما سمعت على عدم ارادة القراءات السبع.

و قال محمد بن بحر الرهنى: إن كل واحد من القراء قبل أن يتجدد القارئ الذى بعده لا يجيز إلا قراءته، ثم لما جاء الثانى انتقل عن المنع الى الجواز و كذا فى القراءات السبعة، فاشتمل كل واحد على انكار قراءته، ثم عاد الى خلاف ما أنكره، ثم اقتصر على هؤلاء السبعة.

ذكر ابن الجزرى «١» الشافعى فى «تجسير التيسير» فى بيان السبب الباعث لتأليفه: إنى رأيت الجهل قد غلب على كثير من العوام، و شاع عند من لا علم له أنه لا قراءة إلا الذى فى هذين الكتابين، يعنى «التيسير» «٢» و «الشاطيئة» «٣» و أن

(١) هو محمد بن محمد بن على بن يوسف شمس الدين أبو النمير الدمشقى الشافعى الجزرى ولد بدمشق سنة (٧٥١) و توفى بشيراز سنة (٨٣٣هـ) مصنفات منها «تجسير التيسير» فى القراءات - هدية العارفين ج ٢ ص ١٨٧.

(٢) التيسير في القراءات السبع لأبي عمر و عثمان بن سعيد الداني المتوفى (٤٤٤).

(٣) الشاطبية قصيدة في القراءات السبع نظم في هذه القصيدة كتاب «التيسير» لأبي عمر و الداني المتقدم ذكره، و أبياتها (١١٧٣) بيتا، و ناظمهما أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير المتوفى (٥٩٠) بالقاهرة، و سماها (حز الأمانى و وجه التهاني) - كشف الظنون ج ١ ص ٦٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩١

السبعة الأحرف المشار إليها

بقوله صلى الله عليه و آله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

هي قراءات هذه السبعة القراء، و أنّ ما عدى في هذين الكتابين من القراءات شاذ لا يقرأ به، أو لا يصحّ و كلّ قول من هذه الأقوال و نحوها باطل لا يلتفت إليه، و خلف لا يعول عند علماء الإسلام عليه، كما بيّنه غير واحد من الأئمة، و أوضحه المقتدى بهم من سرة الأمة.

و قال في «النشر في القراءات العشر»: لما توفى النبي صلى الله عليه و آله و قام بالأمر أبو بكر، و قاتل الصحابة أهل الردّة و أصحاب مسيلمة، و قتل من الصحابة نحو خمسمائة صحابي، أشير على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة، فتوقف في ذلك من حيث إنّ النبي صلى الله عليه و آله لم يأمر في ذلك بشيء، ثمّ اجتمع رأيه و رأى الصحابة على ذلك، فأمر زيد بن ثابت بتبّع القرآن و جمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر حتى توفى ثمّ عند عمر حتى توفى، ثمّ عند حفصة، و لمّا كان في نحو ثلاثين من الهجرة، في خلافة عثمان حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية، و آذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن و يقول أحدهما للآخر: قراءتى أصحّ من قراءتك فأفرعه ذلك، و قدم على عثمان و قال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها، ثمّ نردّها إليك، فأرسلتها إليه.

فأمر زيد بن ثابت و عبد الله «١» بن الزبير، و سعيد «٢» بن العاص، و عبد الرحمن «٣» بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، و قال: إذا اختلفتم أنتم و زيد في

(١) عبد الله بن الزبير بين العوامّ المقتول بمكة (٧٣).

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد الأموى المتوفى (٥٩) - الأعلام ج ٣ / ١٤٩.

(٣) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني المتوفى (٤٣) - الأعلام ج ٤ ص ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٢

شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدّة مصاحف، و وجهها إلى الأمصار.

إلى أن قال: و اجتمعت الأمة المعصومة من الخطاء على ما تضمّنته هذه المصاحف.

ثمّ قال: و قرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم و تلقّوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقّوه عن رسول الله صلى الله عليه و آله.

ثمّ ذكر القراء الذين تلقّوه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و ذكر نحو أربعين قارئاً غير القراء العشر المشهورين.

الى أن قال: تجرّد قوم للقراءة و الأخذ، و اعتنوا بضبط القراءة أتمّ عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يهتدى بهم، و يرحل إليهم و يؤخذ عنهم، قد أجمع أهل بلدهم على تلقّي قراءتهم بالقبول و لم يختلف عليهم فيها اثنان، و لتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم.

ثمّ ذكر عشرين قارئاً منهم العشرة المشهورون، و زاد عليهم: شيبه بن «١» نصاح، و حميد بن «٢» قيس الأعرج، و محمد بن «٣» محيصن، و يحيى بن «٤» وثاب،

(١) هو شيبه بن نصاح بن سرجس المدني المقرئ مولى أم سلمة رضي الله عنها و كان من شيوخ نافع، توفي سنة (١٣٠ هـ).

(٢) حميد بن قيس الأعرج المقرئ المكي المتوفى (١٣٠ هـ).

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن السهمي ابن محيصة المكي كان من المقرئين بالشواذ المقبولة في مصطلحهم، توفي سنة (١٢٣ هـ).

(٤) يحيى بن وثاب الأسدي المقرئ الكوفي المتوفى (١٠٣ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٣

و سليمان «١» الأعمش، و إسماعيل بن «٢» عبد الله المخزومي و عطية «٣» بن قيس الكلبي، و إسماعيل «٤» بن عبيد الله بن أبي المهاجر، و يحيى بن الحادث الذمري «٥»، و شريح بن «٦» يزيد الحضرمي.

ثم قال: إنَّ القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا و تفرّقوا في البلاد و انتشروا، و خلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم و اختلفت صفاتهم، منهم المتقن للتلاوة، المشهور بالرواية و الدراية، و منهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، و كثير بينهم لذلك الاختلاف، و قلّ الضبط و اتسع الخرق، و كاد الباطل يلتبس بالحقّ، فقام جهابذة علماء الأمة، و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، و جمعوا الحروف و القراءات، و ميّزوا بين المشهور و الشاذّ، و الصحيح و النادر بأصول أصيّلوها، و أركان قد فصّلوها، و ها نحن نشير إليها، و نعول كما عولوا عليها، فنقول: كلّ قراءة وافقت العربية و لو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانيّة و لو احتمالا، و صحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، و لا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن و وجب على الناس قبولها، سواء أ كانت من السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة

(١) سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكوفي المعروف بالأعمش، المتوفى (١٤٨).

(٢) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين أبو إسحاق المخزومي المكي المقرئ كان شيخ محمد بن إدريس الشافعي في القراءة توفي سنة (١٧٠ هـ).

(٣) هو عطية بن قيس أبو يحيى الكلبي الحمصي الدمشقي التابعي القاري توفي سنة (١٢١) و قد جاوز المائة سنة - غاية النهاية ج ١ ص ٥١٣.

(٤) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الدمشقي المتوفى (١٣٢ هـ) - تاريخ الاعلام ص ٣٧٦.

(٥) يحيى بن الحارث بن عمرو الذمري الدمشقي المقرئ المتوفى (١٤٥) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٦٧.

(٦) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المقرئ المتوفى (٢٠٣) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٤

المقبولين، و متى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء أ كانت عن السبعة، أو عن من هو أكبر منهم.

هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف «١».

ثم حكاه عن جماعة «٢» من العامة، و حكى عن أبي شامة في كتابه «المرشد الوجيز» أنه لا ينبغي أن يغتر بكلّ قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة، و يطلق عليها لفظ الصحة، و أنّ هكذا أنزلت إلّا إذا دخلت في ذلك الضابط، و حينئذ لا يتفرّد بنقلها مصنف عن غيره، و لا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإنّ الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من نسبت إليه، غير أنّ هؤلاء السبعة لشهرتهم و كثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم «٣».

إلى أن قال بعد كلام طويل: قال الإمام أبو محمد بن مكي في مصنفه أحقه بكتابه «الكشف»: فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من

القرآن الآن فيقرأ به، و ما الذى لا يقبل ولا يقرء به؟ فالجواب أن جميع ما روى فى القرآن على ثلاثة أقسام: الأول ما يقبل و يقرأ به، و ذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال: أن ينقل عن الثقات عن النبى صلى الله عليه و آله و يكون فى العريئة الذى نزل به القرآن سائغا، و يكون موافقا لخط المصحف.

(١) النشر لابن الجزرى ج ١ ص ٩.

(٢) حكاة عن عثمان بن سعيد الدانى، و ابى محمد مكى بن ابى طالب، و أحمد بن عمّار المهودى.

(٣) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٥

الثانى ما صحّ نقله عن الآحاد، و صحّ وجهه فى العريئة، و خالف لفظ خط المصحف، فهذا يقبل و لا يقرأ لعلتين: أحدهما أنه لا يثبت القرآن بخبر الواحد، و الاخرى أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على صحّته، و لا يجوز القراءة به، و لا يكفر من جحده. و الثالث ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة و لا وجه له فى العريئة، فهذا لا يقبل و لا يقرأ و إن وافق خط المصحف. إلى أن قال: و أمّا هل القراءات التى يقرأ بها اليوم فى الأمصار جميع الأحرف السبعة، أم بعضها؟ فهذه المسئلة مبيّنة على الفصل المتقدّم، فإنّ من عنده لا يجوز للائمة ترك شىء من الأحرف السبعة يدعى أنها مستمرة النقل بالتواتر الى اليوم، و إلّا تكون الائمة جميعها عصاة مخطئين فى ترك ما تركوا منه، كيف و هم معصومون من ذلك.

و أنت ترى ما فى هذا القول، لأنّ القراءات المشهورة اليوم من السبعة أو العشرة، أو الثلاثة عشرة بالنسبة الى ما كان قلّ من كثير، و نزر من بحر، فإنّ من له اطلاع على ذلك يعرف أنّ القراء الذين أخذوا عن الائمة المتقدّمين كثير، و الذين أخذوا عنهم أيضا أكثر، و هلمّ جزاء، فلمّا كانت المائة الثالثة، و اتسع الخرق، و قلّ الضبط، و كان علم الكتاب و السنّة أوفر ما كان فى ذلك العصر، تصدّى بعض الائمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أولّ إمام جمع القراءات فى كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى (٢٢٤)، و جعلهم فيما أحسبه خمسة و عشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة «١».

(١) النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٦

و كان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفى نزيل أنطاكية، جمع كتابا فى القراءات الخمسة من كلّ مصر واحدا، و توفى سنة (٢٥٨) هـ.

و كان بعده القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى، صاحب قالون، ألف كتابا فى القراءات، و جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم هؤلاء السبعة، توفى سنة (٢٨٢) هـ.

و كان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، جمع كتابا كافلا سمّاه «الجامع»، فيه نيف و عشرون قراءة، توفى سنة (٣١٠) هـ. و كان فى اثره أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجونى المتوفى (٣٢٤) هـ، جمع كتابا فى القراءات و أدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة. و كان فى اثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، إمام القراء فى عصره، و هو أول من اقتصر على قراءة هؤلاء السبعة فقط، توفى سنة (٣٢٤) هـ.

و قام الناس فى مصره و بعده و ألفوا فى القراءات أنواع التأليفات المشتملة على القراءات العشر، و الأكثر منها أو الأقل. إلى أن قال بعد الإطناب الذى حذفناه للاختصار: و لا زال الناس يؤلّفون فى كثير القراءات و قليلها، يروون شاذّها و صحيحها بحسب ما وصل إليهم، أو صحّ لديهم، و لا ينكر أحد عليهم، بل هم فى ذلك متّبعون سبيل السلف حيث قالوا: القراءة سنّة متّبعة يأخذها

الآخر عن الأول، و ما علمنا أحدا أنكر شيئا قرأ به الآخر إلا ما قدمنا عن ابن «١» شنبوذ لكونه خرج عن المصحف العثماني،

(١) هو: محمد بن احمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ المقرئ البغدادي المتوفى (٣٢٨) - غاية النهاية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٧

و للناس في ذلك خلاف كما قدمناه و لذا ما أنكر على ابن «١» مقسم من كونه أجاز القراءة بما يوافق المصحف من غير أثر. أما من قرأ «الكامل» «٢» للهدلي، أو «سوق العروس» «٣» للطبري أو «الإقناع» «٤» للأهوازي، أو «كفاية» «٥» أبي العز، أو «المبهبج» «٦» لسبط الخياط، أو «الروضة» «٧» للمالكي، و نحو ذلك. على ما فيها من ضعيف و شاذ عن السبعة و العشرة، و غيرهم، فلا نعلم أحدا أنكر ذلك، و لا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة «٨».

بل ما زالت علماء الأمة، و قضاة المسلمين يكتبون خطوطهم، و يثبتون شهادتهم في إجازاتنا بمثل هذه الكتب و القراءات.

ج ٢ / ٥٢.

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم البغدادي المتوفى (٣٥٤) - غاية النهاية ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم يوسف بن علي بن عبادة المعدلي المغربي المتوفى (٤٦٥) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٨١.

(٣) سوق العروس في القراءات لأبي معشر الطبري عبد الكريم بن عبد الصمد المتوفى (٤٧٨).

(٤) الإقناع في القراءات الشاذة لأبي علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ المتوفى (٤٤٦) - كشف الظنون ج ١ ص ١٤٠.

(٥) كفاية المبتدى و تذكرة المنتهى في القراءات العشر لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي المتوفى (٥٢١هـ) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٠٠.

(٦) المبهبج في القراءات لعبد الله بن علي البغدادي المعروف بسبط الخياط توفي سنة (٥٤١هـ) - كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٨٢.

(٧) الروضة في القراءات السبع لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المقرئ البغدادي المالكي المتوفى (٤٣٨هـ) - كشف الظنون ج ١ ص ٩٣١.

(٨) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٨

ثم قال: و إنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، و أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه و آله هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في «الشاطبية» و «التيسير»، و أنها هي المشار إليها

بقوله صلى الله عليه و آله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذًا، و ربما كان كثير مما لم يكن في «الشاطبية» و «التيسير» عن غير هؤلاء أصح من كثير مما فيهما، و إنما أوقع هؤلاء في الشبهة أنهم سمعوا نزول القرآن على سبعة أحرف، و يسمعون قراءات السبعة، فظنوا أن هذه هي المشار إليها، و لذلك كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، و قالوا: لماذا اقتصر على هذا العدد «١».

ثم أطال الكلام الى أن قال: و كان من جواب الشيخ الإمام مجتهد العصر أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية «٢»: لا- نزاع بين العلماء أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه و آله: أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة

المشهوره، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد، فيكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، وأن هؤلاء السبعة هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم، ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء: لو لا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة، وإمام قراء البصرة في

(١) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٦.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني الدمشقي الحنبلي أبو العباس المتوفى سنة (٧٢٨هـ) - الأعلام ج ١ ص ١٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٢٩٩

زمانه في رأس المأتين.

ثم قال ابن تيمية: و لذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف و الأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أعصار المسلمين، بل من تثبت عنده قراءة حمزة و الكسائي فله أن يقرأ بها، بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع و الخلاف، بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان «١» بن عيينة، و أحمد بن «٢» حنبل، و بشر «٣» بن الحارث، و غيرهم يختارون قراءة أبي جعفر ابن القعقاع، و شيبه بن نصح المدنيين، و قراءة البصريين لشيخ يعقوب و غيرهم على قراءة حمزة و الكسائي.

ثم أطال الكلام في ذلك و النقل عن جماعة من العلماء بمثل هذا القول، و انكار الاختصار على السبع، و أن وجه الاختصار على السبعة إنما هو لقصور الهمم، و نقص العلم، و أنه إنما اقتصر على قراءة العشر لذلك، و إلا فهي غير محصورة فيهم، إلى آخر ما ذكر. و إنما أطلت الكلام بنقله للتنبية على مبدأ الأمر و نهايته حسبما صرحوا به مضافا إلى سرائه ذلك التوهم إلى أذهان جملة من الأعيان حسبما تسمع، و لعله إلى ذلك أشار الشهيد في بحث المهور من «المسالك» بعد خبر الأحرف السبعة:

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي، ولد بالكوفة سنة (١٠٧)، و توفي بمكة سنة (١٩٨) - الأعلام ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد سنة (١٦٤) و توفي سنة (٢٤١) له مصنفات منها «المسند» ستة مجلدات تحتوي على ثلاثين الف حديث - الأعلام ج ١ ص ١٩٢.

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي المتوفى (٢٢٧) هـ - التقريب ج ١ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ص ٣٤٩

أنه قد فسرها بعضهم بالقراءات السبعة، و ليس بجيد، لأن القراءات المتواترة لا تنحصر في السبعة، بل و لا في العشرة كما حقق في محلّه، و اقتصر على السبعة تبعاً لابن مجاهد، حيث اقتصر عليها تبرّكا بالحديث، و في أخبار: أن السبعة ليست هي القراءات، بل أنواع التركيب من الأمر، و النهي، و القصص، و غيرها، انتهى.

إلا أن فيه: أن دعوى التواتر في شيء منها فضلا عن جميعها ليست في محلّها، و إن سبقه فيها بل لحقه عليها كثير من الفريقين، بل ذكر والدي العلامة أعلى الله مقامه في «شرح الشرايع»: أن المشهور بين المتأخرين من الطائفة تواتر القراءات السبع، و قد استفاض عليه حكاية الشهرة عن الأجلّة، و ممن ذهب إليه الفاضل «١» في «التذكرة» كما عن «المنتهى» و «النهاية»، و المحقق الثاني «٢» في «جامع المقاصد» «٣» و الشهيد «٤» في «الروض» و «المقاصد العلية» فقالوا: إن الكلّ نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين تخفيفاً على الأمة، و تهوينا على هذه الملة، استنادا إلى ما

رواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف»

، مدعياً تواتر ذلك منه، الى آخر ما ذكره عطر الله مرقد.

و ذكر في «المدارك» بعد حكاية الإجماع عن جمع من الأصحاب على تواتر القراءات السبع: أنه نقل جدى قدس سره عن بعض محققى القراء أنه أفرد كتاباً في أسماء الرجال الذين نقلوا هذه القراءات فى كل طبقة، و هم يزيدون عمّا

(١) هو العلامة الحلّى الحسن بن يوسف المتوفى (٧٢٦هـ).

(٢) هو على بن الحسين بن عبد العلى، الكركى المتوفى (٩٤٠هـ).

(٣) جامع المقاصد ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) المراد به هو الشهيد الثانى زين الدين بن على العاملى الشهيد فى سنة (٩٦٦هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠١

يعتبر فى التواتر «١».

قال: ثم إنه حكى عن جماعة من القراء أنهم قالوا: ليس المراد بتواتر السبع والعشر أن كل ما ورد من هذه القراءات متواترة، بل المراد انحصار التواتر الآن فيما نقل من هذه القراءات، فإن بعض ما نقل عن السبعة شاذ، فضلاً عن غيرهم، و هو مشكل جداً، لأن المتواتر لا يشبه كما يشهد به الوجدان. انتهى «٢».

وقال الفاضل فى «التذكرة» يجب أن يقرأ بالمتواتر من القراءات، و هى السبعة، و لا يجوز أن يقرأ بالشواذ، و لا بالعشرة «٣».

وفى «الذكري»: يجوز القراءة بالمتواتر، و لا- يجوز بالشواذ، و منع بعض الأصحاب من قراءة أبى جعفر، و يعقوب، و خلف، و هى كمال العشرة، و الأصح جوازها لثبوت تواترها كثبوت تواتر القراءات السبعة «٤».

بل عن «جامع المقاصد» «٥»، و «الغروية»، و «الروض» الإجماع على تواتر السبع، كما عن «مجمع البرهان» نفى الخلاف فيه.

بل قد يؤيد وصفها بالتواتر بالتتابع فى الكتب الأصولية و الفقهية، و بما فى «وافية الأصول» للفاضل التونى «٦» من إجماع قدماء العامة، و من تكلم فى المقام

(١) روض الجنان: ٢٦٤.

(٢) مدارك الأحكام ج ٣ ص ٣٣٨.

(٣) التذكرة ج ١ ص ١١٥.

(٤) الذكري: ١٨٧.

(٥) جامع المقاصد ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) الروض: ص ٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٢

من الشيعة عليه «١».

بل عن الفاضل فى «نهاية الأصول» الاستدلال على تواترها بأنها لو لم تكن متواترة لم تجز قراءة شىء كملك و مالك، و أشباههما، و التالى باطل فالمقدم مثله، دليل الشرطية أنهما وردا عن القراء السبعة، و ليس تواتر أحدهما أولى من تواتر الآخر، فإمّا أن يكونا متواترين و هو المطلوب، أو لا يكون شىء منهما بمتواتر و هو باطل، و إلّا يخرج عن كونه قرآناً، هذا خلف «٢».

وفى «زبدة» شيخنا البهائى: و السبع متواترة إن كانت جوهرية، كملك، و مالك، و أمّا الأدائية كالمد و الإمالة فلا.

و ذكر الشارح الفاضل المازندرانى «٣» فى تعليل الأول: أن كلّاً من القراءتين قرآن فلا بدّ أن يكون متواتراً، و إلّا لزم أن يكون بعض

القرآن غير متواتر، و هو باطل، و كأنه أشار به الى ما حَقَّقوه في موضع آخر من أنه لا- بدّ أن يكون القرآن متواترا، و أن ما ليس بمتواتر فليس بقرآن، نظرا إلى توفّر الدواعي على نقله للمقرين باعجاز الخصم و قهره، و للمنكرين بإرادة التحدى لإبطال كونه معجزا، و لأنّه أصل لجميع الأحكام علميّا كان أو عمليّا، و كلّما كان كذلك فالعادة تقضى بالتواتر في تفاصيله من أجزاءه، و ألفاظه، و حر كاته، و سكناته.

بل ذكر الفاضل في «نهايته»: أن النبي صَلَّى الله عليه و آله كان مكلفا بإشاعة ما نزل عليه من القرآن الى عدد التواتر لتحصيل القطع بنبوته.

(١) الوافية للفاضل التوني ص ١٤٨ الباب الثالث في الادلة الشرعية.

(٢) هو بهاء الملة و الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الاصبهاني المتوفى (١٠٣١ هـ).

(٣) هو محمد صالح بن احمد المازندراني صهر المجلسي الأول، توفى سنة (١٠٨١ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٣

بل ذكر في جواب سؤال أورده على نفسه: أن الإجماع دلّ على وجوب إلقاءه على عدد التواتر، لئلا تنقطع المعجزة الدالة على صدق نبوته.

إلى أن قال: و أما اختلاف المصاحف فكلّ ما هو من الآحاد فليس بقرآن، و ما هو متواتر فهو القرآن.

الى غير ذلك من مختلفات كلماتهم التي ربما يظنّ منها اتّفاقهم على تواتره كما زعموه.

لكتيك خبير بأنّ ما ذكره في هذا الباب ممّا سمعت و ما لم تسمع كلّها قاصرة عن إفادة ذلك، نعم قام الإجماع بل الضرورة على عدم الزيادة في القرآن، فالمشترك بين القراءات السبع، بل و بين غيرها أيضا قرآن قطعا، و أما خصوص ما تفرّد به كلّ واحد من القراء السبعة أو العشرة من حيث تلك الخصوصية لا من حيث المادّة الجامعة فلم يجمع و لا ضرورة على كونه بتلك القراءة الخاصّة قرآنا، كيف و قد سمعت أن المستفاد من الأخبار أنه واحد، نزل من عند إله واحد، بل قد سمعت سبب الاختلاف في ذلك، و أن كلّ ما اختلفوا فيه أو خصوص السبعة ليس ممّا نزل به جبرئيل، و لا ممّا قرأ النبي صَلَّى الله عليه و آله، و لا ممّا أقرّه.

بل كيف يكون الأغلط العثمانيّة في المصاحف السبعة و اختلاف الناس في قراءة كلّ منها، حيث إنّها كانت عارية من النقط و الإعراب أصلا في إثبات القرآن النازل من السماء.

هذا مضافا الى استفاضة الأخبار بل تواترها على مخالفة قراءة الأئمّة القراءات المشهورة، بل كتب القراءة و التفسير مشحونة من قولهم:

قرأ حفص كذا، و عاصم كذا، و حمزة كذا، و عليّ بن أبي طالب عليه السلام كذا، و في كثير منها: و في

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٤

قراءة أهل البيت كذا، و ربما ينسبونها الى واحد منهم عليهم السّلام فجعلوا قراءتهم قسيما لقراءة أهل بيت الوحي و التنزيل، بل كثيرا ما صدر ذلك من الخاصّة، و أخبارهم به متظافرة.

قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» حكاية عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي «١» في كتابه المسمّى ب «نقض العثمانيّة» في جملة كلام له في الإمامة:

و قد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا- أو دينا لهوى، فيحملون الناس على ذلك حتّى لا يعرفوا غيره كنحو ما أخذ الناس الحجاج «٢» بن يوسف الثقفي بقراءة عثمان، و ترك قراءة ابن مسعود، و أبي بن كعب، و توعّد على ذلك، سوى ما صنع هو و جبابرة بني أمية، و طغاة بني مروان بولد عليّ عليه السّلام و شيعته، و إنّما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتّى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، و نشأ أبناؤهم، و لا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، و كفّ المعلمين عن تعليمها، حتّى لو قرأت قراءة عبد

الله، و أبى ما عرفوها، و لظنوا بتأليفها الاستكراه و الاستهجان، لإلف العادة، و طول الجهالة، لأنه إذا استولت على الرعية الغلبة، و طالت عليهم أيام التسلط، و شاعت فيهم المخافة، و شملتهم التقية، اتفقوا على التخاذل و التساكت، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، و تنقص من ضمائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة. و أما دعوى الإجماع و الضرورة على تواتر السبعة أو العشرة فغير مسموعة لعدم تحقق شيء من الأمرين، و المحكى منهما غير مجد، سيما بعد

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلى الإسكافى البغدادى المتوفى (٢٤٠) - تذكروا الحفاظ ج ٢ / ٧١.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفى الطائفى الهالك (٩٥) - العبر ج ١ ص ١١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٥

الخبرة التامة بحقيقته الأمر، و توفر الأمارات على انتهاء ذلك الى خط عثمان، و ضبط زيد بن ثابت. على أنه إن أريد التواتر على المشترك بين الجميع فمسلم، و إن أريد التواتر على خصوص كل منها فأول الكلام، لعدم تحقق ما هو شرط فيه قطعا من الأخبار و العدد فى كل طبقة من الطبقات، بل لعله يسرى الإشكال فى الأول أيضا و إن كان الحكم مقطوعا فيه. ثم إن أريد بالتواتر تواتر النقل عن السبعة أو العشرة فهو على فرضه غير مجد، أو عن النبى صلى الله عليه و آله فلا يحصل بذلك العدد، سيما مع الانتهاء الى الواحد الذى حاله معلوم، مع أن المدعى إثبات التواتر على كل من السبعة. و مما مرّ ظهر ضعف ما ادّعه الصالح المازندراني فى «شرح الزبده» من أن التواتر قد يحصل بسبعة نفر، إذ لا يتوقف على حصول عدد معين، بل المعتبر فيه حصول اليقين، و أن القارئ لكل واحد من القراءت السبع كانوا بالغين حدّ التواتر، إلا أنهم أسندوا كل واحدة منها الى واحد منهم إما لتجرده بهذه القراءة، أو لكثرة مباشرته لها، ثم أسندوا الرواية عن كل واحد منهم الى اثنين لتجردهما لروايتها و عدم تجرد غيرهما.

إذ فيه المنع من حصول اليقين بنقلهم سيما مع مخالفة المذهب مع هن و هن، مع أن الكلام ليس فى المشترك بل فى الخصوص، و بلوغ القارئ لكل واحدة منها حدّ التواتر أول الكلام، هذا كله مضافا إلى ما أورده الرازى عليهم من أنه إذا كانت تلك القراءت متواترة، و خير الله المكلفين بينها فترجيح بعضها على بعض موجب للفسق، مع أنك ترى أن كل واحد من هؤلاء القراء مختص بنوع من القراءة، و يحمل الناس عليه و يمنعهم عن غيره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٦

و لعله لذلك ذكر الشهيد الثانى: أنه ليس المراد تواترها، بل المراد انحصار المتواتر فيما نقل الى الآن من القراءت، فإن بعض ما نقل عن السبعة شاذ، فضلا عن غيرهم، كما حققه جماعة من أهل هذا الشأن.

قلت: و لعل مراده به هو الضابط المتقدم المذكور فى كلام ابن الجزرى، و غيره المشتمل على الأمور الثلاثة التي هى موافقة إحدى المصاحف العثمانية و لو احتمالا، و العربية، و صحّة السند، و إليه أشار ابن الجزرى فى «طبية النشر» بقوله:

و كل ما وافق وجه نحوو كان للرسم احتمالا يحوى

و صحّ اسنادا هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

و حيثما يختل ركن أثبت شدوده لو أنه للسبعة

و هو كما ترى سيما مع منافاته لما ادّعه من تواتر السبعة بخصوصها.

و أما ما حكاه فى «المدارك» عن جدّه عن بعض محققى القراء أنه أفرد كتابا فى ذلك، فلعمري إن الحكاية لا يثبت بها تواتر الرواية، و إنما هو بالنسبة إلينا بل إليه أيضا خبر واحد، فمن الغريب الركون الى مثله فى دعوى التواتر، فضلا عن دعوى تواتر الثلاثة كمال

العشرة كما سمعت عن «الذكري».

و أغرب منه ما في «جامع المقاصد» حيث قال: وقد اتفقوا على تواتر السبع.

و في الثلاث الاخر التي تكمل بها العشرة، و هي قراءة أبي جعفر،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٧

و يعقوب، و خلف تردّد، نظرا الى الاختلاف في تواترها «١»، و قد شهد شيخنا في «الذكري» بثبوت تواترها، و لا يقصر من ثبوت

الإجماع بخبر الواحد، فحينئذ تجوز القراءة بها، و ما عداها شاذّ... إلخ «٢».

إذ في كلّ من المقيس و المقيس عليه نظر واضح، على أنّه لا- يثبت به التواتر، و لعلّه لهذه الجهة و غيرها أنكر كثير من المتأخرين

تواتر السبعة، فضلا عن غيرها، و نسبة في «القوانين» إلى جماعة من أصحابنا، و قد بالغ الفاضل الجليل السيّد «٣» نعمه الله في ذلك، و

حكاه عن السيّد الأجلّ على بن طاووس في مواضع من كتاب «سعد السعود» و غيره، و عن صاحب «الكشاف» عند تفسير قوله تعالى:

وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ «٤»، و عن نجم الأئمة الرضى «٥» في موضعين من «شرح الرسالة» أحدهما

عند قول ابن الحاجب «٦»: و إذا عطف على الضمير المجرور أعيد الخافض.

أقول: لم أظفر به «٧» فيما عندي من نسخة «الكشاف».

(١) جامع المقاصد ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) الذكري: ١٨٧.

(٣) السيّد نعمه الله بن عبد الله الجزائري الأديب المدرّس الفقيه الإمامي ولد سنه (١٠٥٠) و توفي سنة (١١١٢ هـ) - الاعلام ج ٩ ص

١١.

(٤) الانعام: ١٣٧.

(٥) محمّد بن الحسن رضى نجم الدين الأسترابادي المتوفى نحو (٦٨٦ هـ) - الاعلام ج ٦ ص ٣١٧.

(٦) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس النحوى الفقيه المالكي ابن الحاجب ولد في أسنا من صغير مصر سنة (٥٧٠) و مات

بالإسكندرية سنة (٦٤٦) - الاعلام ج ٤ ص ٣٧٤.

(٧) كلام الزمخشري في الطعن على ابن عامر موجود في الكشاف ج ٢ ص ٥٤ في ذيل الآية (١٣٧) من سورة الانعام، راجع المطبوع.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٨

نعم قال شيخنا «١» البهائي في «الكشكول»: طعن الزمخشري في قراءة ابن عامر: وَكَذَلِكَ زَيْنٌ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ، و قد شنع عليه

كثير من الناس.

قال الكواشي «٢»: كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظورا، و أنّه غير ثقة، لأنّه يأخذ القرائة من المصحف، لا- من

المشايخ، و مع ذلك أسندها إلى النبي صلّى الله عليه و آله، و ليس الطعن في ابن عامر طعنا فيه فقط، بل هو طعن أيضا في علماء

الأمصار، حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، و في الفقهاء حيث لم ينكروا عليهم، و إنّهم يقرءونها في محاربيهم، و الله أكرم من

أن يجمعهم على الخطاء.

و قال أبو حيان «٣»: أعجب لعجمي ضعيف في النحو يردّ على عربيّ صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في كلام العرب في

غير بيت- و أعجب سواء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيّرهم هذه الأئمة لنقل كتاب الله تعالى شرقا و غربا، و قد اعتمد

المسلمون على نقلهم، لضبطهم و معرفتهم و ديانتهم «٤».

و قال المحقق «٥» التفتازاني: هذا أشدّ الجرم، حيث طعن في اسناد القراء السبعة و رواياتهم، و زعم أنّهم إنّما يقرءون من عند أنفسهم،

و هذه عادته يطعن

(١) بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد من أكابر الامامية و رئيس علماء عصره ولد في بعلبك سنة (٩٥٣) و توفي بأصفهان سنة (١٠٣١ هـ) و دفن بطوس - الاعلام ج ٦ ص ٣٣٤.

(٢) أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلي المفسر الفقيه الشافعي المتوفى (٦٠٨) - الاعلام ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) أبو حيان التحوي: محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الحياتي، ولد في غرناطة سنة (٦٥٤) و توفي بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ) - الاعلام ج ٨ ص ٢٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن للآلوسى نقلا عن أبي حيان ج ٨ ص ٢٩.

(٥) هو مسعود بن عمر التفتازاني الأديب المنطقي ولد سنة (٧١٢) و توفي سنة (٧٩٣ هـ) - الاعلام ج ٨ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٠٩

في تواتر القراءات خطأ، و كذا الروايات عنهم.

و قال ابن المنير «١»: تبرأ الى الله، و تبرء حمله كلامه عمّار ما هم به، فقد ركب عيياء و تخيل القراءة اجتهادا و اختيارا، لا نقلا و اسنادا، و نحن نعلم أنّ هذه القراءة قرأها النبي صلى الله عليه و آله على جبرئيل كما أنزلها عليه، و بلغت إلينا بالتواتر عنه، فالوجه السبعة متواترة اجمالا - و تفصيلا، فلا - مبالاة بقول الزمخشري و أمثاله، و لو لا عذر أنّ المنكر ليس من أهل علمي القراءة و الأصول لخيف عليه الخروج عن ربة الإسلام، و مع ذلك فهو في وهذه خطرة، و زلة منكرو «٢».

و لا - يخفى أنّ كلام أبي حيان، و التفتازاني، و ابن المنير، و نظرائهم ناشئ من مجرّد التقليد و العصبية، و حسن الظنّ باختيار الأمة و الاعتماد على المتّسمين باسم الإسلام، و متابعة السلف الصالح، حتّى كادوا يسطون بالذين يتكلمون بشيء من الحقّ و ينسبونه الى الخطأ و الجهالة، بل الخروج عن الدين، فكيف يجترئ أحد أن يتفوه بالحقّ بعد ظهوره في مثل هذا الأمر الذي يسهل الخطب فيه، فضلا عن غيره من الحقائق.

و بالجملة فقد ظهر أنّ دعوى التواتر في شيء ممّا اختلفوا فيه ضعيفة جدا، و أضعف منها دعوى تواتر الجميع، و ستمع من الطوسي و الطبرسي، و غيرهما أنّ المعروف الظاهر من مذهب الامامية، و الشائع في أخبارهم و آثارهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد، و قد مرّت الأخبار الدالة على ذلك، و أنّ الاختلاف إنّما جاء من قبل الزواة، لا استنادا الى رواياتهم، بل الى استحساناتهم

(١) ابن المنير: عبد الواحد بن منصور الإسكندري المالكي المفسر ولد سنة (٦٥١) و توفي سنة (٧٣٣ هـ) - الاعلام ج ٤ ص ٣٢٧.

(٢) الكشكول ج ١ ص ٤٧ - ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٠

و اجتهاداتهم حسبما يؤدّي إليه أنظارهم، و لذا قيل: إنّ كان أحدهم إذا برع و تمهّر شرع للناس طريقا في القراءة لا يعرف إلّا من قبله، بحيث لم يكن قبله معهودا أصلا، كما يشهد به تتبع كتب القراءة، و ما أبدعوه من الصفات، و الآداب، و الوظائف التي يمكن تحصيل القطع بعدم كونه معهودا في زمن النبي صلى الله عليه و آله أصلا، و هذا فيما يتعلّق بالهيئة، و أمّا المادّة فقد سمعت أنّ منشأ الاختلاف فيها الأغلاط العثمانية، و خلوّ مصاحفه عن الإعراب و النقط، على أنّه لو كانت الطريقة المسلوكة لهم هو التواتر لا اشتراك الكلّ في الكلّ على فرض التعدّد، و لم يختصّ كلّ واحد منهم بواحدة مظهرها للحثّ الأكيد، و التعصّب الشديد على تعيينها، سيّما مع تقارب أزمته و تمكّن كلّ منهم عن الاطلاع بما وصل إلى الآخر ممّا يقتضى التواتر، و كيف اطلع من بعدهم عليه و لم يطلع كلّ منهم بما تواتر للآخر، مع قرب المأخذ و اتّحاد الفنّ، و من المستبعد جدّا تواتر موادّ الكلمات و هيئتها من الحركات و السكّنات، و

غيرها، و عدم تواتر كون البسملة و المعوذتين من القرآن لوقوع الخلاف فيه عندهم على أقوال مرّت إليها الإشارة، الى غير ذلك مما يقضى بكون قراءتهم مذاهب لهم، لا أنّهم قد تواتر إليهم ذلك.

بل يدلّ عليه أيضا ما استدلووا به في بعض التفاسير و كتب القراءة لترجيح بعض القراءات على بعض ما من مناسبة اللّغة، و كثرة الأشباه و النظائر، و موافقة المعنى و غيرها من الوجوه الاجتهادية التي لا ينبغي الإصغاء إليها، حسبما تصدّى لحكاية جملة منها في «مجمع البيان» و غيره.

و يؤمى إليه ما ذكره في أحوال بعض القراء و تابعيهم من قولهم: له قراءة، أو له اختيار.

مع أنّه اختلفت الرواية عن كلّ واحد من هؤلاء القراء أيضا، بل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١١

الاختلافات المحكية عنهم كثير بعدد روايتهم، و إن اقتصر في «التيشير» لكلّ منهم على راويين، و تبعه من تأخر عنه.

ثم إن كان البناء على مجرّد الرواية فما الداعي الى عدم الانتهاء الى النبي صلّى الله عليه و آله، أو الى الخلفاء، أو أحد الصّحابة، مع أنّ هؤلاء القراء لم يأخذوا منهم إلّا بوسائط، فالأولى عدّهم بالنسبة إلينا من الوسائط.

ولذا قال في «التيشير»: إنّ هؤلاء على طبقات ثلاث:

منهم من هو في الطبقة الثانية من التابعين، و هما اثنان: ابن كثير، و ابن عامر، و منهم من هو في الطبقة الثالثة، و هما اثنان أيضا: نافع، و عاصم، و منهم من هو في الطبقة الرابعة، و هم ثلاثة: أبو عمرو، و حمزة، و الكسائي.

ينبغي التنبيه على أمرين:

الأول: أنّا معشر الامامية و إن لم نحكم بصحّة خصوص كلّ من القراءات السبع، بل العشر أيضا، فضلا عن غيرها بمعنى مطابقتها كلّ منها للمنزل على النبي صلّى الله عليه و آله، أو الإذن العام الشمولي الأوّلي للجميع، إلّا أنّه لما عمّت البلية و خفى الحقّ، و قامت الفتنة على قطبها، و ارتدّ الناس على أعقابهم القهقري، و تركوا وصيّة سيّد الورى في التمسك بالثقلين أمرنا أن نقرأ القرآن كما يقرأه الناس.

كما

روى عن الصادق عليه السّلام: «كفّ عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فاذا قام القائم قرأ كتاب الله على حدّه ... إلخ» (١).

قال الشيخ في «البيان» فيما حكى منه: إنّ المعروف من مذهب الامامية أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبيّ واحد، غير أنّهم اجمعوا على جواز القراءة

(١) الوسائل ج ٤ أبواب القراءة في الصلاة- ص ٨٢١- الباب ٧٤- الحديث ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٢

بما يتداوله القراء و أنّ الإنسان مخير بأيّ قراءة شاء قرأ، و كرهوا تجريد قراءة بعينها (١).

و قال الطبرسي في «مجمع البيان»: الظاهر من مذهب الامامية أنّهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات، إلّا أنّهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء، و كرهوا تجريد قراءة مفردة.

ثم ساق الكلام الى أن حكى عن الشيخ أبي جعفر الطوسي أنّه روى جواز القراءة بما اختلف القراء فيه (٢).

و الظاهر أنّه ممّا طبقت عليه الإمامية.

و مرّ الحكاية عن الزمخشري أنّه قال: إنّ المصلّى لا- تبرأ ذمته من الصلاة إلّا إذا جمع في قراءته بين جميع المختلفات، نظرا الى أنّ

الصحيح واحدة من الجميع.

إلّا أنه قد سهّل علينا الخطب في ذلك ما سمعت من الإجماع والأخبار، بل المحكي من البهبهاني «٣» في «حاشية المدارك» أنّ المراد بالتواتر ما تواتر صحّة قراءته في زمان الائمة عليهم السّلام بحيث يظهر إنهم كانوا يرضون به، و يجوزون ارتكابه في الصلاة، لأنهم صلوات الله عليهم كانوا راضين بقراءة القرآن على ما هو عند الناس، وربما كانوا يمنعون من غيره، و يقولون: هي مخصوصة بزمان ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف «٤».

(١) التبيان ج ١ ص ٧ في المقدمة.

(٢) مجمع البيان ج ١ مقدّمه الكتاب ص ٢٦.

(٣) هو الأستاذ الأكبر الوحيد الآقا محمد باقر البهبهاني المتوفى بالحائر (١٢٠٥ هـ).

(٤) جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٢ عن حاشية المدارك.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٣

قلت: و لعله تكلف مستغنى عنه، حيث إنك سمعت أنّ صريح بعض و ظاهر آخرين أنّ المراد تواتر النقل و الصدور عن النبي صلى الله عليه و آله، لا التصحيح و التجويز عن الائمة عليهم السّلام.

لكنّ الخطب فيه سهل، إنّما الكلام في أنّه هل يتعين على المصلّي أو غيره ممّن يروم التوظيف في القراءة تحزّي الأشهر و الأقيس في العريّة من السبعة في خصوص كلّ آية، فيجوز التلفيق، أو مطلقا فلا يجوز، أو لا يتعين عليه شيء من الأمرين فيتخيّر بين السبعة أو العشرة، أو كلّما قرئ به و لو من غيرها، و جوه بل أقوال.

و لعلّ الأظهر هو الأخير لما سمعت من اشتراك السبعة و غيرها في عدم التواتر، و حدوث الاشتهار لها في الأزمنة المتأخرة بين العامة، مضافا الى صدق «كما علمتم» و «كما يقرأ الناس» على كلّ منها.

نعم قد يقال: إنّ الظاهر منهما وجوب الاقتصار على ما في أيدي الناس ممّا هو متواتر بينهم، أو مشهور لديهم، فلا يقرأ بالشواذ، مضافا إلى وجوب التأسي، و قاعدة الاقتصار على القدر المعلوم، و الإجماع المحكي على ذلك.

فعن «مفتاح الكرامة» أنّ أصحابنا متفقون على عدم جواز العمل بغير السبع أو العشر إلّا شاذّ منهم، قال: و الأكثر على عدم العمل بغير السبع «١».

و قد سمعت عن «وافية الأصول» للفاضل التوني: أنّه أجمع قدماء العامة، و من تكلم في المقام من الشيعة على عدم جواز القراءة بغيرها و إن لم يخرج عن

(١) مفتاح الكرامة ج ٢ ص ٣٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٤

قانون اللّغة و العريّة «١».

و قد نفى المقدّس «٢» الأردبيلي في «مجمع الفائدة» الخلاف عن السبعة، و عن الزيادة على العشر، يعني اثباتا و نفيًا، قال: و أمّا الثلاثة التي بينهما فالظاهر هو عدم الاكتفاء للعلم بوجود قراءة ما علم كونه قرآنا، و هي غير معلومة، و ما نقل أنّها متواترة غير ثابت، و لا يكفي شهادة مثل الشهيد، لاشتراط التواتر في القرآن الذي يجب ثبوته بالعلم، و لا يكفي في ثبوته الظنّ بالخير الواحد، و نحوه ... إلى أن قال: نعم يمكن أن يجوز له ذلك إذا كان ثابتا عنده بطريق علمي و هو واضح، بل يفهم من بعض كتب الأصول أنّ تجويز قراءة ما ليس بمعلوم كونه قرآنا يقينا فسق، بل كفر، فكلّ ما ليس بمعلوم يقينا أنّه قرآن منفيّ كونه قرآنا يقينا على ما قالوا «٣».

أقول: هذا غاية ما يمكن الاستدلال به للاقتصار على شيء من الوجوه المتقدمة لكنه لا يخفى أن دعوى الظهور في حيز المنع، و الاستقرار على السبعة في زمان صدور الخطاب غير معلوم حتى ينزل عليه، و حمل قوله عليه السلام: «كما علمتم» (٤)

، و

«كما يقرأ الناس» (٥)

على العموم أولى من حمله على العهد لغة و عرفا. على أنك قد سمعت اختلافهم في العصر الأول على أقوال منتشرة تمنع

(١) الوافية ص ١٤٨.

(٢) المقدس الأردبيلي الفقيه المحقق أحمد بن محمد المجاور بكر بلاء توفي بالنجف سنة (٩٩٣).

(٣) مجمع الفائدة ج ٢ ص ٢١٨.

(٤) الوسائل - الباب ٧٤ - من أبواب القراءة في الصلاة - الحديث ٢.

(٥) الوسائل - الباب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة - الحديث ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٥

كون شيء منها بخصوصه معهودا.

و منه يظهر الجواب عن حمل الناس على العموم و لو حكمه، بل عمّا مرّ أيضا من وجوب التأسي و قاعدة الاقتصار.

و أمّا الإجماع المتكرر في كلامهم فلعلّ الظاهر أنّه مبني على ما زعموه من دعوى التواتر، و قد سمعت ما فيه.

و أمّا ما صدر عن المقدس فغريب جدا، سيما حكمه القطعي بعدم كون غير المقطوع به قرأنا، و أغرب منه ما حكاه كسابقه من حكاية التفسيق بل التكفير.

و لذلك مال شيخنا في «الجواهر» الى عدم وجوب متابعة شيء من السبع أو العشر، قال: بل ربما كان إطلاق الفتاوى و خلوّ كلام الأساطين منهم عن إيجاب مثل ذلك في القراءة أقوى شاهد على عدمه خصوصا من نصّهم على بعض ما يعتبر في القراءة من التشديد، و نحوه.

و دعوى إرادة القراءات السبع في حركات المباني من الإعراب في عبارات الأصحاب لا دليل عليها، نعم وقع هذا التعيين في كلام متأخري المتأخرين من أصحاب، و ظنّي أنّه و هم محض (١).

أقول: و الأحوط مع ذلك كله عدم الخروج عن شيء من العشر، بل الاقتصار على السبع، سيما إذا وجبت القراءة لصلاة، أو نذر، أو استيجار، أو غيرها.

الأمر الثاني: هل يجب متابعة واحد من القراء في صفات الحروف من الجهر، و الشدة، و الهمس، و غيرها، و كذا الوصل، و الوقف، و الترقيق، و التفخيم،

(١) جواهر الكلام ج ٩ ص ٢٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٦

و المدد، و التسهيل، و الإمالة، و غيرها، من الوظائف و الآداب المعتبرة عندهم، أم لا؟ الأظهر الأشهر هو الثاني، بل لعله عليه الإجماع، بل لم أظفر على مخالف في المقام.

نعم في «جواهر الكلام» أنّ المحكي عن «الكفاية» عن بعضهم القول بوجوب مراعاة جميع الصفات المعبرة عند القراء «١». أقول: ولعلّ المنشأ وقوع السقط في النسخة المحكية عنها، أو وهم من الحاكي حيث وصل بعض العبارة غيرها، وهذه عبارة «الكفاية»:

و أوجب بعضهم في القراءة مراعاة المد المتصل دون المنفصل، و مراعاة الصفات المعبرة عند القراء ليست واجبة شرعا، إلّا أن يتوقف تميز بعض الحروف عن بعضها عليه. انتهى.

وهي كما ترى صريحة في عدم الوجوب وإنما تصحّ الحكاية في خصوص المد المتصل. وبالجملة لا ينبغي التأمل في عدم وجوب ما اعتبروه ممّا لا يرجع إلى تمييز الحروف، أو إلى القواعد العربية المعهودة المعبرة، إذ لا شبهة في وجوب مراعاة ما يثول إليهما، كالتشديد، والإعراب الشامل للحركات البنائية والسكون، و وصل الهمزة وقطعها في مواضعهما كي لا- تؤل المخالفة إلى زيادة حرف أو نقصانه، و كالإدغام في الكلمات التي بنيت عليه، و أمّا عند النون والتنوين فستسمع الكلام فيه، و في الإدغام الصغير، و الكبير.

(١) الجواهر ج ٩ ص ٢٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٧

و أمّا غير ذلك من صفات الحروف، و المدّ، و الإمالة، و التخفيف، و التسهيل، و غيرها مما ملأوا منه كتب القراءة فالظاهر عدم وجوب شيء منها، بل لعلّ عليه الإجماع الكاشف عن طريقة المعصوم و رضاه، بل عليه السيرة القطعية، سيما بين الطائفة الحقّة الإمامية.

كيف و لو وجب شيء من ذلك لتبهاوا عليه، و لوقع السؤال عنه في خبر من الأخبار مع عموم البلوى، و توفّر الدواعي إلى قراءة القرآن، سيما في الصلاة التي هي فرض على الأعيان في جميع الأزمان.

بل قد سمعت أنّ الاختلافات المروية عن أهل البيت عليهم السلام مرجعها إلى اختلاف الكلمات و الحروف و الحركات و نحوها، ممّا مرّت إلى اعتبارها الإشارة، و أمّا غيرها ممّا يعدّ في المحسّنات فلم يقع إليها إشارة، فضلا عن عبارة في خبر من الأخبار، و لا في شيء من كلمات علمائنا الأخيار.

و لقد أجاد كاشف «١» الغطاء حيث قال: و أمّا المحسّنات في القراءة من إدغام في كلمتين، أو مدّ، أو وقف، أو تحريك، أو نحوها فإيجابها كإيجاب مقدار الحروف في علم الكتابة، و المحسّنات في علم البديع، و المستحبات في مذهب أهل التقوى، و لو أنّ مثل هذه الأمور مع عدم اقتضاء اللسان لها كان من اللوازم لنادى بها الخطباء، و كرّر ذكرها العلماء، و تکرّر في الصلاة الأمر بالقضاء، و لأكثرها السؤال في ذلك عن الائمة الأئمة، و لتواثر النقل لتوفّر دواعيه.

و قال السيد الأجلّ الطباطبائي «٢» في منظومته:

(١) هو الشيخ جعفر بن خضر النجفي، ولد سنة (١١٥٦) و توفّي سنة (١٢٢٧ هـ)، كان في عصره شيخ مشايخ النجف و الحلّة من فقهاء الإمامية، و اشتهر تصانيفه «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء».

(٢) هو بحر العلوم محمد مهدي بن مرتضى بن محمّد الطباطبائي البروجردي الأصل النجفي، كان من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٨ و راع في تأديته الحروف ما يخصّها من مخرج لها انتمى

و اجتنب اللحن و أعرب الكلم و الوصل و القطع لهمز التزم

و الدرج في الساكن كالوقف على خلافه على خلاف حظلا

و كَلِّمًا فِي الصَّرْفِ وَ النُّحُو وَ جِبْفَوَاجِبٍ وَ يَسْتَحَبُّ الْمَسْتَحَبَّ

نعم قد يتأمل في جواز الإدغام بلا غنة و معها عند الأحرف الستة نظرا إلى التبدل الموجب للتغيير.

و استقرار أهل اللسان عليه زمن النزول غير معلوم، و إلا لوافق الرسم.

لكنه ليس في محله بعد حكاية الاتفاق عليه، بل على وجوبه حسبما تسمع.

نعم يمكن التأمل في الحكم باستحباب كَلِّمًا حكموا باستحبابه، و إن حكم به الطباطبائي و غيره، لأنه حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل،

و كونها من مجودات القراءة و محسناتها عند أهل اللسان غير معلوم حتى في زمان النبي صلى الله عليه و آله، سلّمنا، لكنه غير مثبت

للدعوى.

نعم قد يقال: إن علم القراءة كان متداولاً في زمان الأئمة عليهم السلام، حتى أن بعض أعظم أصحابهم و ثقافتهم، و المقرّبين عندهم

كانوا عارفين ماهرين بهذا العلم.

أعظم فقهاء الامامية توفي سنة (١٢١٢ هـ).

قال المؤلف في منظومته الرجالية (نخبة المقال):

السيد المهدي الطباطبائي بحر العلوم صفوة

الصفاء و المرتضى والده سعيد

مات (غريباً) عمره مجيد * ترجمته بالتفصيل في تاريخ بروجرد ج ٢ من صفحة ١٢١٢ (١٧٢) إلى ص ٢٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣١٩

مثل حمران «١» بن أعين، الذي هو في غاية الجلالة عندهم، و في نهاية الإخلاص و الإطاعة لهم، و كان ماهراً في علم القراءة على

قراءة «٢» حمزة القاري، و

الامام الصادق عليه السلام أمره بمناظرة الشامي في علم القراءة، و الشامي كان مريداً للمناظرة مع الإمام عليه السلام في هذا العلم فقال:

إنما أريدك لا حمران، فقال عليه السلام:

إن غلبت حمران فقد غلبتني مناظرة، فغلب حمران عليه «٣».

و مثله أبان بن «٤» تغلب الثقة الجليل، فقد ذكروا في ترجمته: أن له قراءة مفردة مشهورة عند القراء.

و ثعلبة «٥» بن ميمون الذي قالوا في ترجمته: إنه كان وجهاً في أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحوياً، لغوياً، راوياً، حسن العمل، كثير العبادة و

الزهد، و غيرهم، من الأجلّة الذين كانوا ماهرين في هذا العلم، و في غاية المتابعة و الإطاعة للأئمة الذين هم عليهم السلام قرّوهم

عليه، و لم يتأملوا في علمهم، و لا في عملهم.

و من المعلوم أن مراعاة هذا العلم لأجل العمل في مقام القراءة، فلو لم يكن مشروعاً لكانوا يمنعون أمثال هؤلاء الأجلّة، و خصوصاً مع

منعهم الجهال عمّا لا

(١) حمران بن أعين ابو حمزة الكوفي من أصحاب الباقر و الصادق صلوات الله عليهما، ترجمه ابن الجزري في غاية النهاية ج ١ ص

٢٦٢ رقم ١١٨٩ و قال: مقرئ كبير ... توفي حدود (١٣٠ هـ) أو قبلها.

(٢) بل حمزة القاري الزيات كان من تلامذته و روى القراءة عنه عرضاً كما قال ابن الجزري في ترجمته.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٤٠٧ ح ١١ عن رجال الكشي ص ١٧٨.

(٤) أبان بن تغلب أبو سعيد الربعي الكوفي النحوي المقرئ الجليل من أصحاب السجاد و الباقر و الصادق صلوات الله عليهم، توفي

سنة (١٤١).

(٥) ثعلبة بن ميمون أبو إسحاق النحوى الكوفى كان من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما صلوات الله، و روى (١٢٧) رواية- معجم رجال الحديث ج ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٠

يضّرّ و لا ينفع، فضلا عن مثل هؤلاء الأعلام المقربين عندهم. فعلى هذا يمكن أن يقال: محسّنات القراءة لعلها كانت محسّنات عند الأئمة عليهم السّلام أيضا، فضلا من أن يكون ممّا يلزم ارتكابه عند القراء، مثل مدّ و لا الضّالّين و نحوه ممّا أمروا به، و كذا ما منع القراء منه و لم يكن ممنوعا من جهة لغة العرب، و لا من الشارع، و لا من العقل.

و يؤيد ما ذكرناه من كون هذا العلم متداولاً عند أصحاب الأئمة عليهم السّلام على وجه يشعر بتقريرهم إيّاهم على ذلك ما رواه الكشى «١» من حمزة «٢» الطيّار، قال: سألتني أبو عبد الله عليه السّلام عن قراءة القرآن، فقلت: ما أنا بذلك، فقال عليه السّلام: لكن أبوك، قال: ثم قال: إنّ رجلا- من قريش كان لى صديقا، و كان عالما قارئا، فاجتمع هو و أبوك عند ابى جعفر عليه السّلام، فقال: ليقبل كلّ منكما على صاحبه و يسأل كلّ منكما صاحبه، ففعلا، فقال القرشى لأبى جعفر عليه السّلام: قد علمت ما أردت، أردت أن تعلمنى أنّ فى أصحابك مثل هذا، قال عليه السّلام: هو ذاك، فكيف رأيت ذلك «٣»؟
و فى ترجمة حمران بن أعين عن رسالته أبى غالب «٤» الزرارى أنّ حمران بن أعين من أكبر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشكّ فيهم، و كان أحد حملة القرآن، و من بعده يذكر اسمه فى القراءات، و روى أنّه قرأ على أبى جعفر عليه السّلام،

(١) الكشى محمد بن عمر بن عبد العزيز الفقيه الرجالى المتوفى نحو (٣٤٠هـ)- الاعلام ج ٧ ص ٢٠١.

(٢) هو حمزة بن محمد الطيّار الكوفى من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السّلام- معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٢٧٩.

(٣) معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٢٧٩ رقم ٤٦٠٢.

(٤) أبو غالب الزرارى: أحمد بن محمد بن سليمان الموثّق، روى عن الكلينى المتوفى (٣٢٩)، و توفى سنة (٣٦٨) و كتب رسالته لابن ابنه سنته (٣٥٦) و جدّدها سنة (٣٦٧)- رجال بحر العلوم ج ١ ص ٢٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢١

و كان مع ذلك عالما بالنحو و اللّغة.

و فى ترجمة أبان بن تغلب، عن النجاشى: أنّه كان قارئا من وجوه القراء، فقيها، لغويّا، سمع من العرب و حكى عنهم، و كان مقدّما فى كلّ فنّ من العلم، فى القرآن، و الفقه، و الحديث ... الى أن قال: و لأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء، أخبرنا بها أبو الحسن «١» التميمى عن أحمد «٢» بن محمّد بن سعيد، عن محمّد بن يوسف الرازى المقرئ «٣» بالقادسيّة سنة احدى و ثمانين و مأتين، عن أبى نعيم الفضل بن عبد الله بن العباس بن معمر الأزدي الطالقانى، ساكن سواد البصرة سنة خمس و خمسين و مأتين، قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن أبى مريم صاحب اللؤلؤ، قال: سمعت أبان بن تغلب- و ما رأيت أحدا أقرأ منه قطّ، يقول:
إنّما الهمز «٤» رياضة، و ذكر قراءة ته الى آخرها «٥».

(١) هو محمّد بن جعفر أبو الحسن التميمى من مشايخ النجاشى ذكره فى ترجمة الحسين بن محمّد بن الفرزدق- معجم رجال الحديث ج ١٥ ص ١٧٠.

(٢) هو احمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن السبيعي الهمداني الحافظ المعروف بابن عقده أبو العباس الكوفي، توفى سنة (٣٣٣)

هـ- معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٧٤.

(٣) ذكره الذهبي في «الميزان الاعتدال» ج ٤ ص ٧٢ وقال: محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي شيخ يروي عنه أبو بكر بن زياد النقاش، و ذكره الخطب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٩٧ وقال: قدم قبل (٣٠٠) بغداد.

(٤) في ذيل رجال النجاشي: يعنى أن التكلم بالهمزة و الإفصاح عنها مشقة و رياضة بلا ثمر فلا بد فيها من التخفيف، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نزل القرآن بلسان قريش، و ليسوا بأهل نبر، و لو لا أن جبرئيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه و آله ما همزنا» كما في شرح الشافية لابن الحاجب ج ٣ ص ٣١ و النبر: الهمز.

(٥) رجال النجاشي ج ١ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٢

و ذكر الشيخ في «الفهرست» مثله «١».

و ستسمع أن حمران بن أعين كان من مشايخ حمزة القارى.

و في «التيسير» و «المجمع» أن حمزة قرأ على الصادق عليه السلام، و أن الكسائي و هو أحد القراء السبعة قرأ على أبان بن تغلب، و أن الأعمش، و أبا إسحاق السبيعي، و أبا الأسود الدئلي كانوا ممن يؤخذ عنهم القراءة «٢».

و ذكر الشيخ في «الفهرست» في ترجمة عمر بن «٣» موسى أن له كتاب قراءة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ثم ذكر الاسناد إليه و قال:

هذا قراءة أمير المؤمنين عليه السلام، قال: و ما رأيت أعلم بالكتاب، و ناسخه، و منسوخه، و مشكله، و إعرابه منه «٤».

و في ترجمة محمد بن «٥» عباس: أن له كتاب قراءة أمير المؤمنين عليه السلام، و كتاب قراءة أهل البيت عليهم السلام «٦».

(١) الفهرست ص ١٧-١٨.

(٢) مجمع البيان مقدّمه الكتاب ص ١٢ الفن الثاني.

(٣) هو عمر بن موسى بن وجيه أبو حفص الوجيهي الأنصاري الشامي الزيدي المتوفى (١٥٨) على ما في دائرة الأعلمي ج ٢٣ ص ٤٩ و ترجمته توجد في غير واحد من معاجم الرجال منها: مختصر تاريخ دمشق ج ١٩ ص ١٥٣- الميزان للذهبي ج ٣ / ٢٢٤- لسان العرب ج ٤ / ٣٣٢.

(٤) الفهرست ص ١١٤ رقم ٤٩٧.

(٥) هو محمد بن العباس بن علي بن مروان المعروف بابن الحجاج، من ثقات الامامية في القرن الرابع سمع منه التلعكبري سنة (٣٢٨)، و له منه إجازة- معجم رجال الحديث ج ١٦ / ١٩٨.

(٦) الفهرست ص ١٤٩ رقم ٦٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٣

الفصل الثالث

في نبد من أحوال القراء العشرة و رواتهم الأول من القراء السبعة هو نافع «١» بن عبد الرحمن المدني، قرأ على أبي جعفر يزيد «٢» بن الققعاق، و منه تعلم القرآن، و على شيبه «٣» بن نصاح القاضي، و على عبد الرحمن «٤» بن الأعرج، و على أبي عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي «٥»، و على أبي روح «٦» يزيد بن رومان.

قالوا: وأخذ هؤلاء القراءة عن أبي هريرة (٧)، وابن عباس (٨)، و عبد الله (٩) بن عياش بن أبي ربيعة، كلهم عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله.

- (١) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني المتوفى (١٦٩ هـ) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٣٠.
- (٢) ابو جعفر القارى يزيد بن القعقاع المدني المتوفى (١٣٢ هـ) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٢.
- (٣) شيبه بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني المتوفى (١٣٠) - الاعلام ج ٣ ص ٢٦٤.
- (٤) هو عبد الرحمن بن هرمز أبو داود الأعرج المدني المتوفى (١١٧) - الاعلام ج ٤ ص ١١٦.
- (٥) أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي مولاهم المدني المتوفى (١٣٠) غاية النهاية ج ٢ ص ٢٩٧.
- (٦) أبو روح يزيد بن رومان المدني القارى المتوفى (١٢٠) أو (١٣٠) المصدر ج ٢ ص ٣٨١.
- (٧) ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى المتوفى بالمدينة (٥٩) - الاعلام ج ٤ ص ٨٠.
- (٨) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب المتوفى (٦٨) بالطائف - الاعلام ج ٤ ص ٢٢٨.
- (٩) عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى بعد (٧٠) أو سنة (٥٧٨) - غاية النهاية ج ١ ص ٤٣٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٤

و ذكروا للنافع راويين: أحدهما: عيسى بن ميناء الزرقى لقبه نافع بقالون «١» لجودة قراءته فإن معنى قالون بلغه الروم «جيد».

و الآخر: أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطى المصرى الملقب بورش «٢» لشدة بياضه.

الثانى منهم: عبد الله بن كثير «٣» المكى، أخذ عن عبد الله بن «٤» سائب المخزومى، صاحب النبى صلى الله عليه وآله، و مجاهد بن «٥» جبر أبى الحجاج، و در بأس مولى ابن عباس، و أخذ مجاهد و درباس عن ابن عباس، عن أبي، و زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله.

و روى عن ابن كثير أبو الحسن البزى «٦» أحمد بن محمد بن عبد الله، و قبل «٧» أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن، يقال: رجل قبل أى غليظ شديد.

(١) عيسى بن ميناء بن وردان الزرقى أبو موسى الملقب بقالون، كان ربيب نافع على ما قيل، توفى سنة (٢٢٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٦١٥.

(٢) عثمان بن سعيد بن عبد الله المصرى ولد سنة (١١٠) بمصر، و رحل الى نافع فعرض عليه القرآن عدّة ختمات فى سنة (١٥٥)، توفى بمصر سنة (١٩٧ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٥٠٢.

(٣) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله ابو معبد المكى الدارى من بنى عبد الدار ولد بمكة سنة (٤٥) و أدرك غير واحد من الصحابة و روى عنهم، توفى سنة بمكة المكرمة سنة (١٢٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٤٤٣.

(٤) عبد الله بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد المخزومى المكى له صحبة و روى القراءة عن أبي بن كعب، توفى حدود سنة (٥٧٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٤١٩.

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المفسر المتوفى (١٠٤) - الاعلام ج ٦ ص ١٦١.

(٦) احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم البزى المكى، ولد سنة (١٧٠ هـ) و توفى سنة (٢٥٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ١١٩.

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن خالد المكى الملقب بقنبل، و له سنة (١٩٥)، و توفى سنة (٢٩١ هـ) - غاية

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٥

وقيل: هم أهل بيت بمكة المكرمة يقال لهم القنابلة، و اختلفوا في تلقبه به.

روى البرزى و قنبل عن ابن كثير بالواسطة، و لم يذكر الطبرسى في «جمع البيان» رواية قنبل عن ابن كثير، بل قال: له ثلاث روايات: رواية البرزى، و رواية ابن فليح، و رواية أبي الحسين القواس «١».

الثالث منهم: أبو عمرو بن العلاء البصرى، اسمه زبان «٢»، أبو يحيى أو غيرهما يروى عن جماعة من أهل الحجاز، و البصرة: فمن أهل مكة المكرمة يروى عن مجاهد، و سعيد «٣» بن جبير، و عكرمة «٤» بن خالد، و عطاء «٥» بن أبي رباح، و عبد الله بن كثير، و محمد بن عبد الرحمن بن محيصة، و حميد بن قيس الأعرج.

و من أهل المدينة يروى عن يزيد بن قعقاع القارى، و يزيد بن رومان، و شيبة بن نصاح.

و من أهل البصرة يروى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى، و يحيى «٦» بن يعمر، و غيرهما، و هؤلاء أخذوا عن الصحابة.

النهاية ج ٢ ص ١٦٧.

(١) مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب، الفن الثاني ص ١١.

(٢) زبان بن العلاء بن عمار بن العريان أبو عمرو المازنى البصرى و قد اختلف فى اسمه على أكثر من عشرين قولاً و له بمكة المكرمة سنة (٦٨)، و نشأ بالبصرة، و توفى بالكوفة سنة (١٥٤).

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الكوفى التابعى الجليل قتله الحجاج بواسط شهيدا فى سنة (٩٥) أو (٩٤) - غاية النهاية ج ١ / ٣٠٥.

(٤) عكرمة بن خالد بن العاص المكى التابعى المتوفى (١١٥) - المصدر ج ١ ص ٥١٥.

(٥) عطاء بن ابى رباح بن أسلم المكى المتوفى (١١٥) - غاية النهاية ج ١ ص ٥١٣.

(٦) يحيى بن بن يعمر أبو سليمان العدوانى البصرى التابعى أول من نَقَطَ المصاحف، توفى قبل سنة (٩٠) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٦

و روى عن أبى عمرو البصرى يحيى بن المبارك اليزيدى «١»، و أبو عمر حفص ابن عمر بن عبد العزيز الدورى «٢» البغدادى الضرير، و أبو شعيب صالح بن زياد السوسى «٣».

و فى «مجمع البيان»: لأبى عمرو البصرى ثلاث روايات: رواية شجاع «٤» ابن أبى نصر، و رواية العباس بن الفضل البصرى قاضى الموصل المتوفى (١٨٦)، و رواية اليزيدى.

و لليزيدى ست روايات: رواية أبى «٥» حمدون الزاهد، و أبى عمر الدورى، و أوقية «٦»، و أبى نعيم غلام «٧» سجادة، و أبى أيوب «٨» الخياط، و ابى شعيب

(١) هو يحيى بن المبارك أبو محمد البصرى النحوى المقرئ المتوفى (٢٠٢) هـ جود القرآن على أبى عمرو البصرى، عرف باليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدي العباسى، كان يؤدب ولده.

(٢) أبو عمر الدورى حفص بن عمر الأزدي المقرئ النحوى البغدادى نزيل سامراء، توفى سنة (٢٤٦ هـ) قيل: إنه أول من جمع القراءات و ألفها، و الدورى نسبة الى الدور محلة بالجانب الشرقى من بغداد.

(٣) ابو شعيب السوسى صالح بن زياد المقرئ المتوفى (٢٦٠) قرأ على اليزيدى و سمع بالكوفة من ابن نمير، و بمكة المكرمة من سفيان بن عيينة.

(٤) شجاع بن ابى نصر البلخى المقرئ الزاهد المتوفى (١٩٠) ببغداد قرأ القرآن على ابى عمرو و جوده، أخذ عنه القاسم بن سلام و محمد بن غالب.

(٥) هو الطيب بن إسماعيل أبو حمدون الذهلي البغدادي الزاهد اللؤلؤي المقرئ كان إماما في القراءة و التجويد، روى الحروف عن الكسائي، ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام في وفيات (٢٤٠) - (٢٥٠ هـ) ص ٢٩٨ رقم ٢٢٥.

(٦) هو عامر بن عمر بن صالح أبو الفتح المعروف بأوقية الموصلية المقرئ توفي سنة (٢٥٠ هـ) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٥٠.

(٧) هو جعفر بن حمدان المشهور بسلام ببلاد البغدادي من أصحاب يزيدى ترجمه ابن الجزرى و كناه بأبى محمد - غاية النهاية ج ١ ص ١٩١.

(٨) هو سليمان بن أيوب بن الحكم أبو أيوب الخياط البغدادي المتوفى (٢٣٥) - غاية النهاية ج ١ ص ٣١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٧

السوسى.

الرابع منهم ابن عامر أبو عمران «١» عبد الله بن عامر الدمشقى، أخذ عن أبي الدرداء «٢» عويمر بن عامر صاحب النبى صلى الله عليه وآله، و المغيرة «٣» بن أبى شهاب، و أخذ الأول عن النبى صلى الله عليه وآله، و الثانى عن عثمان بن عفان. و روى عن ابن عامر هشام «٤» بن عمار الدمشقى، و ابن ذكوان «٥»، روى عنه بواسطتين. الخامس: عاصم «٦» بن أبى النجود بهدله الأسدى الكوفى، روى عن أبى

(١) عبد الله بن عامر اليحصبى امام أهل الشام فى القراءة، ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد ابن عبد الملك، و كان يؤم الناس فى المسجد فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث الى مهاجر و قال: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فف خلف ابن عامر فاذا تقدم فخذ بثيابه و اجذبه و قل تأخر، فلن يتقدم منا دعى، و صل أنت يا مهاجر، فضل.

قال ابن الجزرى: قد ورد فى اسناد ابن عامر تسعة أقوال أصحها أنه قرأ على المغيرة بن أبى شهاب، و نقل عن بعض أنه قال: لا يدرى على من قرأ، و له سنة ثمان من الهجرة و توفي سنة (١١٨) - طبقات القراء ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) أبو الدرداء هو عويمر بن زيد الخزرجى كان من القراء على عهد النبى صلى الله عليه وآله و تصدّر للإقراء بعد وفاته صلى الله عليه وآله عند ما تولى قضاء دمشق فى خلافة عثمان و عدّ تلامذته الذين قرءوا عنده فكان عدّتهم (١٦٠٠) و نيفا، توفي سنة (٣٢).

(٣) قال الذهبي: لا يكاد يعرف إلّا من قراءة ابن عامر عليه، و قال فى تاريخ الإسلام: المغيرة بن أبى شهاب المخزومى قرأ على عثمان بن عفان و عليه قرأ عبد الله بن عامر الدمشقى، نقل القصاص أنه توفي سنة (٩١) هـ - و له تسع و ثمانون سنة. تاريخ الإسلام ص ٤٨٤.

(٤) هشام بن عمار بن نصير الدمشقى الخطيب المقرئ و له سنة (١٥٣) و توفي سنة (٢٤٥).

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان المقرئ الدمشقى و له سنة (١٧٣) و توفي سنة (٢٤٢).

(٦) عاصم بن أبى النجود - بهدله - أبو بكر الأسدى بالولاء الكوفى القارى، قيل: اسم أبيه عبيد، و بهدله اسم أمه، أخذ القراءة عرضا من زر بن جيش، و أبى عبد الرحمن السلمى، و أبى عمرو الشيبانى، توفي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٨

عبد الرحمن «١» عبد الله بن حبيب السلمى، و أبى مريم زر بن «٢» حبش.

و أخذ الأول عن أمير المؤمنين عليه السلام، و عن أبى بن كعب، و زيد «٣» بن ثابت، و عبد الله بن مسعود، و عثمان. و الثانى عن الأخيرين.

و روى عن عاصم حفص بن «٤» سليمان الأسدى الكوفى البزاز، و أبو بكر شعبة «٥» بن عياش بن سالم الأسدى.

قال فى «مجمع البيان»: و لأبى بكر بن عياش ثلاث روايات:

رواية أبى يوسف «٦» الأعشى، و أبى صالح «٧» البرجمى، و يحيى «٨» بن آدم.

سنة (١٢٧) أو (١٢٨) - تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٩.

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى المقرئ الكوفى، ولد فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ القراءة عن ابن مسعود، و عرض القرآن على علي عليه السلام على ما ذكره الذهبى، كان يقرئ الناس فى مسجد الكوفة أربعين سنة، توفى سنة (٧٤) هـ.

(٢) زر بن حبيش أبو مريم الأسدى أدرك الجاهلية ولم ير النبى صلى الله عليه وآله وهو من كبار التابعين ومن ثقات أمير المؤمنين عليه السلام توفى سنة (٨٣) من عمر (١٢٧) سنة.

(٣) زيد بن ثابت كان كاتب النبى صلى الله عليه وآله بالعريفة، وتولى جمع القرآن بأمر أبى بكر، ثم ترأس لجنة توحيد المصاحف فى عهد عثمان و كان يحبه عثمان و ولّاه بيت المال توفى سنة (٥٤) أو (٥٥).

(٤) حفص بن سليمان بن المغيرة المقرئ الكوفى و هو ابن امرأة عاصم و ربيبه توفى سنة (١٨٠) هـ.

(٥) ابو بكر شعبه بن عياش الكوفى المعروف بعدم الضبط على خلاف زميله حفص الضابط، توفى سنة (٤٩٣).

(٦) أبو يوسف الأعشى يعقوب بن محمّد الكوفى، تصدّر للإقراء بالكوفة توفى سنة حدود (٢٠٠).

(٧) أبو صالح البرجمى عبد الحميد بن صالح المقرئ الكوفى، كان إمام مسجد بنى شيطان، توفى سنة (٢٣٠) هـ - تاريخ الإسلام ص ٢٥١.

(٨) أبو زكريا يحيى بن آدم القرشى الكوفى الأحول الحافظ المقرئ توفى بقم الصلح سنة (٢٠٣) -

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٢٩

السادس: أبو عماره «١» حمزه بن حبيب الكوفى الزيات.

روى عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، و عن الأعمش، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى، و حرمان بن أعين، و أبى إسحاق «٢» السبيعى، و منصور «٣» بن المعتمر، و مغيرة «٤» بن المقسم، و أخذ هؤلاء عن التابعين عن الصحابة. هذا على ما فى «التيسير».

و قال فى «المجمع»: و أمّا حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، و قرأ أيضا على الأعمش سليمان بن مهران، و قرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، و هو قرأ على علقمة «٥»، و مسروق «٦»، و الأسود «٧» بن يزيد، و هؤلاء قرءوا

رجال صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٨٧.

(١) ابو عماره حمزه بن حبيب بن عماره بن إسماعيل الزيات القارى الكوفى المتوفى بحلوان سنة (١٥٦) هـ - تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧.

(٢) أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى التابعى كان شيخ الكوفة فى عصره، و بلغت مشيخته نحو من (٤٠٠) شيخ، و له سنة (٣٣) و سمع من (٣٨) صحابيا و توفى سنة (١٢٧) هـ - تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١١٦.

(٣) منصور بن معتمر السلمى أبو عتاب الكوفى، كان من كبار الحفاظ الأثبات توفى سنة (١٣٢) - تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٥٤٧.

(٤) مغيرة بن مقسم الضبى الكوفى أبو هشام الأعمى توفى سنة (١٣٣) هـ - تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٥٤١.

(٥) هو علقمة بن قيس النخعى الهمدانى التابعى كان فقيه العراق، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وآله، و توفى بالكوفة سنة (٦٢) هـ.

(٦) هو مسروق بن الأجدع الهمدانى التابعى، شهد حروب أمير المؤمنين عليه السلام و كان أعلم بالفيتا من شريح، توفى سنة (٦٣) هـ.

(٧) الأسود بن يزيد بن قيس النخعى التابعى الفقيه الحافظ المتوفى سنة (٧٥) هـ كان عالم الكوفة فى عصره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٠

على عبد الله بن مسعود.

وقرأ حمزة أيضا على أبي الأسود «١» الدنلي، وهو قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام.

روى عن حمزة خلف «٢» بن هشام البزاز، وخلاد بن خالد «٣» الشيباني، كلاهما بواسطة سليم بن عيسى الحنفي «٤».

و السابع: الكسائي وهو أبو الحسن علي «٥» بن حمزة الكوفي.

قال في «التيسير»: و رجاله حمزة بن حبيب الزيات، و عيسى «٦» بن عمر الهمداني، و محمّد بن أبي ليلى، و غيرهم من مشيخه الكوفيين، غير أنّ مادّة قراءته و اعتماده في اختياره القراءة عن حمزة.

و في «المجمع»: أنّه قرأ على حمزة، و لقي من مشايخ حمزة ابن أبي ليلا و قرأ عليه، و علي أبان بن تغلب، و عيسى بن عمر، و غيرهم.

(١) أبو الأسود ظالم بن عمرو، كان أديبا، شاعرا، فقيها من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و وضع علم النحو بأمره، توفّي سنة (٦٩) بالبصرة.

(٢) سيأتي ترجمته إنشاء الله.

(٣) خلاد بن خالد الشيباني مولا هم الصيرفي من كبار القراء المجوّدين، توفّي بالكوفة سنة (٢٢٠) هـ.

(٤) سليم بن عيسى الكوفي الحنفي بالولاء المقرئ كان أخص أصحاب حمزة و أضبطهم توفّي سنة (١٨٨) هـ.

(٥) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولا هم، من أولاد الفرس، انتهت إليه رياسته الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، توفّي سنة (١٨٩) هـ - طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥.

(٦) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، كان من أئمة اللغة و من شيوخ الخليل، و سيبويه و ابن العلاء، و كان بصريّا و له نحو سبعين مصنفا، توفّي سنة (١٤٩) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣١

روى عن الكسائي أبو الحارث «١» الليث بن خالد البغدادي، و الدوري المتقدم ذكره، عن أبي عمرو البصري.

و في «المجمع»: أنّ له ستّ روايات:

رواية قتيبة «٢» بن مهران، و رواية نصير «٣» بن يوسف النحوي، و رواية أبي الحارث البغدادي، و رواية أبي حمدون الزاهد، و رواية حمدون ابن ميمون الزجاج، و رواية الدوري. «٤» و هؤلاء هم القراء السبعة و روايتهم الأربعة عشر مع ما أضيف إليها، و مشايخهم حسبما نقله في «التيسير» و غيره.

و فيهم قال أبو مزاحم «٥» الخاقاني:

و إنّ لنا أخذ القراءة سنّه عن الأولين المقرئين ذوى الستر

فلسبعة القراء حق على الورى لإقرائهم قرآن ربهم الوتر

فبالحرمين ابن الكثير و نافع و بالبصرة ابن للعلاء أبو عمرو

(١) ابو الحارث الليث بن خالد البغدادي كان من أجله أصحاب الكسائي، توفّي سنة (٢٤٠) - طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤.

(٢) قتيبة بن مهران الأزاداني الإصبهاني المقرئ، انتهت إليه رياسته الإقراء بأصبهان، صحب الكسائي مدّة طويلة، و كان موجودا في حدود سنة (٢٢٠) هـ - طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٨٦.

(٣) نصير بن يوسف بن أبي نصر الرازي النحوي المقرئ أبو المنذر، له مصنّف في رسم المصحف، توفّي سنة (٢٤٠) هـ - شذرات

الذهب ج ٢ ص ٩٥.

(٤) مجمع البيان ج ١ الفن الثاني من المقدمة.

(٥) هو موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي الشاعر المتوفى (٣٢٥) - غاية النهاية ج ٢ ص ٣٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٢ و بالشام عبد الله و هو ابن عمرو عاصم الكوفي و هو أبو بكر

و حمزة أيضا و الكسائي بعده أخو الحدق بالقرآن و النحو و الشعر

و أما القراء الثلاثة المكملون للعشرة:

فأولهم: أبو جعفر «١» يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، قرأ على عبد الله بن عباس، و على مولاة عبد الله «٢» بن عتياش بن أبي

ربيعة المخزومي، و هما قرءا على أبي بن كعب، و قرأ أبي على النبي صلى الله عليه و آله.

و روى عنه أبو الحارث عيسى «٣» بن وردان المدني الحداء، و ابن الجَمَاز «٤» أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهري المدني.

و ثانيهم: يعقوب «٥» بن إسحاق الحضرمي البصري، روى عنه رويس «٦» محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، و روح «٧» بن عبد

المؤمن الهزلي البصري.

و ثالثهم: و هو تمام العشرة، خلف «٨» بن هشام البزاز ذكروا أن له اختيارا.

(١) توفى بالمدينة سنة (١٣٢) أو (١٢٨ هـ) - طبقات القراء ج ٢ ص ٣٨٢.

(٢) ولد بالحبشة في الهجرة الاولى، و قرأ على أبيه عتياش و على أبي بن كعب توفى سنة (٦٤).

(٣) كان ابن وردان مقرئا حاذقا و كان من أجله أصحاب نافع مات حدود سنة (١٦٠) - طبقات القراء ج ١ ص ٦١٦.

(٤) توفى ابن الجَمَاز سنة (١٧٠) هـ أو بعدها - طبقات القراء ج ١ ص ٣١٥.

(٥) ولد بالبصرة سنة (١١٧) و توفى بها سنة (٢٠٥ هـ) - تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٢.

(٦) كان رويس من أحذق أصحاب يعقوب الحضرمي، توفى سنة (٢٣٨) - طبقات القراء ج ٢ ص ٢٣٤.

(٧) توفى سنة (٢٣٤) و كان من أجله أصحاب يعقوب.

(٨) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزاز البغدادي، قال ابن الجزري: حفظ القرآن و هو ابن عشر سنين، قال ابن أشتة: كان

حلف يأخذ بمذهب حمزة إلى أنه خالفه في مائة و عشرين حرفا، و له سنة (١٥٠) و توفى سنة (٢٢٩) - طبقات القراء ج ١ ص ٢٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٣

روى عنه إسحاق «١» بن إبراهيم الوراق المروزي، و إدريس «٢» بن عبد الكريم الحداد.

ثم اعلم أن المراد بالمدني حيث أطلق هو نافع، و أبو جعفر القعقاع.

و المكي هو عبد الله بن كثير، و إذا اجتماعا قيل: حجازي.

و الكوفي عاصم، و حمزة، و الكسائي، و خلف، و البصري ابو عمرو، و يعقوب.

و قد يزداد على ما في «المجمع» و غيره: أبو حاتم «٣» السجستاني سهل بن محمد، و ليس كيعقوب من السبعة، و إذا اجتمع أهل الكوفة

و البصرة قيل:

عراقي.

و الشامي ابن عامر، لا غير و اعلم أيضا أنهم يطلقون القراءة على ما كان عن أحد العشرة أو من هو مثلهم.

و الرواية على ما كان من أحد روايتهم.

و الطريق عليها و على ما كان عن بعدهم، فيقال: هذه قراءة نافع، من رواية قالمون، من طريق الجزري، أو الشاطبي «٤».

- (١) هو ابو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق المتوفى (٢٨٦) - المهذب ص ١٢.
 (٢) هو ابو الحسن إدريس البغدادي المتوفى (٢٩٢) - المهذب فى القراءت العشر ص ١٢.
 (٣) أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان البصرى اللغوى الشاعر المتوفى (٢٤٨) - الاعلام ج ٣ ص ٢١٠.
 (٤) قال محمد محمد محمد سالم الشافعى فى «المهذب» ص ٢٥: اعلم أن كل خلاف نسب لإمام من الأئمة العشرة مما اجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة.

و كل ما نسب للراوى عن الامام فهو رواية ...

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٤

و إن كان قد يطلق كل من الثلاثة على غيره، سيما فى كلام من ليس من أهل هذا الاصطلاح.
 ثم إن هاهنا جملة من القراء غير من سمعت ربما نسب إليهم شواذ القراءت لا داعى للتعرض لهم «١».

و كل ما نسب للآخذ عن الراوى و إن سفل فهو طريق ...

مثل إثبات البسمة بين السورتين فهو قراءة ابن كثير، و رواية قالون عن نافع، و طريق الإصبهاني عن ورش.

- (١) مثل الحسن بن يسار البصرى المتوفى (١١٠) قارئ البصرة، و ابن محيصة محمد بن عبد الرحمن المتوفى (١٢٣) قارئ مكة، و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٥

الباب الثانى عشر

إشارة

فى كفيته القراءة و آدابها الظاهرة و وظائفها الباطنة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٧

و فيه فصول:

الفصل الأول

إشارة

فى الآداب الظاهرة التى ينبغى الاهتمام بها و المداومة عند القراءة، بل عند إرادتها لو لم تكن حاصله قبلها، و هى أمور:
 الأول: الطهارة من الحدث الأكبر و الأصغر بلا خلاف فيها، بل على مطلوبيتها فى الجملة، نقلا و تحصيلا، للتعظيم المأمور به فى جملة من الأخبار، و لخصوص جملة من المعبرة.

فمما يدل على الأول ما

رواه الحميرى «١» فى «قرب الاسناد» «٢» عن محمد «٣» ابن عبد الحميد، عن محمد بن «٤» الفضيل، عن أبى الحسن عليه السلام قال:

- (١) هو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميرى شيخ القميين كان حيا سنة (٢٩٧ هـ) و سمع منه أهل

الكوفة في حدود السنة المذكورة.

(٢) هو مجموع من الأخبار المسندة الى المعصوم عليه السلام لقله وسائطه سمي بقرب الاسناد- الذريعة ج ١٧ ص ٦٧.
 (٣) هو محمد بن عبد الحميد بن سالم أبو جعفر العطار الكوفي، نشأ في عصر الإمام الرضا عليه السلام وبقى الى زمان العسكري عليه السلام، و وقع في اسناد كامل الزيارات- معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ٢٠٩.
 (٤) هو محمد بن الفضيل بن كثير الأزدي الكوفي الصيرفي أبو جعفر الأزرق، روى عن أبي الحسن موسى و الرضا عليهما السلام و له كتاب و مسائل، معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ١٤٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٨
 سألته أقرأ المصحف، ثم يأخذني البول، فأقوم و أبول و أستنجي و أغسل يدي، و أعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟
 قال عليه السلام: لا، حتى تتوضأ للصلاة «١».
 و الظاهر أن المراد مثل الوضوء للصلاة، و لذا كان الأظهر عندنا أن الوضوء للقراءة و غيرها من الغايات المندوبة يستبيح به الصلاة على ما حررناه في الفقه.

و

روى أحمد «٢» بن فهد في «عده الداعي» قال: قال عليه السلام: لقارئ القرآن بكل حرف يقرأه في الصلوة قائما مائة حسنة، و قاعدا خمسون حسنة، و متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهر عشر حسنات، أما إنني لا أقول: «المر» حرف بل بالألف عشر، و باللام عشر، و بالميم عشر، و بالراء عشر «٣».
 و هذا الخبر أرسله في «كشف اللثام» إلى قوله: «عشر حسنات» عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: و أرسل نحوه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

و

في «الخصال» بالإسناد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، في حديث الأربعمائه، قال: «لا يقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتى يتطهر» «٤».
 و لعله يستفاد منه كالخبر الأول كراهة القراءة من غير طهور، و لم أر من نبه عليه، و لعلهم فهموا منه التعبير عن الاستحباب، و أما البناء على كراهة ترك

(١) قرب الاسناد ص ١٧٥- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٧ باب استحباب الطهارة القراءة القرآن.

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن فهد الأسدي الفقيه الجليل الحلبي، ولد في الحلة سنة (٧٥٣) و توفي بكربلاء سنة (٨٤١ هـ)، روضات الجنات ج ١ ص ٢١.

(٣) عده الداعي ص ٢١٢- وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٨.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٦٢٧- حديث أربعمائه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٣٩

المستحب، و استحباب ترك المكروه فلا ينبغي الإصغاء إليه.

بل قد ورد الأمر بالطهارة لكتابه و تعليقه:

ففي «الكافي» و «قرب الاسناد» عن علي بن «١» جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام: أنه سأله من الرجل أ يحل له أن يكتب القرآن في الألواح و الصحيفة، و هو على غير وضوء؟ قال عليه السلام: لا «٢».

و

روى الشيخ في «الإستبصار» بالإسناد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «المصحف لا تمسه على غير طهر، ولا جنباً، ولا تمس خطه ولا تعلقه، إن الله يقول: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (٣). «٤»

أقول: والنهي فيه محمول على مطلق مطلوبية الترك الأعم من الكراهة والحرمه، فلا يقدر الجمع في النهي بين مس الخط والتعليق، كما أنه في الأخبار السابقة ظاهر في الكراهة، ولو بقرينة المقام، أو بمعرفة الإجماع وغيره على نفي التحريم، بل ينزل عليه نفي البأس عنه في أخبار آخر:

كصحيح أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قراءة المصحف، وهو على غير وضوء، قال عليه السلام: لا بأس ولا يمس الكتاب (٥).

(١) هو علي بن جعفر الصادق عليه السلام أبو الحسن المدني سكن العريض من نواحي المدينة كان جليل القدر عظيم الشأن، روى عن أبيه وأخيه وعن الرضا عليهم السلام، وله كتب وروى عنه جماعة، توفي سنة (٢١٠ هـ) كما في تقريب ابن حجر ص ٣٦٩.

(٢) رواه المجلسي في البحار ج ١٠ ص ٢٧٧ و ج ٨٠ ص ٣٠٩.

(٣) سورة الواقعة: ٧٩.

(٤) الاستبصار ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ باب أن الجنب لا يمس المصحف ح ٣.

(٥) التهذيب ج ١ ص ٣٥- الاستبصار ج ١ ص ١١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٠

و

في «الكافي» عن حريز (١)، عن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان إسماعيل بن أبي عبد الله عنده، فقال عليه السلام: يا بني اقرأ المصحف، فقال: إنني لست على وضوء، فقال عليه السلام: لا تمس الكتاب، ومس الورق وقرأه (٢).

فإن نفي البأس في الأول لنفي الحرمة، والأمر في الثاني لدفع توهم الحظر، ولذا نبه فيهما على ما هو المحذور من مس الكتاب. ويدل على الثاني، مضافاً إلى التعظيم والأولوية القطعية التي مرجعها إلى الدلالة اللفظية العلوية المتقدم من «الخصال» في حديث الاربعمائه، وغيره مما يأتي.

ولعله لا خلاف فيه، كما لا خلاف في جواز القراءة، للجنب والحائض، والنساء، ومن مس الميت، من غير العزائم الأربع، للمعتبرة المستفيضة:

كالصحيح عن الصادق عليه السلام، قال: «يقرأ الجنب القرآن، والحائض، والنساء أيضاً» (٣).

و

مؤثّق ابن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجنب يأكل، ويشرب، ويقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: ثم يأكل، ويشرب، و يقرأ، ويذكر الله تعالى ما شاء (٤).

و

صحيح زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: قلت له: الحائض والجنب هل يقرآن من القرآن شيئاً؟ قال عليه السلام: «نعم، ما شاء إلا السجدة، ويذكر ان

(١) هو حريز بن عبد الله السجستاني ابو محمد الأزدي روى عن الصادق عليه السلام وله «أصول الأربعة في الصلاة والصوم والزكاة

و النوادر» رواها عنه حماد بن عيسى الغريق سنة (٢٠٨) - الذريعة ج ٢.

(٢) الوسائل ج ١ ص ٢٦٩ ح ٢- التهذيب ج ١ ص ٣٥.

(٣) فروع الكافي ج ١ ص ٣٠: قال: الحائض تقرأ القرآن، و النفساء و الجنب أيضا.

(٤) الفروع ج ١ ص ١٦- التهذيب ج ١ ص ٣٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤١
الله تعالى على كل حال «١».

و

موثق الفضيل عنه عليه السلام: «لا بأس أن تتلوا الحائض و الجنب القرآن» (٢).

و

في صحيح الحلبي، عن الصادق عليه السلام قال: سألته: أ تقرأ النفساء، و الحائض، و الجنب، و الرجل يتغوط، القرآن؟ فقال عليه السلام: يقرأون ما شاءوا «٣».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، مضافا إلى الإجماع المحصل و المحكى في كلام الجماعة نقلا مستفيضا.
فلا ينبغي الإصغاء إلى ما يحكى عن سَلار «٤» في غير «المراسم» من تحريم القراءة للجنب مطلقا، أوله و لأخيه، لشذوذه و ضعفه، كضعف ما يستدل به من الخبرين:

أحدهما

المروى عن «الخصال» عن السكوني «٥»، عن الصادق عليه السلام، من آباءه، عن عليّ عليهم السلام، قال: «سبعة لا يقرأون من القرآن: الراكع، و الساجد، و في الكنيف، و في الحمام، و الجنب، و النفساء، و الحائض» «٦».

و الآخر

المروى في «الفتاوى» و «الأمالى» و «العلل» عن أبي سعيد الخدرى في وصية النبي صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام أنه قال: «يا علي من كان جنبا في الفراش مع امرأته

(١) العلل ص ١٠٥.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٦.

(٣) التهذيب ج ١ ص ٣٦.

(٤) سَلار: حمزة بن عبد العزيز الديلمي الفقيه سكن بغداد و توفي في «خسرو شاه» من قرى تبريز سنة (٤٦٣هـ) - الذريعة ج ١ ص ٧٣.

(٥) هو إسماعيل بن ابى زياد مسلم السكونى الشيعرى عدّه الشيخ الطوسى في «عدّة الأصول» ممّن انعقد الإجماع على ثقته و قبول روايته و إن كان عاميا.

(٦) الخصال ص ٣٥٧ باب السبعة ح ٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٢

فلا يقرأ القرآن فإنى أخشى أن ينزل عليهما نار من السماء فتحرقهما «١».

إذ مع قصورهما سنداً و دلالة لا يعارضان ما سمعت، سيما مع موافقتها للعامة، و عامية السكونى معروفة، و الكلام في وصايا النبي مشهور.

و أضعف منهما ما يقال: من معروفة ترك الجنب قراءة القرآن في ذلك الزمان، نظرا إلى ما

يحكى عن عبد الله بن «٢» رواحة، حيث رآته امرأته مع جاريتها، فمضت لتأخذ سكيناً، فأنكر عليها ذلك و احتجّ عليها بأنه ليس نهى رسول الله صلى الله عليه و آله أن يقرأ أحدنا و هو جنب؟ فقالت له: اقرأ، فقال:

شهدت بأن وعد الله حقّ * و أنّ النار مثوى الكافرينا و أنّ العرش من فوق «٣» طباق * و فوق العرش رب العالمينا و تحمله ملائكة

شداد* ملائكة إلا له مسؤمينا فقالت: صدق الله و كذب بصرى، فجاء و أخبر النبى صلى الله عليه و آله بذلك، فضحك حتى بدت نواجذه. «٤»

إذ إثبات الحكم الشرعى بمثله كما ترى.

فلا ريب فى ضعف القول بالحرمة مطلقا، بل و لا ريب أيضا فى ضعف ما لا يعرف القائل به من القول بحرمة ما زاد على سبع آيات، أو السبعين، و إن كان

(١) وسائل الشيعة ب ١٦ من أبواب الجنابة ج ١ ح ٣ ص ٤٩٣.

(٢) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الصحابى الشهيد فى مؤتة (٨).

(٣) فى مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٥٨: «و أن العرش فوق الماء طاف» و تحمله ملائكة كرام ملائكة إلا له مقرينا

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٢ ص ١٥٨-١٥٩ مع تفاوت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٣

ربما يلوح من «المقنعة» و «النهاية»، و ظاهر «المهذب» بل قد يستدل له

بموثقة سماعة، قال: سألته عن الجنب هل يقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: «ما بينه و بين سبع آيات إلا أربع سور» (١).

و فى رواية زرعة عن سماعة قال: «سبعين آية» (٢).

و لذا ربما عدّهما بعضهم روايتين، و آخرون رواية واحدة مضطربة.

إلا أن فيه، مع الإضمار، و ظهور الاضطراب، و شذوذ القول به، أن الخبر كما ترى غير صريح فى الحرمة، فلا يصلح مقيدا و مخصصا للمعتبرة المتقدمة التى فيها الصّحاح و غيرها.

على أن التدافع بينهما حاصل على فرض التعدّد فلا ينبغى التأمّل فى جواز القراءة من غير الأربع للمحدث بالحدث الأكبر مطلقا.

نعم إنّما الكلام فى أن الجواز هل هو من غير كراهة، مطلقا، كما هو ظاهر «الفقيه» و «الهداية» و «المقنع»، و غيرهما، ممّن نفى البأس عن قراءة القرآن كلّ ما خلا-العزائم، بل و صريح «المدارك» و «الحدائق» لظاهر الأخبار المتقدمة الدالّة على نفى البأس الشامل بإطلاقه لنفى الكراهة، كما هو مقتضى الأصل الذى لا-رافع له فى المقام بعد تضعيف خبر السبع و السبعين، و عدم صلاحيته للتخصيص و التقييد.

أو أن الجواز مع الكراهة مطلقا و لو فى أقلّ من السبع كما عن ابن سعيد (٣)

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٦- وسائل الشيعة ج ١ ح ١٠ ب ١٩ من أبواب الجنابة ص ٤٩٤.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٩- الوسائل ب ١٩ من أبواب الجنابة ح ١٠ ج ١ ص ٤٩٤.

(٣) ابن سعيد ابو أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلّى ولد سنة (٦٠١) و توفى سنة (٦٨٩) أو

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٤

فى «الجامع» حيث أطلق كراهة قراءة الجنب القرآن (١)، و عن سلار فى «المراسم» حيث قال: إنه يندب له أن لا يقرأ القرآن (٢).

و لعلّه للتعظيم، و فحوى ما دلّ على استحباب الطهارة من الأصغر للقراءة، و ظهور أخبار الباب، و إن اشتملت على الأمر فى رفع الخطر الذى هو أعم من الكراهة.

أو مع الكراهة فيما زاد على السبع لظاهر مفهوم موثّق سماعة المتقدم، و عليه المشهور، جمعا بينه و بين الأخبار المتقدمة.

و ما فيه من الضعف و القصور منجبر بالشهرة العظيمة بين الطائفة، و هؤلاء ذكروا اشتداد الكراهة بقراءة السبعين.

و تفرد المحقق الأول بإثبات مرتبة ثالثة للكراهة، و هي غلظها فيما زاد عن السبعين، و لا دلالة عليه. أو معها فيما زاد عن السبعين «٣»، لا ما نقص عنه مطلقا، كما عن ابن حمزة، أقوال. و لعلّ الأظهر هو الثاني، لما سمعت، مضافا إلى أنه من السنن الذي يتسامح فيها. لكنّ المراد بالكراهة قلة الثواب، لا المرجوحية الصرفة، جمعا بينها و بين

(٦٩٠) هـ - معجم الرموز ص ٢٢٠.

(١) الجامع للشرايع كتاب الطهارة باب الجنابة ص ٣٩.

(٢) المراسم كتاب الطهارة باب غسل الجنابة و بالوجه ص ٤٢.

(٣) حكاية العلامة في «المنتهى» ج ١ ص ٨٧ عن بعض الأصحاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٥

الإطلاقات الآمرة بالقراءة مطلقا، و لخصوص الجنب، بل يستفاد من صريح

المرسل المتقدم حيث قال: و متطهرا في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهر عشر حسنات «١».

و منه يظهر ضعف ما يقال: من نفى البلد عن الثاني نظرا إلى أنّ الأول لا يرتكب إلا في الشيء الذي لا يمكن أن يقع إلّا عبادة، فلنترم حينئذ بذلك، إذا القراءة أيضا كذلك، للإطلاقات الآمرة كقوله تعالى: فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ «٢».

بل العمومات أيضا

كقوله صلى الله عليه و آله في وصيته لعلي عليه السلام، على ما رواه في «الكافي» و «المحاسن»: «و عليك بتلاوة القرآن» «٣».

مضافا إلى الأخبار الكثيرة الآمرة بذكر الله سبحانه على كلّ حال، بل

في أخبار كثيرة: أنّ موسى على نبينا و آله و عليه السلام سأل ربه فقال: يا ربّ تمرّ بي حالات أستحيى أذكرك فيها.

و في خبر آخر: يأتي عليّ مجالس أعزّك و أجلك أن أذكرك فيها، فقال تعالى: «يا موسى إنّ ذكرى حسن على كلّ حال» «٤».

و بالجملة قضية العمومات و الإطلاقات الآمرة بالقراءة، و الدعاء، و الذكر، و غيرها شمولها لجميع الأمر، غاية الأمر نقصان ثوابها باعتبار بعض الحالات لفقد بعض المكملات، و أمّا المرجوحية المطلقة بالنسبة إلى الترك فلا يستفاد من

(١) عدّة الداعي ص ٢١٢ - وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٨.

(٢) المزمّل: ٢٠.

(٣) المحاسن ص ١٧.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٤٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٦

شيء من الأدلة، بل لعلّ المقطوع منها خلافه.

نعم قد يقال: إنّ الأولى للحائض و النفساء ترك القراءة مطلقا، نظرا إلى ورود النهي منها، مضافا إلى خبر «الخصال» «١» المتقدم في

المرسلين: أحدهما

النبوي: «لا يقرء الجنب و الحائض شيئا من القرآن» «٢».

و الآخر:

العلوي: «لا تقرأ الحائض قرآنا» «٣».

بل

عن أبي جعفر عليه السلام: «إنا نأمر نساءنا الحيض أن يتوضأن عند وقت كل صلاة ... إلى قوله عليه السلام: و لا يقربن مسجدا، و لا يقرآن قرآنا» (٤).

لكن

في خبر معاوية بن عمارة عن الصادق عليه السلام قال: «تتوضأ المرأة الحائض إذا أرادت أن تأكل، و إذا كان وقت الصلاة توضأت و استقبلت، القبلة، و هللت، و كبرت، و تلت القرآن، و ذكرت الله عز و جل» (٥).
هذا مضافا إلى ضعف المرسلين، و قصورهما عن معارضة ما سمعت.
بقي في المقام أمور:

أحدها: أن الأظهر وفاقا للأكثر حرمة مس كتابة القرآن للمحدث بأحد الحديثين لقوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٦).

(١) الخصال باب السبعة ح ٤٢ ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) عوالي اللآلي: الفصل الثامن ح ١٢ ج ١ ص ١٣١.

(٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٢٨.

(٤) دعائم الإسلام: في أحكام الحيض ج ١ ص ١٢٨.

(٥) فروع الكافي ج ١ ص ١٠١ باب ما يجب على الحائض في أوقات الصلوات ح ٢.

(٦) الواقعة: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٧

حيث إن الظاهر رجوع الضمير الى القرآن كما فهمه أكثر المفسرين، بل ظاهر «البيان» و «مجمع البيان» نسبه إلى الإمامية، مضافا إلى ما مرّ في خبره مولانا أبي الحسن عليه السلام من النهي عن المس، للآية.
بل لعلّ الظاهر هو أيضا فيما مرّ من قول الصادق عليه السلام لابنه إسماعيل (١).

بل

عن الباقر عليه السلام تفسير قوله تعالى: إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٢) بالمطهرين من الأحداث و الجنابات (٣).

و ستسمع الكلام فيه و في ضعف القول بالجواز، و تحقيق معنى المس و الكتابة عند التعرض لتفسير الآية إنشاء الله تعالى، و تمام الكلام في الفقه.

ثانيها: المحكى عن المرتضى (٤) رضى الله عنه حرمة مس ما عدى الكتابة من جلد المصحف، و هامشه، للآية، و

خبر أبي الحسن عليه السلام المتقدم: «المصحف لا تمسه على غير طهر، و لا جنباً، و لا تمس خطه، و لا تعلقه، إن الله يقول: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٥).» (٦)

و ضعفه واضح، إذا لضمير في الآية للقرآن لا للمصحف، و الخبر مع ضعفه عند السيد، فضلا عن غيره، لا بدّ من حمله على الكراهة، لاستقرار المذهب على نفى الحرمة، و ظهور الإجماع على الكراهة، و لا أقلّ من الشهرة العظيمة التي تصلح دليلا للكراهة، سيما مع المسامحة في أدلتها، مضافا إلى التعظيم،

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٥.

(٢) الواقعة: ٧٩.

(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٢٦.

(٤) حكاية المحقق في المعتبر ج ١ ص ١٩٠.

(٥) الواقعة: ٧٩.

(٦) وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٦٩ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٨

و

صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: «الجنب والحائض يفتحان المصحف من وراء الثياب، و يقرآن من القرآن ما شاء إلا السجدة» «١».

و توهم دلالة على مذهب السيد ضعيف كأصل المذهب، و مع فرضه فلا بد من حمله على الاستحباب لقضية ما مرّ، مضافا إلى ما تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٣٦٩

في «الفرقة الرضوية»: «ولا تمسّ القرآن إذا كنت جنباً، أو على غير وضوء، و مسّ الأوراق» «٢».

و سبيله عندنا سبيل الأخبار الضعيفة التي نقول بحجيتها بالانجبار في مثل المقام.

ثالثها: هل يستحب طهارة الثوب و البدن، و مكان القارى من الأبحاث؟

لم أر من تعرّض له من الأصحاب، و قضية الأصل العدم، غير أنّ الأوفق بالإكرام و تعظيم القرآن المأمور به في المعتبرة الاجتهاد في التنظيف و الطهارة للقراءة.

الثاني من الآداب الظاهرة: السواك قبل القراءة، للمعتبرة،

ففي «المحاسن» بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: نظّفوا طريق القران، قيل: يا رسول الله و

ما طريق القرآن؟ قال صلى الله عليه و آله: أفواهكم، قيل: بماذا؟

قال صلى الله عليه و آله: بالسواك «٣».

و

فيه، عنه عليه السلام: «أفواهكم طريق من طريق ربكم، فأحبها إلى الله أطيب بها

(١) التهذيب ج ١ ص ٣٦ و ص ١٠٥.

(٢) فقه الرضا (عليه السلام) ص ٤ و عنه في البحار ج ٨١ ص ٥٢ ح ٢٣.

(٣) المحاسن ص ٥٨٨- و الجعفریات ص ١٥ و دعائم الإسلام ج ١ ص ١١٩. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٤٩

ريحا، فطيبوها بما قدرتم عليه» «١».

و

روى الصدوق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك «٢».

و

في «الخصال» عن النبي صلى الله عليه و آله قال: في السواك اثنتا عشرة خصلة: مطهرة للفم، و مرضاة للرب، و بيض الأسنان، و يذهب بالحفر، و يقلّ البلغم، و يشهى الطعام، و يضاعف الحسنات، و تصاب به السنّة، و تحضره الملائكة، و يشدّ اللثة، و هو يمرّ بطريق القرآن، و صلاة ركعتين بسواك أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من سبعين ركعة بغير سواك «٣».

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «إذا قمت بالليل فاستك، فإن الملك يأتيك فيضع فاه على فيك، فليس من حرف تتلوه و تنطق به إلا صعد به إلى السماء، فليكن فوك طيب الريح» (٤).

و

في «المحاسن» عنه عليه السلام: «إني لأحب للرجل إذا قام بالليل أن يستاك، و أن يشم الطيب، فإن الملك يأتي الرجل إذا قام بالليل حتى يضع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل في جوف ذلك الملك» (٥).
إلى غير ذلك مما يدل على استحباب تطيب الفم للقراءة، و غيرها

(١) المحاسن ص ٥٨٨.

(٢)

أعلام الدين للدليمي، و عنه البحار ج ٨٤ ص ٣٣٠: وفيه عن النبي صلى الله عليه و آله: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ... إلخ.

(٣) الخصال ج ٢- أبواب الاثني عشر- ص ٤٨٠ ح ٥٢.

(٤) فروع الكافي ج ١ ص ٨.

(٥) المحاسن ص ٥٥٩، و عنه البحار ج ٨٠ ص ٣٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٠

السواك.

و هل يستحب التطيب بالعطر، و نحوه و جهان، و الأظهر الأول لفحوى ما سمعت، و ما دل على استحبابه للصلاة، و غيرها.
و أما البحث عن كيفية السواك و نصابه، و ما يستاك به فمذكور في الفقه.

الثالث من الآداب الظاهرة: ستر العورة لما دل على النهي عن القراءة في الحمام للعريان من غير إزار.

ففي «الكافي» و «الفقيه» عن محمد بن مسلم قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام:

أ كان أمير المؤمنين سلام الله عليه ينهى عن قراءة القرآن في الحمام؟ فقال عليه السلام:

لا، إنما نهى أن يقرأ الرجل و هو عريان، فأما إذا كان عليه إزار فلا بأس» (١).

و

روى الشيخ في «التهذيب» عن أبي بصير قال: سألته عن القراءة في الحمام، فقال عليه السلام: «إذا كان عليك إزار فاقرا القرآن إن شئت كله» (٢).

و من هنا يظهر أن الإطلاق النهي عن القراءة في الحمام محمول على ما لم يكن معه إزار.

كما أن إطلاق نفى البأس عنها

في خبر علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام: «أقرأ في الحمام، و أنكح فيه؟ فقال عليه السلام: لا بأس» (٣)

و مثله غيره من الأخبار إنما هو للإشعار بالجواز الذي هو أعم من الكراهة، و إن كان معها في بعض الأفراد، أو أنه مقيد بخصوص الستر.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٣٧٧ ح ١١٦٥.

(٣) الفقيه ج ١ ص ٦٣ ح ٢٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥١

بل لعلّه يستفاد من فحوى الخبرين دوران النهي المحمول على الكراهة مدار كشف العورة وجودا و عدما، و لو فى غير الحَمَام، و لذا لم تقيد العنوان به.

نعم هل العبرة فى عورة المرأة بعورة الصلاة، أو النظر لغير المماثل، أو المماثل؟ وجوه، و الأظهر الثالث، فترتفع الكراهة بستر العضوين كالزجل.

و التأمل فى شمول الحكم لها مع تعليقه فى الخبر الأول على الرجل و لا دليل على الاشتراك، مدفوع بظهور، من الفحوى، مضافا الى أنّ المسئول عنه فى الخبر الثانى هو نفس القراءة.

الرابع من الآداب الاستعاذه، للأمر بها كتابا و سنّه، قال الله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «١» أى إذا أردت القراءة، كما فى قوله تعالى: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ «٢»، و كما يقال: إذا لقيت العدو فخذ سلاحك.

و الأخبار الآمرة بها كثيرة، و ستسمع إنشاء الله تعالى تمام الكلام فيها، و فى وجوبها، و ندبها، و محلها، و كيفيتها، و معناها فى مفتح فاتحة الكتاب و عند تفسيرها.

الخامس من الآداب القراءة من المصحف و إن كان حافظا للقرآن، قادرا، على قراءته عن ظهر القلب، فإنّ النظر إلى المصحف عبادة مستقلة، مع ما يوجب من سلامة البصر، فالقراءة منه بمنزلة الجمع بين العبادتين، بل لعلّ القراءة فى المصحف أفضل منها عن ظهر القلب مع قطع النظر عن استحباب النظر.

(١) النحل: ٩٨.

(٢) المائدة: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٢

فعن الصدوق فى «ثواب الأعمال» مرفوعا عن الصادق عليه السّلام قال: «من قرأ القرآن فى المصحف نظرا متّع ببصره، و خفف على والديه و إن كانا كافرين» «١».

و

فيه مرفوعا عن النّبى صلّى الله عليه و آله: «ليس شيء أشدّ على الشيطان من القراءة فى المصحف نظرا» «٢».

و

فى «أمالى الطوسى»، عن أبى ذرّ قال: النظر إلى على بن أبى طالب عليه السّلام عبادة، و النظر الى الوالدين برأفة و رحمة عبادة، و النظر فى الصحيفة، يعنى صحيفة القرآن عبادة، و النظر الى الكعبة عبادة» «٣».

و روى الصدوق مثله ... الى أن قال: «و النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة» «٤».

و

فى «الكافى» عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك إننى أحفظ القرآن على ظهر قلبى، فأقرأه على ظهر قلبى أفضل أو أنظر فى المصحف؟ فقال عليه السّلام لى: بل أقرأه و انظر فى المصحف فهو أفضل، أما علمت أنّ النظر فى المصحف عبادة» «٥».

و

فيه عنه عليه السلام، قال: «قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين و لو كانا كافرين» (٦).

(١) ثواب الأعمال ص ١٢٨- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٥.

(٢) ثواب الأعمال ص ١٢٩- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٥.

(٣) أمالي الطوسي ج ٢ ص ٧٠- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٥ ح ٧٧٣٨.

(٤) الفقيه ج ٢ ص ١٣٢ ح ٥٥٦- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٥ ح ٧٧٣٩.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٤٩ ح ٥- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٤ ح ٧٧٣٨.

(٦) الكافي ج ٢ ص ٤٤٩ ح ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٣

و

في «قرب الإسناد» عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يستحب أن يعلق المصحف في البيت يتقى به من الشياطين. قال: ويستحب أن لا يترك من القراءة فيه (١).

أقول: ويستفاد منه جهة ثالثة للاستحباب، وهو استعمال المصحف وعدم ترك القراءة فيه، فلا تغفل.

السيّادس من الآداب خفض الصوت والإسرار بالقراءة لأنه أبعد من الرياء، وأقرب الى الخلوص وأحدى بتوجه النفس وحضور القلب، لنيل المقامات، والتحقق بحقائق الآيات، فإن الصوت كلما ازداد جهارته ازداد توجه النفس إليه، واشتغال القلب به، فإنه ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (٢) فينصرف، شطر من توجه القلب إلى ضبط ميزان الصوت والتحسين، والتحرير، والانتقال، وغير ذلك من الأحوال.

و أما خفض الصوت فالقارئ معه يتمكن من صرف تمام القلب الى التدبر في المعاني، والتحقق بحقائقها، ولذا يمكن في الإسرار من التدبر والتفكير ما لا يمكن في الإجهار، بل لعله يحصل في الاستماع من الالتفات ما لا يحصل في القراءة، ولا تغفل عن هذه الدقيقة، فإنها كثيرة الفائدة.

هذا مضافا الى قوله تعالى: اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٣) أي المجاوزين ما أمروا به في الدعاء من الإخفات، و

لذا

قال

(١) قرب الاسناد ص ٤٢ المطبوع بطهران بأمر آية الله العظمى البروجردى قدس سره.

(٢) الأحزاب: ٤.

(٣) الأعراف: ٥٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٤

الصادق عليه السلام على ما رواه في «مصباح الشريعة»: «استعن بالله في جميع أمورك متضرعا إليه أثناء الليل والنهار، قال: والاعتداء من صفة قراء زماننا هذا و علامتهم.

و

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه كان في غزاة، فأشرف على واد، فجعل الناس يهللون، ويكبرون، ويرفعون أصواتهم فقال صلى الله عليه وآله: «أيها الناس اربعوا (١) على أنفسكم، أما إنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، إنكم تدعون سميحا قريبا، إنه معكم» (٢).

و قال سبحانه: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ «٣».

و

قد ورد في تفسيره، عن أحدهما عليهما السلام: أنه لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله لعظمته «٤».

و

في «مجالس الشيخ» بالإسناد عن أبي ذر، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ وَصِيَّهِ لَهُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ اخْفِضْ صَوْتَكَ عِنْدَ الْجَنَائِزِ، وَ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَ عِنْدَ الْقُرْآنِ» «٥».

و

في «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَنْ قَرَأَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَجْهَرُ بِهَا صَوْتَهُ كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ مَنْ قَرَأَهَا سِرًّا كَانَ كَالْمَتَشَحِّطِ

(١) اربعوا على أنفسكم: توقفوا.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٧٨، و أخرجه أبو داود في صحيحه ج ١ ص ٣٥٠، و الترمذی ج ١٣ ص ١٤ و مسلم ج ٨ ص ٧٣ بتفاوت يسير.

(٣) الأعراف: ٢٠٥.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٠٥.

(٥) المجالس و الأخبار ص ٣٣٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٥

بدمه في سبيل الله «١».

هذا مضافا إلى ما يدل على فضيلة العبادة سرًا عليها علانية،

كالنبوي: «أعظم العبادة أجرا أخفاها» «٢»

و

الجعفری: «و الله العبادة في السر أفضل منها في العلانية» «٣».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، و ربما يرجح الجهر على الإخفات لاقتضاء الحال، أو لإعلاء كلمة الدين، أو لتعليم المؤمنين، أو لانزجار النفس من الإخفات، أو لاهتداء الناس في البرارى، سيما الليلية، أو لتنبية الغافلين، أو إيقاظ النائمين، أو إسماع المستمعين، أو لغير ذلك من المصالح التي لعله لا يمكن ضبط خصوصياتها، فيرجح الإجهار حينئذ على حسب ما اقتضته المصلحة.

و على شيء من ذلك أو غيره يحمل ما

رواه الحلبي في آخر «السرائر» بالإسناد، عن إسحاق بن عمير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل لا يرى أنه صنع شيئاً في الدعاء و في القراءة حتى يرفع صوته، فقال عليه السلام: لا بأس، إن على بن الحسين عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، و كان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار، و إن أبا جعفر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، و كان إذا قام من الليل و قرأ رفع صوته، فيمر به ما رآه الطريق من الساقين «٤»، و غيرهم، فيقومون

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٥٤ ح ٦- الوسائل ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٢٣.

(٢) الوسائل ج ١ ص ٧٩ ح ٨- قرب الاسناد ص ٦٤ و فيه: أعظم العبادات.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٨ ح ٢- الوسائل ج ١ ص ٧٧ ح ٢.

(٤) في المصدر: السقائين. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٦

و يستمعون الى قراءته «١».

و ستمتع رواية أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في الأمر بالقراءة بين القرائتين «٢»، يعنى المتوسط في الرفع و الخفض.

السابع من الآداب الظاهرية تحسين الصوت في قراءة القرآن بما لا يبلغ حد الغناء، لما سمعت من خبر إسحاق بن عمّار، و لما رواه الصدوق في «العيون» عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا» «٣».

و في رواية أخرى مثله، و زاد: «و قرأ عليه السلام: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» «٤».

قلت: و يستفاد منه أنّ الصوت الحسن نعمة زائدة منه سبحانه.

و يؤيده ما

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه و آله في هذه الآية: «إنّه هو الوجه الحسن، و الصوت الحسن، و الشعر الحسن» «٥».

و

عن الصادق عليه السلام في معنى الترتيل: «هو أن تمكث و تحسن به صوتك» «٦».

و

فيه، عن علقمة بن قيس، قال: كنت حسن الصوت بالقرآن، و كان

(١) مستطرفات السرائر ص ٩٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٥١ ح ١٣.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ص ٢٢٧- البحار ج ٧٩ ص ٢٥٥ ح ٤.

(٤) فاطر: ١.

(٥) عيون الاخبار ج ٢ ص ٦٩ ح ٣٢٢ و عنه في البحار ج ٦٩ ص ١٩٣ ح ٦.

(٦) مجمع البيان ج ٨ في تفسير سورة الملائكة ص ٤٠٠.

(٧) مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٧٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٧

عبد الله بن مسعود يرسل إليّ فأقرأ عليه، فاذا فرغت من قراءتي، قال: زدنا من هذا فداك أبي و أمي، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «إنّ حسن الصوت زينة القرآن» «١».

و

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه و آله: «إنّ لكلّ شيء حليّة، و حليّة القرآن حسن الصوت» «٢».

و

في «الكافي» عن النوفلي «٣»، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده، فقال عليه السلام: إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ، فربما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته، و إنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: و لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله يصلّي بالناس و يرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون» «٤».

و فيه عن أبي عبد الله عليه السلام ما مرّ عن أنس، عن النبي صلى الله عليه و آله «٥».

و

عنه عليه السّلام، قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليه أحسن الناس صوتا بالقرآن، و كان السقّاؤون يمرّون، فيقفون ببابه يسمعون قراءته و كان أبو جعفر عليه السّلام أحسن النَّاس صوتا «٦».

إلى غير ذلك ممّا يدلّ على استحباب تحسين الصوت، بل و إنّه من منه

(١) مجمع البيان ج ١ ص ١٦ الفن السابع من مقدّمة الكتاب.

(٢) جامع الاخبار ص ٥٧- بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٩٠ عن الجامع.

(٣) هو علي بن محمّد بن سليمان النوفلي رمى، روايات عن ابي الحسن العسكري عليه السّلام.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦١٥ ح ٤.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦١٥ ح ٩.

(٦) الكافي ج ٢ ص ١٦ ح ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٨

العظيمة، و نعمه الجسيمة على عبده، و أنّ النبي و الإمام أكمل الناس في ذلك.

و أمّا ما بلغ من ذلك حدّ الغناء و الترجيح فقد عبّر عنه في الأخبار بلحون أهل الفسق، و أهل الكبائر.

كما

في «الكافي» عن الصّادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «اقرأوا القرآن بألحان العرب و أصواتها، و إياكم و لحون أهل الفسق، و أهل الكبائر، فإنّه سيجيء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيح الغناء و النوح، و الرهبانية، لا يجوز تراقبهم، قلوبهم مقلوبة، و قلوب من يعجبه شأنهم» «١».

و

في «المجمع» عن عبد الرحمن بن سائب، قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص، فأتيته مسّلمًا عليه، فقال: مرحبا يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، قلت: نعم و الحمد لله، قال: إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «إنّ القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فبأكوا و تغنّوا به، فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» «٢».

قال شيخنا الطبرسي قدّس سرّه: تأول بعضهم تغنّوا به بمعنى استغنوا به، قال: و أكثر العلماء على أنّه تزيين الصوت و تحزينه «٣».

قال الفيض قدّس سرّه في «الصفّاء» بعد ذكره، و ذكر بعض ما سمعت من الأخبار: إنّ الاستفادة منها جواز التغنّي بالقرآن و الترجيح به، بل استحبابهما، فما ورد من النهي عن الغناء كما يأتي في محلّه ينبغي حمله على لحون أهل الفسوق و الكبائر، و على ما كان معهودا في زمانهم عليهم السّلام في فساق الناس، و سلاطين بني

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ ح ٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦- الفن السابع من مقدّمة الكتاب.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦- الفن السابع من مقدّمة الكتاب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٥٩

أميّة، و بني العباس من تغنّي المغنّيات بين الرّجال، و تكلمهنّ بالأباطيل، و لعبهنّ بالملاهي من العيدان، و القصب، و نحوها «١».

قال في «الفقيه»: سأل رجل علي بن الحسين عليهما السّلام عن شراء جارية لها صوت، فقال عليه السّلام: ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنّة «٢».

قال: يعنى بقراءة القرآن، و الزهد، و الفضائل التى ليست بغناء، و أمّا الغناء فمحظور.

و

فى «الكافى» و «التهذيب» عن أبى عبد الله عليه السلام قال: أجر المغتية التى تزف العرائس ليس به بأس، ليست بالثى تدخل عليها الرجال «٣».

و فى معناه أخبار أخرى، و كلام الفقيه يعطى أن بناء الحلّ و الحرمة على ما يتغنى به، و الحديث الآخر يعطى أن السماع صوت الأجنبية مدخلا فى الحرمة، فليتأمل انتهى.

حرمة الغناء:

أمّا حرمة الغناء فى الجملة فلا ريب فيه، و كأنه من ضروريات المذهب، بل الدين، و ادعوا عليه إجماع المسلمين، نعم ربما يحكى عن بعض أهل الخلاف الخلاف فيه، كما حكاه بعض العامة عن معاوية «٤»،

(١) الصافى ج ١ ص ٤٦- المقدمه الحادية عشرة.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٤٢ ح ١٣٩.

(٣) الكافى ج ٥ ص ١٢٠ ح ٣- التهذيب ج ٦ ص ٣٥٧ ح ١٠٢٢.

(٤) معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى المولود (٢٠) قبل الهجرة و المتوفى (٦٠) ه حكى العينى فى عمدته القارى شرح صحيح البخارى ج ٥ ص ١٦٠ أن معاوية كان ممن ذهب إلى إباحتها الغناء.

و قال الغزالي فى احياء العلوم ج ٢ ص ١٣٨: نقل أبو طالب المكى إباحتها السماع عن جماعة، فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، و عبد الله بن الزبير، و المغيرة بن شعبه، و معاوية و غيرهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٠

و المغيرة «١» بن شعبه، و ابن الزبير «٢»، و عبد الله «٣» بن جعفر، بل كان يعد ذلك من مطاعنهم.

و لذا قال ابن أبى الحديد: ما ينسب الى معاوية من شرب الخمر سرا لم يثبت إلا أنه لا خلاف فى أنه كان يسمع الغناء «٤».

و حكى الشيخ فى «الخلاف» عن أبى حنيفة «٥»، و مالك، و الشافعى «٦» كراهة الغناء، و عدم حرمة «٧».

و ما ربما يوجد فى أخبارنا مما يوهم الإباحة محمول على التقية قطعا، فإن الإمامية قديما و حديثا على الحرمة، بل عدها المحدث «٨» الحر العاملى فى «الفوائد الطوسية»، و المدقق «٩» القمى من الضروريات، و الأخبار متواترة على التحريم فى الجملة، بل قال فى «الفوائد الطوسية»: إنى اعتبرتها من جميع كتب

(١) المغيرة بن شعبه بن ابى عامر الثقفى المتوفى (٥٠)- الاعلام ج ٨ ص ١٩٩.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام المقتول (٧٣)- تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ١٣٥.

(٣) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب المتوفى (٨٠)- العبر ج ١ ص ٩١.

(٤) شرح «النهج» لابن ابى الحديد ج ٥ ص ١٣٠ و فيه: أن نوم معاوية كان بين القيان المغتيات و اصطحابه معهن.

(٥) ابو حنيفة: النعمان بن ثابت الكوفى المتوفى (١٥٠)- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٣.

(٦) الشافعى: محمد بن إدريس القرشى المتوفى بمصر (٢٠٤)- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٩.

(٧) لم أظفر على هذه: الحكاية فى خلاف الشيخ، نعم فى «الرسالة القشيرية» ص ٤٦٧: من قال بإباحته (أى السماع و الغناء) من السلف

مالك بن أنس، و أهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء، إلى ان قال: و أما الشافعي فإنه لا يحرمه، و يجعله في العوام مكرها.

(٨) هو محمد بن الحسن بن عليّ العاملي المتوفى (١١٠٤) - الاعلام ج ٦ ص ٣٢١.

(٩) هو أبو القاسم بن محمد حسن الجيلاني الشفتي القمي المتوفى (١٢٣١هـ) - معجم المؤلفين ج ٨ ص ١١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦١

الحديث التي عندي فوجدتها تقارب ثلاثمائة حديث وردت بلفظ الغناء، و بألفاظ آخر توافق معناه، ثم تعجب من الأردبيلي «١» في «شرح الإرشاد» حيث اعتمد في تحريمه على الإجماع، قائلا: إنه لو لاه لما جزم بتحريمه مدعيا ضعف الأخبار بعد نقل يسير منها «٢».

«٣» أقول: و لعل تأمل الأردبيلي ناشئ عن قلة التبع، فإن الأخبار الدالة على حرمة مستفيضة جدا، بل متواترة قطعا، و فيها الصّحاح، و

غيرها، بل يستفاد أيضا من بعض الآيات، و لو بمعونة بعض الأخبار الواردة في تفسيرها، إذ

قد ورد في تفسير قول الزور في قوله تعالى: وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ «٤» أنه الغناء، كما في صحيحة الشّخام «٥»، و موثقة أبي بصير «٦»، و

حسنه هشام «٧»، و مرسله ابن «٨» عمير،

(١) هو احمد بن محمد الأردبيلي الفقيه المتوفى بكرىلاء سنة (٩٩٣هـ) - الاعلام ج ١ ص ٢٢٣.

(٢) قال في مجمع الفائدة ج ٨ ص ٥٩: ما رأيت رواية صريحة في التحريم ... إلخ.

(٣) الفوائد الطوسية ص ٨٤ - ٨٨.

(٤) الحج: ٣١.

(٥) هو زيد بن يونس ابو اسامة الشّخام الكوفي كان من أصحاب الباقر و الصادق صلوات الله عليهما، و ثقة النجاشي، معجم رجال

الحديث ج ٧.

و صحيحة ما

روى في الكافي الفروع منه ج ٢ ص ٢٠١: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز و جل:

وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال: قول الزور الغناء.

(٦) ابو بصير كنية لخمسة أشخاص و إذا أطلق فالمراد به يحيى بن القاسم الأسدي المتوفى حدود (١٤٨) و موثقه ما

روى في فروع الكافي ج ٢ ص ٢٠٠: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ:

فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال: الغناء.

(٧) حسنه هشام ما

رواها على بن إبراهيم في تفسيره ص ٤٤٠ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير قول الزور:

الغناء

، و هشام الذي روى عن الصادق عليه السلام و روى عنه ابن أبي عمير مشترك بين هشام بن الحكم و هشام بن سالم، و كلاهما

موثقان.

(٨) مرسله ابن أبي عمير ما رواها

في فروع الكافي ج ٢ ص ٢٠١ باسناده عن ابن أبي عمير عن بعض تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٢

و رواية يحيى بن عباد «١».

و به فسر الزور في قوله تعالى: وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ «٢».

و لهو الحديث في قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ «٣» في أخبار مستفيضة، كصحيحة أبي الصباح «٤»، و خبر محمد

بن مسلم «٥»، و مهرا ن «٦» بن محمد، و الوشاء «٧»، و الحسن «٨» بن هارون، و عبد الأعلى «٩»، و غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي تمرّ عليك ان شاء الله تعالى

أصحابه عن الصادق عليه السلام أنه قال: قَوْلَ الزُّورِ الغناء.

- (١) هو يحيى بن عبادة المكي، عدّه البرقي من أصحاب الصادق عليه السلام، و روايته هي التي رواها الصدوق منه باسناده في «معاني الاخبار» ص ٣٤٩ في باب فَاجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ ح ١.
(٢) الفرقان: ٧٢.
(٣) لقمان: ٦.

(٤) هو أبو الصباح الكناني إبراهيم بن نعيم العبدي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام، وثقه النجاشي و قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يسميه «الميزان»

- لثفته، و المراد بصحيحه هي التي رواها الكليني في الكافي ج ٦ كتاب الأشربة ص ٤٣٣ ح ١٣ في معنى الزور في لا يشهدون الزور.
(٥) هو محمّد بن مسلم بن رباح الثقفي أبو جعفر الطحان عدّ من أصحاب الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام وثقه النجاشي و قال: كان من أوثق الناس، توفي سنة (١٥٠) و المراد بخبره، ما رواه في الكافي ج ٦ ص ٤٣٣ كما رواه أيضا عن أبي الصباح الكناني.
(٦) هو مهرا ن بن محمد بن أبي نصر السكوني، ترجمه النجاشي و قال: له كتاب، و المراد بحديثه ما رواه الكليني في الكافي ج ٦ باب الغناء ص ٤٣٣ ح ١٦.

(٧) هو الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي الكوفي من وجوه أصحاب الرضا عليه السلام، و المقصود من خبره ما رواه في الكافي ج ٦ ص ٤٣٢ ح ٨ في باب الغناء.

(٨) هو من أصحاب الصادق عليه السلام و حديثه هو الذي رواه مهرا ن بن محمد المتقدم ذكره.

(٩) هو مشترك بين عشرة رجال ثلاثة منهم موثّقون و الباقر مجاهيل و أمّا رواية عبد الأعلى هي التي

رواها الصدوق في معاني الاخبار ص ٩٩ عن الصادق عليه السلام أنه قال: قَوْلَ الزُّورِ الغناء. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٣ في تفسير الآيات، و إنّما طويناها في المقام حذرا من التكرار.

بل

في «المقنع» للصدوق: «شرّ الأصوات الغناء «١».

الغناء مميّا وعد الله عليه النار، و تلا- قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ «٢». «٣» و

في «العيون» عن الزّريان بن الصلت، قال: سألت الرضا عليه السلام يوما بخراسان فقلت: يا سيدي إنّ هشام «٤» بن إبراهيم العباسي حكى عنك أنّك رخصت له في استماع الغناء؟ فقال عليه السلام: كذب الزنديق، إنّما سألتني عن ذلك فقلت له: إنّ رجلا سأل أبا جعفر عليه السلام عن ذلك، فقال أبو جعفر عليه السلام: إذا ميز الله بين الحقّ و الباطل فأين يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل، فقال أبو جعفر عليه السلام: قد قضيت «٥».

و

عن إبراهيم بن محمّد المدني عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن الغناء، و أنا حاضر، فقال عليه السلام: «لا تدخلوا بيوتا الله معرض عن أهلها» «٦».

و

في «تفسير القمي» بالإسناد عن عبد الله بن عباس، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَدِيثٍ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ إِضَاعَةُ الصَّلَاةِ، وَاتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ، وَالمِيلُ

(١) المقنع للصدوق ط قم ص ٤٥٦ رواه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) الوسائل ج ١٢ كتاب التجارة باب ٩٩ ص ٢٢٦ ح ٦ عن أبي جعفر عليه السلام.

(٤) هشام بن إبراهيم العبّاسي الكذاب كان شيعيًا، ثم انقلب إلى الزندقة كان ينقل أخبار الإمام الرضا عليه السلام إلى ذي الرياستين و المأمون فولّاه المأمون حجابة الإمام عليه السلام فكان لا يتكلم في داره بشيء إلا أوردته هشام على المأمون و وزيره - معجم رجال الحديث ج ١٩.

(٥) عيون الأخبار ص ١٤٨ و عنه الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٧ ح ١٤.

(٦) فروع الكافي ج ٢ ص ٢٠٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٤

إلى الأهواء ... إلى أن قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله، و يتخذونها مزامير ... إلى أن قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: و يتغنّون بالقرآن إلى أن قال: فأولئك يدعون في ما ملكوت السماوات الأرجاس الأنجاس «١».

و

في «العيون» عن الرضا عن آباءه عن عليّ عليهم السلام قال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: إني أخاف عليكم استخفافا بالدين، و قطيعة الرّحم، و أن تتخذوا القرآن مزامير» «٢».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي لا ينبغي معها الإصغاء إلى ما يظهر من الكاشاني في «الوافي» تبعاً للغزالي، و غيره من العامة من عدم حرمة الغناء في نفسه، و من حيث إنه صوت، بل الحرمة إنّما تعرض للعوارض التي تعرضه عن دخول الرجال على المغنيات، و تكلمهنّ بالأباطيل، و لعبهنّ الملاهي من العيدان، و المزامير، و القصب، و غيرها «٣».

و ربما يميل إلى ذلك الخراساني «٤» في «الكفاية» حيث قال بعد نقل جملة من الأخبار الأثرة بتحسين الصوت ما لفظه:

يمكن الجمع بين هذه الأخبار و الأخبار الكثيرة الدالة على تحريم الغناء بوجهين:

أحدهما تخصيص تلك الأخبار بما عدى القرآن، و حمل ما يدلّ على ذمّ التغنّي بالقرآن على قراءة تكون على سبيل اللهو، كما يصنعه الفساق في غنائهم.

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٣٠٤-٣٠٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٢-بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٩٤ ح ٨ عن العيون.

(٣) الوافي ج ٣ ص ٣٥ كتاب المعاش و المكاسب باب ٣٤.

(٤) هو المولى محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري المتوفى (١٠٩٠ هـ).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٥

و ثانيهما أن يقال: المذكور في تلك الأخبار «الغناء»، و المفرد المعرّف لا يدلّ على العموم لغه، و عمومه إنّما يستتبط من حيث إنه لا قرينة على ارادة الخاصّ، و إرادة بعض الأفراد من غير تعيين ينافي غرض الإفادة و سياق البيان و الحكمة، فلا بدّ من حمله على الاستغراق و العموم، و هاهنا ليس كذلك، لأنّ الشائع في ذلك الزمان الغناء على سبيل اللهو من الجوارى المغنيات في مجالس الفجور و الخمر، و غيرها، فحمل المفرد المعرّف على تلك الأفراد الشائعة في ذلك الزمان غير بعيد، و في عدّه من الأخبار إشعار

بكونه لهوا باطلا، و صدق ذلك في القرآن و الدعوات، و الأذكار المقروءة بالأصوات الطيبة المذكورة للآخرة و المهيجة للأشواق إلى عالم القدس محلّ تأمل.

فحيث أن ثبت الإجماع في غير الغناء على سبيل اللهو كان متبعا، و إلا بقي حكمه على أصل الإباحة.

ثم ذكر استثناء الحدى، و فعل المرأة له في الأعراس ... الى أن قال: و عن بعضهم استثناء مرائي الحسين عليه السلام «١».

أقول: قد ظهر ممّا سمعت أن عروض الشبهة في هذه المسألة القطعية إنما حصل لبعض الأمور أو كلها:

أحدها: الوسوسة في أصل الحرمه، و قد عرفت أن عليها الضرورة القطعية، فضلا عن الإجماع بقسميه، و الآيات، و الاخبار المتواترة.

و أمّا ما

في خبر عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام المروى في «قرب الإسناد» قال: سألته عن الغناء هل يصلح في الفطر، و الأضحى، و الفرحة؟

(١) مكاسب الشيخ المطبوع بالنجف الأشرف بتحقيق كلانتر ج ٣ ص ٢٤٣ إلى ص ٢٤٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٦

قال عليه السلام: لا بأس به ما لم يعص به «١».

و في كتاب علي بن جعفر مثله، إلا أن فيه: «ما لم يزم به»

، أى ما لم يلعب معه بالمزمار «٢».

فمع اضطرابه، و احتمال حمله على ارادة التغنى بالشعر على وجه لا يصلح الى حدّ الغناء، أو على خصوص العرس في اليومين، أو على غير ذلك.

محمول على التقيّة، لما سمعت من ولوع أكثر الاموية و العباسية بذلك، و موافقة فقهاءهم لهم عليه.

كما يحمل عليها ما

رواه القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «و رجع بالقرآن صوتك، فإنّ الله عزّ و جلّ يحبّ الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا «٣».

مع احتمال حمله على ترجيع دون حدّ الغنا كما تعرف، مع أنّا لنأبى عن طرح مثله، بعد ما سمعت من الأدلة القطعية التي لا تأمل معها في ثبوت أصل الحكم.

ثانيها: التأمل في عموم الحكم الذي لا ينبغي التأمل فيه، نظرا إلى.

استفادته من الإطلاقات المتقدمة التي هي كالعومات.

فمناقشة الخراساني في دلالتها على العموم ضعيفة جدّا، و حمل اللام في المعرف بها على العهد، مع ظهورها في الماهية من حيث هي،

أو الشائعة مع مساعده غيرها من الإطلاقات و الانساق بعيد قطعا.

(١) قرب الاسناد ص ١٢١- و عنه الوسائل ج ١٣ ص ٨٥ ح ٥.

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٨٥ ذيل ح ٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٦ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٧

و منه يظهر أيضا ضعف ما يحتمل إرادته في كلام الكاشاني، من أنّ المحرّم خصوص الصوت الغنائي المقترن للأباطيل و الملاهي من المزامير، و الأوتار، و غيرها، حيث إنّ كلامه محتمل له، كما أنّه محتمل لما نسبه إليه المشهور من أنّ حرمة ليس لكونه فردا من الصوت مشتملا على كفيته خاصة، بل لاقتراانه بغيره من المحرّمات، كدخول الرجال، و التكلم بالباطل، و اللبّ بالملاهي، و غيرها.

و أما تخصيص الحكم بغير القرآن كما هو أحد وجهي الخراساني، أو بغير المراثي كما عن الأردبيلي وغيره، أو بغير ما كان من القرآن، و الدعاء، و الذكر، و غيرها مما يذكر الآخرة، و يهيج الشوق، و يتعش القلب، كما عن آخرين، فكل ذلك ممّا لا دليل عليه، بل يردّها ما سمعت من الأخبار، و غيرها.

نعم ربما يستدلّ له بالعمومات أو الإطلاقات الآمرة بقراءة القرآن، و الدعاء، و عموم أدلّة الإيكاء، و الإرشاد الشاملة لما كان على هذه الكيفيّة الخاصّة، و على فرض شمول أدلّة تحريم الغناء للمقام فهو من تعارض العموم من وجه يجب فيه الرجوع الى المرجّحات، أو الأدلّة الخارجيّة، و قضيتها في المقام الإباحة للأصل، مضافا الى خصوص ما دلّ على الأمر بالتغنّي في القرآن كقول النبي صلى الله عليه و آله في خبر «المجمع»: «تغنّوا به فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» (١).

و

قول أبي جعفر عليه السلام في خبر أبي بصير: «و ترجع بالقرآن صوتك، فإنّ الله تعالى يحبّ الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا» (٢). و ما مرّ من الأخبار الآمرة بتحسين الصوت، و أنّه حلية القرآن (٣).

(١) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٧٣ ح ٤٦٨١- مجمع البيان ج ١ ص ١٦.

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٢٤ من أبواب قراءة القرآن ح ١.

(٣) أصول الكافي ص ٥٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٨

و في الكلّ نظر: أمّا العمومات الآمرة بالقراءة فلاّنها إنّما يدلّ على استحبابها حيث لم يشتمل على جهة محرّمة، أمّا معها فالتحكيم لأدلّة التحريم، من دون فهم التعارض أصلا، و لذا لم يتأمّل أحد في تقديم ما دلّ على حرمة الزنا، و اللواط، و شرب الخمر على ما دلّ على استحباب قضاء حوائج المؤمنين، و إدخال السرور في قلوبهم، و إن كان بين الدليلين العموم من وجه، و ذلك لأنّ أدلّة الإباحة و الاستحباب و الكراهة لا يعارض شيء منها شيئا من أدلّة الوجوب و المحرمة.

نعم لو قلنا بجواز اجتماع الأمر و النهي على جميع الوجوه اتّجه اجتماع الجهتين المستلزمتين للحكمين كالصلاة في الحّمّام، و لو مع تعينه لتضييق الوقت، أو عدم مباح غيره، فيتصوّر حينئذ اجتماع حرمة القراءة و استحبابها في قراءة القرآن بكيفيّة محرّمة كالغناء، أو في هواء مغضوب، أو بلسان مغضوب عينا كلسان العبد الأبق أو العاصي، أو منفعه كالأجير لقراءة غير القرآن.

و أمّا خبر «المجمع» فمع ضعفه، و كونه من طريق العامّة، و ظهور الحمل على التقيّة، سيّما مع شيوع المذهب بين العامّة، محمول على ما مرّ في كلام الطبرسي في المعنيين.

و يؤيّد ما

في «النهاية» لابن الأثير، قال: «في حديث القرآن: «من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا»

أى من لم يستغن به من غيره، يقال: تغنّيت، و تغانيت، و استغنيت.

قيل: أراد من لم يجهر بالقراءة فليس منّا.

و قد جاء مفسرا

في حديث آخر: «ما اذن الله لشيء كإذنه للنبي يتغنّي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٦٩

بالقرآن يجهر به» (١).

قيل: إنّ قوله: «يجهر به» تفسير لقوله «يتغنّي به».

و قال الشافعي «٢»: معناه تحسين القراءة و تزيينها، و يشهد له

الحديث الآخر: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»

و كلّ من رفع صوته و والاه فصوته عند العرب غناء.

قال ابن الأعرابي «٣»: كانت العرب تتغنى بالركباني «٤» إذا ركبت، و إذا جلست في الأفيئة، و على أكثر أحوالها، فلمّا نزل القرآن أحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنْ يَكُونَ هَجِيرَتَهُمْ «٥» بالقرآن مكان التغنى بالركباني، الى أن قال: و في حديث عائشة: «و عندي جارتان يتغنيان بغناء بعث» «٦»، أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعث، و هو حرب كانت بين الأنصار، و لم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو و اللعب «٧».

و حكى السيد المرتضى عن أبي عبيد القاسم بن سلام مستشهدا له بيت الأعشى «٨»:

(١) المسند لابن حنبل ج ٢ ص ٢٧١- و ص ٢٨٥- و ص ٤٥٠.

(٢) هو محمد بن إدريس الشافعي امام الشافعية توفي سنة (٢٠٤)- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٥.

(٣) هو محمد بن زياد الأديب اللغوي الكوفي المتوفى (٢٣١)- تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢.

(٤) الركباني: نشيد بالمدّ و التمطيط- الفائق ج ١ ص ٤٥٨.

(٥) الهجيري (بكسر إلهها و الجيم المشددة و آخرها الألف المقصورة): العادة و الدأب.

(٦) قال الطريحي في «المجمع»: بعث بالضم كعزاب يوم حرب في الجاهلية بين الأوس و الخزرج و كان الظفر للأوس، استمرّ مائة و عشرين سنة حتّى ألفت بينهم الإسلام.

(٧) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩١-٣٩٢ في كلمة (غنا).

(٨) هو عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان، شاعر جاهلي- الاعلام ج ٤ ص ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٣٩٩

و كنت امرا زمتنا بالعراق عفيف المناخ طويل النغن «١»

و قول الآخر:

كلانا غنى عن أخيه حياته و نحن إذا متنا أشدّ تغانيا «٢»

و احتج أيضا بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني» أي مستغن.

و

بخبر مرفوع، عن عبد الله بن «٣» نهيك أنّه دخل على سعد «٤» بيته، فاذا مثال رثّ، و متاع رثّ، فقال: يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن».

قال أبو عبيد «٥»: فذكره المتاع الرثّ و المثال الرثّ يدلّ على أنّ التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال، و المثال هو الفراش، و لو كان التغنى معناه الترجيح لعظمت المحنة علينا بذلك، إذا كان من لم يرجع بالقرآن فليس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و ذكر غير أبي عبيد جوابا آخر، و هو أنّه عليه السلام أراد: من لم يحسن صوته بالقرآن و لم يرجع فيه.

(١) ديوان الأعشى: ٢٢.

(٢) نسبه صاحب «اللسان» في (غنى) إلى المغيرة بن حبناء التميمي، و ذكره المبرّد في «الكامل» ج ٣ ص ١٤ في ضمن أبيات لعبد الله

بن معاوية و قبله: فعين الرضا عن كل عيب كليله و لكن عين السخط تبدى المساويا

(٣) أورده ابن أبي حاتم في الجرح و التعديل ج ٥ ص ١٨٣ و قال: سمع عليا رضی الله عنه و روى عنه أبو إسحاق الهمداني.

(٤) هو سعد بن ابى وقاص مالك القرشى الزهرى الصحابى المتوفى بالعقيق على عشرة أعيان من المدينة سنة (٥٥ هـ) - الاعلام ج ٣ ص ١٣٧.

(٥) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الخراسانى البغدادى المتوفى (٢٢٤)، الاعلام ج ٦ ص ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧١

و احتج صاحب هذا الجواب

بحديث عبد الرحمن «١» بن السائب قال: أتيت سعدا- و قد كفّ بصره- فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبا بابن

أخى، بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتابكوا، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا»

... الى أن قال السيد:

و قد ذكر محمد بن القاسم «٢» الأنبارى وجها ثالثا فى الخبر، قال: أراد عليه السلام:

من لم يتلذذ بالقرآن و لم يستحله، و لم يستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء و التذاذهم به.

ثم قال السيد: و جواب أبى عبيد أحسن الأجوبة و أسلمها، و جواب أبى بكر أبعدا ... إلى أن قال: و يمكن أن يكون فى الخبر وجه

رابع خطر لنا، و هو أن يكون

قوله عليه السلام: «من لم يتغن»

من غنى الرجل بالمكان إذا طال مقامه به، و منه قيل: المغنى و المغانى، قال الله تعالى: كَأَنْ لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا «٣» أى لم يقيموا بها ...

إلى أن قال: فيكون معنى الخبر على هذا الوجه: من لم يقيم على القرآن فيتجاوزه و يتعداه الى غيره و لم يتخذ مغنى و منزلا و مقاما

فليس منا «٤».

أقول: و هذه الوجوه أكثرها تكلفات مستغنى منها بعد ما سمعت من ضعف الخبر، و عاميته، و مخالفته، على فرض ظهوره فيما استدلوا

له به، للكتاب

(١) هو عبد الرحمن بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد القرشى المخزومى، قتل يوم الجمل.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنبارى الأديب اللغوى ولد فى الأنبار سنة (٢٧١) و توفى ببغداد سنة (٣٢٨ هـ).

قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد فى القرآن- الاعلام ج ٧ ص ٢٢٦.

(٣) الأعراف: ٩٢.

(٤) درر القلائد و غرر الفوائد للسيد المرتضى ج ١ ص ٣١-٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٢

و السنة، و الإجماع، بل الضرورة حسبما سمعت، و لعل الأظهر فيه حمله على الاستغناء، لما سمعت مضافا الى التصريح به فى

«الصحاح» و «القاموس» و «مصباح المنير» و غيرها، و أما غيره من المعانى فبعيد جدا.

و مثلها فى البعد ما حكاه السيد عن بعض السلاطين من معاصريه، من حمله على ما يشبه الغنا كالتباكى لما يشبه البكاء للإتيان بما

يمتاز عن الباطل مع تحسين الصوت فيه، و الأمر سهل بعد ما سمعت.

و أما خبر أبى بصير فلا دلالة فيه على ذلك، فإن التحسين و الترجيع أعظم من الغناء، و منه يظهر النظر فى غيره من الأخبار أيضا.

الثالث من الأمور التي صارت موجبة لعروض الشبهة في هذه المسألة توهم كون الغناء من صفات اللفظ و المقروء، لا الصوت و القراءة كما عن البعض.

و ربما يؤيد باستظهاره من الأخبار المفسرة للزور، و لقول الزور، و للهو الحديث، حيث إن الظاهر منها بل من الآيات كونه من مقولة الكلام، و لذا عبر عنه بقول الزور أي الباطل، و للهو الحديث الذي هو من إضافة الصفة الى الموصوف.

بل قد يؤيد أيضا بما

في بعض الأخبار من أن قول الزور أن يقول للذي يغنى: أحسنت «١».

و

بقول علي بن الحسين عليهما السلام في مرسله «الغناء» المتقدم في الجارية التي لها صوت: «لا بأس لو اشتريتها فذكرتك الجنة» «٢»
يعني بقراءة القرآن في الزهد،

(١) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٢٩- الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به ح ٢١.

(٢) الوسائل ج ١٢ ص ٨٦- الباب ١٦ من أبواب تحريم بيع المغني و شرائها ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٣

و الفضائل التي ليست بغناء، و لو مع احتمال كون التفسير من الصدوق أيضا.

قلت: و فساد هذا الوهم أيضا واضح، إذ من المقطوع به بعد التأمل في كلمات اللغويين و الفقهاء كون الغناء من صفات الأصوات لا الألفاظ و لذا عزّفوه بالصوت، و بمده، و بالصوت المطرب، و بتطريبه، و ترجيعه، بل لو استقصيت كلمات الجميع وجدتها راجعة الى شيء مما سمعت، بل في «المصباح المنير»: «الغناء مثل كتاب: الصوت» و

في «المقنع» للصدوق مرسل عن الصادق عليه السلام: قال: «شر الأصوات الغناء» «١»

مضافا الى أن للأقوال المحرمة عنوانات أخر كالكذب، و النميمه، و البهتان، و الكفر، و نحوها، و من البين أنهم لم يقصدوا بتحريم الغناء إلا التنبيه على حرمتها من حيث هي، بل كما أن في الألفاظ حراما يجب تركه، فكذلك في الأصوات.

و أما ما جعلوه مؤيدا لهذا التوهم من الظواهر المتقدمه فهو بمكان من الضعف و القصور، إذ يكفي في جواز اتّصاف الحديث باللّهو، و القول بالزور اتصافهما بكيفيه لاهيه باطله، و لعله من المقطوع الذي لا ينبغي التأمل فيه بعد ما سمعت و غيره.

و من العجيب ركون الشيخ التستري «٢» أدام الله بقاءه الى ذلك، حيث إنه بعد نقل المناقشه بما سمعت من التأيد، قال: فالإنصاف أنّها لا تدل على حرمة نفس الكيفيه إلا من حيث إشعار لهو الحديث بكون اللّهو على إطلاقه مبغوضا لله تعالى، و كذا الزور بمعنى الباطل، و إن تحققت في كفيته الكلام لا في نفسه كما إذا

(١) المقنع ص ٤٥٦ و عنه الوسائل ج ١٢ ص ٣٠٩.

(٢) هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري المتوفى (١٢٨١) بالنجف الأشرف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٤

تغنى في كلام حق من قرآن، أو دعاء، أو مرثيه «١».

و فيه مع الغض عما سمعت أنه مع ظهور الأدلة في نفس الكلام لا إشعار فيها بحرمة اللّهو، فضلا من أن يكون له إطلاق شامل لهذا الفرد الذي هو من كفيته الصوت، مع أن المقطوع أن الغناء نفسه أيضا من الموضوعات المستنبطة العرفيه و اللغويه التي ثبت له حكم الحرمة بالضرورة من الدين، فيجب الرجوع في معناه الى العارفين بالعرف و اللغه، و قد سمعت و تسمع أيضا اتفاهم على أنه

من كَيْفِيَّاتِ الأصوات.

و أما ما اختاره من أنَّ حرمة الغناء إنما هو من جهة كونه لهوا فستسمع تمام الكلام في فساده.

رابعها: تخصيص موضوع الغناء بأنَّه إنما يتحقَّق بالنسبة الى بعض الألفاظ والكلمات دون بعض، وإن كان من صفات الأصوات، ولا أعرف من المتفكِّه قائلًا به.

نعم ذكر الشيخ التستري زيد قدره: أنه قد ظهر من بعض من لا خبرة له من طلبه زماننا تقليدا لمن سبقه من أعياننا منع صدق الغناء في المراثي، وهو عجيب، فإن أراد أنَّ الغناء ممَّا يكون لموادِّ الألفاظ دخل في صدقه فهو تكذيب للعرف واللَّغَة، إذ لا ريب أنَّ من يستمع من بعيد صوتا مشتملا على الإطراب المقتضى للرفض أو ضرب آلات اللّهُو لا يتأمَّل في اطلاق الغناء، عليه، وإن لم يعلم موادِّ الألفاظ.

و إن أراد أنَّ الكيفيَّة التي يقرأ بها للمراثية لا يصدق عليه الغناء فهو تكذيب

(١) المكاسب مع تعليقات الكلانترج ٣ ط النجف ص ١٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٥

للحسّ «١».

قلت: وهذا الكلام منه سلّمه الله صريح في نقض ما ذكره أولاً، حيث استفاد من الأدلّة كون الغناء من صفات الألفاظ، فلا حظ تمام كلامه.

ثمَّ إنَّ القول المحكّي عن بعض الأعيان لعلّه هو الذي سمعت فيما حكيناه من «الكفاية». حيث قال: و صدق ذلك في القرآن و الدعوات ... الى آخر ما تقدّم منه، سيّما بعد ملاحظة قوله فيما بعد: «فإذن إن ثبت إجماع في غير الغناء على سبيل اللّهُو كان متّبعا و إلّا بقي حكمه على أصل الإباحة.

و لعلّ إليه، أو الى غيره أشار كاشف الغطاء «٢» تفرّيعا على مسألة أصوليّه بقوله: ففي مسألة الغناء قد ظهر في العرف الجديد تخصيصه لما لم يكن في قرآن، أو تعزيّه، أو ذكره، أو دعاء، أو أذان، أو مدح النبيّ صلّى الله عليه وآله، و الأئمة عليهم السّلام، و قد علم من تتبع كلمات أهل اللّغَة و أحوال الأمويّين، و العباسيّين، و إسحاق «٣» بن إبراهيم شيخ المغنّين: أن الكثير أو الأكثر، أو الأحقّ في تسميته غناء ما كان في القرآن، و مدح النبيّ صلّى الله عليه وآله، و لا يعرف في أيامهم الفرق من جهة ذوات الكلمات، و إنّما المدار على كَيْفِيَّاتِ الأصوات، و هو الظاهر من كلام أهل اللّغَة قدامئهم و متأخريهم ممّن عاصر زمان ورود النبيّ صلّى الله عليه وآله، أو تقدّمه، أو تأخّر عنه، و ما رأينا أحدا منهم أخذ فيه عدم القرآنيّة و المدح و الذكر و نحوها فيه، و لم يذكر بينهم

(١) المكاسب مع التعليقات للكلانترج ٣ ص ٢٦٩.

(٢) هو جعفر بن خضر الحلّي النجفي الفقيه المتوفى بالنجف الأشرف سنة (١٢٢٧ هـ) - الاعلام ج ٢ ص ١١٧.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي المعروف بابن النديم المغنّي تفرّد بصناعة الغناء، ولد سنة (١٥٥) و مات ببغداد سنة (٢٣٥)، كان نديما للرشيد و المأمون، و الواثق العباسيّين. - الاعلام ج ١ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٦

خلاف في معناه، مع اختلاف عباراتهم، فما ذلك إلّا لاتّحاد المعنى العرفي، و الإشارة إليه، و المسامحة في التعريف بالأعم و الأخصّ، فمدار تحقيق الغناء و خلافه على كَيْفِيَّاتِ الأصوات من غير ملاحظة لذوات الكلمات، فقد ظهر خطأ للعرف الجديد الذي هو بمنزلة المرأة الكاشفة عن العرف القديم، كما أخطأ بديهة في تخصيص اسم الغناء بغير الجارى على وفق العربيّة و الفصاحة.

و ليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام، فقد أخطأ في كثير من المقامات، فلا يحمل لفظ الغناء على المعنى الجديد، كما لا تحمل ألفاظ التربة، و القهوة، و اللبن، و النهر، و البحر، و الساعة، و غيرها على المعاني الجديدة.

قلت: و لعله رحمه الله تسلّم المعنى الجديد للغناء على الوجهين على سبيل الفرض و المماشاة، و إلا فمن البين أنه في حيز المنع، و لذا ترى المتورّعين في الدين الدين إذا سمعوا قارئ القرآن، أو راى الحسين عليه السلام يرجع و يطرب بصوته ينكرون عليه و يمنعونه، معلّين بأنّه غناء محرّم.

خامسها: ما اختاره شيخنا التستري زيد علاه في المسألة، حيث قال بعد ذكر ما سمعت طرفا منه، ما لفظه: إنّ المحصل من الأدلة المتقدمة حرمة الصوت المرجح فيه على سبيل اللهو، فإنّ اللهو كما يكون بآله من غير صوت كضرب الأوتار، و نحوه، و بالصوت في الآلة كالمزمار، و القصب و نحوهما، فقد يكون بالصوت المجرد، فكلّ صوت يكون لهوا بكيفية، و معدودا من ألحان أهل الفسوق و المعاصي فهو حرام، و إن فرض أنه ليس بغناء.

و كلّ ما لا يعدّ لهوا فليس بحرام و إن فرض صدق الغناء عليه فرضا غير محقق لعدم الدليل على حرمة الغناء إلا من حيث كونه باطلا و لهوا، أو لغوا و زورا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٧

ثمّ إنّ اللهو يتحقّق بأمرين:

أحدهما: التلهّى و إن لم يكن لهوا.

و الثانى: كونه لهوا فى نفسه عند المستمعين، و إن لم يقصد به التلهّى.

ثمّ إنّ المرجع فى اللهو الى العرف، و الحاكم بتحقيقه هو الوجدان، حيث يجد الصوت المذكور مناسبا آلاى اللهو، و الرقص، و لحضور ما تستلذه القوى الشهوية، من كون المغنى جارية، أو أمرد، و نحو ذلك، و مراتب الوجدان المذكور مختلفة فى الوضوح و الخفاء، فقد يحسّ بعض الترجيع من مبادئ الغناء و لم يبلغه.

و ظهر ممّا ذكرنا أنّه لا فرق بين استعمال هذه الكيفية فى كلام حقّ أو باطل، فقراءة القرآن، و الدعاء و المراثى بصوت يرجع فيه على سبيل اللهو لا إشكال فى حرمتها، و لا فى تضاعف عقابها لكونها معصية فى مقام الطاعة و استخفافا بالمقروء و المدعوّ و المرثى.

و من أوضح تسويلات الشيطان أنّ الرجل المتستر قد تدعوه نفسه لأجل التفرّج و التلذذ، إلى ما يوجب نشاطه و رفع الكسالة عنه من الزمزمة الملهية، فيجعل ذلك فى بيت من الشعر المنظوم فى الحكم و المراثى و نحوها، فيتغنى به، أو يحضر عند من يفعل ذلك «١»... إلى آخر ما ذكره زيد قدره.

و فيه أولا: أنّ الظاهر من كلامه أنّ حرمة الغناء إنّما هو من جهة كونه لهوا، لا لكونه غناء كما صرّح به أيضا، مع أنّك قد سمعت أنّ الغناء بنفسه ممّا قد علّق عليه الحكم فى الشريعة، و أنّ حرمة ضرورى من المذهب، فإناطة الحرمة على

(١) المكاسب بتحقيق الكلاىتر ط النجف ج ٣ ص ٢١٥-٢٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٨

صدق اللهو وجودا و عدما الترام بعدم ثبوت الحكم الحرمة للغناء فى الشريعة.

فإن قلت: صريح كلامه هو الحرمة، غاية الأمر تعليقه بكونه لهوا و زورا و باطلا، و هذا لا ينافى الحكم، بل هو استفاد من الأدلة.

قلت: الجهة فى المقام تقييدية تفيد تباير الموضوع و اختلافه، و الحاصل أنّ الحكم عنده ثابت للهو و إن لم يكن غناء، لا للغناء و إن لم يكن لهوا، فالغناء من حيث هو لا حرمة له فى الشريعة كما صرّح معللا بعدم الدليل، و قد مرّ أنّ أدلة حرمة الغناء غير منحصرة فى الأخبار المفسرة للآيات، بل هناك أدلة أخرى من الضرورة، و الإجماع، و الأخبار.

على أن التمسك بتلك الأخبار أيضا غير متوقف على صدق اللهو و الباطل عندنا، سيما مع القطع على عدم الإناطة على مصاديقهما العرفية.

مضافا إلى أن حرمة اللهو بمصاديقه العرفية غير ثابت قطعا، و لذا قال سلمه الله في موضع آخر بعد إقامة جملة من الأدلة على حرمة: ما لفظه: لكن الإشكال في معنى اللهو فإنه إن أريد به مطلق اللعب كما يظهر من «الصحاح» و «القاموس» فالظاهر أن القول بحرمة شاذ مخالف للمشهور و السيرة، فإن اللعب هي الحركة لا لغرض عقلائي، و لا خلاف ظاهرا في عدم حرمة على الإطلاق.

نعم لو خص اللهو بما يكون من بطر، و فسّر بشدة الفرح كان الأقوى تحريمه، و دخل في ذلك الرقص، و التصفيق، و الضرب بالطست بدل الدف، و كلما يفيد فائدة آلات اللهو.

و لو جعل مطلق الحركات التي لا يتعلّق بها غرض عقلائي مع انبعاثها عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٧٩

القوى الشهوية ففي حرمة تردّد «١».

قلت: و الأظهر هنا العدم بإطلاقه، بل و في ما كان عن بطر أيضا إلّا في موارد خاصّة، و لتحقيق المسألة مقام آخر.

و ثانيا: أن صدق اللهو بمجرد صدق التلهي و إن لم يكن لهوا بعيد جدا، و مع فرضه فالحكم غير منوط به قطعا، و لذا لم يقل أحد بأن الصوت الخالي عن الترجيع، بل معه أيضا إذا كان في غاية الكراهة و الرداءة، غناء، أو أنه حرام و إن لم يكن غناء، لكونه صوتا لهويا. لكنّه سلمه الله ملتزم به.

بل التحقيق أن بين الصوت اللهوى و الغناء عموم من وجه، و القول بحرمة غير الثاني من الأوّل و حليّة غير الأوّل من الثاني في غاية الغرابة.

و أغرب منه ما جعله من تسويلات الشيطان، فإن التفرّج و التنزّه و دفع الكسالة بيت من الشعر و لو مع عدم الترجيع و كراهة الصوت ممّا ليس به بأس قطعا.

إذا عرفت مواقع عروض الشبهة في المسألة و دفعها، و أنه لا شبهة في حرمة، و في كونه من صفات الأصوات، فاعلم أنه قد يعرف بأنه الصوت المطرب، كما عن «الإيضاح» و «السرائر»، بل في «القاموس»: أنه من الصوت ما أطرب به، و في «الصحاح»: أنه من السماع، و في «المصباح»: أنه مدّ الصوت و التطويل، و من شهادات «القواعد» و بعض كتب اللّغة: أنه ترجيع الصوت و مدّه، و عن بعض كتب الأصحاب: أنه مدّ الصوت المشتمل على الترجيع المطرب،

(١) المكاسب بتحقيق السيّد محمد كلانترط النجف ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٠

و نسبه الأردبيلي، و الحرّ العاملي الى المشهور.

و عن بعض المتأخرين: الحوالة على العرف، و ليس بجديد، لعدم استقرارهم فيه على معنى محصّل، بل قد عرفت أن هؤلاء العلماء الذين هم أعرف بالمعاني العرفية من غيرهم قد اختلفوا في موضوعه على أقوال كثيرة، فمن أين يسع للعامي الاستقلال بتميز معناه.

و من هنا يظهر أن التردد بين التعريف الأخير، و بين الحوالة على العرف كما عن بعض الأجلّة ليس بشيء.

بل الظاهر الذي يساعده العرف أيضا: أنه المشتمل على الترجيع و الإطراب لنصّ أهل اللّغة على كلّ منهما على وجه يظهر من المقتصرين على أحد الأمرين إرادتهما معا، كما يظهر بالتأمل في كلامهم، على أنه يكفي نصّ البعض على البعض بعد وضوح كون مقصودهم على ما هو ديدنهم بيان بعض الخواصّ و الآثار، بحيث ربما يظهر منهم المسامحة في التعبير، أو الحوالة على ما هو المعروف، أو كون المعرف من هذا الجنس كما في قولهم: سعدانة نبت، و لذا ربما ترى بعضهم يعرفونه بتحسين الصوت، أو مدّه، أو

إطالته، مع أن من المقطوع أن شيئاً منها بانفراده ليس من الغناء في شيء.

هذا مضافاً إلى ما

رواه في «الكافي» عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اقرأوا القرآن بألحان العرب و أصواتها، وإياكم و لحون أهل الفسوق و أهل الكباثر، فإنه سيجيء بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء و النوح و الرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، و قلوب من يعجبه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨١

شأنهم (١)».

حيث إنه صلى الله عليه وآله قيد الترجيع بخصوص المضاف إلى أحد الثلاثة فهو مصدر نوعي، و لعل ذكر النوح و الرهبانية عقيب الغناء من باب التنبيه على الخاص بعد ذكر العام، سيما مع كونهما من الأفراد الخفية، فلهذا المراد بترجيع الغناء هو الموجب لسرور و الفرح و البطر، و بالنوح هو الموجب للحزن، فإن الطرب المصرح به في كلمات أهل اللغة و الفقهاء يشملهما. و لذا قال في «القاموس»: إن تخصيص الطرب بالفرح و هم و في «الصيحا»: «الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور، و في الأساس»: هو خفة سرور، أو هم.

بل صرح بعض الأجلة: بأنه يفهم من كتب اللغة أن التغنى، و التطريب، و الترجيع، و اللحن، و التغريد، و الترنم ألفاظ متقاربة المعنى، لأنهم يذكرون بعضها في تفسير بعض، و لعله لما سمعت.

و المراد بالزهبانية (في الحديث) خصوص ما يستعمله الصوفية المبتدعة حيث إنهم جعلوا التغنى سبباً لحصول ما يسمونه عندهم بالوجد و الشوق و الحال، و الانبعاث، و لهم في ذلك أقاويل، و ترهات لا ينبغي تدنيس الكتاب بالتعرض لها، و لعل عليهم عمدة التعريض

بقوله صلى الله عليه وآله: «لا يجوز تراقيهم»

أى ليس مقصودهم التقرب به إلى الله، و لا التدبر في معاني القرآن، بل هو مجرد الصوت المتردد في حناجرهم الموجب للإطراب. و المراد

بقوله صلى الله عليه وآله: «قلوبهم مقلوبة»

أى انقلبت وجوه قلوبهم من أعلى

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٢

عليين إلى أسفل السافلين، فيتصاعد عليها من ظلمات غواشق سجين.

و المقصود

بقوله صلى الله عليه وآله: «و قلوب من يعجبه شأنهم»

: أن يريد بهم قد اقتدوا بهم في ضلالتهم، و غوايتهم، حيث إنهم قد ضلوا و أضلوا كثيراً، و ضلوا عن سواء السبيل.

و من جميع ما مرّ يظهر النظر في كثير من كلمات القوم، حتى فيما ذكره الشيخ الأكبر عطر الله مرقده في شرحه على «القواعد» حيث قال في جملة كلام له: «فلم يبق سوى الرجوع إلى العرف الذي هو المرجع و المفزع في فهم المعاني من المباني و هو لا- يكال بمكيال، و لا يوزن بميزان».

فقد تراه يرى تحقق الغناء في صوت خال عن الحسن و الرقة مشتمل على الخشونة و الغلظ، و في خال عن المد مشتمل على التقطيع و

التكسير، و في خال عن الترجيع متصف بالخفاء، و في المهيج المطرب بمعنى الخفة المقرونة بالانشراح، و اللذة، و في مقرح للفؤاد مهيج على البكاء للعشاق إلى غير ذلك.

إذ فيه: أن صدق اسم الغناء على كثير مما ذكره لا يخلو عن تأمل واضح، بل لعل المقطوع في جملة منها عدم الصدق عرفا و لغة.

بقي في المقام أمور:

أحدها: المرجع في الترجيع و الطرب هو العرف حيث إنه ليس لهما معنى شرعي، و العرف فيهما موافق للغة. قال في «القاموس»: الترجيع في الأذان تكرير الشهادتين جهرا بعد إخفائهما و في الصوت ترديد الصوت في الحلق.

و في «الصّحاح»: الترجيع ترديد الصوت في الحلق كقراءة أصحاب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٣

الألحان.

و مثله من شمس العلوم، و غيره.

و قد سمعت الكلام في الطرب الذي هو أيضا من الموضوعات العرفية فلا تأثير للتيه خلافا و وفاقا فيهما وجودا و عدما، و إنما العبرة بتحققهما بالنسبة إلى غالب أفراد النوع، فلا عبرة بالطرب الخفيف الذي ينفعل عمّا لا ينفعل عنه غالب أفراد النوع، و لا بالغليظ المزاج الذي لا يكاد يتأثر بشيء من ذلك، بل كأنه عندهم سقيم القلب، عديم اللب، و لذا قالوا: من لم يهيجه الربيع و الأزهار، و العود و الأوتار، و الأصوات و الأطيار فهو فاسد المزاج محتاج إلى العلاج.

ثانيها: إذا شك في صدق الغناء على فرد من أفراد الأصوات فإن كان الشك مصداقيا فالأصل الحلية، كما لو شك في كون فرد من أفراد المايح خلا، أو خمرا، و كأنه لا خلاف فيه بين الأصحاب حتى من الأخباريين المتوقفين في الشبهة الحكمية، و الأخبار به كثيرة، مثل

قوله عليه السلام: «كل شيء هو لك حلال حتى تعلم أنه حرام» (١)

و ،

«كل شيء يكون فيه حلال و حرام فهو لك حلال» (٢)

، بناء على التقريب المذكور في موضعه كغيره من أدلة المسألة.

و أما إذا كان الشك مفهوميًا، و كان الشك في الفرد مسببا عن الشك في معنى اللفظ، فلعل الأصل الإشتغال، و لزم تحصيل الامتثال و لو بالاحتياط بلا فرق بين كون التردد بين العام و الخاص المطلقين، أو العامين من وجه، للقطع بالتكليف بمسماه المراد بين الأمرين على أحد الوجهين، و قضيه لزوم تحصيل

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٣ ح ١٢ عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٨٢ رقم ٥٧ عن التهذيب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٤

القطع بالامتثال.

و توهم أن المتيقن من التكليف إنما هو بالنسبة إلى مصداق العنوانين، فانتفاء الشرط و هو العلم يمنع من تعلق التكليف بغيره.

مدفوع بأن العلم التفصيلي به و إن كان متفيا لكنه ليس مانعا، و لا وجوده شرطا، و المفروض القطع بتحقيق التكليف بأحد العنوانين، و العلم الاجمالي حاصل به، و الامتثال بالنسبة إليه ممكن، كما في الشبهة المحصورة، و غيرها من الموارد التي يجب فيها الاحتياط كما

في المقام.

و من هنا يظهر النظر فيما ذكره شيخنا «١» النجفي عطر الله مرقدته في «الجواهر» حيث حكم بأن قضية الأصل إباحتهم المشكوكه لكونه من شبهة الموضوع الراجعة إلى شبهة الحكم، فالقدر المتيقن هو حرمة الأفراد المعلومة بالتفصيل، فيشكك حينئذ في حرمة الزائد لاحتمال كون تمام ماهية الغناء ما اشتملت عليه تلك الأفراد خاصة، فله الرجوع في غيرها إلى أصل الإباحة «٢».

قلت: فعلى هذا فاللازم عليه هو التفصيل بين العام والخاص المطلقين، وغيره، فيحكم بالإباحة في الأول والاحتياط في الثاني سواء كانا متباينين أو من العامين من وجه كما في المقام، فإن من يفسره بالصوت المطرب يعمم من جهة الترجيع، وكذا العكس.

ثالثها: ربما يقال: إن تحريم الغناء عقلي لا يتطرق إليه تقييد، ولا

(١) هو الشيخ محمد حسن النجفي شيخ الفقهاء و امام المحققين المتوفى (١٢٦٦).

(٢) الجواهر ج ٢٢ ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٥

تخصيص، لظواهر الآيات، و تواتر الأخبار، و الإجماع، بل الضرورة.

و هو كما ترى، إذ قوة الأدلة لا تجعل الحكم عقلياً، مع أن ما مر من الأدلة إنما هو على حرمة في الجملة، و لذا ترى المشهور قد حكموا باستثناء المغتية في الأعراس، أو بإباحة أجرتها المستلزمة لذلك، و إن قيده بعضهم بما إذا لم تتكلم بالباطل، و لم تلعب بالملاهي، و لم تدخل عليها الرجال، و بالجملة إذا لم يقترنه حرام آخر.

و الأصل فيه

قول الصادق عليه السلام في خبر أبي بصير: «أجرة المغتية التي تزف العرائس ليس به بأس، ليس بالتي تدخل عليها الرجال» «١».

و

قوله عليه السلام في خبره الآخر حين سأله عن كسب المغتيات، فقال عليه السلام: «التي يدخل عليها الرجل حرام، و التي تدعى إلى الأعراس لا بأس به و هو قول الله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «٢». «٣» قلت: و لا بأس باستثنائه بعد قوة السند، و الاعتضاد بعمل الجماعة و غير ذلك.

و أما الحداء (بضم الحاء المهملة) كدعاء، للصوت الذي يرجع فيه للسير بالإبل، فلم أجد ما يصلح لاستثنائه، و إن اشتهر ذلك بينهم كما حكاها في «الكفاية»، و غيره أيضاً.

(١) فروع الكافي ج ١ ص ٣٦١- الفقيه ج ٢ ص ٥٣.

(٢) سورة لقمان: ٦.

(٣) فروع الكافي ج ١ ص ٣٦١- التهذيب ج ٢ ص ١٠٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٦

و النبوي «١» المشتمل على فعل عبد الله بن رواحة، ضعيف سنداً، و متنا و لعله من بدع الثاني، و لذا نسبه إليه ابن الأثير في «النهاية» قال: و قد رخص عمر في غناء الأعراب، و هو صوت كالحداء «٢».

إلا أن يقال: إنه غير ذلك، و لذا شبهه به.

و على كل حال فلا دليل على استثناءه، كما أنه لا دليل على استثناء مرثي الحسين عليه السلام، و غيره.

(١)

رواه البيهقي في «السنن» ج ١٠ ص ٢٢٧ أن النبي عليهما السلام قال لعبد الله بن رواحة: حرّك بالنون فاندفع يرتجز، و كان جيد الحداء و كان مع الرجال، و كان أنجشة مع النساء فلما سمعه تبعه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنْجَشِهِ: رويدك، رفقا بالقوارير.

(٢) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٧

الفصل الثاني

الترتيل

لا إشكال في مطلوبية الترتيل في الجملة، بل عليه الإجماع تحصيلا و نقلا، بعد ورود الأمر به في ظاهر الكتاب، مضافا الى الأخبار المستفيضة التي تأتي الى كثير منها الإشارة.

إنما الإشكال في تحقيق معناه، و في أن مطلوبيته هل هي على سبيل الوجوب أو الاستحباب.

أما الأول فالمرجع فيه كغيره من الموضوعات المستنبطة هو العرف و اللغة.

قال في «الصّحاح»: الترتيل في القراءة: الترسّل فيها، و التبيين بغير بغي، و كلام دتل، بالتحريك أى مرتّل.

قلت: و لعل المراد بالبغى مجاوزة الحد في الترجيع و المدّ بحيث يشبه الغناء، كما يرمى اليه ما يأتي من عبارة «نهاية الأحكام».

و في «القاموس»: الرتل محرّكة حسن تناسق الشىء، و بياض الأسنان، و الحسن من الكلام ... الى أن قال: و رتل الكلام ترتيلا: أحسن تأليفه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٨

و في «المصباح»: رتل القرآن ترتيلا: تمهلت في القراءة و لم أعجل.

و

في «النهاية»: «في صفة قراءة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يرتل آية آية ، ترتيل القراءة»:

التأني فيها، و التمهّل، و تبيين الحروف و الحركات تشبيها بالثغر المرتّل و هو المشبه بنور الأقحوان، يقال: رتل القراءة، و ترتّل فيها.

و عن «المغرب» «١»: الترتيل في الأذان و غيره أن لا يعجل في إرسال الحروف، بل يتثبت فيها، و يبينها تبينا، يوقها حقها من الإشباع من غير اسراع.

و عن قطرب «٢»: أن الرتل بمعنى الضعف و اللين، و المراد بالترتيل تحزين القرآن، أى قراءته بصوت حزين.

و قيل: إنه أن تقرأ على نظمه و تواليه و لا تغتبر لفظا، و لا تقدّم مؤخرا. و هو مأخوذ من ترتّل الأسنان إذا استوت و حسن انتظامها، و ثغر رتل ككيف إذا كانت أسنانه مستوية لا تفاوت فيها.

الى غير ذلك من عباراتهم التي يتراءى منها الاختلاف في معناه، و لذا اختلفت فيه كلمات المفسرين و الفقهاء أيضا:

ففي «مجمع البيان» في قوله تعالى: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً «٣»: أى بينه بيانا، أو اقرأه على هينتك «٤» ثلاث آيات، و أربعا، و خمسا، الى آخر ما حكاه عن المفسرين «٥».

(١) «المغرب» في اللغة لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي المتوفى (٦١٠).

(٢) قطرب: محمد المستنير بن أحمد النحوي اللغوي المتوفى (٢٠٦) - الاعلام ج ٧ ص ٣١٥.

(٣) المزمّل: ٥.

(٤) الهينة (بكسر الهاء و سكنون الياء و فتح النون) السكينة و الوقاء.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٨٩

و عن المحقق في «المعتبر»، و العلامه في «المنتهى»: أنه تبين الحروف من غير مبالغة، و ربما كان واجبا إذا أريد به النطق بالحروف بحيث لا يدمج بعضها في بعض، و يمكن حمل الآية عليه، لأن الأمر عند الإطلاق للوجوب.

و عن «نهاية الأحكام»: أنه بيان الحروف و إظهارها، و لا تمدّ بحيث يشبه الغناء.

و من «الذكري»، و «فوائد الشرائع»، و «تعليق النافع»: أنه حفظ الوقوف، و أداء الحروف.

و عن «المدارك»: أنه الترسل و التبيين، و حسن التأليف.

و في «النفليّة»: أنه تبين الحروف بصفات المعبرة من الهمس و الجهر، و الاستعلاء، و الإطباق، و الغنة، و غيرها، و الوقف التام، و الحسن.

إلى غير ذلك ممّا لعله راجع الى شيء ممّا سمعت، لكنّ التأميل الصادق شاهد بأنّ كثيرا مما سمعت من الاختلاف يرجع الى الاختلاف في التعبير دون المراد، و لذا عبروا بعبارات متقاربة.

و لعلّ الأولى تعريفه بأنّه الترسل، و التمهّل، و التأنى بالقراءة لإيفاء حقوق الحروف و الحركات، و الكلمات، مادّة، و هيئته، فصلا، و صلا، كى يظهر تبينه، و يحسن تأليفه، و تنزيده مع ملاحظه التوسط بين الإسراع، و الفصل الكثير بالمدّ، و الإبطاء.

و هذا هو المستفاد من متفرقات كلماتهم، بل قد يستفاد من الأخبار أيضا:

كخبر عبد الله بن سليمان أنّه سأل الصادق عليه السلام عن قوله عزّ و جلّ و رتّل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٠

الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً «١» فقال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بينه تبياناً، و لا تهذّه هذّ الشعر، و لا تنثره نثر الرمل، و لكن افزعوا «٢» قلوبكم القاسية، و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة» «٣».

و

عن «دعائم الإسلام» عنه عليه السلام: «و لا تنثره نثر الدقل» «٤» و لا تهذّه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، و حرّكوا به القلوب، و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة» «٥».

قال ابن الأثير في «النهاية»: في حديث ابن مسعود، و حذيفة في القراءة:

«هذا كهذّ الشعر، و نثر أكثر الدقل» أراد: لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، و الهذّ: سرعة القطع، و الدقل: ردىّ التمر، أى كما يتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هزّ.

و ظاهره كما قيل: إرادة نفي الإسراع من الفقرتين، لكنّ الأظهر حمله على ما هو الظاهر من الخبر الأول أيضا، إذ كما أنّ نثر الرّمّل اشارة إلى المدّ و التطويل الكثير، و المبالغة في التأنى، بحيث يكون الفصل بين الحروف و الكلمات متفحشا جدّا، كالرمل المنثور، فكذلك نثر الدقل اشارة إليه، فالمقصود التنبيه على التوسط بين الأمرين.

و ربما يعتبر فيه أيضا حفظ الوقوف و مراعاة أقسامها و أحكامها، كما مرّ

(٢) فى الوسائل: اقرعوا به.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيب القرآن ح ١.

(٤) الدقل: أردأ التمر.

(٥) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩١

فى جملة من التعاريف.

بل

قد روى فى كتب الفروع من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أنه أداء الحروف، و حفظ الوقوف» «١».

ولذا اعتبر فيه بعض الأصحاب كالشهيد وغيره حسبما سمعت عن النفلية مراعاة الوقف التام و الحسن.

بل و منه، أو الأولى منه بالمراعاة كون الوصل بالحركة، و الوقف بالسكون، أو غيره من وجوه حذرا من الوصل بالسكون، و الوقف بالحركة الذين يقال بحرمتهما، و أن التحرز منهما من الترتيل الواجب.

كما أنه يعدّ منه أيضا مراعاة الحروف التي منها التشديد و مراعاة بعض أقسام المدّ و الإدغام الصغير مطلقا، و خصوصا عند حروف (يرملون) المشتملة على الغنة و عدمها.

و يعدّ من الترتيل المستحبّ مراعاة صفات الحروف من الهمس، و الجهر و أخواتهما، و الترقيق، و التفخيم، و بعض أقسام المدّ، و الوقف، و الإمالة، و غير ذلك ممّا يشمله اسم الترتيل الذى هو التحسين، و التبيين، و التنضيد، و التجويد، بعد ثبوت مطلوبته فى الجملة، و بعد تحقّق صدق الموضوع عليه شرعا، أو عرفا خاصا، أو عامّا.

لكن لا يخفى أن المراد بالترتيل الواجب ما يجب مراعاته ممّا يصدق عليه هذا الاسم وجوبا شرطيا يتوقف عليه صدق القراءة، أو صحّة الامتثال، أو

(١)

بحار الأنوار ج ٨٤ كتاب الصلاة ص ١٨٨ و فيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه (أى الترتيل) حفظ الوقوف و بيان الحروف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٢

شرعيّا من جهة تعلق الأمر ندبا بمطلق القراءة، أو وجوبا فى الصلاة، و فى امتثال النذر، و غيره، و منه يظهر الكلام فى المندوب.

و حيث إن كثيرا ممّا سمعت لا يخلو من إجمال موضوعا، أو خفاء حكما، فلنشر الى كلّ منها موضوعا و حكما إشارة مقنعة.

فنقول: أمّا مراعاة موادّ الحروف و حركاتها، و تمييز كلّ منها من غيره فلا ريب فى وجوبها شرطا مطلقا و شرعا حيث تكون القراءة واجبة بلا خلاف فيه فيما أعلم، بل عليه الإجماع نقلا و تحصيلا، مضافا إلى عدم صدق الامتثال مع الإخلال، و لو بحرف واحد، تركا، أو إبدالا ممنوعا أو غيرهما، فإنّ كلّا من السورة، و الآية، و الكلمة و غيرها موضوعة للمجموع المركّب من الأجزاء الخاصّة المنتفى بانتفاء كلّ جزء منها.

بل غير القرآن أيضا من الدّعاء، و الذكر، و المناجاة، بل الكتب، و المحاورات يعدّ اللحن فيها غلطا، بلا فرق بين الكتابة و القراءة، حيث إنّه لا يتأمل أحد من أهل العرف فى نسبة الغلط و التحريف باللحن الحاصل بحرف واحد، أو أزيد، و لا بين تغير المعنى به و عدمه، بل و لا بين كون الإخلال، بموادّ الحروف أو بهيئتها من حيث الحركات الإعرائية و البنائية.

فما يحكى عن المرتضى فى بعض رسائله «١»، و فاقا للمحكّى فى «المعتبر» «٢» عن بعض الجمهور من أنه لا يقدر فى الصحّة الإخلال بالإعراب الذى لا يغيّر المعنى.

(١) رسائل السيد المرتضى ج ٢ ص ٣٨٧.

(٢) المعتبر ج ٢ ص ١٦٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٣

لا ريب في ضعفه، كضعف ما يستدل له من صدق القراءة معه.

لتطرق المنع إليه بعد فرض كون القرآن المنزل من الرحمن على خلافه، بلا- فرق بين كون هذا المخالف للمنزل مصححا بحسب القواعد العريية و لو بوجه ضعيف، أو قوئى، أولا، كضم «الرحمن الرحيم» أو فتحهما للقطع عن الوصفية.

و أضعف منه ما يحكى عن «الذخيرة» من أن بهذا القدر من التغيير لا يخرج الحمد مثلا عن كونه حمدا عرفا، لبناهم على المسامحة، فيصدق المسمى على من قرأه بهذا الوجه.

وفيه: أن المسامحات العرفية لا يترتب عليها شيء من الأحكام الشرعية، بل الأصل الحمل على الحقيقة سيما في الأمور التعبدية و إلا فقد يصدق باعتبار المسامحة مع الإخلال ببعض الحروف، بل وبعض الكلمات أيضا.

و أميا ما استشكله في «جامع المقاصد» بعد حكاية نفي الفرق في البطلان بالإخلال بالاعراب بين كونه مغيرا للمعنى مثل ضم تاء (أنعمت)، أولا كفتح دال (الحمد)، حيث قال: و لا يكاد يتحقق ذلك، لأن اختلاف الحركة يقتضى اختلاف العامل فيتغير المعنى لا محالة.

فالظاهر اندفاعه بأن المراد المعنى الظاهر المقصود.

و بالجملة لا إشكال في لزوم اعتبار مواد الحروف و هيئاتها الاعرابية و البنائية و عدم حصول الامتثال باللحن في شيء منها لما سمعت، و لظواهر بعض الأخبار

كالمروى في «الخصال» عن الصادق عليه السلام قال: «تعلّموا العريية، فإنها كلام الله الذى كلم به خلقه و نطق به للماضين» (١).

(١) الخصال ج ١ ص ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٤

و

في «الكافي» عنه: قال: أعرب القرآن فإنه عربى (١).

و

في «المعاني» عنه، عن آباءه عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «تعلّموا القرآن بعرييته، و إياكم و النبر فيه يعنى الهمز» (٢).

فإن الأمر بتعلم العريية لحفظ قواعدها، و أعمال حدودها، و النبر المنهى عنه هو تبديل الياء بالهمزة، و إظهار الهمزة الغير الاصلية، و كانت قريش لا تنبر.

ولذا

قال الصادق عليه السلام بعد ذكر الخبر: «الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله تعالى: أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ» (٣) و قوله تعالى: لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ (٤)، و قوله تعالى: فَادَارَأْتُمْ (٥).

قال ابن الأثير في «النهاية»: في الخبر قيل له: يا نبى الله، فقال صلى الله عليه و آله: «إنّا معشر قريش لا نبر»

و-

في رواية: «لا تنبر باسمي».

ثم قال: النبر همز الحرف، و لم تكن قریش تهمز في كلامها، و لما حجَّ المهدي «٦» قدم الكسائي يصلّي بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه و قالوا:

إنّه ينبر في مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله بالقرآن «٧».

و

روى ابن فهد الحلبي في «عدّة الداعي» عن مولانا أبي جعفر الجواد عليه السلام

(١) الكافي كتاب فضائل القرآن باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح ٥ ص ٥٩٩.

(٢) معاني الأخبار ص ٩٨ و لكن فيها كما في الوسائل أيضا: إياكم و النبز، (بالزاي المعجمة).

(٣) النمل: ٢٥.

(٤) النحل: ٥.

(٥) البقرة: ٧٢.

(٦) هو محمّد بن عبد الله المنصور العبّاسي المتوفّي (١٦٩) - الاعلام ج ٧ ص ٩١.

(٧) النهاية لابن الأمرج ٥ ص ٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٥

قال: «ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله آدبهما».

قال: قلت: قد علمت فضله عند الناس في النادي و المجلس، فما فضله عند الله؟ قال عليه السلام: «بقراءة القرآن كما انزل، و دعاءه الله من حيث لا يلحن، فإنّ الدعاء الملحون لا يصعد الى الله تعالى «١»».

قال: و يقرب منه

قول الصادق عليه السلام: «نحن قوم فصحاء إذا روّيت عنّا فأعربوه» «٢».

أقول: و اللحن على ما في «الصحاح» و «القاموس» و غيرهما، هو الخطأ في الإعراب، و في القراءة.

الى غير ذلك من الأخبار التي لا بأس فيها من ضعف في السند، أو قصور في الدلالة، بعد ما سمعت من توقّف صدق القراءة الصحيحة على مراعاة مواد الحروف و تمييزها، و لو بالنسبة الى الحروف المشتركة في المخارج كالذال و الزاي، أو المتشابهة من حيث لحن العامّة كالغين و القاف، و الهاء و الحاء، و غيرها.

نعم: المحكّي من أحد وجهي الشافعي عدم لزوم مراعاة المخرج في الضاد و الظاء، فتصحّ القراءة، بل الصلاة أيضا مع إخراج كلّ منها من مخرج الآخر، نظرا الى العسر و المشقّة.

وفيه: أنّ العسر و المشقّة اللّازمين من أداء الحروف من مخارجها إن بلغ حدّا لا يتحمّل مثلها عادة، أو انتفت معها القدرة فلا ريب في المعذوريّة،

(١) عدّة الداعي ص ١٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٥١ و فيه: أعربوا كلامنا فإنّا قوم فصحاء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٦

و الاكتفاء بالمقدور، للشريعة السمحة السهلة.

و لما ورد في الأخرس، و الألغ «١» و التتم «٢».

و

للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ سَيْنَ بِلَالٍ عَنْهُ اللهُ شَيْنٌ» (٣).

و عليه يحمل

النبيّ الآخر: «إِنَّ الرُّجْلَ مِنَ الأَعْجَمِيِّ مِنْ أُمَّتِي لِيَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِعَجْمَتِهِ، فَتَرْفَعُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى عَرَبِيَّتِهِ» (٤).

و مع إمكان التعلّم، و تيسّر الأداء من المخرج فلا ريب في وجوبه حيث تجب القراءة، لتوقّف الواجب عليه، مع أنّ التمييز بين الحروف إنّما هو باختلاف المخارج، و إن كان للصفات مدخليّة في بعضها، و قد ذكروا أنّ الضاد و الظاء مشتركان في الصفات الخمسة: من الجهر، و الرخوة، و الإطباق، و الإصمات، و الاستعلاء، و إنّما انفردت الضاد بالاستطالة التي اختصّت بها، و من المعلوم أنّها ليست مغيرة للحقيقة، بل التمييز بينهما، منحصر في التأدية من المخرجين المقرّرين لهما.

نعم حكى شيخنا البهائي قدس سرّه عن أبي عمرو (٥) بن العلاء الذي قيل: إنّ إمام في اللغة أنّه ذهب إلى اتّحادهما و أقام على ذلك أدلّة و شواهد.

و لعلّها عند التأمّل من المناقشة في البديهيّات التي لا ينبغي الإصغاء إليها، لضرورة المغايرة بحسب الأداء و المخرج، و جزئيتها للكلمات المتخالفة لغه،

(١) الألتغ: الذي ينطق بالسین كالثاء.

(٢) التمتام (كالصمصام): الذي يعجل في كلامه و لا يفهمه.

(٣)

سفينة البحار ج ١ ص ٣٩٠ و فيه: و في عدة الداعي عنهم عليهم السلام: إنّ سينا بلال عند الله شين.

(٤) أصول الكافي ص ٦٠١.

(٥) هو زيان بن عمّار العلاء أبو عمر و المازني البصري المتوفّي (١٥٤) - الاعلام ج ٣ ص ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٧

و عرفا، و ضعفا، و استعمالا، و لعله لحن من العرب بتبديل أحدهما بالآخر.

و لذا قال في «المصباح المنير»: الضاد حرف مستطيل، و مخرجه من طرف اللسان إلى ما يلي الأضراس، و مخرجه من الجانب الأيسر أكثر من الأيمن، و العامّة تجعلها ظاء فتخرجها من طرف اللسان و بين الثنايا، و هي لغة حكاها الفراء (١) عن المفضل (٢).

قال: و من العرب من تبدّل الضاد ظاء فتقول: عظت الحرب بنى تميم، و من العرب من يعكس فتبدّل الظاء ضادا، فتقول: ضهيره في الظهير.

و هذا و إن نقل في اللغة و جاز استعماله في الكلام و لكن لا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى لأنّ القراءة سنّة متبعة، و هذا غير منقول فيها انتهى كلامه.

أقول: و ممّا مرّ يظهر أيضا فساد القول المحكى عن بعضهم من تبديل الضاد ظاء مهملة، أو دالا، بل ربما يحكى عن عوام الخاصّة و علماء العامّة من المصريين و الشاميين حيث إنهم نطقوا بها ممزوجة بالبدال المفخمة و الطاء المهملة معرضين عن الضاد الصحيحة الخالصة التي نطق بها أهل البيت عليهم السلام، و أخذها عنهم العراقيون و الحجازيون.

قال شيخنا في «الجواهر»: و هذا الاختلاف على قديم الدهر، و سالف الزمان بين علماء الخاصّة و العامّة، و إن حكى عن جماعة منهم موافقة الخاصّة في ذلك كالشيخ على المقدسي (٣) الذي قد صنّف في ذلك رسالة و رجّح فيها ضاد

- (١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي النحوى الكوفى المتوفى (٢٠٧) الاعلام ج ٩ ص ١٧٨.
- (٢) هو المفضل بن محمد أبو العباس الضبى الكوفى المتوفى (١٦٨) - الاعلام ج ٨ ص ٢٠٤.
- (٣) هو على بن محمد بن خليل الحنفى نزيل القاهرة المعروف بابن غانم المقدسى الفقيه اللغوى ولد سنة (٩٢٠) و توفى (١٠٠٤) له مصنفات منها: «بغية المرتاد لتصحيح الضاد» - معجم المؤلفين ج ٧
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٨
- العراقيين و الحجازيين، وردّ عليه الشيخ على المنصورى «١» فى رسالته ألفها و كان ممّا ردّ فيها عليه أنّ النطق بالضاد قريب من الظاء ليس من طريق أهل السنة المتبعة، و إنّما هو من طريق الطائفة المبتدعة.
- و هى شهادة منه على طريقتنا المأخوذة يدا بيد الى النبى صلى الله عليه و آله القائل: «إنى أفصح من نطق بالضاد».
- و فيه إشعار أيضا بالمطلوب، ضرورة تيسر ضادهم لكلّ أحد حتى النساء و الصبيان، فلا يناسب ذكر اختصاصه صلى الله عليه و آله بالأفصحية، بخلاف الضاد الذى ذكرناه، فإنه ممّا يعسر فعله بحيث يميّز عن الظاء و كما اعترف به بعضهم.
- قال راجزهم:

و الضاد و الظاء لقرب المخرج قد يؤذنان بالتباس المنهج
و قال:

و يكثر التباسها بالضاد إلا على الجهابذ النقاد
و يقرب من ذلك المحكى عن السخاوى «٢»، و الجزرى «٣»، و ابن أم قاسم، بل قال الأخير منهم: إنّ التفرقة بينهما محتاجة إلى
الرياضة التامة.

ص ١٩٥.

- (١) هو على بن سليمان بن عبد الله المنصورى المصرى المقرئ النحوى المتوفى (١١٣٤) من آثاره: «ردّ الإلحاد فى النطق بالضاد» - معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٠٤.
- (٢) هو على بن محمد بن عبد الصمد المصرى السخاوى الشافعى المقرئ المتوفى (٦٤٣) - الاعلام ج ٥ ص ١٥٤.
- (٣) هو محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المعروف بابن الجزرى المتوفى (٨٣٣) - الاعلام ج ٧ ص ٢٧٤.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٣٩٩
- إلى غير ذلك ممّا ليس هاهنا محلّ ذكره.
- نعم ينبغى أن يعلم أن المدار فى صدق امتثال الأمر بالكلمة المشتملة على الضاد صدق ذلك عليه فى عرف القارئ كغيره من الحروف، فوسوسة كثير من الناس فى الضاد و ابتلاءهم بإخراجه و معرفة مخرجه فى غير محلّها، و إنّما نشأ ذلك من بعض جهال من يدعى المعرفة بعلم التجويد من بنى فارس المعلوم صعوبة اللغة العربية عليهم، و إلّا فمتى كان اللسان عربيا مستقيما خرج الحرف من مخرجه من غير تكلف ضرورة، و إلّا لم يصدق عليه اسم ذلك الحرف عرفا، كما هو واضح.
- و على ذلك بنوا وصف مخارج الحروف إلى شفوئية مثلا، و غيرها، لبعض الأغراض المتعلقة لهم بذلك، و ليس المقصود منه تميّز النطق بالحروف قطعا، فإنّ ذلك يكفى فيه صدق الاسم و عدمه، و لا يحتاج الى هذا التدقيق الذى لا يعلمه إلا الأوحى من الناس، بل لا يمكن معرفته على وجه الحقيقة إلّا لخالق الخلق الذى أودعهم قوة النطق، و الله أعلم «١».
- و أمّا البحث عن مخارج الحروف، و أنّها هل هى ثلاثة كما عن بعضهم، أو أنّها ثمانية، كما عن آخرين، أو أربعة عشر، كما عن

قطرب، و الفزاء، و ابن دريد «٢»، أو ستّة عشر، كما عن كثير من القراء و النحاء، أو سبعة عشر، كما عن الخليل «٣»، و بعض القدماء، و اختاره جمهور المتأخرين فلا يهمنّا البحث عنه، و لا عن تعيين مخرج كل حرف من الحروف بعد فقد التعبد في شيء من ذلك،

(١) جواهر الكلام ج ٩ ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) هو محمد بن الحسن بن دريد اللغوي المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) - الاعلام ج ٦ ص ٣١٠.

(٣) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي اللغوي المتوفى (١٧٠ هـ) - الاعلام ج ٢ ص ٣٦٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٤٣٩

و ظهور الرجوع الى العرف الّذى هو المرجع في مثله، مع القطع بأنّ القدر المعبر منه هو التلقظ بالحروف على وجه يمتاز به كل منها عن غيره، بلا- فرق بين أدائه عن المخرج المشهور لذلك الحرف أم لا- على الأظهر، إذ لا دليل على اعتبار أمر زائد، و التعبد بلزوم مراعاة المخارج المعهودة غير ثابت، و الأصل براءة الذمّة عنه.

و نحن و إذ قلنا بلزوم الاحتياط في الشكوك الثانوية المتعلقة بكيفيات الشرائط، و الأجزاء، إلّا أنّه جار فيما إذا لم يكن هناك إطلاق صادق في صورتين، و أمّا معه فهو المتبع.

و من هنا يتّجه الاكتفاء بإخراج الواو من بطن الشفّة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا كما لهجت له عوامّ العجم، بل و بعض خواصّهم، مع أن يخرجها بين الشفتين بلا خلاف ظاهر بينهم، فكأنّهم يكتفون عن الشفّة العليا بثناياها، و لذا يؤدّى به الحرف ممتازا عن غيره، من غير خروج عن حقيقة الواوئية.

بل و منه يظهر أيضا سهولة الخطب في الصفات التي ذكروها للحروف من الهمس، و الجهر، و غيرهما للقطع بعدم وجوب شيء منها إلّا ما له مدخلية في أداء مادّة الحرف.

بل يشكل الحكم باستحبابها أيضا، و إن مرّ عن «النقلية» تفسير الترتيل المستحبّ بمراعاتها، بل نسب الشهيد الثاني في «شرحها» اعتبارها إلى علماء التجويد و أهل العربية، و ربما يستفاد من بعض المتأخرين أيضا اعتبارها على وجه الاستحباب، و لو للمسامحة في دليبه، و لا ريب في أنّه لا يخلو من رجحان إذا لم يؤدّ إلى الإخلال في معاني القرآن و الدعاء و حضور القلب عند القراءة، و التحقّق بحقايقها، فإنّ هذه الأمور هي العمدة في الباب بعد إحراز المسمّى بما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠١

يصدق عليه ذلك عرفا، حسبما سمعت و أمّا مع التمهّر فيها، و جريان اللسان بها من غير كلفه و مشقّة، فلا شبهة في أولويّة مراعاتها، سيّما مع الالتفات إلى عدّ كثير منهم الإخلال بها من اللحن الخفى، مضافا الى قاعدة التسامح، مع أنّ الإخلال ببعض الصفات ربما يمنع من الإفصاح بمادّة الحرف و إن حصل الامتياز في الجملة.

و بالجملة الصفات التي لها ضدّ خمس قد أشير إليها مجتمعة و الى أضدادها بالترتيب في كلام الجزرى:

صفاتها جهر «١»، و رخو «٢»، مستفل «٣» منفتح «٤»، مصمته، و الضدّ قل

مهموسها (فحّته شخص سكت) شديدها لفظ (أجد قط بكت)

و بين رخو و الشديد (لن عمر) و سبع علو (خصّ ضغط قط) حصر

و (صاد ضاد طاء ظاء) مطبقة و (فرّ من لب) الحروف مذلقة «٥»

(١) الجهر هو عدم جريان النفس عند النطق بالحرف و هي (١٩) حرفا و ضدّه الهمس و هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف

الاعتماد على المخرج و عدد حروفه (١٠) حروف.

(٢) الرخو و الرخاوة: إرخاء الصوت و جريانه عند النطق بالحرف و حروفها (١٥) حرفا، و ضدها الشدة و هو امتناع جرى الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج و حروفها (٨) كما فى البيت.

(٣) الاستفال هو الانخفاض و هو انحطاط اللسان الى قاع الضم عند النطق بالحرف و حروفه (٢١) حرفا و ضده الاستعلاء اى الارتفاع اللسان عند التكلم بالحرف الى الحنك الأعلى و حروفه (٧) أحرف كما فى البيت.

(٤) الانفتاح الافتراق بين اللسان و الحنك الأعلى و خروج النفس من بينهما عند النطق و حروفه (٢٤) حرفا و ضده الاطباق و هو التصاق اللسان على الحنك الأعلى و حروفه (٤) كما فى البيت.

(٥) طيبة النشر للجزرى فى ضمن اتحاف البررة فى المتون العشرة ص ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٢

و أما ما لم يذكروا لها ضداً من الصفات التى تتصف بها أحرف خاصه، فهى ست قد أشير إليها فى هذه الأبيات:

صغيرها «١» صاد، و زاي، سين فلقلة «٢» (قطب جد) و اللين «٣»

واو، و ياء سكونا و انفتاحقبلهما و الانحراف «٤» صححا

فى اللام و الراء بتكرير جعل و للتفشى «٥» الشين ضادا استطل «٦» «٧»

و أما التغليظ فى اللام و التفخيم فى الراء، و التريق فيهما فى بعض المواضع و فى حروف الاستفالة، و فى الهمزة فى بعض المواضع، و بالباء فى البسمله، و غيرها، و إظهار الإطباق فى مثل أَحَطْتُ «٨»، و بَسَطْتُ «٩» بعد الإدغام، و الغنة فى النون و الميم المشددين فلا دليل على اعتبارها.

نعم، يلزم التحرز من الإدغام فى مثل قوله تعالى: فَسَبَّحُهُ «١٠» و قوله

(١) كل صوت يمتدّ و لا يغلظ و هو خال من الحروف يسمّى صغيرا، و حروف الصغير: «الصاد، و الزاي، و السين» تخرج من رأس اللسان و بين أسنان مقدّم الفم أى الثنايا.

(٢) القلقلة: تحريك الصوت، و حروفها خمسة مذكورة فى البيت، تحصل من اجتماع صفتى الجهر و الشدة، و تلك الحروف تسمى أيضا المضغوطة.

(٣) اللين ضدّ الخشونة، و الواو و الياء إذا كانتا ساكنتين، و ما قبلهما مفتوحا تسميان حرفى اللين.

(٤) الانحراف هو الميل و سميت اللام و الراء المنحرفة لأنّ اللسان حين التلّفظ باللام يميل الى اللثة و الأسنان، و حين التلّفظ بالراء يميل قليلا إلى الحنك الأعلى.

(٥) التفشى: الانتشار و تفخيم الحرف عند النطق به و حرفه الشين.

(٦) الاستطالة: طلب الطول و احرفها الضاد لأنها فى حال السكون. يطول التلّفظ بها.

(٧) اتحاف البررة فى المتون العشرة- المقدّمة فى علم التجويد لابن الجزرى ص ٣٧٤.

(٨) النمل: ٢٢.

(٩) المائدة: ٢٨.

(١٠) ق: ٤٠- الطور: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٣

تعالى: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ «١» و قوله تعالى: قَالُوا وَ هُمْ «٢» بل يلزم إظهار الحاء فى الأولين، و الواو فى الثالث كيلا يسبق النطق بها مشددة.

كما يلزم إظهار الياء المكسور ما قبلها، نحو في يَوْمِ «٣» وإظهار الغين في قوله: لا تُرَغِّ قُلُوبَنَا «٤» واللام الساكنة في قوله: قُلْ نَعَمْ «٥» وإن كانا متجانسين عند بعضهم، إلى غير ذلك مما هو جار على مقتضى الأصل، مضافا إلى اتفاقهم عليه ظاهرا كما نبهوا عليه، وصرح به الجزري، وغيره.

وأما سائر ما يعد من معاني الترتيل مما مرّت إليه الإشارة فستسمع الكلام في كل منها في موضعه إنشاء الله تعالى. تذييب: في حفظ الوقوف ومعناه: حفظ الوقوف الذي به فسّر به الترتيل في العلوى المرسل في جملة من كتب الجماعة المشتهر بين العامة حكايته عنه عليه السلام، كما أنّهم حكوه عن ابن عباس أيضا. وفسّر مرّة كما من كشف اللثام، بأن لا يهدّ هذا الشعر، ولا ينثر نثر الرمل، قيل: ويؤيّده روايتهما في تفسيره بذلك عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. أقول: ومجرد ذلك لا يقضى بالاتحاد، سيما مع عدم ظهور المعنى وكون الخبر مصدرا بتبيين الحروف، أو أدائها حسبما مرّ، و ظهور أولوية التأسيس على التأكيد.

(١) الزخرف: ٨٩.

(٢) الشعراء: ٩٦.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) آل عمران: ٨.

(٥) الصفات: ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٤

وفسّر اخرى بالمحافظة على تحقيق الوقف في موارد بحفظ حدوده، وذلك بأن لا يقف على آخر الكلمة أو الآية بإظهار الحركة، وذلك لأنه لا يجوز الوقف بالحركة، كما أنه لا يجوز الوصل بالسكون لمخالفتها لطريقة أهل اللسان و ظهور الاتفاق على بطلان القراءة في الصلاة بهما، وقد صرح كثير من أهل اللسان بأن لغة العرب أن لا يوقف على متحرّك. ونقل شيخنا التقى المجلسي رحمه الله عليه: اتفاق القراء وأهل العربية على عدم جوازهما، ولذا جعله من الترتيل الواجب. ومن هنا يظهر ضعف ما في «كشف الغطاء» من نفى البأس عن الوقف على المتحرّك، و وصل الساكن. إذ قد سمعت أنه مما اتفق على فساده أهل العربية، بل يمكن الاستدلال له أيضا بما

ورد من أن «الأذان والاقامة مجزومان» «١».

قال الصدوق: وفي خبر آخر: «موقوفان» «٢».

وذلك أنه عبّر عن الوقف بالجزم وترك الحركة.

نعم عن الشهيد الثاني في «الروض» أنه لو فرض ترك الوقف أصلا سكن أواخر الفصول أيضا، وإن كان ذلك في أثناء الكلام، ترجيحاً لفضيلة ترك الإعراب على المشهور من حال الدرّج.

وفيه تأمل واضح، نعم يمكن حمله على السكت الذي ينبغي إخراجه عن حكم الوصل، وإلحاقه بالوقف.

(١) الفقيه ج ١ ص ٩١.

(٢) الفقيه ج ١ ص ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٥

و ذلك أن هاهنا أموراً ثلاثة: الوقف، و القطع، و السكت.

و الوقف عندهم عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زماناً يتنفس فيه عادةً بتية استئناف القراءة عليه، فإن لم يكن هنا تية استئناف القراءة فهو القطع، و لذا شرطوا فيه أن لا يكون إلا على رأس آية، و إن لم يكن الشرط في محله.

و أما السكت فهو قطع الصوت زماناً هو دون زمن الوقف عادةً من غير أن يتنفس.

قال في «شرح طيبة النشر»: و قد اختلفت عباراتهم في التأديء مما يدل على طول زمن السكت و قصره، و المشافهة حاكمه عليه بحقه.

و يستفاد منه أن هذا من اصطلاح متأخريهم، و أنه كان المتقدمون كلًا منها على الآخر.

و ثالثة فسّر حفظ الوقوف بالمحافظة على شرائط الوقف، و مراعاة الرسم، بأن يوقف على ما حذف لفظاً بالإثبات كالألف من قوله: وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ «١»، و الياء من قوله: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ «٢» و الواو من قوله: وَلَا تَسْجُدُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ «٣»، و كذا إبدال التنوين ألفاً في مواضعه كقوله تعالى: حَوْفًا وَ طَمَعًا «٤».

و ذلك لأنهم وقفوا في آخر الكلمة على وجوه تسعة: الأول: السكون على

(١) النمل: ١٥.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣) الانعام: ١٠٨.

(٤) الأعراف: ٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٦

ما مرّ.

و الثاني: الروم (بفتح الراء) بمعنى القصد، و هو النطق ببعض حركة الموقوف عليه، و ربما حدّوه بالتلفظ بثلاث الحركة و ترك الثلاثين، و الاختلاس عكسه، يعنى التلفظ بثلاثي الحركة و ترك الثلاث، و لذا لم يعدّوه من أقسام الوقف.

و الثالث: الإشمام و هو الإشارة إلى الحركة بضمّ الشفتين بعد الإسكان، و لذا قالوا: إن الروم لا يدركه الأصمّ، و الإشمام لا يدركه الأعمى.

و الرابع: الإبدال و هو بالألف في الاسم المنصوب المنون غير المؤنث كقوله: (أحدا)، و بالهاء في (الرّحمة) و (رحمة) معرّفه، و مجردة و بالألف في مثل (يشاء) فتسقط أحدهما، و هو متروك عندنا، و إن حكوه عن حمزة و هشام، كما حكى عنهما أيضا النقل.

و الخامس: النقل في مثل قُرُوءٍ «١» و النَّسِيءُ «٢» حيث ينقل حركة الهمزة الى الواو أولياء، و تقلب الهمزة واوا في قُرُوءٍ و ياء في النَّسِيءِ ثم تدغم الواوان في الأوّل، و الياء ان في الثاني، و هو أيضا متروك عندنا.

السادس: الإدغام كما عرفت في قُرُوءٍ و النَّسِيءِ.

السابع: الحذف لبعض الياءات التي ربّما تثبت في الوصل على بعض القراءات كقوله: إِلَى الدَّاعِ «٣» و قوله: فَهُوَ الْمُهْتَدِ «٤».

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) القمر: ٨.

(٤) الإسراء: ٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٧

و الثامن: الإثبات لبياءات الزوائد المخذوفة في الوصل نحو وال «١» و واق «٢».

و التاسع: إلحاق هاء السكت في نحو (فبمه) و (ممّه).

و لا يخفى عليك أن كثيرا من هذه الأقسام تصنّعات، و تكلفات و استحسانات لم يقم عليها شاهد، فضلا عن حجة، بل الظاهر أنه لا يجوز الوقف بمثل النقل و الإدغام و غيرهما ممّا يوجب تغييرا في الحرف أو الحركة من غير شهادة به من أهل اللسان، و لعله لا عبرة بقراءة واحد من القرّاء، أو لحن طائفة من العرب لم يعلم نزول القرآن بلغتهم.

و رابعة فسّر حفظ الوقوف بمراعاة الإثنين من الأربعة المشهورة كما في «شرح النفلية» للشهيد الثاني تبعا للأول فيها، قال بعد إرسال الخبر: و ليس المراد مطلق الوقف، بل الوقف التام، و هو الذي لا يكون للكلام قبله تعلّق بما بعده لا لفظا و لا معنى، و الحسن و هو الذي يكون له تعلّق من جهة اللفظ دون المعنى.

قال: و من ذلك يعرف وجه الوصف بالتمام و الحسن، فإنّ الوقف على الحسن حسن في نفسه مفيد، لحسن النظم، و سهولة الضم، لكن لا يحسن الابتداء بما بعده للتعلّق اللفظي فهو دون التام، و هذا كلّه مع التمكن و اليسر، و أمّا عند فراغ النفس فيحسن الوقف مطلقا، سواء كان أحدهما أو غيرهما من الأنواع المرخصّة و الممنوعة ... الى أن قال:

و في الفاتحة أربعة وقوف توأم: على البسلمة، و مالك يوم الدين

(١) الرّعد: ١١.

(٢) الرّعد: ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٨

و نستعين، و آخرها، و عشرة حسنة: على «بسم الله»، و على «الرحمن» و على «الحمد لله» و على «رب العالمين» و على «الرحمن» و على «الرحيم» و على «إياك نعبد» و على «المستقيم» و على «أنعمت عليهم» و على «غير المغضوب عليهم».

أقول: و القسمان الباقيان هما الكافي و القبيح.

و وجه الحصر على ما في «شرح طيبة النشر»: أنّ الكلام إمّا تامّ أولا، و التامّ إمّا لا يكون له تعلّق بما بعده لا لفظا و لا معنى، أو يكون له تعلّق، فالأول هو التام فيوقف عليه، و يتبدأ بما بعده.

و الثاني لا يخلو إمّا يكون تعلّقه من جهة اللفظ فهو الحسن الذي يجوز الوقف عليه لتمامه و لا يجوز الابتداء بما بعده لتعلّقه بما قبله لفظا، إلّا أن يكون رأس آية فإنه يجوز عند الأكثر، كما هو المحكّي «١» عن النبي صلّى الله عليه و آله.

و إمّا يكون تعلّقه بما بعده من جهة المعنى و هو الوقف الكافي كالتمام يجوز أن يوقف عليه و يتبدأ بما بعده.

و أمّا إذا لم يكن الكلام تامّا فالوقف قبيح، لا يجوز الوقف عليه و لا الابتداء بما بعده.

أقول: و ظاهره كصريح غيره اختيار الكافي على الحسن، لكنّ الخطب سهل بعد عدم الدليل على شيء من ذلك سوى الاستحسان الذي لا عبرة به عندنا.

(١)

النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٢٦ روى عن أم سلمة أنّ النبي صلّى الله عليه و آله كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية ... تفسير

الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٠٩

و رجوعه مطلقا الى الترتيل و التزيين المأمور بهما غير معلوم و إلّا فلا بأس به.

مضافا إلى حدوث هذا الاصطلاح منهم بحيث لا يصلح حمل العلويّ و غيره عليه، فإنه منسوب إلى أبي عمرو «١»، صاحب «التيسير».

كما يحكى عن رجل آخر معروف بالسجاوندى «٢» اصطلاح آخر فى الوقف، فإنه قسمه الى خمسة أقسام:

الوقف اللازم، و هو الذى يحصل بتركه فى المعنى شناعة مثل قوله تعالى:

وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ «٣»، فلو وصلت بما بعدها يكون قوله: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ «٤» صفة الأصحاب النار، و هو شنيع و محال.

٢- الوقف المطلق، و هو الذى يحسن الابتداء بما بعده، و الوقف عليه لعدم ثبوت الاتصال، كقوله تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ لَأنَّه ثُمَّ ذَكَرَ الْأَوْصَافِ، وَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ابْتِدَاءً تَضَرَّعَ.

٣- الوقف الجائز، و هو الذى حصل دليل الوقف و دليل الوصل فيه، كقوله تعالى حكاية عن بلقيس:

(١) هو أبو عمرو بن عثمان بن سعيد الدانى الأندلسى المتوفى (٤٤٤) و من مصنفاته «التيسير».

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندى الغزنوى المتوفى (٥٤٤) أو (٥٦٠) و من مصنفاته «الإيضاح فى الوقف و الابتداء»- البرهان فى معلوم القرآن للزرشى ج ١ ص ٤٩٦.

(٣) غافر: ٦.

(٤) غافر: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٠

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً «١» و الوقف عليها جائز، لأن قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ «٢» يمكن أن يكون قول بلقيس فينبغى الوصل، و يمكن أن يكون قوله تعالى توقيعا لقول بلقيس فينبغى الوقف.

٤- الوقف المجوز، و هو الذى لكل من الوقف و الوصل فيه وجه، لكن الوصل أظهر و أقوى كقوله تعالى: وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ «٣».

٥- الوقف المرخص، هو ما بين كلامين تعلق أحدهما بالآخر، و كل واحد منهما تام مستقل فى إفادة المعنى كقوله تعالى: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً «٤»، لأن قوله: وَ أَنْزَلَ عَطْفَ عَلَى (جعل) و كلاهما صلة (الذى)، و لكن كل واحد منهما يفيد معنى تاما لو انقطع النفس عليه:

و هذا كله استحسانات، بل تصرف فى الأحكام الشرعية بدون إذن صاحب الشريعة، و ذلك لأنهم يثبتون بذلك رجحانا وجوبيا، أو نديبا و كلاهما من الأحكام الشرعية التى يجب فيها التوقيف، لا الأخذ بالاستحسانات و الظنون.

بل لا يخفى أن فيها شوب التشريع الذى يحرم معه الفعل، و لو مع اشتماله على جهة الحسن الذى لا يصلح دليلا للحكم، و هل هذا إلا مثل قول (آمين) الذى هو استجابة لما تضمنه الحمد من الدعاء.

قال السيد نعمه الله طاب ثراه فى جملة كلام ذكره فى «الأنوار»: قد بقى

(١) النمل: ٣٤.

(٢) النمل: ٣٤.

(٣) البقرة: ٧.

(٤) البقرة: ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١١

القرآن حتى وقع فى أيدى القراء فتصرفوا فيه بالمد، و الإدغام، و التقاء الساكنين، و غيرها تصرفا نفرت الطباع منه، و حكم العقل بأنه

ما تزل هكذا.

ثم قال: ظهر رجل اسمه سجاوندى، أو نسبة الى بلدة فكتب هذه الرموز على كلمات القرآن، وعلّمه بعلامات أكثرها لا يوافق لا تفاسير الخاصة، ولا تفاسير العامة، والظاهر أنّ هذا إذا مضت عليه مدّة عديدة يدعى أيضا فيه التواتر، و أنّه جزء القرآن فيجب كتابته واستعماله «١».

أقول: و كأنّ فيه تعريضا على بعض أصحابنا حيث توهموا تواتر السبع أو العشر، وكذا تواتر المدّ، وغيره من الكيفيات حسبما مرّت اليه الاشارة و تأتي إنشاء الله تعالى.

و بالجملة فلا وجه للاعتماد على شىء من تلك الوجوه و الكيفيات سيّما مع جعلهم بعض الأقسام منه واجبا، وبعضها حراما، من دون الاستناد الى آية أو رواية، أو حجة شرعية، أو دلالة عقلية.

كما يحكى عن بعضهم: أنّ الوقوف الواجبة ثلاثة و ثمانون وقفا، منها الوقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ «٢».

و عن الإمام أبى منصور «٣» أنّه جعل الوقف الحرام ثمانية و خمسين وقفا و من وقف على واحد منها متعمّدا فقد كفر، و جعل منها الوقف على صراط الذين «٤»، و على ملك سليمان «٥».

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٣٦٢ ط تبريز.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى (٤٢٩) - الاعلام ج ٤ ص ١٧٣.

(٤) الفاتحة: ٧.

(٥) البقرة: ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٢

و قد ذكر بعضهم مضافا الى ما مرّ وقوفا أربعة آخر:

الوقف اللّازم الذى يجب الوقف عليه، و عدّوا منه قوله تعالى: وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ «١» لأنّه لو وصل بقوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ «٢» لصارت الجملة صفة لقوله: بِمُؤْمِنِينَ «٣».

و منه قوله تعالى: إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ «٤»، إذ لو وصل لصار الذين آتيناهم الكتاب «٥» صفة للظالمين، و خطره ظاهر، بل هو كلام مبتدأ من الله تعالى، الى غير ذلك ممّا عدّوه منه.

و وقف المعانقة، و يسمّى المراقبة، و هما وقفان متقاربان، إذ اوقفت على الأول ينبغى وصل الثانى بما بعده، و إذا اوقفت على الثانى ينبغى وصل الأول بما قبله ليحسن ذلك الوقف.

و هو فى القرآن ثمانية عشر موضعا متّفقا عليها، منها فى البقرة فى ثلاثة مواضع: لا ريب فيه «٤» و على حياة و من الذين أشركوا «٧». و فى ستة عشر موضعا مختلفا فيها.

(١) البقرة: ٨.

(٢) البقرة: ٩.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) البقرة: ١٤٥.

(٥) البقرة: ١٤٦.

(٦) البقرة: ٢.

(٧) البقرة: ٩٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٣

ووقف الغفران الذي رووا فيه

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من ضمن أن يقف عشرة في القرآن ضمن له الجنة».

وهو في المائة: لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ «١».

وفي الأنعام: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ «٢».

وفي السجدة: أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا «٣».

وفيها أيضا: لا يَسْتَوُونَ «٤».

وفي يس: وَآثَارُهُمْ «٥».

وفيها أيضا: يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ «٦».

وفيها أيضا: مِنْ مَرْقَدِنَا «٧».

وفيها أيضا: وَأَنْ اعْبُدُونِي «٨».

وفيها أيضا: مِثْلَهُمْ «٩».

وفي سورة الملك: وَيَقْبِضَنَّ «١٠».

ووقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

، رووا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنه اختار الوقف في سبعة عشر موضعا «١١»:

(١) المائة: ٥١.

(٢) الانعام: ٣٦.

(٣) السجدة: ١٨.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) يس: ١٣.

(٦) يس: ٢٠.

(٧) يس: ٥٢.

(٨) يس: ٦١.

(٩) يس: ٨١.

(١٠) الملك: ١٩.

(١١) قال الحصري في «معالم الاهتداء في الوقف و الابتداء»: مسمى الوقف في غيره المواضع وقف السنة تفسير الصراط المستقيم،

ج ٢، ص: ٤١٤

ففي البقرة قوله تعالى: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ «١»، وَ مَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ «٢».

وفي آل عمران: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ «٣».

- وفي سورة المائدة: مِنَ النَّادِمِينَ «٤» وَفَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ «٥» وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ «٦»، وفي رواية: مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي «٧».
- وفي سورة يونس: أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ «٨» وَإِي وَرَبِّي «٩».
- وفي رواية: أَحَقُّ، هُوَ «١٠»، وفي رواية: إِنَّهُ لَحَقُّ «١١».
- وفي سورة يوسف: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ «١٢».
- وفي سورة الرعد: كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ «١٣».
- وفي سورة النحل: وَاللُّعَامَ خَلَقَهَا «١٤».

ووقف جبريل ووقف الابتداء، و لم أعر على اثر صحيح أو ضعيف يدل على أن الوقف في جميع غيره المواضع من السنّة.

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) المائدة: ١٣١.

(٥) المائدة: ٤٨.

(٦) المائدة: ١٦١.

(٧) المائدة: ١١٦.

(٨) يونس: ٢.

(٩) يونس: ٥٣.

(١٠) يونس: ٥٣.

(١١) يونس: ٥٣.

(١٢) يوسف: ١٠٨.

(١٣) الرعد: ١٨.

(١٤) النمل: ٥. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٥

وفي سورة لقمان: لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ «١».

وفي سورة المؤمن: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ «٢».

وفي سورة الحشر: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ «٣».

وفي سورة النازعات: فَحَشَرَ «٤».

وفي سورة القدر: مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ «٥».

وفي سورة النصر: وَاسْتَغْفِرُهُ «٦».

وعن بعضهم أيضا في أواخر البقرة: غَنِيٌّ حَمِيدٌ «٧».

وفي سورة القدر: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ «٨».

ولا يخفى عليك أنه لم يثبت الرواية بشيء منهما، لكونهما عامتين، وبعض أصحابنا أخذهما عنهما.

وأما لزوم الوقف ووجوبه في المواضع التي ذكروها فمن المقطوع انتفاء الوجوب فيها كانتفاء الحرمة فيما حكموا بها فيه، ولذا صرح

بعضهم بأنهم لم يقصدوا ما يترأى من ظاهر كلامهم.

قال الجزرى فى «طيبة النشر»:

و ليس فى القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ما له سبب

(١) لقمان: ١٣.

(٢) المؤمن: ٦.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) النازعات: ٢٣.

(٥) القدر: ٣.

(٦) النصر: ٣.

(٧) البقرة: ٢٦٧.

(٨) القدر: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٦

و فسر ما له السبب بما أريد به تغيير المعنى.

وقال بعض شراحه من أفاضل المتأخرين: إنه وقع فى كلام كثير ممن ألف فى الوقوف قولهم: الوقف على هذا واجب أو لازم، أو حرام، أو لا يحلّ، و نحو ذلك من الألفاظ الدالّة على الوجوب و التحريم، و لا يريدون بذلك المقرّر عند الفقهاء ممّا يثاب على فعله و يعاقب على تركه، أو يعاقب على فعله و يثاب على تركه، بل المراد أنّه ينبغى للقارىء أن يقف عليه لنكته، أو لمعنى يستفاد من الوقف، أو يتوهم من الوصل تغيير المعنى المقصود، أو نحو ذلك، أو لا- ينبغى الوقف عليه أو الابتداء بما بعده لما يتوهم من تغيير المعنى و بشاعة اللفظ، و نحو ذلك.

فمن الأوّل: قوله تعالى: وَ لَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ «١».

قال السخاوى: الوقف عليه واجب، لثلاث يتوهم أنّ ما بعده و هو إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ مِنْ قَوْلِهِمْ، بل هو من قول الله تعالى، و يُؤكّد هذا التوهم كسر (إِنَّ) فإنّها تكسر بعد القول.

و من الثانى: الوقف على (الموتى) فى قوله تعالى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ «٢» فإنه إن وقفنا على (الموتى) يتوهم أنّ الموتى يستجيبون مع الذين يسمعون، و ليس كذلك و إنّما المعنى أنّ الموتى لا يستجيبون بل يبعثهم الله تعالى. و كذلك الوقف على (لا يستحيى) فى قوله تعالى:

(١) يونس: ٦٥.

(٢) الانعام: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٧

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي «١»، و الوقف على (لا- يهدى) فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «٢»، كلّ ذلك لا يجوز، فإن قصد أحد ذلك عمدا مع الالتفات، و العياذ بالله بتغيير المعنى المراد الى غيره كان حراما معاقبا عليه بهذا السبب.

بقى الكلام فى أنّ مراعاة تلك الوقوف، مع القطع بعدم وجوبها، هل هى مندوبة أم لا؟، ذهب الشهيدان، و المجلسيان، و البهبهاني، و غيرهم إلى الأوّل، و قد سمعت آنفا تمام الكلام بما يستدلّ به للوجهين.

نعم، ربما يستشكل فى تفسير الوقوف الواردة فى الخبر بالأربعة المشهورة المتقدمة فعلا و تركا، بأنّ هذه الوقوف إنّما وضعوها على

حسب ما فهموه من التفاسير، و المعانى التى هى أبعد شىء من عقول الرجال، بل قد ورد: انّ معانى القرآن لا يفهمها إلّا أهل البيت عليهم السّلام الذين نزل فى بيوتهم القرآن ، و يشهد له أنّا نرى كثيرا من الآيات كتبوا فيها نوعا من الوقف، بناء على ما فهموه، و وردت الأخبار المستفيضة بخلاف ذلك المعنى الذى فهموا، كما أنّهم كتبوا الوقف اللازم فى قوله سبحانه: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» (٣) على آخر كلمة الجلالة، لزعيمهم أنّ الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل المتشابهات، و قد وردت الأخبار المستفيضة فى أنّ الراسخين فى العلم هم الائمة عليهم السّلام و هم يعلمون تأويلها، مع أنّ المتأخرين من مفسرى العامة و الخاصّة رجّحوا فى كثير من الآيات تفاسير لا توافق ما اصطّلحوا عليه فى الوقف. نعم، ربما يجاب عن الأشكال بأنّ المراد المحافظة على معنى الوقف التامّ

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) آل عمران: ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٨

و الحسن، لا خصوص ما تخيلوه.

و أنّ ما ورد من اختصاص علم القرآن بهم لا ينافى إتباع الظاهر لنا فيما لم يرد فيه نصّ منهم.

أقول: و على هذا فيسقط التوقيف على خصوص ما عيّنه مصداقا لتلك الأقسام فى الفاتحة و غيرها على ما زعموه.

مضافا الى أنّه لا دليل على حسن المحافظة على تلك المعانى أيضا، و لو فى غير ما عيّنه من المصاديق.

سيّما مع ملاحظة عموم البلوى بها للناس عند القراءة فى الصلاة و غيرها، و عدم ورود نصّ فى ذلك عن الأئمة عليهم السّلام، مع شيوع علم القراءة فى تلك الأزمنة بين العامة، مع أنّه كان بين روايتهم من الإمامية أهل الديانة و العبادة، و التقوى، و لم يعهد من أحد منهم السؤال عن كيفية الوقف موارد، كما لم يقع عنهم السؤال قطّ ممّا زخرفوا بقرايتهم البتراء مثل أقسام المدّ، و الإمالة، و الاختلاس، و الإشمام، و الروم، و غير ذلك ممّا ملثوا بها كتب القراءة، و صرفوا فيها أعمارهم، و هذا كلّ دليل على عدم المطوبية بوجه، بل مطلوبية ترك التعرّض و الالتفات إليه رأسا، بل لعلّ فى بعض الأخبار إشعارا عليه أيضا.

مثل ما

أرسله فى «مجمع البيان» عن أمّ سلمة: «كان النبى صلّى الله عليه و آله يقطع قراءته آية آية» (١).

فإنّ ظاهره الذى من المقطوع إرادته أنّه صلّى الله عليه و آله كان يقف على الآيات، مع أنّ مقتضى ما ذكره أنّ المدار على ملاحظة المعانى، فربما يحسن الوقف على

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ فى تفسير الترتيل من سورة المزمل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤١٩

بعض الآية، و ربما يحسن الوصل بين الإثنين عندهم.

و ما

رواه على بن جعفر فى الصحيح عن أخيه موسى عليه السّلام، عن الرجل يقرأ الفاتحة، و سورة اخرى فى النفس الواحد، قال عليه السّلام: إن شاء قرأ فى نفس واحد، و إن شاء فى غيره (١).

إلّا أنّ الظاهر منه إرادة مجرد الجواز، و إن كان الأظهر كراهة قراءة سورة واحدة بنفس واحد فضلا عن السورتين، و ذلك لا للإخلال

بالوقف، بل لمنافاته للترتيل المأمور به في الكتاب والسنة.

ولنا

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بعد الأمر بالترتيل بما مرّ: «و لكن اقرعوا به قلوبكم القاسية و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة»
«٢».

و

قال مولانا أبو عبد الله عليه السلام في خبري محمّد بن الفضيل، و محمد بن يحيى: «يكره أن يقرأ قل هو الله أحد في نفس واحد»
«٣».

و

قال عليه السلام في الترتيل: «هو أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك» «٤».

و

من إسحاق بن عمّار، عن جعفر الصادق، عن أبيه عليهما السلام: «أنّ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله اختلفا في صلاة رسول الله صلى الله عليه و آله فكتبنا إلى أبي بن كعب: كم كانت لرسول الله صلى الله عليه و آله من سكتته؟ قال: سكتتان: إذا فرغ من أمّ القرآن، و إذا فرغ من السورة «٥».

(١) التهذيب ج ١ ص ٢٢٠- قرب الاسناد ص ٩٣.

(٢) الأصول من الكافي ص ٥٩٨.

(٣) أصول الكافي ص ٥٩٩- و فروع الكافي ج ١ ص ٨٦.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٧٨ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٩١.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ١٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٠

و لعلّ المراد من السكتة غير الوقف، بل هو وقف معه سكوت ما، كيلا يكون قراءتهما بنفس واحد.

بل قد ورد في رواية «١» حماد تقدير السكتة بعد السورة بنفس، مع أنّك قد سمعت كراهة قراءة التوحيد بنفس واحد، و لعلّ ثبوتها في الحمد أظهر.

ولذا حكى المولى البهبهاني عن بعضهم أنّه قال: و الأولى أن لا يقرأ مقدار سورة التوحيد من غيرها أيضا بنفس واحد، ثمّ قال: و لعلّه كذلك، بل لعلّ الأقلّ منها أيضا كذلك لاستحباب الترتيل.

أقول: و مع كلّ ذلك فعمل الأظهر أن مراعاة الوقف في مواضعه التي هي مقاطع الكلام من الترتيل المندوب اليه، و مثل هذا الترتيل يحسن مراعاته و لو في المناجاة و الأدعية، و في الكلمات العرفية، بل و كذا في الخطب و الأشعار، فإنّ في كلّ كلام مواضع للفصل و الوصل يعرفها أهل العرف، و أرباب دراية المعنى، بحيث يعرفون بالوجدان حسن الفصل في مواضع منها، و الوصل في غيرها كما يقضى به التأمل في مخاطباتهم العرفية.

و في كلام الأردبيلي في «مجمع الفائدة» ما يؤذن بدعوى الإجماع على أولويته في مواضعه.

بل و لعلّ إليه إشعارا فيما رواه الكليني قدس سرّه

في «الكافي»، من حفص، قال: «ما رأيت أحدا أشدّ خوفا على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام، و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزنا، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنسانا» «٢».

بل و من هنا عدّ غير واحد من أصحابنا من الترتيل: أو الوقف المستحبّ

(١) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١٨٩.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢١

أن يقف على غير المضاف، بل و على غير الموصوف أيضا.

و إن أطنب في ذلك بعض أرباب القراءة فألحق به ما ليس منه، حيث ذكر أنه ينبغي للقارئ أن يجتنب عن الوقف بين العامل و المعمول، و بين الفعل و ما يتعلّق به من فاعل و مفعول، و ظرف، و مصدر، و غيرها، و بين الشرط و الجزاء، و بين الأمر و جوابه، و بين المبتدأ و الخبر، و بين الصلّة و الموصول، و بين الصّيغة و الموصوف، و بين البدل و المبدل منه و بين المعطوف و المعطوف عليه، و بين المؤكّد و المؤكّد، و بين المضاف و المضاف إليه، و بين المستثنى و المستثنى منه، و بين «كان» و «إن» و أخواتهما، و أسمائها، و بين القسم و جوابه، و بين الحرف و مدخوله «١».

و أنت ترى أنه لا- يقضى به العرف على وجه الكلّيّة، فربما يحسن الوقف في كثير من الموارد مع دخولها تحت بعض المذكورات، لطول الكلام، أو لغيره من مقتضيات المقام.

و هذا كلّه فيما لم يقصر النفس، و أمّا مع قصره فالأحسن الوقف حيث شاء، نعم ذكر في «كشف اللثام» و غيره أنه لا ينبغي إكثار الوقف بحيث يختلّ النظم، و يلحق بذكر الأسماء المعدودة.

(١) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٢

في مراعاة المدّ

عرّفوا المدّ بإطالة الصوت بحرف مدّي من حروف العلة، و القدر الواجب منه ما يتوصّل به إلى أداء الحرف الساكن الذي يسمّونه سبب المدّ، و ذلك لأنّ التلّفظ بالحروف إنّما يتمشّي بتحركّها أو اتصالها بالمتحرك، أو بالسكن الذي يتوصّل بمدّه الى التلّفظ بها، و ذلك على فرض توقّف الإفصاح بها عليه، مقدّر بقدره، و إلّا فالقدر الزائد على ذلك لا دليل على وجوبه، و لا على ندبه، و إن توسّع فيه أرباب القراءة حيث قسّموه إلى الطبيعي، و هو الامتداد الحاصل لذات الحروف الثلاثة بقدر التلّفظ بها كما في قوله: آتُونِي «١»، و يسمّى أصلياً و ذاتياً، و لذا قدّروها بألف واحدة، و هو قدر التلّفظ بها.

و غير طبيعي، و هو ينقسم إلى ما له سبب معنويّ و هو ما قصد به المبالغة في النفي، كما عن حمزة في مثل لا رَيْبَ «٢»، و لا لا جَزَمَ «٣» و لا مُقَامَ «٤».

و منه مدّ التعظيم في لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

و ما له سبب لفظي، و هو إمّا السكون، و إمّا الهمزة، و السكون ينقسم الى

(١) الكهف: ٩٦.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) هود: ٢٢.

(٤) الأحزاب: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٣

أصلِيّ و عارضِيّ، فالأصلِيّ مظهر في فواتح السور، و مدغم في مثل دَائِبَةٍ «١» و الضَّالِّينَ «٢»، و كلاهما لازم، و مقداره، فيهما عند ورش، و حمزة أربع ألفات، و عند غيرهما ثلاث، و عن ثالث خمس، و عن رابع ألفات. و العارضِيّ المدغم في الرَّحِيمِ مَالِكِ «٣» على فرض الإدغام. و المظهر في نَسْتَعِينُ «٤»، و جَوَزُوا فيها الطول و القصر و التوسط. و أمّا الهمزة فإن كان بعد حروف المدّ في كلمة، مثل (جاء) و (جىء) و (سوء) فالمدّ متّصل لازم عندهم، محدود بالخمس إلى الألفين، على الاختلاف بينهم، أو في كلمتين فمفصل جائز. و لهم اختلافات كثيرة في عدّها، و حدّ مدّها، حتى أنهاها بعضهم إلى خمسة عشر قسما. قال قائلهم:

و للمدّ أنواع لدى الحصر خمسة و عشر لتمكين «٥» و بسط «٦» مفضّلا

(١) البقرة: ١٦٤ و سور أخرى.

(٢) فاتحة الكتاب: ٧ و سور أخرى.

(٣) فاتحة الكتاب: ٣-٤.

(٤) فاتحة الكتاب: ٥.

(٥) مدّ التمكين في نحو (أولئك) و (الملائكة) و (شعائر) و هي مدّة تليها همزة، لأنّه جلب ليتمكّن به من إخراجها من يخرجها- الإتيان ج ١ ص ٣٣٨.

(٦) مدّ البسط و يسمّى أيضا مدّ الفصل في نحو (بما أنزل) لأنّه يبسط بين كلمتين و يفصل بين متصلتين- الإتيان ج ١ ص ٣٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٤ و عدل «١» و فرق «٢» بنية «٣» عوض و لازم عارض و حجز و أصل تأصلا

كذا مع روم مبدل شبه مبدل مبالغة، إمعان فافهم مكتملا

و في بعض هذه الأقسام اختلافات عندهم في تحديده.

فمن الغريب ما في «مجمع البحرين» من دعوى اتّفاقهم في كثير من الأقسام، حيث قال في كتاب الدال باب أوّله الميم: و حروف المدّ هي حروف العلة، و في مصطلح القراء إن كان بعدها حمزة تمدّ بقدر ألفين إلى خمس ألفات، و إن كان بعدها تشديد تمدّ بقدر أربع ألفات اتّفاقا منهم مثل (دائبة)، و إن كان ما بعدها ساكن تمدّ بقدر ألفين اتّفاقا (كصاد)، و إن كان بعدها غير هذه الحروف لم تمدّ إلّا بقدر خروجها من الفم، فمدّ بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن إلّا بقدر خروج الحرف من الفم، إلّا (الرحيم) عند الوقف فيمدّ بقدر ألفين «٤».

أقول: لكنّ الخطب في كلّ ذلك سهل عندنا بعد ما سمعت من عدم وجوب شيء منها، و لا استحبابه عدى ما يتوقّف عليه أداء الحروف على فرض التوقف و إلّا فلا دليل على مطلوبية شيء زائد عليه.

نعم عدّ في «النلفية» في المستحبات المدّ المنفصل و توسطه مطلقا.

و لعلّه عدّ في «الألفية» المتّصل من الواجبات، و ليست عندي كى الأحظ.

(١) مدّ العدل في كلّ حرف مشدّد قبله حرف مدّ و لين نحو (و لا الضّالّين) لأنّه يعدل حركة و يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين.

(٢) مدّ الفرق في نحو (الآن) لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر.

(٣) مدّ البنية في نحو (ماء) و (دعاء) و (نداء) و (زكرياء) لأن الاسم بنى على المدّ، فرقا بينه وبين المقصور.

(٤) مجمع البحرين ج ٣ ص ١٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٥

وقال الشهيد الثاني في «شرح النفلية»: يجوز حينئذ القصر، والمد هو أفضل لما فيه من تحقيق الحرف.

وقال بعد قوله: «و توسطه مطلقا»: سواء كان مدا منفصلا أم غير منفصل، واجب المدّ، أم جائزة، فإن زيادته عن التوسط كمدّ ورش يكاد يخرج عن حدّ الفصاحة، وتفوّت لذاذة استماعه، ومحاسن أداءه، ودون التوسط لا يبيّن معه حروف المدّ بيانا شافيا، ولا تفصح معه إفصاحا كافيا، وخير الأمور أوسطها.

ولا يستشكل بأنّ الجميع متواتر، إذ لا بعد في تفضيل بعضه على بعض، وإن اشترك الجميع في أصل البلاغة و وصف الفصاحة، و من البيّن أنّ في بعض تركيب القرآن العزيز ما هو أفصح من بعض، و أجمع لدقائق البلاغة و مزايا الفصاحة.

وقد عدّ الأردبيلي المدّ الواجب في عداد ما يجب مراعاته، بل كأنه قد أرسله إرسال المسلمات حيث قال: و معلوم من وجوب القراءة بالعربية المنقولة تواترا عدم الإجزاء و عدم جواز الإخلال بها حرفا، و حركة بنائية و اعرابية، و تشديدا، و مدا واجبا، و كذا تبديل الحروف، لعدم صدق القراءة، فتبطل الصلاة مع الاكتفاء بها.

وقال السيد «١» الطباطبائي في «إصلاح العمل»: صرح جماعة بوجوب مراعاة المدّ المتصل، و فيه أشكال، و لكنّه أحوط.

قال: و لا- يجب المنفصل، و قيل: هو أفضل، ثمّ حكى عن صريح بعض الأصحاب أنّ المراد بالمدّ المتصل ما يكون حرف المد و موجه في كلمة واحدة،

(١) هو السيد المجاهد محمد بن الأمير السيد علي الطباطبائي الحائري المتوفى (١٢٤٢).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٦

و بالمنفصل ما كان حرف المدّ في كلمة، و موجه في اخرى، فيدخل في الأوّل مدّ «أولئك» و مدّ «و لا الضالين»، و مدّ كهيعص و لكن يظهر من جماعة منهم السيوطي في «الإتقان» «١»، و بعض شراح «الشاطبية» أنّ المتصل عبارة عمّا كان سببه وقوع الهمزة في كلمة واحدة فيخرج الأخيران عنه، و يدخل في الثاني مدّ «لا إله إلا الله».

أقول: المشهور، بل كاد أن يكون إجماعا منهم هو التفسير الأوّل، و به صرح الشهيد الثاني في «شرح النفلية» كما صرح به أيضا كثير من شراح «الشاطبية» و الجزري في «طية النشر» و غيرهم من أئمة القراءة، من دون اشارة إلى خلاف أصلا، لكنّ الخطب فيه سهل جدّا بعد عدم الدليل على وجوبه في شيء من الأقسام، بلا فرق بين تسميته متصلا أو منفصلا، و استقرار طريقة أهل اللسان على مراعاته غير معلوم، بل المعلوم خلافه.

ألا ترى أنّهم في محاوراتهم و تكلماتهم العرفية لا يراعون شيئا من ذلك، و إنّما يقتصرون على أداء موادّ الحروف، بل لو تكلف أحد بمراعاة ذلك لكان ذلك منكرا مستهجنا عندهم.

هذا مضافا الى خلوّ الأخبار، بل خلوّ كتب القدماء، و أكثر المتأخرين عن ذلك، بل أوّل من تعرّض لذلك من فقهاء أصحابنا هو الشهيد في الألفية» و «النفلية»، و لم يتعرّض له في «الذكرى»، أصلا.

و كأنّ الّذي دعاه إلى ذلك إكمال العدة في الكتابين، و لذا عدّ من المندوب في «الثاني» بعد ذكر المدّ، عدم الإفراط في التشديد، و إشباع كسرة كاف

(١) الإتقان ج ١ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٧

«ملك»، و ضمّ دال «نعبد» و الإتيان بالواو بعدها سلسا، و إخلاص الدال في «الدين» و الياء في «إياك» و الفتحة في الكاف من «إياك» بلا إشباع، و التحرز من تشديد الباء في «نعبد» و نحوه، و التاء في «نستعين» و تصفية الصاد في «الصراط» المختارة أي إذا اختار الصاد، فإن اختار السين فليحافظ على همسه، و تمكين حرف المدّ و اللين بغير افراط، و كذا فتحة نون «الدين» و اجتناب تشديد تاء «أنعمت» و ضاد «المغضوب» و اجتناب تفخيم الألف، و إخفاء الهاء، بل تكون ظاهرة، الي غير ذلك ممّا لم يقم على مطلوبيته شاهد، فضلا عن حجة، عدا بعض الاعتبارات التي ترجع إلى ملاحظة صفات الحروف أو إلى تبيينها، و الإفصاح عنها، كما يشهد له التأمل فيما ذكره ثانی الشهيدین فی الشرح، و أنت تعلم أنّ المعتبر إنّما أداء الحروف، و أمّا الصفات فلا دليل على اعتبارها فضلا عن الأمور المحقّقة لها، بل لا يخفى أنّ التوغلّ و الاستغراق في هذا القدر الذي ذكره الشهيد فضلا عن غيره ممّا اعتنى به أئمّة هذه الصناعة من صفات الحروف و غيرها يسلب الخشوع الذي هو المطلوب بالقراءة.

و لذا ورد الأمر في الكتاب و السنّة بالتدبّر فيها و التحقّق بحقائقها، و استجلاب الخشوع عندها على ما ستسمع تمام الكلام فيه إنشاء الله.

و أمّا ما ذكره المحقّق الثانی، بل الشهيد الثانی أيضا من أنّه لو ترك المدّ المتّصل تحقّق الإخلال بمثل الإخلال بحرف فهو على إطلاقه ممنوع، نعم قد سمعت أنّه لو توقّف عليه أداء الحرف و جب بلا فرق بين كون الموجب الهمزة أو الساكن في كلمة أو كلمتين، و ذلك لا لكونه مدّا، بل لتوقّف الحرف الساكن عليه، إذ الساكن الواقع بعد حرف المدّ لا بدّ من اعتماده على ما يتوصّل به إلى النطق به، و ذلك في أمثال المقام امتداد حرف المدّ لفقد الحركة السابقة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٨

و من هنا يظهر أنّه يمكن القول باستحباب المدّ عند السكون العارض كما في «الرّحيم» و «نستعين» حيث يتوقّف الإفصاح عن حرفي المدّ و الساكن عليه، بل يمكن الاستدلال له بما ورد في المعتبرة من الأمر بإفصاح الألف و الهاء في التهليل من الأذان كما في صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام.

و

عنه عليه السّلام: الأذان جزم بإفصاح الألف و الهاء «١».

بل

عن «المنتهى» عن النبی صلی الله عليه و آله: «لا يؤذّن لكم من يدغم الهاء، قيل:

و كيف يقول؟ قال صلی الله عليه و آله: يقول: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله «٢».

و قد اختلفوا في تعيين الهاء التي نهينا عن إدغامها على وجوه لا داعي للتعرّض لها في المقام، إلّا أنّ الظاهر أنّ المراد الهاء الأخيرة، و لو بقرينة ما في الخبر المتقدّم، و غيره من الأمر بالجزم أي الوقف على فصول الأذان مع إفصاح الألف و الهاء، فالمراد بالإدغام المنهى عنه ترك المدّ بحيث يؤدّى إلى إخفاء الهاء.

و لعلّ ما ذكرناه في معنى الخبر أولى ممّا ذكره الحلّي «٣»، و شيخنا البهائي، و العلّامة المجلسي عطر الله مراقدهم، فلاحظ.

(١) التهذيب ج ١ ص ١٥٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١٥٩.

(٣) قال ابن إدريس الحلّي على ما حكى في البحار: المراد بالهاء هاء (إله) لا هاء (أشهد) و لا هاء (الله).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٢٩

في مراعاة التشديد

يجب مراعاة التشديد الذى منه التلّفظ بالحرفين، فإنّ الحرف المشدّد أقيم مقامهما، و الإخلال به بكلّ من التّخفيف و الفكّ إخلال بالقراءة الموسوعة التى وقع التعبد بقراءتها مع مخالفتها الطريقة العرف و القواعد اللّغوية.

فما فى «التذكرة» عن بعض الجمهور من جواز ترك الشدّة لعدم ثبوتها فى المصحف ضعيف جدّا كدليله، فإنّه فى الحقيقة إخلال بالحرف، و بالكيفيّة المعترية، و لذا نفى غير واحد منّا الخلاف فى عدم الإجزاء مع الإخلال به الشامل للوجهين معا، بل للثالث الذى هو التحريك بعد الفكّ.

قال فى «كشف اللّثام»: و فكّ الإدغام من ترك الموالاة إن تشابه الحرفان، و إلّا فهو إبدال حرف بغيره، و على التقديرين من ترك التشديد، نعم، لا بأس به بين كلمتين إذا وقف على الأوّل نحو لم يكن له و مفهومه كما ترى ثبوت البأس بالفكّ عند الوصل، و تنقيح البحث يستدعى بسط الكلام فى أقسام التشديد و الإدغام مع التعرّض لما له من الأحكام.

فنقول: إنّ التشديد على ما صرّح به بعضهم، و يستفاد من كلام آخرين على وجوه ستّة:

أحدها: التشديد الأصلي «كثّوب» و «أواب» و «وهّاب» و نحوها، و هذا لا خلاف و لا إشكال فى وجوبه، و عدم الاجتزاء بالتخفيف و بالفكّ الذى لعلّه لا يحصل إلّا بالسكت بين الواوين لما عرفت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٠

ثانيها: التشديد البدلى الحاصل من إدغام لام التعريف فى الحروف الشمسيّة «كالرحمن» و «الرحيم».

و ذلك لأنهم قسّموا الحروف إلى شمسيّة تدغم فيها اللّام، و قمرية تظهر عندها، و كلّ منهما أربعة عشر حرفا، فالقمرية هى حروف قولك: «ابح حجك و خف عقيمه» و الشمسيّة ما سواها، و التسمية باعتبار لفظه الشمس و القمر، تسمية لكلّ بملاحظة الجزء.

و لا يهّمنا البحث فى أنّ سبب الإدغام فى المقام هل هو قرب المخرج، أو غيره بعد استقرار طريقة أهل اللسان عليه بلا خلاف و لا إشكال فيه من أحد، و إن تضمّن إبدالا من الحرف الأصلي الذى هو اللام فالإخلال به بفكّ الإدغام، أو بترك الإبدال إخلال بالقراءة المعهودة الموظّفة.

و توهم جواز موافقة الخطّ الذى يوافقه الأصل أيضا مدفوع بما سمعت.

و أمّا إبقاء الخطّ على الأصل فربّما علّوه بكون اللام من كلمة، و الحرف المدغم فيه من كلمة أخرى، و بالأمن عن اللبس فى المنكر المدخول لهزمة الاستفهام، و الخطب فيه سهل.

ثالثها: التشديد اللّازم، و هو الذى فى الأدوات مثل «لما» و «أما» و «ثمّ» و «حتى» و «كلّا» و نحوها، و هو فى الوجوب و عدم الاجتزاء مع الإخلال به كالسابقين.

رابعها: تشديد الغنة، و كأنّه تغليب فى التسمية، حيث إنهم عبّروا به عن الإدغام فى حروف «يرملون» مع وضوح انتفاء الغنة فى اللام و الراء، و قد اتّفتت كلمة القراء على إدغام النون الساكنة و التنوين فى هذه الحروف و صرّح فى شرح «طيبة النشر»، و «إبراز المعانى» بالإجماع، بل فى «الشاطبية» أيضا حيث قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣١ و كلّهم التنوين و النون أدغموا بلا غنة فى اللام و الراء ليجملا

و كل ينمو أدغموا مع غنة و فى الواو و اليا دونها خلف تلا «أ»

و هو المحكى عن «التيسير» و «سراج القارى»، و غيرهما أيضا.

بل في «إبراز المعاني»: التصريح بأن الإدغام في حروف «يرملون» الستة، والإظهار في حروف الحلق الستة، والقلب عند الباء، والإخفاء في البواقي هي الوجوه التي لها في اللغة، بل قد استفاد من الشاطبية أيضا، وإن كانت استفادته لا تخلو من نظر فلاحظ. وأمّا الفقهاء: فقد سمعت أن مفهوم كلام كاشف اللثام وجوبه، وهو الظاهر من الشهيد في «البيان» و«الألفية» و ثاني المحققين و الشهيدين، وغيرهم ممن صرح بوجوب الإدغام الصغير، حيث إن غير واحد منهم صرحوا بكون المقام منه وإن افردوه بالبحث لاختصاصه ببعض الأحكام.

وفي «إصلاح العمل» أنه صرح جماعة بوجوب الإدغام الصغير، ولكنه أحوط، قال: وفسره بعض يادغام التنوين والنون الساكنة في أحد حروف «يرملون»، وعلى كل حال ففي وجوبه إشكال:

من الأصل، وجواز القراءة بالمرسوم، وعدم الإشعار بوجوبه في شيء من كلمات قدماء الأصحاب، فضلا من الأخبار. ومن ظهور إجماع المتأخرين عليه، فإنهم بين مصرح به وساكت عنه، مقرر له مع ظهور إيكالهم كيفية القراءة على الرجوع إلى علماء هذا الفن، والكتب المصنفة فيه، بل ولعله السر أيضا في عدم تعرّض القدماء وغيره مما لا تأمل في وجوبه، كإخراج الحروف من مخارجها، ومراعاة التشديد، وغيره.

(١) حرز الأمانى المعروف بالشاطبية ص ٢٤ باب احكام النون الساكنة والتنوين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٢

هذا مضافا إلى أن كثيرا من موارد هذا الإدغام يرجع إلى رسم الخط الذي لا يجوز تغييره مثل عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ «١» و مِمَّا خَطَبْتَهُمْ «٢»، و عَمَّا يَعْمَلُونَ ونحوها.

و إلى ما سمعت عن «شرح الشاطبية» من أن هذا الإدغام من مقتضى اللغة، واتفاق القراء السبعة، وغيرهم على لزوم مراعاته، ولا ريب في وجوب إتباع قراءتهم، إمّا للتواتر كما عليه جماعة، أو لوقوع التعيّد لنا من الأئمة عليهم السلام كما استفاد من الأخبار، إلا أن الأظهر مع كل ذلك عدم الوجوب، لمنع الإجماع، بل الاتفاق أيضا، وكيف يحصل لنا العلم بفتوى الإمام عليه السلام من مجرد فتوى بعض المتأخرين، ولذا لم يدعه عليه أحد منهم.

مع أنه من المحتمل قويا أنهم أرادوا بالوجوب غير المعنى المصطلح، حسبما سمعت في الوقف، بل قد سمعت أيضا أنه قد تبعه فيه بعض المتأخرين.

و أمّا ما مرّ من إيكالهم كيفية القراءة على علماء الفن... إلخ ففيه ما لا يخفى، مع إشعار كثير منهم بتصريحا أو تلويحًا بالقدر الواجب الرجوع إلى مادة الكلمة وهيتها الظاهر في نفي أمر زائد، بل هو صريح بعضهم أيضا.

قال في «مجمع الفائدة»: و أمّا باقى الصفات فى الحروف من الترقيق، والتفخيم، والغنة، والإظهار، والإخفاء فالظاهر عدم الوجوب، بل عدم الاستحباب، لعدم الدليل شرعا، و صدق القراءة بدونها لغة و عرفا، و إن كان عند القراء واجبا. و نفى البأس فى «كشف الغطاء» عن فكّ المدغم من كلمتين.

(١) النبأ: ١.

(٢) نوح: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٣

و أمّا إدراج الإدغام فى الرسم فى بعض المواضع فمع معارضته بالعدم فى الأكثر مدفوع بعدم العبرة بالرسم المتعارف الذى لا شك فى اختلافه بحسب الأعصار، بل لا ريب فى استناده أولا إلى المصاحف العثمانية، التى خولف فيها طريقة العرف مع أنه وقع كثيرا

مخالفة الرسم في المعرف باللام وغيره.

و أما نسبه إلى اللغة فمع عدم ثبوتها لعل المراد مجرد الجواز لا اللزوم، بل لعله الظاهر.

و أما اتفاق القراء عليه فمع الغض عن احتمال ارادة غير المصطلح من الوجوب، لا ريب في أنه إنما يلزم متابعتهم في مواد الحروف، لا في هذه التصرفات التي ربما يؤدي إلى تغيير مواد الأصول، و لذا لم يقل أحد بوجوب الإدغام الكبير، بل الظاهر من أكثر الأصحاب إختيار تركه لزوما أو احتياطا.

نعم يمكن دعوى القطع من جميع ما مرّ، وغيره بالجواز، بل لعلّ عليه إجماع الفقهاء أيضا، فقضية الاحتياط في المقام مراعاته لارتباط المشكوك فيه بالمأمور به، سيما إذا وجبت القراءة الصلاة أو نذر، أو استيجار، أو غيرها.

ثم لا يخفى عليك أن معقد الإجماعات المحكيّة، بل و دعوى قضاء العرف و اللغة هو كلّ من الأمور الأربعة، أعنى الإدغام في حروف «يرملون»، و الإظهار في حروف الحلق، و القلب في الباء، و الإخفاء في البواقي.

أما الإدغام فهو بلا غنة في اللام و الراء، و مع الغنة في حروف «ينمو» الأربعة، إلّا عن خلف (بن هشام المتوفى ٢٢٩) في الواو و الياء للقرب القريب في الأولين الموجب لتمحّض الإدغام دون الأربعة الأخيرة فلم يذهب بغنتها، بل حكى في «شرح الشاطبية» عن بعضهم أنه في الواو و الياء إخفاء لا إدغام، و إنما يقولون له إدغام مجازا، و إلّا فهو إخفاء على مذهب القائلين ببقاء الغنة، لأنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٤

ظهورها يمنع من تمحّض الإدغام إلّا أنه لا بدّ من تشديد يسير فيهما.

قال: و هو قول الأكابر حيث قالوا: الإخفاء ما بقيت معه الغنة.

و أمّا عند النون و الميم فهو إدغام محض، لأنّ في كلّ واحد من المدغم و المدغم فيه غنة، فاذا ذهبت إحدهما بالإدغام بقيت الاخرى.

نعم هو على مذهب خلف في اللام و الراء إدغام محض، و لذا اختار ترك الغنة فيهما، بل هو المحكى عن الكسائي أيضا في احدى الحكايتين.

و في «إبراز المعاني»: أن في اللغة حذف الغنة و ابقاؤها جائز عند الحروف الستة، ثم إنهم أطبقوا على وجوب إظهارها في نحو «الدنيا» و «بنيان» و «قنوان» و «صنوان»، حذرا من الاشتباه بالمضاعف نحو حيان، و بوان، و من اجتماع ثلاث من حروف العلة في كلمة واحدة. كما أنهم أطبقوا على الإظهار في حروف الحلق، و قلب النونين ميم عند الباء في كلمة أو كلمتين مع إظهار الغنة على الأشهر منهم، و على الإخفاء في البواقي مع بقاء غنتهما، لأنها لم يستحکم فيها البعد و لا القرب عنهما، فلما توسّطت أعطيت حكما وسطا بين الإظهار و الإدغام و هو الإخفاء بلا فرق بين كونها في كلمة أو كلمتين.

خامسها: تشديد المدغم بالإدغام الصغير الذي يكون فيه أول الحرفين ساكنا، و سمى لاختصاصه ببعض الحروف، و عدم تأثيره في إسكان المتحرّك قبل ادغامه دون الكبير الذي هو إدراج المتحرّك بعد إسكانه في المتحرّك.

ثم الإدغام الصغير ينقسم الى واجب، و ممتنع، و جائز.

فالواجب ما أوجه أئمة الصرف بشروطه الأحد عشر المذكورة في موضعه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٥

و الممتنع هو بعض موارد اختلال الشروط حسبما أشاروا اليه.

و الجائز ما تصدى لذكره أئمة القراء و ينقسم الى ثلاثة أقسام:

الأول: إدغام حرف من كلمة عند حروف متعدّدة من كلمات.

كادغام الذال المعجمة في كلمة (إذ) في الصاد، نحو و إذ صِرْفْنَا «١»، و السين، نحو إذ سَمِعْتُمُوهُ «٢»، و الزاي، نحو و إذ زَيْن «٣»، و

التاء نحو إِذِ تَبَرَّأَ «٤»، و الدال، نحو إِذِ دَخَلُوا «٥»، و الجيم، نحو إِذِ جَعَلَ «٦».

و كادغام الدال المهملة من كلمة (قد) في ثمانية أحرف: الجيم، و الصاد، و السين، و الزاي، و الذال، و الضاد، و الشين، و الظاء، نحو قَدْ جَعَلَ «٧»، لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ «٨».

قَدْ سَلَفَ «٩»، وَ لَقَدْ زَيَّنَّا «١٠» وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا «١١» قَدْ ضَلُّوا «١٢»،

(١) الأحقاف: ٢٩.

(٢) النور: ١٢.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٦٦.

(٥) الحجر: ٥٢.

(٦) المائدة: ٢٠.

(٧) مريم: ٢٤.

(٨) الفتح: ٢٧.

(٩) النساء: ٢٢ و ٢٣ - الأنفال: ٣٨.

(١٠) الملك: ٥.

(١١) الأعراف: ١٧٩.

(١٢) النساء: ١٦٧ - المائدة: ٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٦

قَدْ شَغَفَهَا «١»، لَقَدْ ظَلَمَكَ «٢».

و إدغام تاء التانيث في ستة: الجيم، و الظاء، و التاء، و الصاد، و السين، و الزاي، نحو نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ «٣» وَ حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا «٤»، كَذَّبَتْ ثَمُودُ «٥»، لَهْدَمَتْ صَوَامِعَ «٦»، أَنْزَلَتْ سُورَةَ «٧»، حَبَّتْ زِدَانُهُمْ «٨».

و إدغام اللام من كلمتي (بل) و (هل) في ثمانية: التاء، و التاء و السين، و الزاي، و الطاء، و الظاء، و النون، و الضاد.

نحو بَلْ تَأْتِيهِمْ «٩»، هَلْ تُؤَبِّ «١٠» بَلْ سَوَّلَتْ «١١»، بَلْ زَعَمْتُمْ «١٢»، بَلْ طَبَعَ «١٣» بَلْ ظَنَنْتُمْ «١٤»، بَلْ نَقَذِفُ «١٥»، بَلْ نَحْنُ «١٦»

(١) يوسف: ٣٠.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) النساء: ٥٦.

(٤) الانعام: ١٤٦.

(٥) القمر: ٢٣ - الحاقة: ٤.

(٦) الحج: ٤٠.

(٧) التوبة: ٨٦ - ١٢٤ - ١٢٧.

(٨) الإسراء: ٩٧.

(٩) الأنبياء: ٤٠.

(١٠) المطففين: ٣٦.

(١١) يوسف: ١٨-٨٣.

(١٢) الكهف: ٤٨.

(١٣) النساء: ١٥٥.

(١٤) الفتح: ١٢.

(١٥) الأنبياء: ١٨.

(١٦) الحجر: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٧

بَلْ صَلُّوا «١».

و لا يخفى أنّ هذه المواضع المذكورة، و غيرها من الموارد التي لم نتعرّض لها كلّها مما وقع فيه الخلاف عندهم.

نعم ممّا أجمعوا عليه إدغام ذال كلمة (إذ) في نحو إِذْ ذَهَبَ «٢» و إِذْ ظَلَمْتُمْ «٣».

و إدغام كلمة (قد) في قَدْ دَخَلُوا «٤» و قَدْ تَعَلَّمُونَ «٥».

و إدغام تاء التانيث في فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ «٦»، أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا «٧»، فَأَمَنْتَ طَائِفَةً «٨».

و إدغام لام كلمة (هل) و (بل) في هَلْ لَنَا، و في بَلْ لَا تُكْرِمُونَ «٩»، «هل رأيتم»، بَلْ رَانَ «١٠».

و إدغام لام كلمة (قل) في قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ «١١».

بل قال الشاطبي تعميما للحكم:

(١) الأحقاف: ٢٨.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) الزخرف: ٣٩.

(٤) المائدة: ٦١.

(٥) الصف: ٥.

(٦) البقرة: ١٦.

(٧) يونس: ٨٩.

(٨) الصف: ١٤.

(٩) الفجر: ١٧.

(١٠) المطففين: ١٤.

(١١) الإسراء: ٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٨ و ما أوّل المثلين فيه مسكّن فلا بدّ من إدغامه متمثلا «١»

و في شرحه المسمّى «إبراز المعاني»: كلّ مثلين التقياء، و أوّلهما ساكن فواجب إدغامه في الثاني لغه، و قراءة، سواء كان ذلك في

كلمة، نحو يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ «٢»، يُوجِّهُهُ «٣»، أو في كلمتين نحو فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ «٤».

و لا يخرج من هذا العموم إلّا حرف المدّ، نحو قَالُوا وَاَقْبَلُوا «٥»، فِي يَوْمَيْنِ «٦»، فَإِنَّهُ يَمِدُّ عِنْدَ الْقِرَاءِ و لا يدغم.

بل قد ادّعى عليه الإجماع جماعة منهم أبو على الأهوازي قال: المثلان إذا اجتمعا، و كانا واوين قبل الاولى منهما ضمّة، أو ياءين قبل

الاولى منهما كسرة فإنهم أجمعوا على أنهما يمدان قليلا، و يظهران بلا تشديد و لا إفراط، مثل آمَنُوا وَعَمِلُوا «٧»، فِي يَوْسُفَ «٨» فِي يَتَامَى «٩».

قال: و على هذا وجدت أئمة القرائة في كل الأمصار، و لا يجوز غير ذلك، فمن خالف هذا فقد غلط في الرواية، و أخطأ في الدراية.
قال: و أما الواو و إذا انفتح ما قبلها و أتى بعدها واو من كلمة أخرى فإن عدم

(١) حرز الأمانى المعروف بالشاطبية ص ٢٣.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) النحل: ٧٦.

(٤) البقرة: ٦٠.

(٥) يوسف: ٧١.

(٦) البقرة: ٢٠٣.

(٧) البقرة: ٢٥.

(٨) يوسف: ٧.

(٩) النساء: ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٣٩

إدغامها حينئذ إجماعى مثل عَصَوَا وَ كَانُوا «١» آوَوَا وَ نَصَرُوا «٢»، ثُمَّ اتَّقُوا وَ آمَنُوا «٣» و نحو ذلك.

و ذكر أن بعض شيوخنا خالف في هذا.

و أما في مَالِيَهُ هَلَكَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ «٤»، فقد اختلفوا فيه، و المختار عندهم الوقف.

و أما إذا كان الحرفان في كلمة واحدة مختلفتين، إلّا أنهما من مخرج واحد، نحو حَصَدْتُمْ «٥» وَ إِنِ عُدْتُمْ «٦» أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ «٧» وَ إِنِ طَرَدْتُمْ «٨»، فالمحكى عن بعضهم وجوب الإدغام أيضا لكونهما من مخرج واحد في كلمة واحدة.

الثانى من أقسام الإدغام الصغير الجائز: هو إدغام حروف آخر غير ما ذكر من التى قربت مخارجها:

كإدغام الباء في خمسة مواضع: أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ «٩»

(١) البقرة: ٦١.

(٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) المائدة: ٩٣.

(٤) الحاقه: ٢٩.

(٥) يوسف: ٤٧.

(٦) الإسراء: ٨.

(٧) المرسلات: ٢٠.

(٨) هود: ٣٠.

(٩) النساء: ٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٤٧٩

إِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ «١»، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ «٢» أَذْهَبَ فَمَنْ «٣» فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ «٤».

ولبعضهم خلاف في وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ «٥».

وإدغام اللام المجزومة في الذال المعجمة في قوله: وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ «٦»، بخلاف غير المجزومة نحو فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ «٧».

وإدغام الفاء المجزومة في الباء نحو نَخَسِفُ بِهِمْ «٨».

وإدغام الذال المعجمة في التاء في قوله: عُدْتُ «٩» فَتَبَدَّتْهَا «١٠».

وإدغام الراء في اللام، نحو فَاصْبِرْ لِحُكْمِ «١١» أَنْ اشْكُرْ لِي «١٢» يَغْفِرْ لَكُمْ «١٣».

(١) الرعد: ٥.

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) الإسراء: ٦٣.

(٤) طه: ٩٧.

(٥) الحجرات: ١١.

(٦) البقرة: ٢٣١- آل عمران: ٢٨.

(٧) البقرة: ٨٥.

(٨) سبأ: ٩.

(٩) غافر: ٢٧- الدخان: ٢٠.

(١٠) طه: ٩٦.

(١١) الطم: ٤٨- الطور: ٤٨.

(١٢) لقمان: ١٤.

(١٣) آل عمران: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤١

وإدغام الدال المهملة في التاء المثلثة نحو وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا «١».

الثالث من الأقسام: هو إدغام النون الساكنة والتنوين في الستة المتقدمة، بل الميم الساكنة أيضا، حيث ذكروا أَنَّ حَكْمَهَا الْإِدْغَامُ فِي مِثْلِهَا نَحْوَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ «٢».

والإخفاء مع الغنة في الباء الموحدة نحو مَا هُمْ بِضَارِّينَ «٣» وَإِنْ يَحْكِي فِيهَا الْإِدْغَامُ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَالْإِظْهَارُ عَنْ بَعْضِ آخَرٍ، سَيِّمًا فِي الْوَاوِ وَالْفَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ وَإِنْ اشْتَرَكَتْ فِي كَوْنِهَا مِنَ الْإِدْغَامِ الصَّغِيرِ الَّذِي أَفْتَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا بِوَجُوبِهِ، بَلْ عَنْ «فَوَائِدِ الشَّرَائِعِ»: لَا نَعْرِفُ فِيهِ خِلَافًا إِلَّا أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى كَثْرَةِ الْخِلَافِ الْوَاقِعِ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّأَمُّلُ فِي جَوَازِهِ بِإِطْلَاقِهِ فَضْلًا عَنْ وَجُوبِهِ، نَظْرًا إِلَى أَنَّهُ إِخْلَالٌ بِالْحُرُوفِ وَإِبْدَالٌ لَهَا بِغَيْرٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَوْضُوعَةِ، وَجَوَازِهِ غَيْرَ مَعْلُومٍ.

نعم ما علم اتفاقهم عليه لا يبعد جوازه، بل رجحانه، دون وجوبه حسبما سمعت في القسم الرابع.

سادسها: الإدغام الكبير الذي قد سمعت تعريفه وتسميته في سابقه، ولا أعرف أحدا قال بوجوبه، وإنما الكلام في جوازه في كل من

المثلين، و المتجانسين، و المتقاربين.
و المشهور عندهم أنه مخصوص بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصرى (المتوفى ١٥٤) من طريق السوسى (صالح بن زياد المتوفى ٢٤١) و عن عاصم الذى على قراءته سواد مصاحفنا الإدغام فى خصوص كلمتين.

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) البقرة: ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٢

و هما: ما مَكَّنِي «١»، و لا تَأْمَنَّا «٢»، مع روم، أو إشماع فى الأخير عن الجميع إلّا عن أبي جعفر (يزيد بن القعقاع المدنى المتوفى ١٣٢) و إن أخل أحدهما أو كلاهما بتمام الإدغام.

و شرط الإدغام الكبير عندهم أن يتحرك الحرفان، فإن سكن الأول أدغم للجميع مثل إِذْ ذَهَبَ «٣» قَدْ دَخَلُوا «٤»، و قد مرّ.

و إن سكن الثانى فلا إدغام للجميع نحو إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا «٥» كَمَثَلِ الْعُنُكُوتِ اتَّخَذَتْ «٦».

و أمّا إن تحركا فلا فرق بين كونهما فى كلمة نحو ما سَيَلَكُكُمْ فِي سَيَقَرَّ «٧» و مَنَاسِكَكُمْ «٨» و يَزُوقُكُمْ «٩» و نحوه من المتماثلين و المتجانسين، فإن المثلين منحصرة فى المثلين، أو فى كلمتين، و هو عامّ كثير بالنسبة الى أكثر الحروف، و قد تصدوا لذكر موارده فى القرآن على سبيل الكلية، و منهم من رتبه على ترتيب السور، و منهم من حذفه رأسا.

و حكى الشهيد فى «شرح النفلية» عن أكثر القراء أنهم تركوه، و عن أبي عبيد القاسم ابن سلّام (المتوفى ٢٢٤) أنه لم يذكره فى مصنفاته لكرهته له، و أنه

(١) الكهف: ٩٥.

(٢) يوسف: ١١.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) المائدة: ٤١.

(٥) المائدة: ٥٨.

(٦) العنكبوت: ٤١.

(٧) المدثر: ٤٢.

(٨) البقرة: ٢٠٠.

(٩) يونس: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٣

قال فى بعض كتبه: القرائة عندنا هى الإظهار، لكرهتنا الإدغام إذا كان تركه ممكنا.

و جعل تركه فى «النفلية أفضل، و علله فى «شرحه» بأن التفكيك أفصح، و أكثر حروفا، فيكثر معه ثواب القرائة، و لأنّ فيه إيتاء كلّ حرف حقّه من إعرابه، أو حركته التى يستحقّها، و الإدغام يلبس على كثير من الناس وجه الإعراب، و يوهم من المقصود من المعنى فى قوله: يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ «١» الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى «٢».

و على كلّ حال فالأقرب عدم جواز القرائة به لاستلزامه تغيير كيفية الحروف بالإسكان و مادّته بالإبدال.

و أما ما في «الجواهر» من التوقف في جوازه لو لا الإجماع المدعى على القراءة بالسبع أو العشر. ففيه أن التوقف في موضعه، و الإجماع على فرض تسليمه إنما هو في غير هذه الكيفيات الخارجة عن مواد الكلمات. فهو في الحقيقة تصرف في الكلمات القرآنية بغير حجة شرعية.

و أمّا ما في بعض كتب هذا الفن من الاستشهاد لهذا الإدغام ببعض أشعار العرب فمع الغض عن عدم ثبوت مثله لا ريب أنه ربما دعتهم الضرورة فيه إلى تسكين المتحرّك و تحريك الساكن من غير الاقتصار في ذلك الى مواضع الإدغام، و لذا يغتفر ما لا يغتفر في غيره، بل قد اشتهر عندهم الاعتذار بضرورة الشعر، و إن أجيب بأنه لا ضرورة في الشعر.

(١) النمل: ٤٠- لقمان: ١٢.

(٢) الحشر: ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٤

و بالجملة فلا دليل على جوازه في المثليين، مثل الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ «١»، فضلا عن المتقاربين و المتجانسين نحو يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ «٢» قَدْ سَمِعَ اللَّهُ «٣» قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا «٤» قَدْ جَاءَكُمْ «٥».

إذ فيها الإبدال، مضافا الى ترك الإعراب و الإدغام الذي هو تغيير في الهيئة.

فعدم الجواز في الأول من وجهين، و في الأخيرين من وجوه ثلاثة.

ولذا، أو لكثرة سمي كبيراً، حسبما سمعت.

ثم إن الأمر في الأول واضح.

وقد ذكروا في ضبط الأخيرين: أن الحرفين إن اتفقا في المخرج و اختلفا في الصفة أو بالعكس كانا متقاربين، و إن اتفقا فيهما فمتجانسان، أو اختلفا فيهما فمتباينان.

و عن الأكثر تعريف المتماثلين بالمتفقين في المخرج و الصفة كاللامين و الدالين، و المتجانسين بالمتفقين في المخرج دون الصفة، كاللام و الراء، و المتقاربين بالمتفقين في أحدها، أو خصوص الثاني، و الخطب عندنا سهل بعد عدم الاعتبار بالأصل.

(١) الفاتحة: ٣- ٤.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) المجادلة: ١.

(٤) يوسف: ٣٠.

(٥) آل عمران: ١٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٥

الفصل الثالث

في الوظائف الباطنية لقارئ القرآن لا- بدّ لقارئ القرآن من مراعاة الوظائف الباطنية و ملازمتها، و الاستمرار عليها كما وجبت عليه رعاية الوظائف الظاهرية التي مرت الإشارة إليها، حيث إن من الواضح أنه ليس المقصود من التلاوة مجرد التلفظ بالكلمات و الآيات، و لو مع حفظ الحدود الظاهرة.

بل

ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «رَبِّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنَ يَلْعَنُهُ» (١).

و

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند نزول بعض الآيات: «وَيْلٌ لِمَنْ لَأَكْهَأَ بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ وَ لَمْ يَتَدَبَّرْهَا» (٢).

و

في «الكافي» و «الأمالي» و «الخصال» عن مولانا ابي جعفر عليه السّلام قال: «قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاتَّخَذَهُ بَضَاعَةً، وَ اسْتَدْرَجَ بِهِ الْمَلُوكَ وَ اسْتَطَالَ بِهِ عَلَي النَّاسِ.

و رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ، وَ ضَيَّعَ حُدُودَهُ، وَ أَقَامَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ، فَلَا

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٤ عن جامع الأخبار ص ٥٦.

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٥٥٤ و فيه فويل لمن لا كها بين فكيه و لم يتأمل ما فيها. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٦
كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن.

و رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنِ عَلَي دَاءِ قَلْبِهِ فَاسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ، وَ أَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ، وَ قَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ، وَ تَجَافَى بِهِ عَن فِرَاشِهِ، فَبَأُولَئِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ الْبَلَاءَ، وَ بَأُولَئِكَ يَدِيلُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَ بَأُولَئِكَ يَنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَاللَّهِ لَهُؤُلَاءِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَعَزٌّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ (١).

و

في «الخصال» عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ: قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ لَيْسَتْ دَرَجَةُ الْمَلُوكِ، وَ يَسْتَطِيلُ بِهِ عَلَي النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

و قَارِئٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ، وَ ضَيَّعَ حُدُودَهُ، فَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

و قَارِئٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَتَرَ بِهِ تَحْتَ بَرْنَسِهِ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِمَحْكَمِهِ، وَ يُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، وَ يَقِيمُ فَرَائِضَهُ، وَ يَحِلُّ حَلَالَهُ، وَ يَحْرَمُ حَرَامَهُ، فَهَذَا مِمَّنْ يَنْقِذُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَضَلَّاتِ الْفِتَنِ، وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَ يَشْفَعُ فِيْمَنْ يَشَاءُ (٢).

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي ستسمع كثيرا منها إنشاء الله في الشروط و الوظائف الباطنية.

منها: التخلّي عن الشواغل القلبية و القلبية،

قال مولانا الصادق عليه السّلام على ما في «مصباح الشريعة»: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَ لَمْ يَخْضَعْ لَهُ، وَ لَمْ يَرِقْ قَلْبُهُ، وَ لَمْ يَنْشَأْ حَزَنًا وَ وَجَلًا فِي سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعَظَمِ شَأْنِ اللَّهِ وَ خَسِرَ خَسْرَانًا مَبِينًا، فَقَارِئُ الْقُرْآنِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: قَلْبٌ خَاشِعٌ، وَ بَدَنٌ فَارِعٌ، وَ مَوْضِعٌ خَالٍ، فَإِذَا خَشِعَ لَلَّهِ قَلْبُهُ فَرَّعَهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) أصول الكافي ص ٦٠٥-الأمالي ص ١٢٢-الخصال ج ١ ص ٦٩.

(٢) الخصال ج ١ ص ٧٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٧

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (١) و إذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه لقراءة القرآن، فلا- يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن، و إذا اتخذ مجلسا خاليا، و اعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأذن روحه و سرّه بالله، و وجد حلاوة مخاطبات الله تعالى عباده الصالحين، و علم لطفه بهم، و مقام اختصاصه لهم بفنون كراماته، و بدايع إشاراته، فإذا شرب كأسا من هذا المشرب، فحينئذ لا- يختار على ذلك الحال حالا، و لا- على ذلك الوقت وقتا، بل يؤثره على كلّ طاعة و عبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك، و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيته، و كيف تمثّل حدوده،

فإنه كتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامة حروفه في إضاعة حدود «٢».

اعلم أن المقصود الأصلي من الذكر، والدعاء، والتلاوة، ونحوه إنما هو التجنب عن مهوى الغفلة، والجهالة، والتخلص عن فيافي بدياء الضلالة، والتحقق بحقيقة العبودية للحق المعبود، والاستغراق في بحار الأنوار الشهود، والتمكن على بساط حريم حرم القدس، واستشمام نفحات مواهب الأنس، وكشف سبحات الجلال، لإشراق أنوار تجليات الجمال، وذوق لذة المناجاة التي هي لذائد ثمار جنات الوصال.

وهذا كله لا يحصل ما لم يحصل الطهارة الكلية عن أرجاس الشواغل القلبية والبدنية، فكما أن من ليس له الطهارة البدنية يحرم عليه مس ظاهراً خطاً

(١) النحل: ٩٨.

(٢) مصباح الشريعة، الباب الرابع عشر - المحجة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٨

المصحف بظاهر بدنه، كذلك من ليس له الطهارة القلبية عن الأفكار الرديئة النفسانية، والأخلاق الرذيلة الشيطانية محروم عن إدراك حقائق القرآن، والصعود في مدارج مراتب الإيمان.

فالحرمة في الأول تشريعية، وفي الثاني تكوينية، كما أن الاستعاذة المندوب إليها عند القرائة قولية و فعلية، بل النافع منها هي الثانية.

كما لوح إليه الإمام عليه السلام

في قوله: «فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم»

مستشهداً بالآية الشريفة.

بل

ورد في النبوي: «لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت» «١».

ومن البين أن التدبر في معاني القرآن وأسراؤه إنما هو من الملكوت التي لا تدرك إلّا بالإدراكات القلبية التي هي من عالم النور،

فلا يدركها مدارك المحجوبين المنغمسين في غواصق عالم الغرور، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ولذا جعل بالجعل التكويني الثانوي بمقتضى الفطرة المغيرة الشيطانية بسوء اختيارهم في قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، و

قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب «٢».

وهو الحجاب المشار إليه بقوله:

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٥٩ ح ٣٩ عن أسرار الصلاة.

(٢) فصلت: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٤٩

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا «١».

وهذا الحجاب وهو حجاب الكفر أول الحجب وأعظمها، وأشدّها على أهلها، وأبعدها من قبول الحق واستماع الصدق.

وثاني الحجب: حجاب الفسق والخروج عن الطاعة باقتراف كبيرة، أو بالإصرار على صغيرة، أو بالتخلّق بشيء من الأخلاق الرديئة

المهلكة كالكبر، والعجب، والرياء، وغيرها مما يجمعها متابعه الأهواء التي قد ورد أنها الشرك الخفي.

بل

في النبوى: «أبغض إله في الأرض الهوى».

و هذا كله مما يوجب ظلمة القلوب و كدورتها و زيفها، و صداها، كالمرآة الصافية إذا تراكمت عليها الغبار، و حجبها عن إشراق الأنوار.

و لذا شرط الله تعالى الإنابة في الفهم و التذكر، قال تعالى: «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» (٢) و قال تعالى: «تَبَصَّرْهُ وَ ذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» (٣) و قال تعالى:

«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (٤).

و من البين أن الذي آثر غرور الدنيا العاجلة الفانية الدائرة على الفوز بالتقرب إلى الله، و نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب، و لذا يتراكم على مرآة قلبه أغطية القسورة و الارتباب، و لا ينكشف له أسرار الكتاب، لأن بينه و بين

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) غافر: ١٣.

(٣) ق: ٨.

(٤) الرعد: ١٩- الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٠

فهمها حجابا و أى حجاب، بل ربما تورث ذلك للقلب الانطباع و الانقلاب.

فقد ورد عن مولانا الباقر عليه السلام: «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إن القلب ليوافق الخطيئة فما تزال به حتى يقبل عليه فيصير أعلاه أسفله» (١).

و

قال الصادق عليه السلام: «يقول الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيق مناجاتي».

و

عن النبي صلى الله عليه و آله: «إذا عظمت أمتى الدينار و الدرهم نزع عنها هيبه الإسلام، و إذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي».

ثالثها: الإشتغال بالملاهي و العادات و فضول العيش بل التكسب، و غيرها من الأفعال المباحة التي توجب اشتغال القلب بها، و صرفه عن غيرها إذ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه (٢)، فمن اشتغل بشيء من المباحات، بل المندوبات، فضلا عن غيرها، صرفت إليها همته، و اجتمع له قلبه، فمن أين يمكن له الإقبال و فراغ البال لفهم أسرار كلام ذى الجلال، و الاستيناس به في حريم حرم بساط الوصال.

و لذا

قال الإمام عليه السلام في الخبر المتقدم: «إنه إذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه لقراءة القرآن» (٣).

بل شرط مع ذلك خلو المجلس، و الاعتزال عن الخلق في حال القراءة، بل مطلقا، فإن من يستكثر من معاشره الخلق و معاملتهم و محادثتهم لا بد أن يقع

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٥٤ ح ٢٢ عن الأمامي للصدوق ص ٢٣٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٤.

(٣) مصباح الشريعة الباب الرابع عشر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥١

بينه وبينهم علائق وارتباطات مختلفة متعلقة بالأموال والأحوال، والأفعال، والأقوال، فإذا خلى بنفسه ساعة ليستريح، ترائت له تلك الارتباطات، وحدثت بها نفسه، واشتغل بها قلبه، وأقبل على التفكير فيها إقبال المحب للمحبوب، أو الكاره للمرهوب عنه، لاشتمال تلك الخطرات على الأمور المطلوبة التي تسره، أو الأفكار الرديئة الموحشة التي تسوؤه وتضره، مضافا إلى مالا مخلص له عنه من التفكير في تدبير المعاشرات المستأنفة، وحفظ الارتباطات السابقة في الأزمنة المستقبلية، بل ربما يصل به الحال إلى أن لا يملك البال، بل لا يزال الخيال في تحوّل وانتقال من شيء إلى شيء فينتقل معه القلب من حال إلى حال.

ولذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: «إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع، وفتح، وخفض، ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى، وفتح القلب في الرضا عن الله تعالى، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف القلب في الغفلة عن الله تعالى، ألا ترى أن العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصا ارتفع كلّ حجاب كان بينه وبين الله تعالى من قبل ذلك، وإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله بشرط الرضا عنه كيف يفتح القلب بالسرور والراحة والروح، وإذا اشتغل قلبه بشيء من أسباب الدنيا كيف تجده منخفضا مظلما كبيت خراب ليس فيه عمران، ولا مؤنس، وإذا غفل عن ذكر الله كيف تراه بعد ذلك موقوفا محجوبا قد قسى وأظلم منذ فارق نور التعظيم.

فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، و دوام الشوق.

و علامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكل، والصدق، واليقين.

و علامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب، والرياء، والحرص.

و علامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرادة المعصية،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٢

و التباس علم الحلال بالحرام «١».

و

قال عليه السلام: من رعى قلبه عن الغفلة، ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المتبتهين، ثم من رعى عمله عن الهوى، ودينه عن البدعة، وماله عن الحرام فهو في جملة الصالحين.

و

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم و مسلم.

وهو علم الأنفس، فيجب أن يكون نفس المؤمن على كل حال في شكر، أو عذر، على معنى إن قبل ففضل، وإن ردّ فعدل، وتطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق، و يطالع السكون عن المعاصي بالعصمة، وقوام ذلك كله بالافتقار إلى الله تعالى، والاضطرار إليه، والخشوع والخضوع ومفتاحها الإنابة إلى الله تعالى، مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت، و عيان الوقوف بين يدي الجبار، لأنّ في ذلك راحة من الحبس، ونجاة من العدو وسلامة للنفس، و سببا للإخلاص في الطاعة بالتوفيق، وأصل ذلك أن يردّ العمر إلى يوم واحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة».

و باب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكرة، و سبب الخلوة القناعة، و ترك الفضول من المعاش، و سبب الفكرة الفراغ، و عماد الفراغ الزهد، و تمام الزهد التقوى، و باب التقوى الخشية و دليل الخشية التعظيم لله، و التمسك بخالص طاعته و أوامره، و الخوف و

الحذر مع الوقوف عن محارمه، و دليلها العلم، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (٢). «٣»

(١) مصباح الشريعة ص ٣.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) مصباح الشريعة ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٣

رابعها: حجاب الجهل بمعاني القرآن حتى ترجمه ظاهر ألفاظه، لأنّ الجاهل. بمعاني القرآن، والصلاة، والدعاء، والأذكار، وغيرها كالعجمي البحت الذي لا يعرف شيئا من ترجمه الألفاظ العربيّة التي ورد التوظيف بها، أو لا يعرف كثيرا من لغاتها بل ربما يلحن في موادّ ألفاظها وهيئتها ليس له من الفضل والثواب ما للعالم المطّلع على معانيها ومبانيها، ووجوب ظاهرها. و تنزيلها، كما أنه ليس لهذا العالم من الأجر والثواب ما للعالم المطّلع بأنوار التنزيل، وأسرار التأويل، بل التفضيل بينهم على حسب مراتب العلم و درجات المعرفة، ولذا قال الله سبحانه: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «٤» وقال: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ «٥»، وقال: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٦».

و

عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّ و جلّ آدبهما، قال: قلت: جعلت فداك قد علمت فضله عند الناس في النّادى و المجالس، فما فضله عند الله عزّ و جلّ؟ قال عليه السّلام: بقراءة القرآن كما أنزل، و دعائه لله عزّ و جلّ من حيث لا يلحن، و ذلك أنّ الدعاء الملحون لا يصعد عند الله عزّ و جلّ «٧».

و الأدب في الظاهر بمراعاة الحروف، و إعراب الألفاظ، و في الباطن بحفظ الحدود و نور الاستيقاظ كما يومئ إليه أيضا قوله عليه السّلام: «كما انزل».

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) سورة يوسف: ٧٦.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) عدّه الداعي ص ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٤

اعلم أنه ربما يتوهّم أنّ الجاهل بمعاني القرآن، والأذكار، والأدعية ليس له أجر و ثواب في ذلك، و هو واضح الفساد، بل مخالف لما هو الضروري من ثبوت الوظائف الشرعيّة الواجبة و المندوبة لعامة المكلفين، و حصول الأجزاء بمجرّد امتثال الظواهر، و لو في الصلاة و القرائة، و عدم وجوب المعرفة بالمعاني و الحقائق، نعم يختلف مراتب العقول، و درجات الفضل و الثواب باختلاف الناس في ذلك و لا كلام فيها.

خامسها: حجاب القرائة، و الاستقصاء في مراعاة تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها و حفظ صفاتها، و هذا الحجاب كالحجب المتقدّمة من الحجب الظلمائيّة التي تمنع القلوب من مشاهدة أنوار الغيوب، بل لا يزال الرجل معه مشتغلا بتريد الحروف و تكريرها، مستغرق الهيمّة في مراعاة صفاتها، و آدابها التي ملأوا منها كتب التجويد و القرائة، بل لو لم يكن إلّا مراعاة الصفات المتعدّدة المعدودة لكل حرف لكان كفى به شغلا شاغلا عن التدبّر في معاني القرآن، و التفكير في حقائقه و قد يقال: إنّه قد وكلّ بذلك شيطان يصرف الناس عن فهم معاني كلام الله تعالى، و لا يزال يحملهم على تديد الحروف يخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه، حتى يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فهو أعظم أضحوكة للشيطان، و أبعد عمّا يراد به من التدبر في القرآن.

و ربّما ينضمّ الى ذلك الميل الى التغمّي و ترجيع الصوت به، و التردّد في صنوف الألحان.

بل يلحقهما أمر ثالث و هو ملاحظة الإعراب و البناء، و وجوه القراءات.

و لذا ورد في الخبر: «من انهمك في طلب النحو سلب الخشوع».

و كلّ من هذه الثلاثة حجاب قويّ لمن ابتلى بها، إلّا ما كان منها صادرا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٥

على وجه الملكة، بحيث لا حاجة معها إلى التفات جديد أصلا، فضلا عن التكلّف و التشدّد الذي لا ينفكّ عنه غالبا أرباب هذه الصناعة، و لله درّ من قال:

و آخر منهم بالقراءات قد بلى يغنى بقول الشاطبي و حمزة

يلوى بها شذقيه عند إمالة كأنّ بها من ميلها ربح لقوة

سادسها: حجاب العلم بمعنى العقائد التي استمرّ عليها أكثر الناس بالتعلّم من المحجوبين، و تقليد الآباء و أهل الضلال، و الرجوع الى تفاسير العامّة و بياناتهم، و تأويلهم المتشابهات على مقتضى آرائهم و أهوائهم الباطلة.

ثمّ إنّ هذه العقائد الباطلة ربما تصير راسخة في النفس بحيث لا يكاد يلتفت معها الى غيرها، و قد تكون مسموعة مترددة في الذهن بحيث يمنعه الالتفات إليها عن التوجه إلى غيرها، أو الشوق الى تحصيله، بل ربّما يكون العلم ببعض الظواهر حجابا عن الالتفات إلى الحقائق و البواطن، و إن كان كلّ منهما حقّا و صدقا بالنسبة الى رتبته و مقامه، فلا ينبغي الجمود على شيء من الظواهر، و إن كان حقّا منطبقا على القواعد العربيّة، لأنّه يؤدّي الى جحود الحقائق، و البواطن المقصودة.

و لا- تظنّ أنّ الغرض من هذا الكلام تسهيل الأمر و جواز التصرف في الآيات القرآنيّة بحسب الأهواء الباطلة و الآراء الزائفة، إذ المقصود ترك الجمود، و مجانبة اللجاج و الجحود، و عدم الاقتصار على خصوص الظواهر المشهورة، أو بعض البواطن المأثورة، فإنّي أرى كثيرا من أهل هذا الزمان قد هجروا القرآن، و نبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا. فبئس ما يشتركون، فاذا احتاجوا الى تفسير آية رجعوا الى ظواهر اللّغة العربيّة و التفاسير العاميّة، بل ربما تصرّفوا في معناها بقريحتهم البتراء، و بصيرتهم العمياء، من غير رجوع إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٦

أخبار الأئمّة عليهم السّلام، و لا استضاءه من أنوار أهل العصمة، بل يردونها بعد الاطلاع عليها، معلّنين بمخالفة الظاهر.

و قد يرد عليهم في تفسير آية واحدة أخبار يظنّون اختلافها، فيعملون فيها قواعد الترجيح مع أنّه لا بأس بالجمع بينهما بحملها على وجوه التنزيل و التأويل.

و بالجملة قد أشرنا سابقا الى الميزان الكلّي في هذا الباب، و أنّه يلزم في جميع ذلك الرجوع الى الأئمّة الذين هم الحجاب و الأبواب مع ملازمة التقوى، و دوام الانقطاع، و الأئس التام بأصولهم و قواعدهم، و الاطلاع على أخبارهم و آثارهم، و الاقتباس من أشعة أنوارهم، إلى غير ذلك ممّا مرّت الإشارة إليه.

و من الوظائف الباطنية: حسن التّية و الإخلاص في القرائة، فإنّها من العبادات و الطاعات المندوب إليها، و صحّتها إنّما تكون بقصد التقرب، و تجريد العمل من كلّ شوب، و حظّ نفساني، أو دنيوي، و التّية روح الأعمال، و العمل بلا تّية كالجسد الملقى بلا روح، بل ينبغي للبصير قصد العبوديّة، و تخليص التّية في كل حركة و سكون حتّى في الأمور العادية و الحظوظ البدنيّة، كي تكون عاداته عبادات، و يتّصف بسلامة القلب.

قال مولانا الصادق عليه السّلام: «صاحب التّية الصادقة صاحب القلب السليم».

لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات، فخلّص التّية لله في الأمور كلّها قال الله تعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ

بَقَلِّبِ سَلِيمٍ (١). «٢»

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) مصباح الشريعة ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٧

بل ينبغي له أن يقصد في كل شيء من الطاعات جميع الغايات المترتبة عليها،

«فإنما لكل امرئ ما نوى، وإنما الأعمال بالنيات» (١)

و إن اختلفت غايات الأفعال باختلاف المراتب والأحوال على اشتراك الجميع في الارتباط الى الحضرة القدسية.

كما يؤمى اليه

العلوي: «ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك و لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك» (٢).

و

الجعفرى: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله تعالى خوفا، فتلك عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله عز و جل طلبا للثواب، فتلك عبادة الأجراء، و

قوم عبدوا الله حبا له فتلك عبادة الأحرار» (٣).

بل يستفاد منه و من غيره من الآيات و الأخبار جواز كون الباعث طلب الثواب أو المرضاة، أو الخوف، أو التعظيم، أو الحياء، أو الحب

أو الغفران، أو الأهلية، أو التقرب، أو الأنس، أو المناجاة، أو غير ذلك من المقاصد الكثيرة، و ربما تسمع فى ضمن الآيات البحث

عنها، و عن قول من توهم منافاة قصد الخوف و الطمع للتقرب، و عن سائر مباحث التية و بطلانها بالزياء و العجب مقارنا و لا حقا

كبطالنه فى المقام بالتغنى، و قصد اللهو و غيرهما.

بل يجب فى المقام قصد التعيين أيضا لو وجبت بندر، أو إجارة، أو شرط فى ضمن عقد، أو إمهارة، أو غيرها.

(١) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢١١.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ١٩٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٠٥ عن الأمالى للصدوق مع تفاوت فى الألفاظ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٨

و قد ظهر من جميع ما مرّ اعتبار قصد اللفظ فيها، و فى سائر، العبادات القولية من الدعاء، و الزيارة، و الذكر، و غيرها.

نعم، هل يعتبر فيها قصد الدلالة و المدلول أم لا؟ و جهان قوى أولهما كاشف الغطاء، و فيه خفاء، إذ لا يعتبر فيهما العلم بهما فضلا

عن قصدهما تفصيلا أو إجمالا.

نعم لا يبعد مانعية قصد العدم، بل معه يمكن التأمل فى صدق الموضوع، و أما مجرد عدم قصد المعنى فلا يقدر فى الصدق، بل

التوظيف و لذا قال رحمه الله فى موضع آخر: إن كلاً من القراءة، و الذكر و الدعاء لا يخلو من ثلاثة أحوال:

لفظ مجرد عن المعنى، و معنى مجرد من اللفظ، مقرون بالكلام النفسى، و جامع للأمرين، و الجميع مستحبّ لكتها مرتبة، فالمتقدم

فيها مفضول بالنسبة الى المتأخر، و ان كان يمكن الجمع بين الكلامين بظهور الفرق بين قصد المعنى و لو اجمالا، و بين فهمه كما لا

يخفى.

و من الوظائف أيضا: استشعار عظمة المتكلم و الكلام، و مقام التلاوة، فينبغى للقارىء إذا أراد الشروع فى التلاوة أن يحضر فى قلبه

شيئا من عظمة الخالق الحكيم، و القادر العليم، و العلى العظيم الذى عجزت العقول عن إدراك شيء من عظمته و جلاله، و انحسرت

البصائر والأبصار دون النظر الى سبحات وجهه و نور جماله، الطريق مسدود، و الطلب مردود، دليله آياته، و آياته مرآقه. و شيئاً من عظمة الكلام، فإنه النور الشاطع، و الضياء اللامع، و الشفاء النافع، و القول الجامع، و السحاب الهامع، و هو ربيع القلوب و مفتاح الغيوب، فيه منار الهدى، و مصابيح الدجى، ظاهره أنيق، و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه، و لا تبلى غرائبه، قد نزله روح القدس من رب العالمين على قلب سيد المرسلين،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٥٩

ليشّر به المؤمنين، و ينذر به المنافقين، بعد أن كان مجرداً في عالم الأنوار، مصنونا عن مسّ الأغيار مرفوعاً عن عالم الأكدار، فنزله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه، مكسواً بكسوة الألفاظ و العبارات، مملواً بحار معانيها من كنوز الحقائق، و رموز الإشارات، حسبما مرّ تفصيل الكلام في حقيقته و كيفية نزوله في الأبواب المتقدمة.

و شيئاً من عظمة مقام التلاوة، فإنه مقام وعر صعب، عزيز المنال، خارج عن إحاطة البيان و المقال، لأنّ العبد يجد فيه روح الاستيناس و الوصال، و يذوق فيه حلاوة مخاطبات ذى الجلال.

ولذا

قال الإمام في ضمن الخبر المقدم ذكره: «فاذا شرب كأساً من هذا المشرب فحيث لا يختار على ذلك الحال حالاً، و لا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة و عبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة ... الخبر (١)».

و

في «مجمع البيان»: عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من قرأ القرآن فظنّ أنّ أحداً أعطى أفضل ممّا أعطى، فقد حقر ما عظم الله، و عظم ما حقر الله (٢)».

و

في تفسير مولانا العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «حملته القرآن هم المخصوصون برحمة الله، المقرّبون عند الله، من والاهم فقد والى الله، و من عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، و عن قارئه بلوى الآخرة، و الذى نفس محمد صلى الله عليه و آله بيده لسامع آية من كتاب الله و هو معتقد ... الى أن قال: أعظم أجراً من ثبير ذهباً يتصدق به، و لقارئ آية من كتاب الله معتقداً

(١) الحجّة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٠

أفضل ممّا دون العرش إلى أسفل التخوم (١)».

الى غير ذلك ممّا مر من الأخبار المتقدمة الدالّة على شرف القرآن و حملته.

ثمّ إنّ استشعار العظمة ربما يحمل صاحبه على تحمّل المشاقّ العظيمة و الأخطار الجسميّة، بل ربما لا يشعر بها أصلاً.

ففى «البحار» عن بعض تواريخ أسفار النبي صلى الله عليه و آله: أنّه قصد قوماً من أهل الكتاب قبل دخولهم فى الذمّة، فظفر منهم بامرأة قريبة من زوجها، و عاد من سفره، و بات فى طريقه، و أشار الى عمّار و عبّاد بن بشر أن يحرساه، فاقسما الليلة قسمين، و كان لعبّاد بن بشر النصف الأوّل، و لعمّار بن ياسر النصف الثانى، فنام عمّار، و قام عبّاد يصلى و قد تبعهم اليهودى يطلب امرأته أو يغتنم، فنظر الى عبّاد بن بشر يصلى فى موضع العبور فلم يعلم فى ظلام الليل هل هو شجرة أو دابة، أو إنسان، فرماه بسهم فأثبته فيه فلم يقطع الصلاة، فرماه بآخر، فحفف الصلاة و أيقظ عمّار، فرأى عمّار السهم فى جسد عبّاد فعاتبه و قال: هلاً أيقظتني فى أوّل سهم؟ فقال: كنت بدأت بسورة الكهف فكرهت أن أقطعها، و لو لا خوف أن يأتى على نفسى و يصل الى رسول الله صلى الله عليه و آله، و أكون

قد ضيّعت ثغرا من ثغور المسلمين لما خففت صلاتي و لو أتى على نفسي ... فدع العدو عما أراه» (٢).
 و في تفسير الإمام عليه السلام: خبر صلاة أبي ذر الغفاري و استشعاره عظمة الرب فيها، و توكيل الله تعالى أسدا لحفظ قطيعه غنمه
 «٣» على ما يأتي إنشاء الله تعالى

(١) تفسير الإمام عليه السلام ص ٤- بحار الأنوار ج- ٩٢ ص ١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١١٦ عن الأمان من اخطار الأسفار و الأزمان ص ١٢٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٩٣ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦١

في تفسير و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ من سورة البقرة.

و من الوظائف الباطنية: حسن الإصغاء إلى آيات القرآن و إشاراته قارئاً و مستمعاً، فإنَّ القرائة لا تنافي الاستماع، و للتهيؤ لحسن التدبر
 و القبول، و ذلك لأنَّ القارئ إنما يتلو كتاب الله و يحكيه على ما أنزله، لا أن ينشأوه من نفسه.
 و لذا

قال مولانا الصادق عليه السلام: «فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيه، و كيف تمثّل
 حدوده» (١).

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام طويل في وصف المتقين: «أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلون
 ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، و يستثيرون به دواء دائهم» (٢)، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، و تطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، و
 ظلّوا أنّها نصب أعينهم، و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظلّوا أنّ زفير جهنم و شهيقها في أصول آذانهم» (٣).
 و اعلم أنّ القارئ حال قراءته متكلم من وجه، و مستمع من وجه آخر، فمن الجهة الاولى لا بدّ له من حسن المخاطبة و استشعار
 حضور المخاطب، و من الجهة الثانية لا بدّ له من حسن الإصغاء و الاستماع.

و لذا

ورد من مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ و جلَّ أوحى الى موسى بن عمران: إذا وقفت بين يدي فقف موقف الفقير الذليل،
 و إذا قرأت التوراة

(١) المحجّة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة ص ١٣ و ١٤.

(٢)

في بعض النسخ: و يستثيرون به تهييج احزانهم بكاء على ذنوبهم.

(٣) نهج البلاغة خ ١٩٢- المجالس للصدوق ٣٤١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٢

فأسمعنيها بصوت حزين» (١).

و

عن حفص، قال: «ما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام، و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزناً،
 فكأنّه يخاطب إنساناً» (٢).

و

روت العامة و الخاصة: أن مولانا الصادق عليه السلام لحقته حالة في الصلاة عند القراءة حتى خر مغشياً عليه، فلما سرى عنه ذلك قيل له في ذلك؟ فقال عليه السلام: «ما زلت أردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها» (٣).

و من الوظائف: التواضع و الخشوع عند التلاوة بل في جميع الأحوال تعظيماً لله سبحانه، و إكراماً للقرآن، بل ينبغي لحامل القرآن و قارئه ملازمتها، و ملازمة سائر العبادات الشرعية، و الأخلاق الحسنة و الأحوال الزكية.

ففي «الكافي» عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن أحق الناس بالتخشع في السر و العلانية لحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته: يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله و لا تعزز به فيذكرك الله، يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، و لا تعزز فيه فيذكرك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، و لا تزين به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه و لكنه لا يوحى إليه، و من جمع القرآن فنوله (٤) لا يجهل مع من يجهل عليه و لا

(١) الأصول من الكافي ص ٥٩٤.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٣)

بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٢٤٧ عن فلاح السائل ص ١٠٧ و ص ١٠٧ و فيه: «ما زلت اكرر آيات القرآن حتى بلغت الى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها.

(٤) فنوله: أي حقه. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٣

يغضب فيمن يغضب عليه، و لا يحد فيمن يحد عليه، و لكنه يعفو، و يصفح و يغفر و يحلم لتعظيم القران. الخبر (١).

أقول: و ذلك لأن الثواب و العقاب يضاعفان بشرف الفاعل و الفعل و مشخصاته من الزمان و المكان و غيرهما.

و لذا

ورد: «أنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحدا» (٢).

و انزل في أزواج النبي صلى الله عليه و آله اللأئي لسن كأحد من النساء في لزوم زيادة الاهتمام على الوظائف و الآداب: يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضة عفين و كان ذلك على الله يسيراً* و من يفتن منكن لله و رسوله و تعمل صالحاً تؤتها أجرها مرتين و اعتدنا لها رزقاً كريماً (٣).

و

ورد: «أن الخير و الشر يضاعفان في ليلة الجمعة و يومها» (٤).

بل و كذلك في سائر الأزمنة الشريفة و أمكنتها من المشاهد و المساجد و غيرها.

فحامل القرآن، و حافظه، و قارئه لا بد له من ملازمة التقوى و الخشوع و الانقياد لله تعالى في جميع الأحوال و الاستمرار على الوظائف الشرعية في الأقوال و الأفعال القلبية و البدنية.

فعن النبي صلى الله عليه و آله: أنه رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال: أما إنه لو

(١) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٤٢.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٤١.

(٣) الأحزاب: ٣٠ - ٣١.

(٤)

الخصال - ٣١ - ٣٢ وفيه: إن العمل يوم الجمعة يضاعف. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٤
خشع قلبه لخشعت جوارحه» (١).

و من الوظائف: استشعار الحزن و البكاء و التباكي، لما

روى عن الصادق عليه السلام قال: «إن القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن» (٢).

و قد مرَّ

من القدسيات لموسى بن عمران: «إذا قرأت التورات فأسمعنيها بصوت حزين» (٣).

و

أن موسى بن جعفر عليهما السلام كانت قراءته حزنا» (٤).

و

روى أن النبي صلى الله عليه و آله أتى شبنانا من الأنصار، فقال: أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، و من تباكى فله الجنة» (٥).
و معنى نزول القرآن بالحزن نزوله على من أنزل عليه مقترنا به، حيث إنه صلى الله عليه و آله كان عند نزوله تأخذه الغشوة و الرقة و الانقطاع الكلي، و الرجوع الى المبدأ الأصلي.

أو نزوله لأجل الحزن، و لذا كان نزوله منجما مفرقا لأجل التأثير و اجتلاب الحزن، قال الله سبحانه: وَ قُرْآنًا فَرَقْنَا لِيَتَقَرَّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

(١) بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٢٦١ عن أسرار الصلاة.

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٩٨.

(٣) المصدر ج ٢ ص ٥٩٨.

(٤) أصول الكافي ج ٢ ص ٥٩٤.

(٥) المجالس للصدوق ص ٣٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٥

وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشوعًا» (١).

و قال سبحانه: وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
(٢).

و

قد روى الصدوق في «المجالس» و «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله أتى شبنانا من الأنصار فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر: وَ سَيَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا (٣) إلى آخر السورة، فبكى القوم جميعا إلا شابنا، فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني، قال صلى الله عليه و آله: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة، فأعاد عليهم فبكى القوم، و تباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعا» (٤).

و

في «العيون» بالإسناد، عن رجاء بن أبي ضحّاك من الرضا عليه السلام إنه كان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنّة أو نار بكى و سأل الله الجنة و تعوّد به عن النار» (٥).

و من الوظائف الباطنية: التدبّر والتفكّر، فإنّه لا خير في ذكر من دون تفكّر، ولا تلاوة من دون التدبّر، قال الله سبحانه: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٦».

(١) الإسراء: ١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩.

(٢) المائدة: ٨٣.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) المجالس ص ٣٢٥- ثواب الأعمال ص ٨٨.

(٥) عيون الأخبار ص ٣١٠.

(٦) سورة محمد (ص): ٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٦

وهذه الأفعال هي أفعال الكفر والشرك، والنفاق، والجهل، والقسوة و متابعة الأهواء النفسانية، والآراء الباطلة، والإشغال بالحفظ والديونية والشهوات العاجلة البدئية، و صرف النظر عن شيء من ذلك سيما في حال القراءة، فإن هذه كلها حجب و موانع عن حسن الإصغاء والتدبّر، فضلا عن التذكّر، قال الله تعالى: وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا «١».

ولذا خصّ التذكّر بعد ما عمّ التدبّر في قوله: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «٢».

فبعد التذكّر يتأثر قلبه من كلّ آية من الآيات على ما هي عليه من بواعث الخوف الرجاء، وإن قيل: إنّه مهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإنّ التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة إلّا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها، ولذا ذكر شروطا أربعة لنفى الخسران فيما استثناه في سورة العصر، وللمغفرة في قوله: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى «٣».

لكنّ الإنصاف أنّ ذلك كله إنّما هو بالنظر إلى أعمالنا القاصرة الناقصة المشوبة، و أمّا بالنظر إلى فضله و رحمته فأيات الرجاء كثيرة أيضا: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ «٤».

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) طه: ٨٢.

(٤) يونس: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٧

ولذا قدّم في أكثر الآيات أسباب المغفرة والبخارة بها.

تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ «١».

بل اشتقّ من المغفرة والرحمة لنفسه اسمين، واقتصر على توصيف العذاب و جمع بين الأمرين في قوله: وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا «٢».

و بالجمله لا بدّ أن يكون العبد دائما راجيا منه خائفا و جلا مترددا.

قال مولانا الصادق عليه السلام: «إنّ لك قلبا و مسامع، و إنّ الله تعالى إذا أراد أن يهدي عبدا فتح مسامع قلبه، و إذا أراد به غير ذلك

ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبدا، و هو قول الله عزّ و جلّ: أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٣». «٤».

ثم إنه قد يفرق بين التدبر و التفكير بأن الأول تصرف القلب بالنظر في عواقب الأمور، والثاني تصرفه بالنظر في الدلائل، لكنه لا يخفى أن لكل من اللفظين، مجموع الأمرين.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفكر، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه» (٥).

و

في «الكافي» عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول:

(١) الحجر: ٤٩-٥٠.

(٢) النور: ٢١.

(٣) سورة محمد (ص): ٢٤.

(٤) الأصول من الكافي ص ١٨- معاني الأخبار ص ٦٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٢ ص ٤٨ عن معاني الأخبار. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٨

«آيات القرآن خزائن العلم، كلما فتحت خزائنه ينبغي لك أن تنظر فيها» (١).

و من الوظائف: التذكر والتأثر، بأن يتأثر قلبه يعد التفكير والتدبر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ومقتضياتها، فيكون له عند التلاوة أو الاستماع بحسب عبور كل آية من آياته، بل وكلمة من كلماته على مسامع قلبه، ومجامع فؤاده، ولبه حال، وانتقال، وجد، وجل يتصف به قلبه من الخوف والحزن، والشوق، والرجاء.

وليس كلما حصل التفكير حصل التذكر، بل له شروط وآداب سابقة ومقارنه مرجعها بين الرجاء بفضلته ورحمته، والخوف من عدله، ونقمته، بحيث لو وزنا معا في قلبه لما رجح أحدهما على الآخر، ولا ينبغي أن يغلب عليه الخشية التي هي أعلى من الخوف وأصغى منه على ما ستمع.

ولذا قيل: ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه، وقل فرحه، وأكثر بكاءه وقل ضحكته، وأكثر نصبه وشغله، وقل راحته وبطالته.

وقد مر في حسن الإصغاء

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما ينبغي للقارى عند المرور بآية فيها تشويق أو تخويف (٢).

وحاصل ما يستفاد منه ومن غيره أن تأثر العبد بالتلاوة هو أن يصير بعد التلاوة ومراعاة الوظائف المتقدمة بصفة الآية المتلو، بأن يوجد أثرها على قلبه وقلبه من شوق، أو خوف، أو فرح، أو بكاء، أو تعظيم، أو حياء، أو حب، أو وجد، أو انبساط، أو غيرها.

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢١٦ ح ٢٢ عن عدة الداعي.

(٢) نهج البلاغة خ ١٩١- المجالس للصدوق ص ٣٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٦٩

فعد التوسيع والمغفرة والرحمة والفضل ينبسط قلبه ويستبشر حتى يظهر آثار البشارة على بشرته كأنه يطير من الفرحة، قال سبحانه: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون (١).

وعند الوعيد، واشتراط المغفرة بالشروط يستشعر الخشية لما يعلم من نفسه من التقصير والعصيان، فيملأ قلبه خوفاً، ويقشع جلدته وجلا، ويظن أن زفير جهنم وشهيقها بمسمع منه ومنظر لقوة يقينه، وإيمانه بالغيب، وهم الذين من خشيته مشفقون.

و

روى عن ابن عباس: «أن أبا بكر قال: يا رسول الله ما أسرع إليك الشيب؟! فقال صلى الله عليه وآله: شيبتنى اليهود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون» (٢).

و

عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إني لأعجب أنى كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن» (٣).
وعند ذكر التوحيد والصفات الجلائية والحمائية وأسماء الله الحسنى، وأمثلة العليا، يتحقق في مقام الذلّة، والعبوديّة، والاستكانة والتضرّع، والخشوع كى يستعد لإشراق أشعة أنوار الجلال، ويمر على وجوده نفحة من نفحات روح الوصال.
ومما ذكرناه يعلم الحال فى الآيات المتعلقة بحكايات أحوال الأمم السالفة ممن نجى وممن هلك، ومقالات الكفار، ومقامات الحبّ والرضا نحو يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ «٤» وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ «٥»

(١) التوبة: ١٢٤.

(٢) المجالس ص ١٤١- الخصال ج ١ ص ٩٣.

(٣) الأصول من الكافي ص ٦٠٧.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) البقرة: ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٠

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ «١».

وبشارة اللقاء وغير ذلك مما يتعسّر حصاؤه، وإنما المعيار هو التحقق فى مقام القبول والإقبال وتكون الوجود بما يمرّ عليه من آيات ذى الجلال حتى يتكرّر عليه الكسر والصوغ مرّة بعد أخرى، ويستكمل وجوده عما كان عليه إلى ما هو أليق وأخرى.
ومن الوظائف الباطنية: التخصيص بأن يقدر، بل يعلم أنه المقصود بكلّ خطاب فى القرآن، وإن لم يكن تمام المقصود، فالخطابات العامة شاملة له أيضا.

وأما الخطابات الخاصّة، وقصص الأولين والأمثال، وغيرها فليعلم أنه ليس المقصود منها مجرد المسامرة، بل العبرة، والتذكّر، والالتفات الى أسباب الهلاك والنجاة، فإنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة، ولا رحم، ولا صداقة سابقة، ولا عهد، ولا ميثاق.

فلينظر فى أن من نجى من الأمم السالفة بما نجى فليأخذ به، وفى أن من هلك منهم بما هلك فليتنجّب عنه.
وليتأمل فى الأمثال التى ضربها الله للناس لعلهم يتفكّرون، وإن كان لا يعقلها إلّا العالمون، وذلك لأنّ تلك الأمثال أمور حقيقية، وحقائق نورانية منزلة فى كسوة الأمثال المحسوسة تمثيلا للمعقول بالمحسوس، وتقريبا لأفهام الناس لعلهم على عالم الحس الظاهر، وإعراضهم عن عالم الأنوار والعقول، ومع

(١) المائدة: ١١٩- التوبة: ١٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧١

ذلك فقليل ما يذكرّون، لأنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون «١».

وبالجملة فلا بد من أن يخصّص نفسه بكلّ ما يتأهّل من خطابه، وأوامره، ونواهيته، وعده، وعيده، وبشارته، وتخويفه، و

(١) التهذيب ج ١ ص ١٧٠-الوسائل ج ٤ ص ٧٥٣.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٢١٨.

(٣) البقرة: ١٢١.

(٤) الصافي ص ٤٥ عن المجمع والعياشي. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٣

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الرجل يكون مع الإمام، فيمرّ بالمسألة، أو بآية فيها ذكر جنّة أو نار، قال عليه السلام: لا بأس بأن يسأل ذلك، ويتعوذ من النار، ويسأل الله الجنة» (١).

و

في «الكافي» عن جابر بن عبد الله قال: «لَمَّا قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى النَّاسِ سَكَتُوا، فَقَالَ (ص): الْجَنَّةُ أَحْسَنُ جَوَابًا مِنْكُمْ لَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ قَالُوا: لَا وَ لَا بِشَيْءٍ مِنْ آلَاءِ رَبِّنَا نَكْذِبُ» (٢).

و

عن الصادق عليه السلام: «و من قرأ سورة الرحمن فقال عند كلِّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا بشيء من الأئكَ ربّ اكذب، فإذا قرأها ليلا، ثمّ مات شهيدا، وإن قرأها نهارا ثم مات شهيدا» (٣).

و

قد ورد أيضا أن يقول بعد قراءة الحمد مطلقا، أو في خصوص الجماعة:

الحمد لله رب العالمين (٤).

وبعد ختم التوحيد أن يقول: كذلك الله ربي مرّة، أو مرّتين، أو ثلاث مرّات (٥)،
على اختلاف الأخبار.

وبعد قراءة لا أعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ أن يقول: أعبد الله وحده.

وبعد قراءة: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ أن يقول: ربي الله و ديني الإسلام (٦).

(١) الوسائل ج ٤ ص ٧٥٤.

(٢) نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٨ عن الكافي.

(٣) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٧ عن ثواب الأعمال.

(٤) نور الثقلين ج ١ ص ٢٥ عن الكافي، و عيون الأخبار.

(٥) نور الثقلين ج ٥ ص ٧٠٠.

(٦) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٤

و

روى: «و ديني الإسلام» ثلاثا.

و

ورد أيضا: أن يقول بعد قراءة ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١):

كذب العادلون بالله (٢).

و أن يقول بعد قراءة سورة وَالتَّيْنِ بلى و نحن على ذلك من الشاهدين «٣».
و أن يقول بعد قراءة سورة وَ الشَّمْسِ صدق الله و صدق رسوله «٤».
و أن يقول بعد قراءة: أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى «٥»:
سبحانك اللهم و بلى «٦».
و أن يقول بعد قراءة آله خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ «٧»: الله خير، الله أكبر «٨».
و أن يقول بعد قراءة الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا إِلَى قَوْلِهِ: وَ كَبْرُهُ تَكْبِيرًا «٩»: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر «١٠».
و أن يصلّى على النبي و آله بعد قراءة

-
- (١) سورة الأنعام: ١.
(٢) بحار الأنوار ج ٨٥ ص ٣٤.
(٣) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٠٨.
(٤) نور الثقلين ج ٥ ص ٥٧٥ ح ٣.
(٥) سورة القيامة: ٤٠.
(٦) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢١٩ ح ٣.
(٧) النمل: ٥٩.
(٨) البحار ج ٨٥ ص ٣٤ عن الذكرى.
(٩) الإسراء: ١١١.
(١٠) البحار ج ٨٥ ص ٣٤ عن الذكرى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٥
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا «١» مفتتحا بقوله: لِيبيك اللهم لبيك، إجابة للنداء في الآية «٢».
و أن يقول بعد قراءة قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ إِلَى وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «٣»: آمَنَّا بِاللَّهِ «٤».
و أن يقول سرًا بعد قوله تعالى: سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى «٥»: سبحان الله الأعلى، أو «سبحان ربي الأعلى و بحمده» «٦».
و نحوه بعد قوله: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ «٧».
إلى غير ذلك ممّا يستفاد من الأخبار.

بل ربما يستفاد منها الإذن في غير الموارد الخاصّة المنصوصة، لأنّه من جنس الاجابة المندوب إليه، كما يستفاد من ملاحظة أخبار

الباب.

بل و من

النبيّ المتقدّم حيث قال صلى الله عليه و آله عتابا على أصحابه: «إِنَّ الْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ جَوَابًا مِنْكُمْ ... إلخ» «٨».
و من هنا يقوى القول باستجابته مطلقا و لو في الصلاة.
و أمّا الإجابة الفعلية فالمراد بها امتثال أوامر القرآن و نواهيه، و القيام

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) البقرة: ١٣٦.

(٤) الخصال ج ٢ ص ١٦٥.

(٥) سورة الأعلى: ١.

(٦) عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٣.

(٧) سورة الواقعة: ٧٤.

(٨) نور الثقلين ج ٥ ص ١٨٨ عن الكافي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٦

بوظائفه و سنته، فإن الإطاعة و الامتثال بمطلق الأوامر الشرعية و إن كانت مطلوبة لكل مكلف إلا أن أحق الناس بذلك إنما حامل القرآن و حافظه، و قارئه لما سمعت من علو درجته و سمو مقامه، بحيث لا ينبغي منه إلا الإطاعة و العبودية و الانقياد. و قد سمعت

من خبر «مصباح الشريعة» أن الصادق عليه السلام قال: «فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهي، و كيف تمتثل حدوده» (١).

فأحق الناس بمتابعه منشور السلطان إنما هو من يتدئ بقراءته، و يلزم حفظه و حملة، و قد قال الله سبحانه: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ (٢).

و من هنا ذكرنا سابقا أن الثواب و العقاب يضاعفان لقارئ القرآن بل قد سمعت في النبوي المتقدم: «أن أحق الناس بالتخشع في السر و العلانية لحامل القرآن، و أن أحق الناس في السر و العلانية بالصلاة و الصوم لحامل القرآن» (٣).

و

في «عقاب الأعمال» عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من تعلّم القرآن فلم يعمل به، و أثر عليه حب الدنيا و زينتها استوجب سخط الله، و كان في الدرجة مع اليهود و النصارى الذين يبنذون كتاب الله وراء ظهورهم. و من قرأ القرآن يريد به سمعته، و التماس الدنيا لقي الله تعالى يوم القيامة

(١) محجة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩ عن مصباح الشريعة ص ١٣-١٤.

(٢) البقرة: ٤١.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٧

و وجهه عظم ليس عليه لحم، و زج القرآن في قفاه حتى يدخله النار، و يهوى فيها مع من يهوى. و من قرأ القرآن و لم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى، فيقول: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١)، فيؤمر به الى النار (٢).

و من قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و تفقها في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما يعطى الملائكة و الأنبياء، و المرسلون (٣). و من تعلّم القرآن يريد به رياء و سمعه ليمارى به السفهاء و يباهى به العلماء، و يطلب به الدنيا بدد الله عزّ و جلّ عظامه يوم القيامة، و لم يكن في النار أشدّ عذابا منه، و ليس نوع من العذاب إلا و يعذب به من شدة غضب الله عليه و سقطه (٤). و من تعلّم القرآن و تواضع في العلم و علّم عباد الله و هو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أحد أعظم ثوابا منه، و لا أعظم منزلة منه، و لم يكن في الجنة منزل، و لا درجة رفيعة و لا نفيسة إلا كان له منها أوفر النصيب و أشرف المنازل (٥).

و

فى النبوى أيضا: «إن فى جهنم واديا يستغيث أهل النار كل يوم سبعين

(١) طه: ١٢٦.

(٢) مقام الأعمال ص ٤٥ و ص ٤٧.

(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٣٨.

(٤) عقاب الأعمال ص ٥٢.

(٥) بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٣٧٣ عن ثواب الأعمال. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٨

ألف مره منه ... فقيل: لمن يكون هذا العذاب؟ قال صلى الله عليه وآله: لشارب الخمر من أهل القرآن و تارك الصلاة «١».

و

عن الصادق عليه السلام عن آباءه عن النبى صلى الله عليه وآله فى حديث المنهى قال: «من قرأ القرآن ثم شرب عليه حراما، أو آثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب عليه سخط الله إلا أن يتوب، ألا و أنه إن مات على غير توبة حاجه يوم القيامة فلا يزايله إلا مدحوضا «٢».

و

فى الخطبة العلوية: «و تعلموا القرآن فإنه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، و أحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله بل الحجّة عليه أعظم، و الحسرة له ألزم، و هو عند الله ألوم «٣».

و أما الإجابة الحالية: فهى التخلّق بأخلاق القرآن، و إن كان لا يستطيع غير من نزل عليه و أهل بيته عليهم السلام على ذلك كما هو حقّه لأنه كان خلقه صلى الله عليه وآله حتى وصفه الله العظيم بالعظمة فقال: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ «٤».

إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، و أخذ القليل خير من ترك الكثير و قد ورد: أن المؤمنين قد خلقوا فى ذواتهم و كينوناتهم من أشعة أنوار محمّد و آل محمّد عليهم السلام، فلهم رشحة من رشحات صفاتهم.

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ١٤٨ عن جامع الأخبار.

(٢) البحار ج ٩٢ ص ١٨٠ عن أمالى الصدوق ص ٢٥٦.

(٣) نهج البلاغة ص ١٦٤ و منه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٧.

(٤) القلم: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٧٩

و لذا ورد الأمر بالتخلّق بأخلاق الله، و بأخلاق الروحانيين، بل هو مفتاح لكنوز القرآن، و مصباح يتجلّى به خفايا المعانى و البيان. ففى العلوى كما عن المسيح النورانى ما معناه: «ليس العلم فى السماء فينزل عليكم، و لا- فى تخوم الأرض فيصعد إليكم، و لكنّه مجبول فى قلوبكم بأخلاق الله يظهر كم».

و قد ورد فى تفسير قوله تعالى: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ «١»: أن المراد بقوّة فى الأبدان و القلوب، فالقوّة فى الأبدان هى الأفعال، و الأعمال التى منها الأقوال حسبما سمعت، و فى القلوب هى الملكات و الأخلاق الحسنه، و الأحوال الجميلة التى مرجعها إلى التخلّق عن الرذائل، و التحلّى بأنواع الفضائل.

و هذا هو المراد باختلاط القرآن باللحم و الدّم فيما

روى عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البردة، وكان القرآن حجيزاً» (٢) عنه يوم القيامة يقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملى فبلغ به أكرم (٣) عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلال الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقول له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطى الأمن بيمينه، والخلد بيساره، ثم يدخل الجنة، فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به

(١) البقرة: ٦٣.

(٢) في البحار: حجيجا عنه.

(٣) في البحار: كريم عطاياك. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٢ ٥١٩

و أرضيناك؟ فيقول: نعم «١».

و

روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابن مسعود: «اقرأ على، قال: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» (٢) رأيت عينيه تدرقان من الدمع فقال لى: حسبك «٣». وذلك لاستغراق تلك الحالة لنفسه بالكلية.

و

روى أنه جاء إليه صلى الله عليه وآله واحد ليعلمه القرآن، فانتهى الى قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «٤» فقال الرجل يكفينى هذا وانصرف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انصرف الرجل وهو فقيه «٥». وذلك إنما كان لتأثره وحسن إجابته، واستعداده للعمل.

وقد تحصل لك مما سمعت أن لكل جزء من أجزاء وجود الإنسان وظيفة فى قراءة القرآن، فوظيفة اللسان هو الترتيل، وحسن البيان، ووظيفة الأركان المبادرة إلى الامتثال للتحقق بكمال الإذعان، ووظيفة العقل تفسير المعانى وإدراك البرهان، ووظيفة الجنان هو الاستبشار وزيادة الإيمان، ووظيفة الفؤاد الذى هو أعلى مشاعر الإنسان هو الشهود والعيان، والاستيناس بمناجاة الملك المَنَّان. ومن الوظائف الباطنية: التبرى من حوله وقوته، لأنه يعلم أنه لا يملك

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٧ ح ٩ عن ثواب الأعمال ص ٩١.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) جامع الأخبار والآثار ج ١ ص ٢٩١ عن تيسير المطالب.

(٤) سورة الزلزال: ٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨١

لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يستطيع موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، بل الفضل كله بيد الله يؤتیه من يشاء، فلا يلتفت إلى نفسه أصلاً، فضلاً عن أفعاله، وأحواله، وطاعته التى هى كلها تقصير، وقصور، خالية من الثور والسرور، فليتهم نفسه فى كل حال، وليتدارك ما فات عنه من الفضائل وتركيب الأعمال، وليتوسل فى كل ذلك إلى النبى محمّد وآله خير آل مستشفعا بهم صلوات الله عليهم إلى الله

ذی العزّ والجلال، و لیکن بما ورد عنهم علیهم السّلام فی تفسیر الآیات من الأخبار والآثار، فإنّها مفاتيح كنوز الأسرار، و لوامع الأنوار، و لیتعظ بها قلبه بالانبساط و الانزجار الذین هما ثمرة البشارة و الإنذار.

و من الوظائف: الترقی بحسب تدرّج الأحوال إلى درجات الكمال و الاستغراق فی مقام التوجّه و الإقبال للوصول إلى الأنس بمناجات ذی الجلال.

و قد یقال: إن درجات القرآن ثلاث:

أدناها: أن یقدّر العبد كأنه یقرأ علی الله تعالی واقفا بین یدیه، و هو ناظر الیه، و مستمع منه، فیکون حاله عند هذا التقدير الثناء و السؤال، و التضرّع و الابتهاال.

و أوسطها: أن یشهد بقلبه كأنه سبحانه یخاطبه بألفه، و یناجیه بانعامه و إحسانه، و هو مقام الحیاء و التعظیم له و الإصغاء الیه و الفهم منه.

و أعلاها: أن یرى فی الكلام و المتکلم الصّیفات، فلا ینظر الی قلبه، و لا إلى قراءته، و لا إلى تعلق الإنعام به من حیث إنّه منعم علیه، بل یقتصر همّه علی المتکلم، و یوقف فکره علیه و یستغرق فی مشاهدته.

و هذه درجة المقرّبین، و عنه

أخبر مولانا الصادق علیه السّلام حیث قال: «لقد

تفسیر الصراط المستقیم، ج ٢، ص: ٤٨٢

تجلّى الله تعالی لخلقه فی كلامه و لكنهم لا یصبرون» (١).

و

عنه علیه السّلام أيضا و قد سأله عن حاله لحقته فی الصلاة حتّى خرّ مغشیا علیه، فلما أفاق قیل له فی ذلك، فقال علیه السّلام: «ما زلت أردّد هذه الآیة علی قلبی حتى سمعتها من المتکلم بها، فلم یثبت جسمی لمعاينة قدرته» (٢).

ففی مثل هذه الدرجة تعظیم الحلاوة، و بهذا الترقی یرى العبد ممثلا لقوله تعالی: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ (٣).

و بمشاهدة المتکلم دون ما عداه یرى العبد ممثلا لقوله تعالی: وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ (٤)، فإنّ رؤیة غیر الله معه شرك خفی لا یخلص منه إلّا برؤيته وحده.

ثمّ إنّ المراد بالتجلّى المذكور فی الخبر هو التجلّى الفعلی بصفة التکلم الّتی هی من صفات الأفعال، فمن أدرك بظهوره له به فقد عرف نفسه، و من عرفها فقد فقدّها: لأنّه لا یتجلّى له حیث إنّ الّا الواجب الحقّ، و القیوم المطلق الذی بیضه قامت السّماوات و الأرض، و حیث إنّ یندک بل إتیته و لا یقدر علی الاستقرار، و لذا یخرّ مغشیا علیه، كما كان یرض كثيرا للنبي صلی الله علیه و آله و للأئمة المعصومین علیهم السّلام علی ما هو معلوم من أحوالهم فی آناء اللیل و أطراف النهار.

بل الغشوة العارضة له عند نزول الوحي و الإلهام، و سماع الكلام من الملك العلام علی ما مرّت الإشارة إلیه، و الی ما

قاله مولانا الصادق علیه السّلام لما سئل عن

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٠٧.

(٢) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٠٧ عن فلاح السائل ص ١٠٧.

(٣) الذاریات: ٥٠.

(٤) الذاریات: ٥١. تفسیر الصراط المستقیم، ج ٢، ص: ٤٨٣

تلك الغشوة الّتی عرضت للنبي صلی الله علیه و آله تارة، هل كان عروضها عند هبوط جبریل علیه السّلام؟ فقال علیه السّلام: لا، إنّ

جبريل عليه السّلام كان إذا أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل قعد بين يديه قعدة العبد، وإنّما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة (١).

أقول: وإليه الإشارة بقوله تعالى: وَإِنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٢).

بل ربما تعرّض له عليه السّلام تلك الحالة بالسّماع من البشر المؤدّى إليها أحيانا

ففى «المجمع» عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (٣) الآيات فصعق عليه صلوات الله (٤).

لكنّه ينبغي أن يعلم أنّ هذه الدرجة ليست سهلة التناول لكلّ طالب، فلا يصدّق بنيلها كلّ مدّع، وإن ادّعاها بعض أرباب التكلّف من أهل التصوف، بل ربما يشتعل فى قلوبهم نيران محبّة المرد، ومشاهدة الوجوه الحسان، أو لغير ذلك من الرّياء، وطلب الدّنيا، واغترار النّاس ونحوها من أغراضهم الباطلة، فيتغنّون بالقرآن، ويتخذونها من المزامير والملاهي، ويرجعون به ترجيع الملاعب اللاهي، بل ربما يسمع منهم زفير وشهيق، ويجتمع الزبد فى أشداقهم كالصديد المغلى على نار ذات الحريق.

(١) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٠ عن كمال الدين ص ٥١.

(٢) سورة النمل: ٦.

(٣) المزمّل: ١٢.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٤

و

قد حدّثنا مولانا الصادق عليه السّلام منهم بقوله: «إياكم ولحون (١) أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنّه سيّجىء من بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم (٢)». وقد مرّ شرح الخبر.

و

فى «الكافى» و«المجالس» للصدوق عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت: إن قوما إذا ذكروا شيئا من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتى ترى أن أحدهم لو قطعت يده ورجلاه لم يشعر بذلك؟ فقال عليه السّلام: سبحان الله ذاك من الشيطان، ما بهذا أمروا (٣)، إنّما هو اللّين، والرّقّة والدمعة، والرجل (٤).

(١) لحن فى قراءته أى طوب بها.

(٢) الكافى ج ٢ ص ٦١٤ باب ترتيل القرآن ح ٣.

(٣)

فى الكافى: «ما بهذا نعتوا» وفسر بأنّ الله تعالى لم يصف المؤمنين فى كتابه بتلك الأوصاف بل وصفهم باللين والرّقّة والوجل.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦١٦ باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٥

الباب الثالث عشر

فى أحكام القراءة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٧

القراءة تتصف بكل من الأحكام الخمسة عدى الإباحة لكونها عبادة، فالواجب منها قد يكون بأصل الشرع كما في الصلوة وفي خطبة الجمعة والعديد، وقد يكون لعارض كالإجارة، والنذر، وشبهه.

والمحرّم منها ما كان مشتتلا على الغناء، أو مؤذيا للمصلين، أو مفوّتا لعبادة واجبه، أو بلسان مغصوب كلسان العبد مع منع مولاه، أو الأجير مع منع مستأجره، أو وجوب الإشتغال بغيرها، أو كانت عزيمة في فريضة، أو على وجه الإهانة والاستخفاف، أو موجبة للضرر لترك تقيّة، ونحوه، أو القران بين السورتين، والعزائم للجنب وأختيه، كما أنّ قراءة غير العزائم الثلاثة مكروهة مطلقا، أو ما زاد منه على سبع أو سبعين آية.

و

روى أيضا: أنّه لا ينبغي قراءة القرآن من سبعة: الراكع، والساجد، وفي الكنيف، وفي الحمام، والجنب، والنفساء، والحائض «١». و المندوب ما عدا ذلك وربما يتأكد استحباب القراءة في بعض الأماكن كالبيوت، والمساجد، ومكة المعظمة. ففي «الكافي» بالإسناد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن، ولا تتخذوها قبورا، كه فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع و عطّلوا بيوتهم، فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتّسع أهله وأضياء

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٥٧ ح ٤٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٨

لأهل السماء، كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا» «١».

و

فيه، عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: البيت الذي يقرأ فيه القرآن، ويذكر الله عزّ وجلّ فيه تكثر بركته، وتحضر الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله عزّ وجلّ فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين «٢».

و

فيه، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه في حديث قال عليه السلام: «كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن، ويذكر الله عزّ وجلّ فيه تكثر بركته «٣».

و

فيه، عنه عليه السلام قال: «إنّ البيت إذا كان فيه المسلم يتلوا القرآن يترأى لأهل السماء كما يترأى لأهل الدنيا الكوكب الدرّي في السماء» «٤».

و

في خبر آخر: «إنّ الدار إذا تلى فيها كتاب الله كان لها نور ساطع في السماء تعرف من بين الدور» «٥».

و

في «عدّة الداعي» عن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «اجعلوا لبيوتكم نصيبا من القرآن، فإنّ البيت إذا قرئ فيه القرآن يسرّ على أهله، وكثر خيره، وكان سكّانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٠٠ ح ١٧ عن عدّة الداعي ص ٢١١.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥ أبواب قراءة القرآن الباب (١٧) ح ٢ من أصول الكافي ص ٥٩٦.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٠ ح ٢ عن أصول الكافي ص ٥٣٠.

(٤) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٩ و ص ٨٥٠ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٦.

(٥)

الوسائل ج ٤ ص ٨٥١ ح ٦ عن رجال الكشي ص ١٤٤ وفيه: (و الدار). تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٨٩. أهله، و قل خير، و كان سكانه في نقصان «١».

و

ورد عنهم عليهم السلام: «إنما بنيت المساجد للقرآن» «٢».

و

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من ختم القرآن بمكة من جمعة الى جمعة، أو أقل من ذلك أو أكثر و ختمه في يوم جمعة، كتب الله له من الأجر و الحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها، و إن ختمه في سائر الأيام فكذلك» «٣».

و ربما يتأكد استحباب القراءة في بعض الأزمنة كشهر رمضان، و الليالي، و في الصباح و المساء، و غيرها.

ففي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لكل شيء ربيع، و ربيع القرآن شهر رمضان» «٤».

و

فيه، و في «ثواب الأعمال»: «ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع الى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات، و تمحى عنه عشر سيئات» «٥».

و

فيهما، و «المعاني» و «المجالس» عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، و من قرأ مائة آية كتب من القانتين، و من قرأ مائة آية كتب من

(١)

الوسائل ج ٤ ص ٨٥٠ ح ٥ عن عدة الداعي ص ٢١٢ وفيه: (تيسر على اهله).

(٢)

بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٣٦٣ عن التهذيب ج ٣ ص ٣٥٩ وفيه: (إنما نصبت المساجد).

(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥٢ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٧.

(٤) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٣ ح ٢ عن أصول الكافي ص ٦٠٦.

(٥) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٥١ ح ١ عن أصول الكافي ص ٥٩٧ و ثواب الأعمال ص ٥٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٠ الخاشعين، و من قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين و من قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، و من قرأ ألف آية كتب له قنطار «١».

و

في «المجالس»: خمسون ألف قنطار، و القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، و المثقال أربعة و عشرون قيراطا، أصغرها مثل جبل أحد، و أكبرها ما بين السماء و الأرض «٢».

و

روى الشيخ بالإسناد عن الرضا عليه السلام قال: «ينبغي للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية» (٣).

و

في «الأمالي» لابن الشيخ بالإسناد عن بكر بن عبد الله: أن عمر دخل على النبي صلى الله عليه وآله وهو موقوذ (٤) أو محموم، فقال: يا رسول الله: ما أشدّ وعكك (٥)، أو حماك؟! فقال صلى الله عليه وآله له: ما منعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة منها السبع الطول، فقال: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأنت تجتهد هذا الاجتهاد؟! فقال صلى الله عليه وآله: أ فلا أكون عبدا شكورا (٦).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت إلى بعضها الإشارة.

و يستحبّ قراءة القرآن على كلّ حال وفي كلّ زمان.

ففي «الكافي» و «المحاسن» عن الصادق عليه السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام

(١) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٢ ح ٢ عن الكافي ص ٥٩٧.

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٨٥٢ عن المجالس ص ٣٦.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٩ ح ٣ من التهذيب ج ١ ص ١٧٤.

(٤) الموقوذ: الشديد المرض.

(٥) الوعك (بفتح الواو و سكون العين المهملة): ألم الحمى.

(٦) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٤ ح ١٩ عن أمالي ابن الشيخ ص ٢٥٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩١

قال: و عليك بقراءة القرآن على كلّ حال» (١).

و

في «عده الداعي» عنه صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: «من شغل بقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين» (٢).

و

في «المجالس» عن الصادق عليه السلام، قال: «عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال: لقارئ القرآن:

اقرأ و ارق، فكلّما قرأ آية رقى درجة» (٣).

و

في «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة قراءة القرآن» (٤).

وقد مرّ في الأبواب المتقدمة أخبار كثيرة تدلّ على ذلك فلاحظ.

و يستحبّ الحلّ و الارتحال، و فسّر بفتح القرآن و ختمه.

ففي «الكافي» عن الزهري قال: قلت لعليّ بن الحسين عليهما السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: الحال المرتحل، قلت: و ما

الحال المرتحل؟ قال عليه السلام: فتح القرآن و ختمه، فكلّما جاء بأوله ارتحل بآخره» (٥).

و عن الصادق عليه السلام في «معاني الاخبار» مثله، إلّا و فيه: «كلّما حلّ في أوّله ارتحل في آخره» (٦).

و

في «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام: أنّه قيل له: يا بن رسول الله أيّ

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٣٩ ح ١ عن روضة الكافي ص ١٤٢.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٤ ح ٢٠ عن عدّة الداعي ص ٢١١.

(٣) الوسائل ج ٤ ص ٨٤٢ ح ١٠ عن المجالس ص ٢١٦.

(٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٥.

(٥) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٦) معاني الأخبار ص ٥٨. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٢

الرّجال «١» خير؟ قال عليه السّلام: الحالّ المرتحل، قيل: يا بن رسول الله، و ما الحالّ المرتحل؟ قال عليه السّلام: الفاتح الّذى يفتح القرآن و يختمه، فله عند الله دعوة مستجابة «٢».

أقول: قال ابن الأثير في «النهاية»: سئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: الحالّ المرتحل، قيل: و ما ذاك؟ قال: الخاتم المفتوح.

ثم قال: هو الذى يختم القرآن بتلاوته، ثم يفتح التلاوة من أوله، شَبَّهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه، ثم يفتح سيره أى يبتدأ به، و كذلك قراء مكّة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا و قرءوا الفاتحة، و خمس آيات من أول سورة البقرة الى قوله: وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ثم يقطعون القرائة، و يسمون فاعل ذلك الحالّ المرتحل، أى إنه ختم القرآن و ابتدأ بأوله، و لم يفصل بينهما بزمان. و قيل: أراد بالحالّ المرتحل الغازى الذى لا يرجع عن غزو إلا عقبه بأخر «٣».

و مثله فى «مجمع البحرين» باختصار.

و هذا الحكم مشهور بين العامة أيضا فتوى و رواية، سيما بين قرائهم.

ففى «التيسير» بعد حكاية التكبير عن ابن كثير، قال: فاذا كبر فى آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب و خمس آيات من أول سورة البقرة على عدد

(١) فى الوسائل ج ٤ ص ٨٤٣: (أى الرجال خير).

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٤٢ ح ٩ عن ثواب الأعمال ص ٥٧.

(٣) نهاية ابن الأثير ج ١ ص ٤٣٠ فى حرف الحاء بعده اللّام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٣

الكوفيين الى قوله: وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «١» ثم دعا بدعاء الختمه، و هذا يسمّى الحالّ المرتحل.

قال: و فى جميع ما قدّمناه أحاديث يرويها العلماء يؤيد بعضهم بعضا تدلّ على صحّة ما فعله ابن كثير.

و مثله فى «نظم الشاطبية» و «طيبة النشر» و فى «شرح الأخير»: إنّ قوله:

«حلّا و ارتحالا» إشارة إلى

الحديث المرفوع: «أفضل الأعمال الى الله الحالّ المرتحل»

الّذى إذا ختم القرآن عاد فيه، ثم حكى فعل ابن كثير، قال: و له فى فعله هذا دلائل من آثار مروية وردت عن النّبى صلّى الله عليه و آله و أخبار مشهورة مستفيضة جاءت عن الصحابة و التابعين و من بعدهم.

الى غير ذلك من كلماتهم المتّفقه على هذا المعنى، إلا أنّ فيه عندى إشكالا لم أر من تنبّه عليه، و هو أنّ ظاهر الخبرين المرويين فى

«الكافي» «٢» و «ثواب الأعمال» «٣» من طرفنا هو أنّ الحالّ المرتحل هو الذى يفتح القرآن و يأخذ فى قراءته و يستمرّ على ذلك

مراعيا للترتيب حتّى يختمه، و الظاهر أنّ المراد أنّ قراءته ليست غير منظّمة، بحيث كلّما بدأ قرأ من موضع فرّبما يتكرّر منه قراءة بعض

الآيات، و ربّما لا يتفق منه قراءة بعضها أصلا، بل ينبغى أن يكون اهتمامه بالختمه التى بها عند الله تعالى دعوة مستجابة، و لعلّ

قوله في الخبر الأول: «فتح القرآن و ختمه و كلما جاء بأوله ارتحل بآخره»
صريح في ذلك، و كذا الخبر الثاني، فالحال هو المفتتح بالقراءة، و المرتحل هو الفارغ عنه بالاختتام.

(١) البقرة: ٥.

(٢) أصول الكافي ص ٥٩٤.

(٣) ثواب الأعمال ص ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٤

و أمّا ما رواه ابن الأثير في «النهاية»، و المرفوع المتقدم «١» عن «شرح طيبة النشر» فالمراد منهما ان لم يكن ذلك على تقدير صحّة الخبر هو الحثّ و الترغيب على الاستكثار من القراءة و المواظبة عليها بحيث كلما فرغ عن ختمه شرع في اخرى.
و اين هذا ممّا قدره ابن كثير و اختلفه و افتراه على رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم تبعه فيه بعض من تأخر عنه على غرّة و غفلة، مع أنّ الأخبار ساطعة الأنوار فيما ذكرناه من الحثّ على الانتظام و الاستكثار.
و يؤيد ما ذكرناه ما يحكى عن الزمخشري في «الفائق» أنّه قال بعد نقل الخبر: أراد بالحال المرتحل المواصل لتلاوة القرآن الّذى يختمه ثم يفتتحه، شبهه بالمسافر الّذى لا يقدم على أهله فيحلّ إلّا أنشأ سفرا آخر فيرتحل.
بل قد تأمل بعض العامة في صحّة الخبر، و في كون المراد ذلك، و في كون التفسير عن النبي صلى الله عليه و آله.
ففي «إبراز المعاني في شرح حرز الأمانى»: أنّ طرق رواية هذا الخبر كلّها تنتهى الى صالح «٢» المرّى و هو و إن كان عبدا صالحا، لكنّه ضعيف عند أهل الحديث.
قال البخارى في «تاريخه»: منكر الحديث، و قال النسائي: متروك.
و على تقدير صحته فقد اختلف في تفسيره:
ف قيل: المراد به ما ذكره القرّاء.

(١) المراد به:

«أفضل الأعمال الحال المرتحل» رواه في كنز العمال ح ٩٥ / ١٥ ح ٤٣٦٤٩.

(٢) هو صالح بن بشير، ابو بشر المرّى الواعظ البصرى المتوفّى (١٧٣) - ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٥

و قيل: هو إشارة الى تتابع الغزو و ترك الإعراض عنه فلا يزال في حلّ و ارتحال، و هذا ظاهر اللفظ، إذ هو حقيقة في ذلك، و على ما أوّل به القرّاء يكون مجازا.

ثم قال: و قد رووا التفسير فيه مدرجا في الحديث، و لعلّه من بعض رواته.

ثم حكى عن ابن قتيبة تفسير الخبر بالوجهين، و ساق الكلام في ترجيح الثانى، و أنّ الخبر ضعيف، فلا ينبغي أن تغترب بقول مكى إنّّه صحيح، و أنّ التفسير غير منسوب في كثير من طرق الخبر الى النبي صلى الله عليه و آله بل روى الأهوازي، و غيره هذا الخبر بعينه، و لم ينسب التفسير اليه.

إلى أن قال: و لو صحّ هذا الحديث و التفسير لكان معناه الحثّ على الاستكثار من قراءة القرآن و المواظبة عليها، فكّلما فرغ من ختمه شرع في اخرى، اى أنّه لا يصرف عن القرآن بعد ختمه، بل تكون القرآن دأبه و ديدنه.

في رواية أخرى خزجها الأهوازي في «الإيضاح»: الحال المرتحل الذي إذا ختم القرآن رجع فيه ، ثم ذكر أن ابن كثير قد انفرد بهذا الفعل الذي هو التكبير، وزيادة الحمد والآيات من البقرة الى «أولئك هم المفلحون» (١). بل عن ابن غلبون «٢»: أنه من طريق البرى وحده، و لم يفعل هذا قبل ولا غيره من القراء. بل قد حكى عن أحمد بن حنبل نفيه رأسا. انتهى ملخصا.

(١) البقرة: ٥.

(٢) هو ابو الحسن طاهر بن أبي التطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر و المتوفى بها سنة (٣٩٩) - تقريب النشر ص ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٦

و قد ظهر من جميع ما مرّ أنّ الظاهر من أخبار الباب هو ما مرّت إليه الإشارة من المعنيين المتقدمين. نعم

قد حكى من طريق العائمه عن أبي بن كعب: أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان إذا قرأ قل أعوذ بربّ الناس افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى «أولئك هم المفلحون» (١) ثم دعا بدعاء الختمه، ثم قام.

بل المحكى عن الجزرى أنّه صار العمل على هذا فى أمصار المسلمين حتّى لا يكاد واحد يختم ختمه إلّا و شرع فى اخرى، سواء ختم ما شرع فيه أم لم يختمه، نوى ختمه أو لم ينوه، بل جعل ذلك عندهم من سنه الختم، و يسمون من يفعل هذا الحال المرتحل، أى الذى يحلّ فى قراءة آخر الختمه و ارتحل الى ختمه اخرى.

و عكس بعض أصحابنا هذا التفسير كالسخاوى، و غيره، فقالوا: الحال الذى يحلّ فى ختمه عند فراغه من اخرى، قال: و الأوّل أظهر، و هو الذى يدلّ عليه تفسير الحديث عن النبي صلّى الله عليه وآله.

أقول: قد سمعت أنّ الأوفق بل الظاهر من أخبار الأئمة عليهم السّلام الذين هم حملة الوحي و خزّان العلم هو المعنى الذى مرت إليه الإشارة، بل يعضده ما سمعت من الزمخشري و غيره.

و ممّا ينبغى أن يعلم أنّه يجب تعلّم القرآن و تعليمه كفايه، و يستحبّ عينا أما الأوّل: لحفظ الشريعة، و بقاء المعجزه، و توقّف استنباط الأحكام عليه فى الجملة، مع أنّه من المصالح المهمه التى يجب القيام عليها كفايه، مضافا إلى

(١) البقرة: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٧

اطلاق الأوامر التى ظاهرها الوجوب، و الحمل على الوجوب الكفائى أقرب إلى الحقيقة من الحمل على الاستحباب. هذا مضافا الى ظهور الإجماع عليه، كالإجماع على الثانى الذى هو استحبابهما عينا، مع أنّ الاخبار به مستفيضه.

ففى النبوى: «خياركم من تعلّم القرآن و علمه» (١).

و

فى العلوى: «تعلّموا القرآن فإنّه ربيع القلوب» (٢).

و

عن أبى جعفر عليه السلام فى خبر سعد المتقدم بتمامه: «تعلّموا القرآن» (٣).

و

عن الصادق عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه» (٤).

و

في «مجمع البيان» عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ما من رجل علم ولده القرآن إلّا توجّ الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك، و كسبا حلتين لم ير الناس مثلهما» (٥).

و

عنه صلى الله عليه وآله: «إذا قال المعلم للصّبي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصّبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله سبحانه براءة للصّبي، و براءة لأبويه، و براءة للمعلم من النار» (٦).

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلموا القرآن،

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١٨٦ ح ٢ عن أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٧ عن نهج البلاغة.

(٣) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٩٦.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٠٧ ح ٣- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٤ ح ٤.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٩- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٥ ح ٨.

(٦) المجمع ج ١ ص ١٨- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٦ ح ١٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٨

فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك، و أظمأت هو أجرك، و أجففت ريقك، و أسبلت دمعك ... إلى أن قال: فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، و يعطى الأمان يمينه، و الخلد في الجنان بيساره، و يكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ و ارق، فكلما قرأ آية صعد درجة، و يكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما:

هذا لما علمتما القرآن» (١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي مرّت إليها الإشارة في الباب الثاني.

و من الأمور التي ينبغي أن يعلم أيضا استحباب حفظ القرآن عن ظهر القلب كلّا أو بعضا، و لو مع مقاساة الشدّة و تحمّل المشاق.

ففي «المجمع» عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قرأ القرآن حتّى يستظهره و يحفظه أدخله الله الجنة، و شفّعه في عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجبت له النار» (٢).

و

عنه عليه السلام قال: «حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة» (٣).

و

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة» (٤).

و

فيه، و في «ثواب الأعمال» عنه عليه السلام قال: «من شدّد عليه في القرآن كان له أجران، و من يسّر عليه كان مع الأولين» (٥).

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٦- و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٢٦ ح ١٤.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ١٦.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٠٣ ح ٢.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٠٦ ح ٢- ثواب الأعمال ص ١٢٥ ح ١ و عنهما الوسائل ج ٤ ص ٨٣٣ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٤٩٩

و

فيهما، عنه عليه السلام قال: «إِنَّ الَّذِي يَعَالِجُ (١) الْقُرْآنَ وَيَحْفَظُهُ بِمَشَقَّةٍ مِنْهُ وَقَلَّةٍ حَفَظَهُ لَهُ أَجْرَانِ» (٢).

اعلم أنه

قد روى الشيخ أبو جعفر الطوسي في «مصباح المتعبد»: أنه من أراد حفظ القرآن فليصل أربع ركعات ليلة الجمعة يقرأ في الأولى: فاتحة الكتاب و سورة يس، و في الثانية: الحمد، و الدخان، و في الثالثة: الحمد و الم تنزيل (السجدة)، و في الرابعة: الحمد، و تبارك الذي بيده الملك، فاذا فرغ من التشهد حمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله و استغفر للمؤمنين، و قال: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، و ارحمني من أن أتكلف طلب ما لا يعينني، و ارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم يا بديع السماوات و الأرض، ذا الجلال و الإكرام، و العزة التي لا ترام، أسئلك يا الله، يا رحمن، بجلالك و نور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، و ارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني و أسألك أن تتور بكتابك بصري، و تطلق به لساني، و تفرج به قلبي، و تشرح به صدري، و تستعمل به بدني، و تقويني على ذلك و تعينني عليه، فإنه لا يعينني على الخير غيرك، و لا يوفق له إلا أنت «٣».

و من الوظائف: أنه بعد تعلمه، أو حفظه، كلاً، أو بعضاً لا ينبغي تركه تركاً يؤدي إلى النسيان.

ففي «الكافي» بالإسناد عن يعقوب الأحمر، قال: قلت: جعلت فداك إنه أصابني هموم، و أشياء لم يبق شيء من الخير إلا و قد تفلت مني منه طائفة،

(١) عالج الشيء: زواله.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٦ ح ١- ثواب الأعمال ص ١٣٧.

(٣) مصباح المتعبد ص ١٨٤ و عنه البحار ج ٨٩ ص ٢٨٨ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٠

حتى القرآن لقد تفلت مني طائفة منه.

قال: ففرغ عند ذلك حين ذكرت القرآن، ثم قال عليه السلام: إن الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات فتقول: السلام عليك، فيقول: و عليك السلام من أنت؟ فتقول: أنا سورة كذا و كذا، ضيعتني و تركتني، أما لو تمسكت بي بلغت بك هذه الدرجة ...

الخبر «١».

و قد مرّ أيضاً أن الأخبار الدالة بظاها على حرمة الترك المؤدى إلى النسيان

كالمروى في «الفيح» و «عقاب الأعمال» عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ألا و من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلط الله بكل آية منها حية تكون قرينة إلى النار إلا أن يغفر له «٢».

فلعله محمول على ترك العمل به، أو على الترك الناشئ من التهاون و الاستخفاف به.

و يؤيده أن

في «عقاب الأعمال»: «ثم نسيه متعمدا»

، على ما فسّر في الأخبار.

و يؤيده أيضا نفي الحرج عنه

في قول الصادق عليه السلام لسعيد بن عبد الله الأعرج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقرأ القرآن ثم ينساه، ثم يقرأه ثم

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠٨ ح ٦- منه الوسائل ج ٤ ص ٨٤٦ ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٢- عقاب الأعمال ص ٣٣٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠١.

ينساه، أ عليه فيه حرج؟ فقال عليه السلام: لا «١».

و

للهيثم بن عبيد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قرأ القرآن ثم نسيه، فرددت عليه ثلاثا، أ عليه فيه حرج؟ فقال عليه السلام: لا «٢».

و أمّا

النبي المروي عن طرق الفريقين: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى و هو أجزم» «٣».

فقد اختلفوا في معناه: فقيل: إنّه مقطوع اليد، من جزم الرجل (بكسر الذاة المعجمة): إذا صار أجزم أي مقطوع اليد.

و مثله

العلوي: «من نكث بيعته لقي الله تعالى و هو أجزم، ليست له يد» «٤».

و هذا هو المحكى عن أبي عبيد، و اعترضه ابن قتيبة بأنّ العقوبات من الله سبحانه لا تكون إلّا وفقا للذنوب و بحسبها، و اليد لا مدخل لها في نسيان القرآن.

و قال: الأجزم هاهنا الذي ذهب أعضاؤه كلها، يقال: رجل أجزم و مجذوم إذا قُتت أعضاؤه من الجذام و هو الداء المعروف.

و اعترض «٥» بأنّ قضية الموافقة عقوبة الزاني بفرجه و القاذف بلسانه.

و بأنّ الجذام غير مشتق من الجذم الذي هو القطع، و إلّا لوجب كلّ داء يقطع الجسد و يفرّق أوصاله كالجدري، و الأكله يسمّى

جذاما، و يسمّى المبتلى به

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣٣ ح ٢٤.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٨ ح ٥.

(٣) أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٥ و عنه مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٦٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٦٧.

(٥) المعترض هو ابن الأباري محمد بن القاسم المتوفى (٣٢٨)، قال: معنى الحديث أنّه لقي الله و هو أجزم الجمّة لا لسان لا يتكلم و

لا حجة في يده- البحار ج ٢ ص ٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٢.

أجزم، و هو باطل.

مع أنّ الجوهرى ذكر أنه مشتقّ من جذم الرجل (بضمّ الجيم) فهو مجذوم، ولا يقال: أجذم.

وقال الفيومي: قالوا: ولا يقال فيه من هذا المعنى: فهو أجذم وزان أحمر.

وقيل «١»: معناه لقيه خالى اليد من الخير، صفرها من الثواب، فكُنَى باليد عما تحويه و تشتمل عليه من الخير.

وقيل: معناه لقيه منقطع السبب، يدلّ عليه قوله: «القرآن سبب بيد الله و سبب بأيديكم، فمن نسيه فقد قطع سببه.

و التخصيص فى العلوىّ المتقدّم بذكر اليد لخصوص البيعة التي تباشرها اليد من بين الأعضاء «٢».

وقال السيد المرتضى رضى الله عنه بعد الاعتراض على المعنيين الأولين ببعض ما سمعت، وغيره ممّا لا يخلو عن تأمل: إنّه عليه

السلام أراد المبالغة فى وصفه بالنقصان عن الكمال، و قد ما كان فيه بالقرآن من الزينة و الجمال.

قال: و التشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه و عجيبه، لأنّ اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتمّ كثير من التصرفات و لا يوصل الى كثير

من المنافع إلّا بها، ففانقدها يفقد ما كان فيه من الكمال، و تفوتها المنافع و المرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها، و هذه حال

ناسى القرآن و مضيعه بعد حفظه، لأنّه

(١) قاله ابن الأعرابي محمّد بن زياد المتوفى (٢٣٠).

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٣

يفقد ما كان لابسا له من الجمال و مستحقّا له من الثواب «١».

أقول: أمّا اشتقاقه من الجذام، ففيه مع بعده، أنّه مردود بنصّ أهل اللّغة على خلافه و هجر استعماله كما مرّ عن الجوهرى و الفيومي.

نعم فى «القاموس»: جذم كعنى (أى بضمّ الجيم و كسر الذال المعجمة) فهو مجذوم و مجذّم و أجذم، و وهم الجوهرى فى منعه.

و لكنّه غير صالح للمعارضة لما مرّ، و لو مع تقديم الشهادة على الإثبات، لأنّه فرع التكافؤ، سلّمنا لكنّه لا بدّ عن الشذوذ و الندره.

و أمّا المعانى المتقدّمة فلا يبعد الحمل عليها و لو على جهة الاجتماع، فإنّ الكلمة من محمّد و آله صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين

لتصرف على سبعين وجها من كلّها المخرج، سيّما مع عدم تعاند المعانى فى المقام، بل و تناسبها، فإنّه يمكن أن يراد أنّه يلقي الله

تعالى مقطوع اليد أى قليل الحظّ من الثواب، فاقد الخير و البهجة، فائت الزينة و الكمال.

نعم، قد يقال: إنّ فى هذا الحديث سراً يتّضح بالحديث الآخر الذى تواتر نقله

عنه صلى الله عليه و آله من طرق الفريقين: «إنّى تارك فيكم الثقلين: أحدهما كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض».

فلمّا شبّه الكتاب بالجبل الذى يتعلّق به و يجعل سببا للتوقّى الى المراتب، و التوقّى عن المعاطب، عبّر عن تاركة و الغافل عنه بالأجذم،

و إنّما يخيل اليه بكلمة الأجذم الشنعة و اللفظ المستكره لأنّه إذا انقطع الجبل لم يكن تمسك، و إذا كانت اليد جذماء أيضا لم يمكن

التمسك، فأراد بذلك أن عدم حصول التمسك

(١) أمالى المرتضى ج ١ ص ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٤

و الإمساك إنّما هو لأمر راجع الى اليد الممسكة لا إلى الجبل، فإنّ الممدود من السماء الى الأرض و هو القرآن باق بحاله.

و يمكن أن يكون المراد من النسيان ترك العمل بما فيه من ولاية آل محمّد عليهم السّلام، كقوله تعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ «١»،

فيلقى الله تعالى حينئذ مقطوع اليد عن التثبيت بجبل ولائهم عليهم السّلام فإنّهم جبل الله المتين الذى أمرنا بالتمسك به.

و من أحكام القراءة: أنّه يستحب ختم القرآن فى ثلاث و صاعدا إلى شهر، مع الاهتمام فى إثارة الترتيل و حسن التدبّر و سائر

الوظائف على كثرة القراءة.

ففى «العيون» بالإسناد عن إبراهيم بن العباس، قال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شىء قطّ إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان فى الزمان الأوّل إلى وقته وعصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شىء فيجيب فيه، و كان كلامه كلّ، و جوابه، و تمثله انتزاعات من القرآن، و كان يختمه فى كلّ ثلاث و يقول عليه السلام: لو أردت أن أختمه فى أقرب من ثلاثة لختمت، و لكننى ما مررت بأية قطّ إلا فكّرت فيها، و فى أى شىء أنزلت، و فى أى وقت، فلذلك صرت أختم فى كلّ ثلاثة «٢».

و

فى «الإقبال» للسيد ابن طاوس رحمه الله عليه: عن وهب بن حفص، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: سألته: الرجل فى كم يقرأ القرآن؟

(١) الانعام: ٤٤.

(٢) العيون ج ٢ ص ١٨٠ ح ٤، الأمالى ص ٥٢٥ ح ١٤، و عنهما البحار ج ٤٩ ص ٩٠ ح ٣، و ج ٩٢ ص ٢٠٤ ح ١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٥

قال عليه السلام: فى ستّ فصاعدا، قلت: فى شهر رمضان؟

قال عليه السلام: فى ثلاث و صاعدا «١».

و

عن ابن قولويه باسناده إلى أبى عبد الله عليه السلام قال: «لا يعجبني أن يقرأ القرآن فى أقلّ من شهر» «٢».

و مثله فى «الكافى» عنه عليه السلام بعد ما قيل له: «أقرأ القرآن فى ليلة» «٣».

و

فيه بالإسناد: عن حسين بن خالد، عنه عليه السلام قال: قلت له: «كم أقرأ القرآن؟ قال عليه السلام: أقرأه أخماسا، أقرأه أسبعا، أما إنّ عندى مصحفا مجزّءا أربعة عشر جزءا «٤».

و

فيه: عن على بن أبى حمزة قال: سألت أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام و أنا حاضر، فقال له: جعلت فداك أقرأ القرآن فى ليلة؟ قال عليه السلام: لا، فقال: فى ليلتين؟ فقال: لا، حتّى بلغ ستّ ليال، فأشار بيده و قال: ها، ثم قال عليه السلام: يا أبا محمّد انّ من كان قبلكم من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله كان يقرأ القرآن فى شهر و أقلّ، إنّ القرآن لا يقرأ هذرمه، و لكن يرتل ترتيلا، إذا مررت بأية فيها ذكر النار و قفت عندها و تعوّذت بالله من النار، فقال أبو بصير: أقرأ القرآن فى رمضان فى ليلة؟

فقال عليه السلام: لا، فقال: فى ليلتين؟ فقال عليه السلام: لا، فقال: فى ثلاث؟ فقال عليه السلام: ها! و أوما بيده، نعم، إنّ شهر رمضان لا يشبهه شهر من الشهور، له حقّ و حرمة، أكثر

(١) إقبال الأعمال ص ١١٠ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٤ ح ٩.

(٢) الإقبال ص ١١٠ عن ابن قولويه.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٦١٧ ح ١.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦١٧ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٦

من الصلاة ما استطعت «١».

و مثله عنه بطريق آخر، و زاد بعد قوله: ترتيلا: «و إذا مررت فيها ذكر الجنة فقف عندها و سل الله الجنة» (٢).

و

فيه: عن علي بن المغيرة، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: إن أبي سأل جدك عليه السلام عن ختم القرآن في كل ليلة، فقال له جدك: في كل ليلة، فقال له: في شهر رمضان، فقال له جدك: في شهر رمضان فقال له أبي نعم ما استطعت، فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان، ثم ختمته بعد أبي، فربما زدت و ربما نقصت على قدر فراغى و شغلى و نشاطى، و كسلى، فإذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله صلى الله عليه و آله ختمة: و لعلي عليه السلام أخرى، و لفاطمة عليهما السلام أخرى، ثم للأئمة عليهم السلام حتى انتهيت إليك، فصيرت لك واحدة، منذ صرت في هذه الحال، فأى شيء لى بذلك؟ قال عليه السلام: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة، قلت: الله أكبر فلى بذلك؟ قال عليه السلام: نعم، ثلاث مرات (٣).

أقول: و قد استدلل به على استحباب إهداء ثواب القراءة الى النبي صلى الله عليه و آله، و الأئمة عليهم السلام و إلى المؤمنين من الأحياء و الأموات، و لا بأس بذلك، سيما بعد الاعتضاد بالاعتبار، و بعموم ما دل على من عمل من المسلمين من ميت عملا صالحا أضعف الله له أجره للذى يفعله و للميت، و خصوصا ما دل على إهداء خصوص السور لأهل القبور، و لمن يريد صلته من الأموات.

بل

في «دعوات» الزاوندى: عن ابن عباس: أن رجلا ضرب خباء على

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٨ ح ٥ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٢ ح ٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦١٧ ح ٢ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٦٢ ح ٤.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٨ ح ٤. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٧.

قبر، و لم يعلم أنه قبر، فقرا: تبارك الذى بيده الملك فسمع صالحا يقول:

هى المنجية، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و آله، فقال: «هى المنجية من عذاب القبر» (١).

و

عنه صلى الله عليه و آله: «من دخل المقابر و قرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ، و كان له بعدد من فيها حسنات» (٢).

و أما الإهداء للأحياء فلا بأس به بعد دلالة الخبر المتقدم عليه فى الجملة.

بل و

عن «مشكاة الأنوار» و «عده الداعى» عنه صلى الله عليه و آله: «ما يمنع أحدكم أن يبزر والديه حيين و ميتين، يصلى عنهما، و يتصدق عنهما، و يصوم عنهما، فيكون الذى صنع لهما، و له مثل ذلك فيزيده الله ببره خيرا كثيرا» (٣).

و من أحكام القرآن: أنه يستحب تصحيح المصحف من الأغلاط مادّة و هيئة إذا كان ملكا له، أو مأذونا من مالكه، و لو بالفحوى، أو شاهد الحال بل يستحب تصحيح المصحف الموقوفة للموقوف عليهم، أو بإذنهم إذا لم يؤد إلى تضييع الخطوط، أو الورقة بالمحو، و المزق، و الخرق.

و هل يجوز إثبات الساقط أو الممحوّ منها بالخط الذى دونها فى الحسن؟

الأقرب الجواز، إلا أن يكون بعيدا عن مجانسته جدّا أو بالغا فى الرذائى بحيث لا يكاد يقرأ.

و منها: أنه يستحب اتّخاذ المصحف فى البيت و تعليقه فيه، من غير أن يترك القراءة منه.

(١) الدعوات ص ٢٧٩ ح ٨١١ و عنه البحار ج ٨٢ ص ٦٤ ح ٨.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤٦ ح ٧ عن الكافي ج ٢ ص ١٥٩ مع تفاوت.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٨.

في «الكافي» و «ثواب الأعمال» عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّه ليعجبني أن يكون في البيت المصحف يطرد الله عزّ وجلّ به الشياطين» (١).

و

في «قرب الإسناد» عن الباقر عليه السلام، قال: «يستحبّ أن يعلّق المصحف في البيت، و يتقى به من الشياطين، قال: و يستحبّ أن لا يترك من القراءة فيه» (٢).

و

في «الكافي»: عن الصادق عليه السلام قال: «ثلاثه يشكون إلى الله عزّ وجلّ:

مسجد خراب لا يصلّى فيه أهله، و عالم بين جهّال، و مصحف معلق قد وقع عليه الغبار، لا يقرأ فيه» (٣).

و من أحكام القرآن: حرمة بيعه و شرائه، صرّح جماعة من الأصحاب بحرمتها، بل مطلق نقله، و انتقاله بالعقود المعاوضيه، كلّاً أو بعضاً، و لو ورقة منه، أو آية، أو كلمة.

و هو فتوى «النهاية»، و «السرائر» و «الشرائع» و «الدروس»، و «جامع المقاصد»، و غيرها، بل عن «نهاية الأحكام» منع الصحابة عنه.

و الأصل فيه أخبار مستفيضة ظاهرة، أو صريحة في تحريم بيعه.

و فيها كما في الفتاوى أنّه إنّما يباع الجلد و الورق، و غيرهما من الآلات.

ففي «الكافي» عن عبد الرحمن بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ المصاحف لن تشتري، فاذا اشترت فقل: إنّما أشتري منك

(١) الكافي ج ٢ ص ٦١٣ ح ٢- ثواب الأعمال ص ١٢٩ ح ١.

(٢) قرب الاسناد ص ٤٢ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٩٥ ح ٢.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦١٣ ح ٣. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٠٩.

الورق و ما فيه من الأدم و حليته و ما فيه من عمل يدك بكذا و كذا» (١).

قيل: و لعلّ المراد ما عملت يده ممّا عدا الكتابة.

و

عن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا- تبيعوا المصاحف، فإنّ بيعها حرام، قلت: فما تقول في شرائها؟ فقال عليه

السلام: اشتر منه الدفتين، و الحديد (٢)، و الغلاف، و إيباك أن تشتري منه الورق و فيه القرآن مكتوب، فيكون عليك حراماً، و على

من باعه حراماً (٣).

و لعلّ المراد في الخبر الأوّل حال التجرد، أو خصوص الأجزاء المجردة من كتابة القرآن، و في الثاني ما اشتمل عليه، و لذا قيل: إنّ

قوله: «و فيه القرآن»

يعنى تجعله المقصود بالشراء، فيلزم التحريم.

و

عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن بيع المصاحف و شرائها، فقال عليه السلام: لا تشتري

كتاب الله، و لكن اشتر الحديد، و الجلود، و الدفتين، و قل: اشتر هذا منك بكذا و كذا «٤».

و

عن عبد الله بن سليمان، قال: سألته عن شراء المصاحف، فقال عليه السلام: إذا أردت أن تشتري فقل: اشترى منك ورقه و أديمه و عمل يديك بكذا و كذا «٥».

أقول: و الذي يظهر من أخبار الباب بالتأمل وفاقا لبعض أجلة المحققين

(١) فروع الكافي ج ٥ ص ١٢١ و عنه الوسائل ج ١٧ ص ١٥٨.

(٢) الحديد الذي يعلق على جلد المصحف ليغلق و يقفل كما هو المشهود في زماننا (تعليقات الغفاري على الكافي).

(٣) الوسائل ج ١٧ / ١٦٠ عن التهذيب ج ٧ ص ٢٣١.

(٤) فروع الكافي ج ٥ ص ١٢١ ح ١ و عنه الوسائل ج ١٧ ص ١٥٨.

(٥) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ ح ٦ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٠

كصاحب الجواهر و غيره، بل و لظاهر الأكثر على ما تسمع أن النهي نهى تعظيم لا نهى تحريم، و ذلك لأن قضية تعظيم كتاب الله و كلامه أن لا يساوم في معرض البيع و الشراء، و لا يشتري بآيات الله ثمنا قليلا، بل يجعل البيع الصوري بالنسبة الى الجلد، و الغلاف، و غيرهما مما يتعلق به، و إن كان المقصود الأصلي هو الكتابة، بل يتفاوت البذل باختلافها في مراتب الجودة.

و بالجملة قضية الأصول و الإطلاقات و العموم جواز بيعه، بل عليه السيرة القطعية في سائر الأعصار و الأمصار، و إن اشتهر بين أهل العرف من جهة حسن الأدب تسمية بيعه أو ثمنه هديئة.

بل

في خبر عنبسة الوراق، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: أنا رجل أبيع المصاحف، فإن نهيتني لم أبعها؟ فقال عليه السلام: أ لست تشتري ورقا و تكتب فيه؟

قلت: بلى و أعالجها، قال عليه السلام: لا بأس بها «١».

بل و لعل فيه إشارة إلى إثبات المقتضى لجواز البيع و نفى المانع عنه، و ذلك أن كلاً من الورق و المداد الذي يكتب به كانا قبل الكتابة ملكا له، و مجرد الكتابة غير موجب لخروج شيء منهما عن ملكه، و لا لخروجهما عن قابلية الانتقال، سواء قلنا إن المكتوب و هو النقوش الواقعة على سطح الورق من الأعيان التي يكون بإزائها جزء من الثمن كما هو الأظهر، أو قلنا: إنها من الأعراض و الصفات التي تزيد بها قيمة الورق.

هذا مضافا الى أن ما يحرم بيعه أو نقله مطلقا إمّا أن يكون هو خصوص النقوش، أو النقوش بمحالتها من الورق، أو الورق المنقوش باعتبار موضع

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ عن الكافي ج ٥ ص ١٢٢ ح ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١١

الكتابة أو مطلقا، و هو على الوجوه كلها ملك للبايع قبل البيع، و أمّا بعده فإن بقي على ملكه فهو كما ترى لاستلزامه الشركة و توقّف جواز التصرف فيه على إذنه، و غيره ممّا لا يلتزم به أحد، و إن انتقل إلى المشتري بجزء من الثمن فهو المطلوب، أو تبعاً، أو مجاناً، أو قهراً فهو خلاف المقصود، بل لا أرى أحدا يلتزم بنفي خيار العيب و الغبن، و خلاف الوصف إذا اشتمل على أغلاط، و سقطات

كثيرة، أو اختلاف في خط، أو مخالفة للوصف أو غير ذلك، كما لا ينبغي أن يلتزم أحد بأن خط المصحف لا يدخل في الملك شرعا.

نعم الذى يظهر من الأخبار كراهة البيع الصورى بالنسبة اليه، تعظيما لكتاب الله تعالى، كما علق عليه النهى فى الأخبار، و أما صحته فلا- ينبغى التأمل فيها بعد ما سمعت من السيرة القطعية و غيرها و إطلاق الفتاوى فى مقام شرائط البيع و غيره، حتى فى مسألة بيع المصحف من الكافر الظاهر فى جواز بيعه من المسلم من غير تقييد بالآلات.

مضافا الى ما

فى خبر عبد الرحمن بن أبى عبد الله، عن أبى عبد الله عليه السلام: «أنَّ أمَّ عبد الله بن الحارث أرادت أن تكتب مصحفا فاشتريت ورقا من عندها و دعت رجلا فكتب لها على غير شرط، فأعطته حين فرغ خمسين دينارا، و أنه لم تبع المصاحف إلَّا حديثا» (١).

لظهوره فى كون السيرة حاصلة فى زمانه عليه السلام أيضا، و إن كانت فيه إشارة الى حسن الأدب للسلف الصالح حيث كانوا لا يشارطون الاجرة على الكتابة.

كما أشير إليه أيضا مع دلالة على المطلوب من وجهين، أو وجوه فى خبر

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٦٠ ح ١٠ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٢

روح بن عبد الرحيم قال: سألت الصادق عليه السلام من شراء المصاحف و بيعها، فقال عليه السلام: إنَّما كان يوضع الورق عند المنبر، و كان ما بين المنبر و الحائط قدر ما تمر الشاة، أو رجل منحرف، قال: فكان الرجل يأتى فيكتب من ذلك، ثم إنَّهم اشتروا بعد، قلت: فما ترى فى ذلك؟ فقال لى: أشتري أحبَّ إليَّ من أن أبيع، قلت: فما ترى أن أعطى على كتابته أجرا؟ قال عليه السلام: لا بأس، و لكن هكذا كانوا يصنعون (١).

و

خبر أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن بيع المصاحف و شرائها، فقال عليه السلام: إنَّما كان يوضع عند القامة (٢) و المنبر، قال: و كان بين الحائط و المنبر قيد (٣) ممر شاة أو رجل منحرفا، فكان الرجل يأتى و يكتب البقرة، و يجيء آخر و يكتب السورة، كذلك كانوا ثم اشتروا بعد ذلك، قلت: فما ترى فى ذلك؟

فقال عليه السلام: أشتريه أحبَّ إليَّ من أن أبيع (٤).

حيث إنَّ الاقتصار فى الصدر الأوّل على الكتابة دون البيع و الشراء إنَّما كان للتعظيم، ثم استمرت الطريقة على المعاملة. و قوله بعد السؤال عمّا جرت السيرة عليه من شراء:

«أن أشتري أحبَّ إليَّ من أن أبيع»

كالصريح فى جوازهما، و إن كان بذل الثمن بإزائه أحبَّ إليه من أخذه به.

(١) الوسائل ج ١٧ ص ١٥٩ ح ٤ عن الكافي ج ٥ ص ١٢١ ح ٣.

(٢) قال المحدث الكاشانى فى الوافى: أراد بالقامة الحائط فإنَّ حائط مسجد الرسول (ص) كان قدر قامته.

(٣) القيد: القدر- الصحاح- قيد ج ٢ ص ٥٢٩.

(٤) الوافى ج ٣ ص ٣٨- الوسائل ج ١٧ ص ١٦٠ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٣

و بالجملة لا ينبغي للفقهاء التأمل في الجواز مع الكراهة، و ان اختلفت شدة و ضعفا بالنسبة الى البيع و الشراء، حسبما يدل عليه الخبران، مضافا الى شهادة الإعتبار بذلك.

بل قد يقال: بكراهة بيع غير المصحف أيضا من الكتب المشتملة على بعض الآيات قلت أو كثرت.

بل و كتب الحديث المشتملة على أخبار أولياء الله الذين كلامهم كلام الله تعالى.

بل و كتب اللغة سيما المشتملة على تفسير لغات الكتاب و السنن، و أولى منها التفاسير و ان لم يشتمل على تمام الآية.

و كذا كتب الفقه المشتملة على الآيات و الأخبار، و الخطب سهل بعد ما سمعت، و التعظيم و الإكرام مطلوب في كل مقام.

هذا كله بالنسبة إلى بيعه من المسلمين، و أما بيعه من أعداء الدين فالمشهور بين المتأخرين عدم جواز بيعه من الكافر و لو على الوجه الذي يجوز بيعه من المسلم، لفحوى ما دلّ على عدم تملك الكافر للمسلم، من الآية و الخبر، و ان الإسلام يعلو و لا يعلى عليه.

مضافا إلى فحوى ما دلّ على وجوب التعظيم للشعائر، خصوصا القرآن، و حرمة الإهانة به، و نفى السلطنة و السبيل لهم، و أن في تملكهم له إهانة للإسلام، و أهله.

بل قد يلحق به أبعاضه و كلماته المتصلة المتفرقة، بل المقطعة المكتوبة بالحروف، أو الرقوم الهندية، أو الخطوط المختلفة الغربية جوهرية و عرضية،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٤

و لو بالانطباع و العكس، و منسوخ الحكم و غيره، و تمام الكلام فيه و في سائر الفروع في الفقه.

و منها: أنه يكره تذهيبه بمعنى استعمال الذهب المحلول في جداوله، و مفتتحات سوره و كتابه أعشاره، و أخماسه، و أجزاءه، و أعلام آياته، و وقوفه، و اختلافات قراءاته، و وجوه إعرابه، و بين سطوره، و أطراف صفحاته.

لموثق سماعة، قال: سألته عن رجل يعشّر المصاحف بالذهب، فقال عليه السلام: لا يصلح، قال: إنَّها معيشتي، فقال عليه السلام: إنَّك إن تركته لله جعل الله لك مخرجا «١».

و ربما يقال بالحرمة نظرا الى نفى الصلاحية في الخبر الظاهر في الحرمة و الفساد و على ما هو أظهر الأقوال فيه.

و فيه: أنه مع تسليمه ينبغي الخروج عنه، و لو لشهرة الفتوى و ظاهر الأخبار.

كخبر محمد بن الوراق، قال: عرضت على أبي عبد الله عليه السلام كتابا فيه قرآن معشّر بالذهب، و كتب بآخره سورة بالذهب، فأريته إياه، فلم يعجب فيه شيئا إلا كتابه القرآن بالذهب، فإنه قال عليه السلام: لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد كما كتب أول مرة «٢».

و فيه أيضا دلالة على استحباب كتابته بالسواد، دون غيره.

(١)

الوسائل ج ١٧ ص ١٦٢ ح ١ عن التهذيب ج ٦ ص ٣٦٦ و فيه: إنه معيشتي.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٢٩ ح ٨- التهذيب ج ٦ ص ٣٦٧ ح ١٧٧ و الوسائل عنهما ج ١٧ ص ١٦٢ ح ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٥

و

خير آخر: «لا بأس بتجليء المصاحف و السيوف بالذهب و الفضة» «١».

و نفى البأس صريح في نفى التحريم، و إن استفيدت الكراهة منه، أو من غيره على ما مرّ.

بل و ممّا

روى في كتاب «المختصر» للحسن بن «٢» سليمان، عن النبي صلى الله عليه و آله في علامات ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه قال:

«يكون ذلك إذا رفع العلم، و ظهر الجهل، و كثر القراء، و قلّ العمل و حليت المصاحف، و زخرفت المساجد» (٣).

(١)

الوسائل ج ٥ ص ١٠٥ عن الكافي ج ٦ ص ٤٧٥ ح ٣ و فيه: «ليس بتحلية المصاحف و السيوف بالذهب و الفضة بأس».

(٢) الحسن بن سليمان بن خالد الحلّي المجاز من الشهيد الأول سنة (٧٥٧) - الذريعة ج ٢٠ ص ١٨٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٠ عن كمال الدين ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٧

الباب الرابع عشر

في جملة من الفوائد التي ينبغي التنبيه عليها

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥١٩

و هي أمور:

الأول: أن القرآن شفاء من كلّ داء.

لا ريب في أن القرآن بجميع معانيه، و بطونه، و إشارات، و لطائفه و حقائقه شفاء من العيوب النفسية، و الأمراض القلبية التي هي الجهالات و الضلالات، و الانحرافات، و متابعة الأهواء النفسانية، و الوسوس الشيطانية، و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (١).

و

روى العياشي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنما الشفاء في علم القرآن لقوله: وَ نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ (٢) لأهله لا شكّ فيه و لا مرية» (٣).

و

في تفسير الإمام عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إنّ هذا القرآن هو النور المبين، و الحبل المتين، و العروة الوثقى، و الدرجة العليا، و الشفاء الأشفي، و الفضيلة الكبرى، و السعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، و من عقد به أموره عصمه الله، و من تمسك به أنقذه الله، و من لم يفارق أحكامه رفعه الله، و من استشفى به شفاه الله، و من آثره على ما سواه هداه الله، و من طلب الهدى في غيره أضله الله».

و قد مرّ كثير من الأخبار المتعلقة بالمقام في الباب الثاني.

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) تفسير الامام ص ٢٠٣ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣١ ح ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٠

تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ٥٣

و كما أن باطنه و معانيه، و علمه، و العمل به شفاء من الأمراض الباطنية كذلك ألفاظه و حروفه شفاء من الأمراض البدنية، ففي معانيه شفاء الروح و الجنان بنور العلم و الإيمان، و في ألفاظه شفاء الأبدان، و قوّة الأركان، بل و في كلّ من الأمرين كلّ من الأمرين، و لذا

يجوز بل يستحب الاستشفاء به من الأمراض الظاهرة و الباطنة.

و أما ما

في «البصائر» عن الحارث «١» النصرى قال: رأيت على بعض صبيانهم تعويذا، فقلت: جعلني الله فداك أما يكره تعويد القرآن يعلق على الصبي؟ قال عليه السلام: «إنّ ذا ليس بذا، إنّما ذا من ريش الملائكة، إنّ الملائكة تطأ فرشنا، و تمسح رؤس صبياننا» «٢».

فلا دلالة فيه على الكراهة تقريرا، و لا فحوى كما لا يخفى، سيما بعد تظافر الأخبار على الجواز، بل على الاستحباب.

ففي «طب الأئمة»: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رقية العقرب و الحية و النشرة و رقية المجنون و المسحور الذي يعذب؟ فقال:

يا بن سنان لا بأس بالرقية و العوذة و النشرة إذا كانت من القرآن، و من لم يشفه فلا شفاه الله تعالى، و هل شيء أبلغ في هذه الأشياء من القرآن، أو ليس الله يقول:

وَ نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ «٣»؟ أليس يقول الله جل ثناؤه: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ «٤»؟ سلونا نعلمكم و نوقفكم على قوارع القرآن لكل داء «٥».

(١) هو الحارث بن المغيرة النصرى البصرى الموثق الراوى عن الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٣٥٤ ح ١٢ عن البصائر ص ٢٦.

(٣) الإسراء: ٨٢.

(٤) الحشر: ٢١.

(٥) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٤ عن طب الأئمة ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢١

و

عنه عليه السلام في الرجل تكون به العلة فيكتب له القرآن فيعلق عليه أو يكتب له فيغسله و يشربه، قال: لا بأس به كله «١».

و

عنه عليه السلام: «لا بأس بالتعويد أن يكون على الصبي و المرأة» «٢».

و

عن الحلبي، قال: سألت جعفر بن محمد عليهما السلام هل نعلق شيئا من القرآن و الرقى على صبياننا؟ فقال عليه السلام: نعم إذا كان في أديم تلبسه الحائض، و إذا لم تكن في أديم لم تلبسه المرأة «٣».

و

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن التعويد يعلق على الصبيان، فقال عليه السلام: علقوا ما شئتم إذا كان فيه ذكر الله تعالى «٤».

و

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: أيتعوذ بشيء من هذه الرقى؟ قال عليه السلام: لا، إلّا من القرآن، إنّ علينا عليه السلام كان يقول: إنّ كثيرا من الرقى و التمام من الإشراك «٥».

و

عن الصادق عليه السلام: «إنّ كثيرا من التمام شرك» «٦».

أقول: و ذلك لما فيه من التوسل بغير الله، و لو بالأرقام و الخطوط و اللغات التي لا معرفه بها لعامة الناس، و قد بقي كثير منها عند

ضعفهُ الناس، و غنائهم و عوامهم و نسوانهم، بل عند الأبحار، و الرهبان، و القسيسين، و غيرهم ممن يرجع إليهم ضعفهُ الناس في ذلك، فإنّ منهم من كان يفزع في مهمّات أموره الى صور الكواكب و هياكلها، و منهم من يستمدّ من روحانياتها و قوبها، و الملائكة

(١) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٦ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

(٢) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٧ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٥ ح ٨ عن طبّ الأثمة ص ٤٩.

(٤) البحار ج ٩٤ ص ١٩٢ ح ٢ عن قرب الاسناد ص ٥٢.

(٥) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٣ عن طبّ الاثمة ص ٤٨.

(٦) البحار ج ٩٥ ص ٥ ح ٤ عن طبّ الاثمة ص ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٢

الموكلين بها.

و منهم من يستمدّ من النور و الظلمة.

و منهم من يرجع الى الأرواح الظلمانية، و القوى الناسوتية.

و منهم من يرى التأثير في قوى الحروف و الألفاظ و الأشكال و الأعداد، و تمزيج القوى السالفة بالصور العالية.

و عبدة الأصنام كانوا يرجعون الى أصنامهم و يتقربون بها.

و بالجملة كان الناس في الجاهلية على فرق شتى في الإلحاد و الكفر و الشرك و قد بقيت عندهم كثير من الآداب و العادات و الرسوم

التي تنتهى إليها عند التأمل فلا تغفل.

قال ابن الأثير في «النهاية»: قد تكرر ذكر الرقية، و الرقا، و الرقى، و الاسترقاء في الحديث، و الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة

كالحمى، و الصرع، و غير ذلك من الآفات، و قد جاء في بعض الأحاديث جوازها، و في بعضها النهى عنها، و الأحاديث في القسمين

كثيرة.

و وجه الجمع بينهما، أنّ الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى، و بغير أسماء الله و صفاته و كلامه في كتبه المنزل، و أن يعتقد

أنّ الرقيات نافعة لا محالة فيتكل عليها، و إياها أراد

بقوله صلى الله عليه و آله: «ما توكل من استرقى» (١).

و لا يكره منها ما كان في خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن و أسماء الله تعالى و الرقى المروية. و لذا

قال صلى الله عليه و آله للذى رقى بالقرآن و أخذ عليه أجرا: «من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق» (٢).

و

كقوله صلى الله عليه و آله في حديث جابر: «اعرضوها علىّ فعرضناها، فقال (ص): «لا

(١) الإتحاف ج ٩ ص ٣٨٩.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤١٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٣

بأس بها إنّما هي موثيق» (١).

كأنه صلى الله عليه و آله خاف أن يقع فيها شيء ممّا كانوا يتلفظون به و يعتقدونه من الشرك في الجاهلية، و ما كان بغير اللسان

العربى ممّا لا يعرف له ترجمه، و لا يمكن الوقوف عليه فلا يجوز استعماله.

و أمّا

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَا رَقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَّةٍ» (٢) «٣»

فمعناه لا رقية أولى و أنفع، كما

قيل: لا فتى إلا على عليه السلام.

وقد أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غير واحد من أصحابه بالرقية، و سمع بجماعته يرقون فلم ينكر عليهم.

و أمّا الحديث الآخر في صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب:

«الذين لا يسترقون و لا يكتون، و على ربهم يتوكلون» (٤).

فهذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، و تلك درجة لا يبلغها إلا الخواص، و أمّا العوام فمرخص لهم في التداوى و المعالجات (٥).

أقول: و ذلك بأن يكون الاعتماد فيها على الله سبحانه الذي جعل فيها تلك الآثار، كالاصطلاء بالنار، ثم بأن يرى الآثار منه سبحانه من دون الوسائط و إن كان الإفاضة منه سبحانه عند دعاء العبد، أو توسله بتلك الأمور، بل بالدعاء أيضا من جهة محض العبودية و الذلة، و إظهار الانقياد و الطاعة، مع أن الإغماض الكلي عن المقاصد أو عن التوسل إليها بمثل هذه الأمور، ثم بعدها مراتب آخر

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ١١١.

(٢) سنن أبي داود ح ٣٨٨٤- و سنن الترمذى ح ٢٠٥٧.

(٣) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٠٦.

(٤) نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٤-٢٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٤

سنشير إليها في تفسير الآيات المتعلقة بالدعاء إنشاء الله تعالى.

و كيف كان فقد ورد في كثير من الأخبار الاستشفاء و الاسترقاء بكثير من الآيات.

ففي «الكافي» عن الأصعب بن نباته عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: و الذي بعث محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ، و أكرم أهل بيته ما من شيء يطلبونه «١» من حرز، أو غرق، أو سوق، أو إفلات دابة من صاحبها، أو ضالته، أو آبق الآ و هو في القرآن، فمن أراد ذلك فليستلني منه.

قال: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عما يؤمن من الحرق و الغرق فقال عليه السلام: اقرأ هذه الآيات: إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ «٢» وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ «٣»، فمن قرأها فقد أمن الحرق و الغرق، قال: فقرأها رجل، فاضطربت النار في بيوت جيرانه، و بيته و سطحها، فلم يصبه شيء.

ثم قال إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت عليّ، و أنا منها على وجل، فقال: اقرأ في اذنها اليمنى: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ «٤» فقرأها فذلت له دابته.

و قام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين إن أرضي مسبعة، و إن السباع تغشى منزلي و لا تجوز حتى تأخذ فريستها «٥»، فقال: اقرأ:

(١) في المصدر: تطلبونه.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٣) سورة الزمر: ٦٧.

(٤) آل عمران: ٨٣.

(٥) الفريسة (بفتح الفاء) ما تفترسه و تصتاده السبع. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٥

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ «١» فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ «٢» فقرأهما الرجل فاجتنبته السباع.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين إن في بطني ماء أصفر «٣»، فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم ولا دينار، ولكن أكتب على بطنك: آية الكرسي.

و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيرة في بطنك، فتبرأ بإذن الله عزّ و جلّ، ففعل الرجل، فبرئ بإذن الله.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالّة، فقال: اقرأ يس في ركعتين، و قل: يا هادي الضالّة ردّ عليّ ضالّتي، ففعل، فردّ الله عزّ و جلّ عليه ضالّته.

ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق، فقال: اقرأ:

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَيَّحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ فقالها الرجل فرجع إليه الآبق.

ثم قام إليه الآخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن السرّيق، فإنّه لا يزال قد يسرق لى الشىء بعد الشىء، ليلا، فقال عليه السلام: اقرأ إذا أويت إلى فراشك: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تُخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) التوبة: ١٢٩.

(٣) هي الصغراء التي تدفع من المئانة ممزوجة بالبول. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٦

«١».

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: من يأت بأرض قفر فقرأ هذه الآية: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ «٢» حرسه الملائكة و تباعدت عنه الشياطين.

قال: فمضى الرجل، فاذا هو بقريّة خراب فبات فيها، فلم يقرأ هذه الآية فتغشاه الشيطان، فاذا هو أخذ بخطمه «٣»، فقال له صاحبه: أنظره و استيقظ الرجل، فقرأ الآية، فقال الشيطان لصاحبه، أرغم الله أنفك أحرسه الآن حتى يصبح، فلما أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، و قال له: رأيت في كلامك الشفاء و الصدق، و مضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض.

«٤».

قسّم ابن فهد في «عدّة الداعي» هذا الباب من القرآن الى ثلاثة أقسام:

الاستشفاء، و الاستكفاء، و ما يتعلّق بإجابة الدعاء.

و روى في الأول

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَّهُ شَكَكَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَجَعَا فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ (ص): اسْتَشَفَّ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ «٥». «٦»

(١) الإسراء: ١١٠-١١١.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) الخطم بفتح الخاء: أنف الإنسان، منقار الطائر.

(٤) أصول الكافي ج ٢ من الطبع الحديث ص ٦٢٤-٦٢٦.

(٥) سورة يونس: ٥٧.

(٦) عدّة الداعي ص ٢٧٤-الكافي ج ٢ ص ٦٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٧

و

عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «شَفَاءُ أُمَّتِي فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ لَعْقَةً «١» مِنْ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَهُ حِجَامٍ «٢».

و

عن الباقر عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَبْرَأْهُ الْحَمْدُ لَمْ يَبْرَأْهُ شَيْءٌ» «٣».

و

عن أبي الحسن عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَرِيضٍ، أَوْ مَحْمُومٍ، كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَمَى بَرْدًا وَسَلَامًا، وَ مِنْ كِتَابِهَا فِي مَهْدٍ مَرْتَضِعٍ عِنْدَ مَنَامِهِ لَمْ يَخْفِ الْفَالَجُ، وَ مِنْ قَرَأَهَا دَبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذُو حَمَةٍ» ..، وَ مِنْ قَرَأَهَا عِنْدَ كُلِّ فَرَضٍ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ خِصْمٍ لَهُ «٤».

و في القسم الثاني

روى عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «مَنْ اسْتَكْفَى بِآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ كَفَى إِذَا كَانَ لَهُ يَقِينٌ» «٥».

و

عنه عليه السلام: «يَا مَفْضَلُ احْتَجِزْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَ بَ قَلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اقْرَأْهَا عَنْ يَمِينِكَ، وَ عَنْ شِمَالِكَ، وَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، وَ مِنْ خَلْفِكَ، وَ مِنْ فَوْقِكَ، وَ مِنْ تَحْتِكَ، وَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ حِينَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فَاقْرَأْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَ اعْقِدْ بِيَدِكَ الْيَسْرَى ثُمَّ لَا تَفَارِقْهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ» «٦».

ثم ذكر للحفظ من السراق: يقرأ حين يأوى إلى فراشه: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ «٧» إلى آخر السورة ثم يقول:

(١) اللعقة (بضم اللام و سكون العين): ما يؤخذ بالملعقة أو بالأصبع.

(٢) عدّة الداعي ص ٢٧٤ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ ح ٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٢٦ و عنه الوسائل ج ٤ ص ٨٧٤ ح ٣.

(٤) عدّة الداعي ص ٢٧٤.

(٥) عدّة الداعي ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ ح ٢.

(٦) عدّة الداعي ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣٥١ ح ٢٢.

(٧) الإسراء: ١١٠-١١١. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٨

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴿١﴾.

و

عنهم عليه السّلام: «من قرأ هاتين الآيتين حين يأخذ مضجعه لم يزل في حفظ الله تعالى من كلّ شيطان مرید و جبار عنيد الى أن يصبح» ﴿٢﴾.

و

أنّ قراءة إنا أنزلناه في ليله القدر على ما يدخر و يخبأ حرز له» ﴿٣﴾.

و

أنّ قراءة آية السخرة و هي إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... الى آخرها ﴿٤﴾ حرز عن الشياطين كما في الخبر المتقدم ﴿٥﴾.

و

عن النبي صلّى الله عليه و آله: «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، و آية الكرسي و آيتين بعدها، و ثلاث آيات من آخر السورة لم ير في نفسه و ماله شيئاً يكرهه، و لا يقربه شيطان، و لا ينسى القراءة» ﴿٦﴾.

و

عن الصادق عليه السّلام: «من دخل على سلطان يخافه فقرأ عند ما قابله:

«كهيعص» و يضم بيده اليمنى كلما قرأ حرفاً ضم أصبعاً، ثم يقرأ: «حمعسق» و يضم أصابع يده اليسرى كذلك، ثم يقرأ: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٧﴾ و يفتحها في وجهه كفى شره» ﴿٨﴾.

و

عن أبي الحسن عليه السّلام: «إذا خفت أمراً فاقراً مائة آيد من القرآن من حيث

(١) البقرة: ٧.

(٢) عدّة الداعي ص ٢٧٥ ح ٣ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٨٢ ح ٣.

(٣) عدّة الداعي ص ٢٧٥ ح ٤ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٣٢٩ ح ٩.

(٤) الأعراف: ٥٤.

(٥) العدّة ص ٢٧٥ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٧٦ ح ٢.

(٦) الكافي ج ٢ ص ٦٢١ ح ٥- العدّة ص ٢٧٦ ح ٦.

(٧) طه: ١١١.

(٨) عدّة الداعي ص ٢٧٦ ح ٧ و عنه البحار ج ٩٢ ص ٢٨٤ ح ٢. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٢٩

شئت، ثم قل: اللهم صلّ على محمد و آل محمد، و ادفع عني البلاء، ثلاث مرّات» ﴿١﴾.

و

عن الرضا عن أبيه عن مولانا الصادق عليهم السّلام للاحتجاب عن الأعداء و الكفّار، و لسلامة النفس و المال: ثلاث آيات: آية في النحل: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢﴾.

و آية في الكهف: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٣﴾.

و آية في الجاثية: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾.

قال الكسروى «٥»: فعلمتها رجلا من أهل همدان كانت الديلم أسرته فمكث فيهم عشر سنين، ثم ذكر الثلاث الآيات، قال: فجعلت أمر على محالهم و على مراصدهم فلا يرونى، و لا يقولون شيئا، حتى إذا خرجت الى أرض الإسلام. قال أبو المنذر: و علمتها قوما خرجوا فى سفينة من الكوفة الى بغداد، و خرج معهم سبع سفن، فقطع على ست و سلمت السفينة التى قرئ فيها هذه الآيات.

(١) عدّة الداعى ص ٢٧٦ ح ٨.

(٢) النحل: ٥٧.

(٣) الكهف: ١٠٨.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) هو أبو عمران موسى بن عمران الكسروى. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٠

و روى أيضا أن الرجل المسؤل عنه هذه الآيات هو الخضر عليه السلام «١».

و لحلّ المربوط يكتب فى رقعة و يعلق عليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا «٢»، ثم يكتب سورة النصر ثم يكتب: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ «٣» ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «٤» ففتحننا أبواب السماء بماء منهمرٍ وَ فجزنا الأرض عُيُونًا فَالتقى الماء على أمرٍ قد قدر «٥» قال ربّ اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى و اخلل عقده من لسانى يفقهوا قولى «٦» وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فى بَعْضٍ وَ نَفَخَ فى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا «٧» كذلك حللت فلان بن فلان عن فلان بنت فلان لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤفٌ رحيمٌ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت و هو ربّ العرش العظيم «٨». «٩» و فى القسم الثالث: أى ما يتعلق بإجابة الدعاء، ما يأتى فى فضائل الحمد.

و

فى بعض الروايات: أن الدعاء بعد قراءة الجحد عشر مرّات عند طلوع

(١) عدّة الداعى ص ٢٧٧ ح ٩.

(٢) الفتح: ١-٢.

(٣) الروم: ٢١.

(٤) المائدة: ٢٣.

(٥) القمر: ١١-١٢.

(٦) طه: ٢٥-٢٨.

(٧) الكهف: ٩٩.

(٨) التوبة: ٢٨-٢٩.

(٩) عدّة الداعى ص ٢٧٧. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣١

الشمس من يوم الجمعة مستجاب «١».

و

أن من قرأ مائة آية من أى آى القرآن شاء، ثم قال: يا الله، سبع مرّات، فلو دعاها على صخرة لفلقها الله تعالى «٢».

ثم

روى ابن فهد فى خواص القرآن المتفرقة عن الصادق عليه السلام: «ما من عبد يقرأ آخر الكهف «٣» إلّا تيقظ فى الساعة التى يريد» «٤».

و

عن النبى صلّى الله عليه وآله: «من قرأ هذه الآية: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... الآية و سطع له نور الى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتى يصبح» «٥».

أقول: خواص الآيات القرآنية و منافعها الماثورة عن النبى و الائمة عليهم الصلاة و السلام فضلا عن غيرها ممّا ذكره المجربون كثيرة جدا منفردة بتصانيف جمّة و لعلنا نشير الى كثير ممّا وجدنا منه من الأخبار فى مطاوى هذا التفسير مع الإشارة الى خواص السورة و غيرها إنشاء الله تعالى.

الأمر الثانى ممّا ينبغى التنبيه عليه: أنه لأى علة يخالف خطّ القرآن لغيره فى القواعد و الرسوم.

لا يخفى أن الأصل فى كلّ كلمة فى أى لغة من اللغات أن تكتب بصورة لفظها على تقدير الابتداء بها و الوقوف عليها، إلّا أن كثيرا من الكلمات فى الخطّ العربى ليست جارية على الأصل الذى هو متابعه اللفظ، و قد يحذف من الكتابة ما يثبت فى اللفظ، كالألف من (الله) و (الرحمن)، و اللام فى مفردات الموصولة

(١) العدة ص ٢٧٨ ح ٢ و عنه البحار ج ٨٩ ص ٣٦١.

(٢) العدة ص ٢٧ ح ٣- و البحار ج ٩٢ ص ١٧٦ عن المكارم ص ٣٩٠.

(٣) فى الكافى بعد كلمة (الكهف): عند النوم.

(٤) الكافى ج ٢ ص ٦٣٢-٢١ العدة ص ٢٨٠ ح ١٢.

(٥) الفقيه ج ١ ص ٤٧٠ ح ١٣٥٥- العدة ص ٢٨٢ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٢

دون تشنيتها.

و قد يثبت فى الكتابة ما ليس فى اللفظ كالالف بعد واو الجمع المتطرّفة، و الواو فى (عمرو) و أولئك) و (أولو الألباب).

و ربما وصلوا حرفا بحرف نحو بما، و ممّا.

و ربّما أبدلوا حرفا من حرف مع إبقاء صورة الأصل كلام التعريف المبدلة عند الحروف المعدودة.

و ربما يكتب الكلمة بالواو و الياء، و يكون اللفظ بالألف، كالصلاة و الزكاة، فيقرأ فى التلفظ: الصلاة و الزكاة، و كذا (حتى)، و

(إلى)، و (على)، و (متى)، و (موسى)، و (عيسى) و (يحيى).

الى غير ذلك ممّا تعرّض له المتصدّون لذلك فى علم الخطّ الذى لا يهتّمنا تعرّض له، و إنّما المقصود فى المقام: أنه لما عمّت البلية

على أمة خير البرية، و كان ما كان ممّا لست أذكره،

جلس مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى بيته مشتغلا بجمع القرآن و تأليفه بوصية النبى صلّى الله عليه وآله فلما جمعه كما انزل و

لم يكن يعلم ذلك غيره أتى به إلى الناس فقال لهم: هذا كتاب الله انزل، فقال بعضهم: لا حاجة لنا إليك و لا الى قرآنك،

و كان القرآن عندهم يومئذ متفرقا في الأكتاف والأخشاب والألواح، و كان عند بعضهم السورة و السورتان أو أقل أو أكثر، إلى أن أمروا زيد بن ثابت بجمعه، و كتب عثمان في أيام خلافته نسخا منه بخطه الذي يخالف رسم الخط و القواعد العربية، مثل كتابة الألف بعدوا و المفردة، و عدمها بعدوا و الجمع، و مثل كتابة التاء من كلمة واحدة كرحمة، و نعمة، مدورة في بعض المواضع، و مطولة في بعضها، و كتابة اللام الجارة، و (إن) مشددة أو مخففة، و (عن) و غيرها موصولة بما بعدها و مفصولة عنها الى غير ذلك مما أفردوه بالتصنيف.

بل قد روت العامة أن عثمان لما علم أن فيما كتبه من القرآن لحنا كثيرا قال:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٣

أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها «١».

فوا عجبا هل كان هذا اللحن من الله، أو من رسوله، أو أن الخليفة لم يعلم كيفية الكتابة و القراءة فأخطأ فيهما، و التمس من العرب إقامتها بألسنتها، و من هنا اختلفت كلماتهم في الجواب عن الخبر، فردّه بعضهم «٢» بالضعف و عدم الثبوت.

و أوله آخرون بأن المراد اشتمال القرآن على الإشارات و الرموز التي سيطلع عليها الآخرون.

و قال ثالث: إن معنى الخبر: أرى فيه مواضع من الرسم الاصطلاحي في صورة خط يخالف اللفظ لو قرأت لكان لحنا.

و الكل كما ترى.

و ذكروا أيضا: أنه كتب عثمان مصحفا لنفسه، و نسخ منه أربعة نسخ و سبورها إلى الكوفة و البصرة و الشام، و أبقى مصحفا منها بالمدينة و هو المعتمد عندهم بالمدنى العام، و يعتبرون عن النسخة الاولى بالمصحف الإمام.

و قيل: سبّر نسخة خامسة إلى مكة، و سادسة إلى البحرين، و سابعة إلى اليمن.

و كان المصاحف خالية عن النقط، و التشديد، و الإعراب، و كانت هذه المصاحف أيضا مختلفة، كما عن الجزرى الشافعى، و غيرهم من علمائهم، و صرح به بعض فضلائهم في شرح أرجوزة مؤلفه في اختلاف الرسم و ذكروا الاختلافات الواقعة بين المصاحف مع التنبيه على ما في مصحف إمامهم.

(١) كنز العمال ج ٢ ص ٥٨٦.

(٢) قال ابن الأنبارى: حديث عثمان لا يصح لأنه غير متصل، و محال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده - تفسير ابن تيمية ج ٥ ص ٢٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٤

و اختلفوا أيضا في أن المصحف الإمام هل كان موجودا عندهم أم لا، فحكوا عن أبي عبيدة القاسم بن سلام في كتابه المؤلف في القرآن: أن بعض الأمراء أخرج لى من خزائنه مصحف عثمان المرسوم بخطه لعلّوا منزلتى و رتبتي عنده، و كان ذلك المصحف في حجره حين أصيب، و رأيت آثار الدم في مواضع منه.

الأمر الثالث: في سجدة القرآن، و هى خمس عشرة:

منها أربع عزائم يجب فيها السجود إجماعا من الإمامية بل و غيرهم من الامّة، و نصا مستفيضا من الأئمة عليهم السلام، و هو بين أمر بالسجدة عندها، و مشتمل على إطلاق العزيمة الظاهرة، بل الصريحة في الواجب عليها.

ففى خبر أبى بصير عن الصادق عليه السلام: «إذا قرئ شىء من العزائم الأربع فسمعتها فاسجد» «١».

و

فى صحيح أبى عبيدة الحداء: «إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل فى سجوده: «سجدت لك تعيدا و رقبا لا مستكبرا عن

عبادتك ولا مستنكفا ولا متعظما، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير» (٢).

و

في صحيح داود بن سرحان عنه عليه السلام: «إِنَّ الْعَزَائِمَ الْأَرْبَعُ: أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ وَ النَّجْمِ وَ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَ حَمِّ السَّجْدَةِ» (٣).

و

في «مجمع البيان» عن ابن سنان، عنه عليه السلام قال: «العزائم: الم تنزيل، و حم السجدة، و النجم إذا هوى، و إقرا باسم ربك، و ما عداها في جميع القرآن مسنون

(١) التهذيب ج ١ ص ٢١٩.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٤٠ ح ١ عن الخصال ج ١ ص ١٢٠. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٥

و ليس بمفروض» (١).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة في وجوبها للأربع التي لا ينبغي التأمل معها في أصل الحكم سيما بعد الإجماع عليه بل الضرورة.

فلا ينبغي الإصغاء الى وسوسة بعض المتأخرين في ثبوت أصل الحكم لضعف الدليل دلالة، و لا الى تكلف من استدلل له بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب فيما عدى (الم) منها، أما فيها فبحصر المؤمن بآياته بمن إذا ذكرها سجد، المقتضى لسلب الإيمان عند عدم السجود.

إذا التصدى لمثل هذا الاستدلال فضلا عن الإطناب فيه بالقياس و القال بعد ظهور الحال لا يليق بالمحصلين فضلا عن أهل الكمال.

و محلل السجود في الجميع بعد إتمام الآية، حتى في حم السجدة، إجماعا منا (٢)، و توهم الخلاف فيها في غير محلله على ما تسمعه في محلله إنشاء الله.

و أما غير العزائم فأحدى عشر:

١- الأعراف عند قوله تعالى: وَ لَهُ يَسْجُدُونَ آية: ٢٠٦.

٢- الرعد عند قوله تعالى: وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ ١٥.

٣- النحل عند قوله تعالى: وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥٠.

٤- الإسراء عند قوله تعالى: وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعًا: ١٠٩.

٥- مريم عند قوله تعالى: خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكْيًا: ٥٨.

٦- الحج عند قوله تعالى: يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ: ١٨.

٧- الحج عند قوله تعالى: وَ أَفْعَلُوا الْخَيْرَ: ٧٧.

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥١٦ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٦٩.

(٢) قال المحقق في المعتمد: قال الشيخ في الخلاف: موضع السجدة في حم السجدة عند قوله: «و اسجدوا لله» و قال في «المبسوط»: «ان كنتم إياه تعبدون» و الأول أولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٦

٨- الفرقان عند قوله تعالى: وَزَادَهُمْ نُفُورًا: ٦٠.

٩- النمل عند قوله تعالى: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦.

١٠- ص عند قوله تعالى: وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤.

١١- الانشقاق عند قوله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢٢.

و هذا التفصيل و إن خلت عنها خصوص الأخبار، إلّا أنك قد سمعت فيما رواه الطبرسي: «إن ما عداها (اي الأربع العزائم) في جميع القرآن مسنون» (١).

و

عن مستطرفات «السرائر»: كان علي بن الحسين عليهما السلام يعجبه أن يسجد في كل سورة فيها سجدة» (٢).

و

عن «العلل» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام: «إن أبي عليه السلام ما ذكر لله تعالى نعمه عليه إلّا سجد، و لا قرأ آية من كتاب الله عزّ و جلّ فيها سجدة إلّا سجد ... الى أن قال: فسَمِيَ السَّجَادَ لذلك» (٣).

الى غير ذلك من الفحوى و الظواهر، فضلا عن الإطلاقات و العمومات، سيّما مع ما قرّر في محله من التسامح في أدلته السنن و الكراهة.

و لعلّه لما سمعت ذهب ابن بابويه الى استحباب السجدة في كل آية فيها سجدة حتّى في مثل يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي (٤).
و تبعه في ذلك كاشف الغطاء، و ليس ببعيد عندي، لما سمعت من عموم المعتره المتقدّمة، و غيرها.

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥١٦.

(٢) السرائر ص ٤٩٦ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٧٠.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٢ و عنه البحار ج ٨٥ ص ١٧١.

(٤) آل عمران: ٤٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٧

و حملها على السجدة المعروفة لا- شاهد عليه، مضافا إلى أنه مردود بظاهر العموم، فالأقرب استحبابها في سورة التوبة: الرَّاكَعُونَ السَّاجِدُونَ

١١٢.

و في سورة البقرة: وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: ١٢٥.

و في سورة الحج: وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: ٢٦.

و في الزمر: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا: ٩.

إلى غير ذلك من المواضع.

و أمّا أحكام سجدة التلاوة و كيفيتها فهي بتفاصيلها و أدلتها مذكورة في الفقه.

الأمر الرابع: في الاستخارة بالقرآن و غيره.

الإستخارة على ما في «القاموس» و «النهاية» و «المصباح» طلب الخير من الله تعالى، من باب الاستفعال، من خار الله تعالى في الأمر يخير خيرة، بسكون الياء، و خيرا، و خيرة كعنب و عنبة: جعل له فيه الخير، أو هداه إليه بالإلهام من عنده، أو إرشاد من غيره، و الخيرة بسكون الياء و تحريكها اسم من الإختيار أيضا.

و ما يقال من أن الإستخارة هي الدعاء فكأن المراد أنه طلب الخيرة بالتوسل إلى الله تعالى بالدعاء و الصلاة و غيرهما.
و الأخبار على الحث و الترغيب اليه و كراهة تركه كثيرة جدًا:
فعن الصادق عليه السلام: أنه قال: «ما أبالي إذا استخرت الله على أي طرفي وقعت، قال: و كان أبي يعلمني الإستخارة كما يعلمني
السورة من القرآن» (١).

(١) فتح الأبواب ص ١٤٨- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٣ و فيه بعد ذكر الحديث: قوله: (على أي طرفي) أي طرفي الراحة و البلاء، أو
الحياة و الموت، أو الأمر الذي أتردد فيه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٨

و

عنه عليه السلام، قال: ما استخار الله عبد مؤمن إلّا خار له و إن وقع ما يكره (١).

و

عنه عليه السلام: «من دخل في أمر بغير استخارة، ثم ابتلى لم يؤجر» (٢).

و

عنه عليه السلام: قال: قال الله عزّ و جلّ: «إنّ من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال: لا يستخيرني» (٣).

بل

ورد عنهم عليه السلام: «أنّ من استخار الله مرّة واحدة، و هو راض بما صنع الله به، خار الله له حتما» (٤).

و ورد أنّه ينبغي أن يكون الإستخارة و ترا، كما

في النبوي: «من استخار فليوتر» (٥). «٦»

و ينبغي أيضا أن تكون خيرة في عافية كما

عن الصادق عليه السلام: أنّه قال: «و لتكن استخارتك في عافية فإنّه ربما خير للرجل في قطع يده، و موت ولده، و ذهاب ماله» (٧).

الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة فيها بمعانيها المختلفة:

منها: طلب الخيرة من الله تعالى بمعنى أن يسأل الله تعالى في دعائه أن يجعل الخير، و البركة، و التوفيق له في الأمر الذي يريد.

و منها: أن يسأل الله تعالى تيسر ما يريد من الأمر بعد تعيينه.

و منها: أن يطلب العزم على ما فيه الخيرة عند التردد في الأمر.

(١)

فتح الأبواب ص ١٤٩ و فيه: و إن وقع فيما يكره

- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٤.

(٢) فتح الأبواب ص ١٣٥- البحار ج ٨٨ ص ٢٢٣.

(٣) فتح الأبواب ص ١٣٢- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٢٢ عن المقنع و فتح الأبواب.

(٤) المحاسن ص ٥٩٨- فتح الأبواب ص ٢٥٧ و فيه: و هو راض به.

(٥) أوتر الشيء: جعله و ترا اي فردا.

(٦) المحاسن ص ٥٩٩- بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٦٢ عن المحاسن.

(٧) فتح الأبواب ص ٢٣٢- الكافي ج ٣ ص ٤٧٢- تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٣٩

و منها: أن يطلب تعرّف ما فيه الخيرة.

و في كلّ منها كفيّات و آداب، و وظائف كثيرة من الغسل و الصلاة و الدعاء و غير ذلك، مذكورة في كتب الأخبار و الأدعية و الفقه.

و للاستخارة بمعنى الأخير (اي طلب تعرّف ما فيه الخير) وجوه كثيرة من الاستخارة بالمصحف، و ذات الرقاع الستّ، و الرقعتين المشتملتين على (لا) و (نعم)، أو (افعل) و (لا تفعل) في بندقتين، و القبض على السبحة مطلقا، أو خصوص الحسينيّة، أو القبض على الكفّ من الحصى، أو الحبوب أو غيرها، و لكلّ منها طرق مذكورة في مواضعها إلّا أنّ المقصود بالذكر في المقام هو الإستخارة بالمصحف التي ورد فيها

عن الصادق عليه السّلام في خبر اليسع «١» القمي: «افتح المصحف فانظر الى الأوّل ما ترى فيه فخذ به إنشاء الله تعالى «٢».

و ضعفه سنداً مدفوع باشتهار العمل به بين الإماميّة، و إمكان الاعتضاد بالعمومات المتقدّمة، مع أنّه ربما يشاهد في كثير من الاستخارات سيّما بالمصحف الشريف شبه الإلهام، بل أنّه عندى جزء من أجزاء النبوة التي اختصّ بها سيّد الأنام، أو بقيّة ممّا تركه آل محمّد و على عليهم السّلام فإنّي رأيت كثيرا المطابقة التامة بين مفاد الآية فوق الصفحة مع الأمر الذي أستخير له، بل لو شئت لقلت: إنّ بعض محبيهم عليهم السّلام كثيرا ما يطلب منه الاستخارة من غير اطلاع له على المقصد،

(١) هو اليسع بن عبد الله القمي روى عن الصادق عليه السّلام، و روى الحسن بن الجهم، و هو على ما صرّح به غير واحد من أرباب التراجم مجهول، انظر معجم رجال الحديث ج ٢٠ رقم (١٣٧٠٢).

(٢)

التهذيب ج ١ ص ٣٤٠ و رواه المجلسي قدّس سرّه في بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤٣ عن كتاب الغايات ... عن أبي علي اليسع بن عبد الله القمي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: انظر إذا قمت الى الصلاة فإنّ الشيطان أبعد، يكون من الإنسان إذا قام الى الصلاة أي شيء يقع في قلبك فخذ به، و افتح المصحف فانظر الى أوّل ما ترى فيه فخذ به ان شاء الله. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤٠ و لكن بالتأمّل في آية الاستخارة فقط يحصل له العلم بالمقصد و بعاقبة الأمر فيكون مطابقا لما في ضمير السائل من السؤال، و لما ينتهي الأمر إليه في المآل.

فلا يلتفت الى ما عن الحلّي من الاقتصار في الإستخارة على ذات الصلاة و الدعاء، ثم فعل ما يقع في القلب، و لا يلتفت إلى التشديد في الإنكار على الاستخارة بغيرها، من الرقاع، و البنادق، و القرعة، بل المصحف أيضا.

نظرا إلى ما أغنانا ظهور الأمر عن التعرّض له و التصدّي للجواب عنه.

كما لا يصغى الى ما ربما يستشكل في خصوص الإستخارة بالمصحف

للمروى في «الكافي» عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: «لا تتفأل بالقرآن» «١».

إذ فيه مع ضعفه في نفسه، و عدم مقاومته لما مرّ عموما و خصوصا أنّه ربما ينفى التعارض بينهما رأسا بظهور الفرق بين التفأل و الإستخارة كما صرّح به غير واحد من الأجلّة.

حيث إنّ المراد بالتفأل هو استكشاف الأمور المستقبلية و استبانة الأمر فيها وجودا و عدما، و إن لم يتعلّق بأفعال المكلفين و لم يدخل تحت قدرتهم كشفاء المريض، و موته، و وجدان الضالّة و عدمه، و قدوم المسافر، و حصول الغناء، و التوفيق للحجّ، و نحوها ممّا يؤوّل الى استعجال تعرّف ما في الغيب الذي ورد النهي عنه و عن الحكم به لغير أهله.

و لكن المراد بالاستخارة طلب معرفة الرشد في الأمر الذي يراد فعله أو تركه مع التردد و عدم الجزم، استشارة منه سبحانه كما ورد: «تشاور ربك» (٢).

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٢٩- و بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤٤ عن الكافي.

(٢)

مكارم الأخلاق ص ٣٦٧ وفيه: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أمرا فلا تشاور فيه أحدا حتى تشاور ربك، قال: وكيف أشاور ربّي؟ قال: تقول: أستخير الله، مائة مرة ثم تشاور الناس فإن الله يجرى لك الخيرة على لسان من أحب. تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤١

بل قيل: إنه قد يعارض عن النهي المذكور في الزواية ما يحكى عن ابن «١» طاوس في «كتاب الاستخارات» من أنه ذكر للتفأل بالقرآن بالمعنى المذكور وجوها يستبعد، بل يمتنع عدم وصول نصوص فيها إليه، بل ظاهر بعض عبارته أو صريحها وقوفه على ذلك. فإن منها: أنه يصلّى صلاة جعفر، و يدعو بدعائها، ثم يأخذ المصحف، و ينوي فرج ال محمد بدءا و عودا، ثم يقول: اللهم إن كان في قضائك و قدرك أن تفرج عن وئيك و حجّتك في خلقك في عامنا هذا و في شهرنا هذا فأخرج لنا رأس آية من كتابك نستدل بها على ذلك، ثم يعدّ سبع ورقات، و يعدّ عشرة أسطر من ظهر الورقة السابعة، و ينظر ما رأته في الحادي عشر من السطور، ثم يعيد الفعل ثانيا لنفسه- فإنه تتبين حاجته إن شاء الله تعالى.

ثم إنه بين معنى قوله: (في عامنا هذا) أن العلم بالفرج عن وئيه حينئذ يتوقف على أمور كثيرة، فيكون كل وقت يدعى له بذلك في عامي هذا و شهرى هذا يفرج الله من تلك الأمور الكثيرة فيسمى ذلك فرجا.

و ذكر أيضا عن بدر «٢» بن يعقوب في صفة الفأل بالمصحف بثلاث روايات من غير صلاة، فقال: تأخذ المصحف و تدعو فتقول: اللهم إن كان من قضائك و قدرك أن تمنّ على أمه نبيك بظهور وئيك و ابن بنت نبيك فعجل ذلك و سهله

(١) هو السيد الجليل أبو القاسم على بن موسى بن طاوس الحلّي المولود سنة (٥٨٩) و المتوفّى سنة (٦٦٤)- الذريعة ج ٢ ص ٣٤٣، و كتابه في الاستخارات هو «فتح الأبواب بين ذوى الألباب و بين ربّ الأرباب».

(٢) ترجم له الأستاذ الكبير المجيز في الزواية قدّس سرّه في طبقات الشيعة في المائة السابعة ص ٢٤ فقال: بدر الأعجمي الشيخ الصالح، نزيل بغداد في أيام المستنصر (م ٦٤٠) و قد توسّط رضى الدين على بن طاوس له عند الخليفة فرسم له خمسين ديناراً، ذكر تفصيله في الباب الخامس من «فرج المهموم».

تفسير الصراط المستقيم، ج ٢، ص: ٥٤٢

و يسره و كمله، و أخرج لى آية أستدلّ بها على أمر فأتممر، أو نهى فأنتهى أو ما تريد الفأل فيه- في عافية.

ثم تعدّ سبع أوراق، ثم تعدّ في الوجهة الثانية من الورقة السابعة ستّة أسطر، و تتفأل بما يكون في السطر السابع.

و قال في رواية اخرى: إنه يدعو بالدعاء، ثم يفتح المصحف الشريف و يعدّ سبع قوائم، و يعدّ ما في الوجهة الثانية من الورقة السابعة، و ما في الوجهة الاولى من الورقة الثامنة من لفظ اسم الله جلّ جلاله، ثم يعدّ قوائم بعدد لفظ (الله)، ثم يعدّ من الوجهة الثانية من القائمة التي ينتهى العدد إليها، و من غيرها ممّا يأتى بعدها سطورا بعدد لفظ اسم (الله) جلّ جلاله، و يتفأل بآخر سطر من ذلك «١».

تمّت مقدّمة تفسير الصراط المستقيم و سيليها إن شاء الله تعالى تفسير فاتحة الكتاب

(١) فتح الأبواب ص ٢٧٧- ص ٢٧٩ و نقله المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٢٤١.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي من على الفقير المذنب الرجائي عفوهُ و صفحهُ أن وفقني لتحقيق هذا الكتاب و أرجوه التوفيق لتحقيق التفسير بمنه و كرمه.

- العبد الذليل غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردى -

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأدق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايت المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كسك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد

جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة
 (ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة
 المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و مُفترق " وفائى / " بنايه " القائمية "
 تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقبه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً ليعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

